# فقه السنة النبوية

من العهود المحمدية

تأليف
الشيخ أسعد محمد سعيد الصاغرجي

دار الكلم الطيب
دمشق - بيروت

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكلم الطيب للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - شارع مسلم البارودي - هاتف ٢١٢٩٨٨٦ ص.ب ٣٠٥٥٢
بيروت. ص.ب: ١١٣/٦٣١٨

# فقه السنة النبوية

## من العهود المحمدية

طبعة مصححة ومنقحة

تأليف

الشيخ أسعد محمد سعيد الصاغرجي

دار الكلم الطيب

دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَال الشعراني رحمه الله تعالى: بدأتُ في أول الكتاب بقسم المأمورات وأخّرت المنهيات، وإن كان الواقعون في المنهيات أكثر، عملاً بالأصل مِن حيث إن الطاعات أصلية، والمعاصي عارضة، وإن كل مؤمن يَودّ أن يطيع الله تعالى، ولا يعصي أمره أبداً، ولكن لله تعالى في تقديره المعاصي على عبده حكم وأسرار لا تخفى على من في قلبه نور.

ثم اعلم يا أخي! أَن طريق العمل بالكتاب والسنة قد توعَّرت، وعزَّ سالكها؛ لأمور يطول شرحها، حتى صار الإنسان يقرأ الأخلاق المحمدية، فلا يقدرُ على الوصول إلى التَّخلُّق بشيء منها؛ فلذلك كنت أقول في غالب العهود: وهذا العهد يحتاج من يعمل به إلى أستاذ ومربّ، إشارة إلى أنه لا يلزمُ من معرفة الفقيه بالأحكام الوصول إلى العمل بها، بل يحتاج مع هذا إلى قدوة حسنة يلقّنه العلم مع العمل والإخلاص.

ولما كان رسول الله ﷺ هو المربِّي الحقيقي لأمة الإجابة كلها، ساغ لنا أن نقولَ في تراجم عهود الكتاب كلها: أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ، أعني: معشر جميع الأمة المحمدية، فإنه ﷺ إذا خاطب الصحابة بأمر، أو نهي، أو ترغيب، أو ترهيب، انسحب حكمُ ذلك على جميع أمته إلى يوم القيامة، فهو المربي الحقيقي لنا، وكذلك المربون الناصحون، فهم نوَّاب عنه صلوات الله وسلامه عليه.

والذي يدنيك من طريق الائتساء: عدم استغراقك في الشهوات والملذات. وإن كان تعاطي المباحات أمراً أحلّه الشارع، لكنه نهى السيدة عائشة رضي الله عنها عن الأكل في يوم واحد مرتين، وقال لها: «أكلتان في النهار إسراف، والله لا يحب المسرفين» مع أنه ﷺ أباح لأمته أن يجمعوا كلَّ يوم بين الغداء والعشاء، بل هو الأكثر من فعله ﷺ رحمة بالضعفاء من أمته.

وقد أجمع أهل الله تعالى على أنه لا يتحقق مقامُ الإحسان في صلاة أو غيرها إلا لمن تطهّر من سائر الصِّفات المذمومة ظاهراً وباطناً، وإذا كان ذلك كذلك فلا بد من علاجٍ لإزالة الصفات الباطنة المذمومة من حب الدنيا، والكبر، والعجب، والرياء، والحسد، والحقد، والغل، والنفاق، ونحوها. وهذه أدواء مذمومة، توعَّدَ عليها الشارعُ، فمن كان مُتَخَلِّقاً بها، فهو عاصٍ لله ولرسوله ﷺ. وكل من رزقه الله السلامة من هذه الأدواء ـ كالسلف الصالح، والأئمة المجتهدين ـ فلا حاجة له إلى أحد، بل تكفيه نفسه، قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة: ٧٥/ ١٤] وأما معظم الناس ممن يريد التخلُّص من الصفات الباطنة المذمومة، فعليه أن يكون مع من تطهّرت نفسه من الرذائل، عملاً بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩/ ١١٩] ومن لم يكن مع الصادقين هو مع نفسه، والنفس أمارة بالسوء، ولم يمتثل أمر الشارع فهو عاصٍ لله تبارك وتعالى، فاتخذ يا أخي! مربياً ناصحاً، واقبلْ نصحي، وإياك أن تقول: إن هذا أمر لم يأت به كتاب ولا سنة، فإنه كفر، وكل ما هو ظاهر في هذا الكتاب فهو أخلاق محمدية، سداها ولحمتها منها.

قلت: وقد حوى هذا المؤلف المبارك من روح الشريعة ومقاصدها ما يجب على كل مسلم أن يتحلَّى به، ولما كان المؤلف رحمه الله تعالى قد ألَّفه لأهل عصره، وصاغه لهم، فأحببتُ ألا نحرم بركة هذا المؤلَّف؛ لما حوى من الفضل العظيم والخير الجزيل، ونقلت كل ما ذكر المؤلِّف من المعاني السامية المستقاة من الأحاديث النبوية الشريفة، واقتصرت عليها

دون ما هو متعلق بأهل ذلك العصر، وعمدتُ إلى الأحاديث النبوية الشريفة فخرَّجتها، واقتصرت على الصحيح والحسن منها ما أمكنني. وَلربما يجد القارىء أحاديث ضعيفة، ولكن هي من القُلِّ بحيث تعد على الأصابع.

وربما أحوجني الأمر أن أصوغ بعض الجمل والتراكيب، وأزيد فيها وأنقص منها، متوخّياً تقديم هذه الموضوعات المباركة إلى القارىء الكريم بعيدةً عن اللبس والغموض، فإن أحسنت فبفضل الله تعالى، وإن أسأتُ فإني مستغفر الله تعالى، وتائب إليه على الدوام، وسميته: «فقه السنة النبوية من العهود المحمّدية» راجياً من الله تعالى أن أوفق للعمل به، وكذا لكل من ساهم في نشره، وإظهاره، ومن طالع فيه، إنه خير مأمول، وأكرم من أجاب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

وكتبه:

**أسعد محمد سعيد الصاغرجي**

# القسم الأول

## المأمورات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشعراني رحمه الله تعالى: القسم الأول من الكتاب، وهو قسم المأمورات.

# كتاب الإيمان

١/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرجو من فضل ربنا الوفاء، وأن نخلص النية لله في علمنا، وعملنا، وسائر أحوالنا، ونُخَلِّصَ سائر أعمالنا من سائر الشوائب حتى من شهود الإخلاص، ومن حضور استحقاقنا ثواباً على ذلك، وإن خطر لنا طلب ثوابٍ، شهدناه من باب المنَّة والفضل.

فيشتغل من يريد الإخلاصَ في أعماله بذكر الله عز وجل حتى تَرِقَّ حُجُبُ بَشريته، ويدخلَ حضرة الإحسان التي يعبد الله تعالى فيها كأنه يراه، وهناك يشهد العملَ كلَّه خلقاً لله تعالى عز وجل، ليس للعبد فيه مدخلٌ إلا كونَه محلاً لبروز ذلك العمل لا غير؛ لأن الأعمال أعراض، والأعراض لا تظهر إلا من جسم، وهناك يذهبُ من العبد الرياء، والكِبْرُ، والعجب، وسائر الآفات؛ لأن هذه الآفات إنما تجيء للعبد من شهودِ كونِه فاعلاً لذلك العمل، مع غفلته عن شهود الخالق له، ومعلومٌ أنه لا يصح الرياء، والتكبّر، والعُجْبُ من العبد بعمل غيره أبداً.

فَعُلِمَ أن من لم يصلْ إلى دخول حضرة الإحسان، ويشهدْ أعماله كلّها خلقاً لله تعالى كشفاً ويقيناً، لا ظَنّاً وتخميناً، فهو معرَّض للوقوع في الرياء، ولو حفظ ألفي كتاب.

وأقل شروط دخول حضرة الإحسان: التطهرُ من أكل الحرام، والتورّع عن الشبهات، ومن لم يفعل ذلك لا يصحُّ له إخلاص في عمل، وإذا لم يصحَّ له إخلاصٌ في عمل فقد وقع في الرياء، وإذا راءى العبد بعلمه وعمله، حبط عمله بنص الكتاب والسنة، وإذا حبط عمله فكأنه لم يعملْ شَيَئاً قطُّ، فكيف يرى نفسه بذلك على الناس مع توعّده بعد الإحباط بالعذاب الأليم؟!.

فتفقَّد نفسك في دعواها الإخلاص، والانقطاع إلى الله تعالى، فإن رأيتها تستوحشُ من ترك تودّد الناس إليها وغفلتهم عنها، فأنت كاذب في دعواك الإخلاص إلى الله تعالى.

روى ابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، عن أنس ابن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فارقها والله عنه راض»[(١)].

وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يَا رسول الله! رجل يريد الجهاد في سبيل الله، وهو يبتغي عَرضاً من عرض الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «لا أجر له» فأعظم ذلك الناس، وقالوا للرجل: عُد لِرسول الله ﷺ فَلعلك لم تفهمه، فقال: يا رسول الله! رجل يريدُ الجهاد في سبيل الله، وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا، فقال: «لا أجر له» فقالوا للرجل: عُدْ لرسول الله ﷺ، فقال له الثالثة، فقال: «لا أجر له»[(٢)].

وروى البيهقي عن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه موقوفاً: يجاء بالدنيا يوم القيامة فيقال: ميزوا ما كان فيها لله عز وجل، فيُمازُ، ويُرمى سائره في النّار[(٣)].

---

(١) الترغيب والترهيب (١/ ٥٣).

(٢) سنن أبي داود (٣/ ١٤).

(٣) الترغيب والترهيب (١/ ٥٥).

فإياك يا أخي! والغلط، فإن الناقد بصير، ولا تدَّع الإخلاصَ في علمك وعملك من غير تفتيش فإنه غش، وقد سمعتُ سيدي عَلياً الخوّاص يقول في معنى حديث: «إنَّ الله تعالى ليؤيد هذا الدِّين بالرجل الفاجر»: هذا الرجل يتعلم العلْم رياءً وسمعةً، فيعلِّم الناس أمور دينهم، ويفقّههم، وينصر الدين إذا ضعف جانبه، ثم يدخله الله تعالى النّار بعد ذلك لعدم إخلاصه.

٢/٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نتَّبع السُّنَّة المحمَّدية في جميع أقوالنا، وأفعالنا، وعقائدنا، فإن لم نعرفْ لذلك الأمر دليلاً من الكتاب والسنّة، أو الإجماع، أو القياس، توقَّفنا عن العمل به، ثم ننظر فإن كان ذلك الأمر قد استحسنه بعضُ الأئمة المجتهدين استأذنّا رسول الله ﷺ فيه، ثم فعلناه أدباً مع ذلك الإمام، وذلك كله خوف الابتداع في الشريعة المطهرة، فنكون من جملة الأئمة المضلِّين. وبقدر الموافقة للسنّة، وكثرة المتابعة، يتصوّر المتّبع كأنه مع رسول الله ﷺ، فإن المستحضر للسنّة في كل حركة وسكنة في حياته، مستحضر لذاته الشريفة صلوات الله وسلامه عليه، وهو من الأكابر.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: سمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول: ليس مراد الأكابر من حثهم على العمل على موافقة الكتاب والسنّة إلا مجالسةَ الله ورسولِه ﷺ في ذلك الأمر لا غير، فإنهم يعلمون أن الحق تعالى لا يجالسهم إلا في عمل شرعه هو أو رسوله ﷺ، أما ما ابتُدِع فلا يجالسهم الحق تعالى ولا رسوله ﷺ فيه أبداً.

واعلم يا أخي! أن من تحقَّق بهذا العهد صار من رؤوس أهل السنة والجماعة في عصره، ومن لم يلقّبه بذلك فقد ظلمه.

وإياك أن تحذِّر من اتباع أحد من العلماء العاملين بقول أحد من حسّادهم من غير اجتماع به، فربما يكون بريئاً مما نسب إليه، فيكون عليك إثم قاطع الطريق لاتباع الشريعة، فإنك حينئذ تحذّر من اتباع السنّة

المحمّدية، وهذا واقع كثيراً، فترى كلَّ واحد يحذّر الناسَ عن الآخر، وكلٌّ منهما يزعم أنه من أهل السنة والجماعة، فيختلّ الأمر إلى عدم الاقتداء بواحد منهما، فالله يحمينا وأصحابنا من مثل ذلك بمنّه وكرمه آمين.

قال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: حقيقة المتابعة للشريعة أن تعمل العمل مع شهودك للشرع حال العمل وبعد العمل.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى الإحاطة بأدلة جميع المذاهب المستعملة والمندرسة، وأقوال علمائها، حتى لا يكاد يخفى عليه دليلٌ من أدلّتهم، ولا قول من أقوالهم في مأمور به، أو منهيٍّ عنه، أو مباح. ثم لا بد له من شيخ صادق يزيل عن نفسه سائر الصفات المذمومة، ويحلّيه بالصفات المحمودة؛ ليصلح لمجالسة الله تعالى ورسوله ﷺ.

فاعملْ يا أخي! على جلاء مرآة قلبك من الصدأ والغبار، وعلى تطهرك من سائر الرذائل؛ حتى لا يبقى فيك خصلة واحدة تمنعك من سلوك طريق الاستقامة، فإن أكثرت من الصلاة والسلام عليه ﷺ، فربما تصل إلى المشاهدة كما أسلفت.

روى أبو داود عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغةً، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رَسول الله! كأَنَّ هذه موعظة مودِّع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإنْ عبداً حبشياً، فإِنَّه من يعشْ من بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحْدَثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(١).

ومعنى «عضوا عليها بالنواجذ» أي: اجتهدوا على وجه السنّة لا على

(١) سنن أبي داود (٤/٢٠١).

وجه البدعة، والزموا السنّة، واحرصوا عليها، كما يلزم العاضّ على الشيء بنواجذه خوفاً من ذهابه وتفلّته. والنواجذ: الأنياب، وقيل: الأضْراس.

وروى الحاكم موقوفاً، وقال: إسناده صحيح على شرطهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الاقتصاد في السنّة أحسن من الاجتهاد في البدعة(١).

وروى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر (يعني الأسود) ويقول: إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضرّ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبّلتك(٢).

٣/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نكون في أعمال الخير من أهل الرعيل الأوّل، فنبدأ بفعل الخير قبل الناس مسارعةً للخير، ويستنّ بنا النّاس، فنحرص على أن نقوم من الليل من أوّل ما يقع التجلّي، وينادي الحق تعالى: هل من سائلٍ فأعطيَه سؤله، هل من مستغفرٍ فأغفر له، هل من مُبتلى فأعافيه... إلى آخر ما ورد في ذلك من أوّل الثلث الأخير من الليل في أغلب التجلّيات؛ التي كان ﷺ يتهجّد وقتها ليتأسى بنا إخواننا.

وكذلك إذا رأينا إنساناً يسأل الناس، أي: لعمل خيري، ولا أحد يعطيه شيئاً، فنعطيه أمام الناس تحريضاً لهم على العطاء، ولا نعطيه سرّاً.

ومن هذا الباب: إظهار التصبُّر على البلايا والمحن؛ ليتأسى الناس بنا في الصبر وعدم التّسخّط، فإن رأينا الصبر بلغ حدّه، أظهرنا الضّعف حتى يرتفع، كما وقع لأيوب عليه السلام.

فينبغي لكل عاملٍ أن يستر عمله ما استطاع إلا في محلٍّ يقتدى به في

---

(١) الترغيب والترهيب (١/ ٨٠).

(٢) المصدر السابق.

فعله، وفي كيفيته، والله تعالى أعلم.

قال سيدي عليّ الخوّاص رحمه الله تعالى: لا ينبغي إظهار الأعمال إلا للأكابر من العلماء، والصالحين الغوّاصين على دسائس النفوس، وأما أمثالنا فربما يظهر الواحد منا أعماله رياءً وسمعةً، وتُلبّس عليه نفسه، وتقول له: أنت بحمد الله من المخلصين، وإنما تظهر هذه العبادة ليقتدي بك الناس، فينبغي لمثل هذا أن يمتحنَ نفسه بما لو جاء أحد يفعل ذلك الخير، وينقاد الناس له مثله أو أكثرَ منه، فإن انشرح لذلك فهو مخلصٌ، وإن انقبض خاطره فهو مُراءٍ، ولو أنه كان مخلصاً لفرح بذلك أشدّ الفرح الذي قيَّض الله تعالى له مَنْ كفاه المؤنة ثم إن قالت له نفسه إنما تشوّشت لفوات الخير العظيم الذي كان يحصل لك من حيث هو خَيرٌ، فليقل لها: إني معتمد على فضل الله لا على الأعمال، فإن دخلتُ الجنة فإنما هو برحمة الله تعالى لا بعملي. فينبغي للعبد ألا يَصْغي لدعوى نفسه في الإخلاص.

وكان الإمام النووي رحمه الله تعالى إذا درَّسَ في المدرسة الأشرفية بدمشق يوصي الطَّلبة ألا يجيئوا دفعة واحدة خوفاً من كبر الحلقة، وكان إذا درَّس جلس في عطفة المسجد، ويقول: إن النفس تستحلي رؤية الناس لها وهي تدرِّس في صحن المسجد أو صدره.

فإياك يا أخي! أن تعقد لك مجلس علم، أو ذكر لله تعالى، أو صلاة على رسول الله ﷺ بحيث يراك الناس، إلا أن تكون سالماً من هذه العلل والآفات.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وقد حضرت مرةً الشيخ العالم العامل شمس الدين اللقاني، مفتي المالكية بالجامع الأزهر، وهو يقول لشيخنا الشيخ نور الدين الشوني، شيخ مجلس الصلاة على رسول الله ﷺ: والله يا أخي! إني خائفٌ عليك من تصدُّرك في الجامع في هذا المجلس ليلة الجمعة ويومها، والأمراءُ والأكابر ينظرون إليك، ويعتقدونك على ذلك.

روى أحمد عن حذيفة رضي الله عنه قال: سأل رجلٌ على عهد النبي ﷺ فأمسك القوم، ثم إن رجلاً أعطاه، فأعطى القوم، فقال النبي ﷺ: «من

سنّ خيراً فاستُنَّ به كان له أجرُه ومن أجور من يتبعه غير منتقص من أجورهم شيئاً، ومن سنّ شراً فاستُنَّ به كان عليه وِزرُهُ ومن أوزار مَن يتبعه غير منتقص من أوزارهم شيئاً»[1].

وروى البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم كِفْلٌ من دمها، ذلك لأنه أول من أسنّ القتل»[2].

وروى الترمذي وحسنه عن بلال بن الحارث قال له النبي ﷺ: «اعلم» قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال: «إنه من أحيا سنةً من سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثلُ من عمل بها من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعة ضلالةٍ لا يرضاها الله ورسوله، كان عليه مثلُ آثام مَن عمل بها، لا يَنْقُصُ ذلك من أوزار الناس شيئاً»[3].

* * *

(١) مسند أحمد (٥/ ٣٨٧).
(٢) سنن الترمذي (٤/ ١٤٨).
(٣) سنن الترمذي (٤/ ١٥٧).

# كتاب العلم

٤/١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن ندمن مطالعة الكتب، وتعليمه للناس ليلاً ونهاراً، ما عدا العبادات المؤقّتة، والحوائجَ الضرورية، ومذهب إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى: أن طلبَ العلم على وجه الإخلاص أفضل من الصلاة النافلة.

واعلم أن الشارعَ ﷺ ما نوّع العبادات المتفاضلة في الأجر إلا لعلمه ﷺ بحصول الملل للعاملين ولو في الأمور الواجبة، فلو تُصُوِّر أن إنساناً لم يملَّ من الواجبات، أو مما هو أفضل لأمر ﷺ بملازمتها، ترك الأمور المفضولة؛ لأنه ما تقرّب المتقرِّبون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افترضه عليهم، ولكن لما كان يحصل لهم من الملل في الواجبات حتى لا يبقى في نفس العامل داعيةٌ، ولا خشوعٌ، ولا لذّة بتلك العبادات، كان العمل المفضول الذي فيه داعيةٌ، ولذة، وخشوع أتمَّ وأكمل.

وكان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقسم الليل ثلاثة أجزاء: جزءاً ينام فيه، وجزءاً يطالع الحديث ويستنبط، وجزءاً يتهجّد فيه، وكان يقول: لولا مذاكرة الإخوان في العلم، والتهجد في الليل، ما أحببت البقاء في هذه الدار.

فطالب العلم إذا صلحت نيّته له أن يكبّ على مطالعة العلم ليلاً ونهاراً، فإن دخل نيته حبُّ رياسة، أو طلبُ دنيا، فالاشتغال بما صلحت فيه النية من الطاعات أولى.

قال داود الطائي رحمه الله تعالى: طالبُ العلم كالمحارب، فإذا أفنى عمره في تعلُّم كيفية القتال فمتى يقاتل؟ فَمِن عقل العاقل أنه كلما رأى نفسه عملت بكل ما علم، واحتاجت للعلم أن يقدِّمه على سائر الطاعات التي لم يأمره الشارع بتقديمها عليه، وكلما رأى نفسه مستغنية عن العلم، وعلمها زائد على حاجتها؛ أن يقدّم غيره عليه، كما كان عليه السلف الصالح. فلا بد لكل إنسان من العلم والعمل، والاشتغال بواحد منها دون الآخر نقص.

واعلم أن جميعَ ما ورد في فضل العلم وتعليمه، إنما هو في حقِّ المخلصين في ذلك، فلا تغالط في ذلك؛ فإن الناقد بصير.

قال سيدي عليّ الخوّاص في معنى حديث: «إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر» معناه: أن الناس ينتفعون بعلم الفاجر، وتعليمه، وإفتائه، وتدريسه، حتى يكون في الصورة كالعلماء العاملين، ثم يدخله الله تعالى بعد ذلك النار لعدم إخلاصه كما مرَّ. فاعلم ذلك، والله يتولَّى هداك.

روى البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقِّهه في الدين»(١).

وروى الطبراني والبزار بإسناد حسن عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع»(٢).

وروى مسلم عَن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنَّة...» الحديث(٣).

٥/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: إذا لم نجد أحداً نتعلَّم

---

(١) مسلم (٣/ ١٥٢٤).
(٢) الترغيب والترهيب (١/ ٩٣).
(٣) مسلم (٤/ ٢٠٧٤).

منه العلم الشرعي في بلدنا؛ أن نسافر إلى بلد فيها العلم، وهي هجرةٌ واجبة علينا إذاً؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وهذا العهد قد أخلَّ به كثيرٌ من الخلق، وماتوا على جهلهم مع أن العلماء في بلدهم، وربما كانوا جيراناً لهم.

وقد قال العلماء: من صلى جاهلاً بكيفية الوضوء والصلاة (يعني: أو غيرهما) لم تصح عبادته، وإن وافق الصحة فيها، ويؤيده الحديث الصحيح: «كلُّ عمل ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ» فمن صلى، ونكح، وباع، وصام، وحجّ على حسب ما يرى الناس يفعلون فقط، فعبادته فاسدة.

وتأمّل من كان عنده شكٌّ حين يسأله منكر ونكير عن دينه، وعن نبيّه ﷺ، فيقول: لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته، كيف يضربانه بمرزبّة، لو ضُرِب بها جبل لهدم كما ورد، تعرفْ أن الشارع فرض عليك مراتب العبادات، وأنه لا يكفيك أن تتبع الناس على فعلهم من غير معرفة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وتقدمت الأحاديث في فضل العلم، وطلبه، وحسبك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٣٩/٩]، وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ٤٧/١٩].

وروى أحمد والطبراني بإسناد جيد، واللفظ له، عن صفوان بن عسّال المرادي أنه قال لرسول الله ﷺ: إني جئتُ أطلب العلم، فقال: «مرحباً بطالب العلم، إنَّ طالب العلم تحفّه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب»(١).

٣/٦ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نُسمِعَ الناسَ الحديث محبةً في رسول الله ﷺ، وعملاً على مرضاته ﷺ، وتجديداً للصلاة

---

(١) الترغيب والترهيب (١/ ٩٥).

والتسليم على رسول الله ﷺ في كل حديث، وكذلك تجديد الترضّي والترحم على الصحابة والتابعين من الرواة.

وأعظم الفوائد المجتناة من ذلك: فائدة الفوز بدعائه ﷺ لمن بلغ كلامه إلى أمته في قوله: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها».

ودعاؤه ﷺ مقبول بلا شك إلا ما استثنى. ومعنى: «نضّر» أي: جمَّلهُ الله، وزيَّنه، والنضارة: النعمة، والبهجة، والحسن.

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضَّر الله امرأً سمع منّا شيئاً فبلّغه كما سمعه، فرب مبلَّغٍ أوعى من سامع»[(١)].

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن، عن زيد بن ثابت رضي الله عنهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «نضّر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربّ حامل فقه ليس بفقيه»[(٢)].

٧/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن لا نخلي نفوسنا من مجالسة العلماء ولو كنّا علماء، فربما أعطاهم اللهُ من العلم ما لم يعطنا، وهذا العهدُ يخلُّ بالعمل به كثير من الفقهاء وأهل الذكر، فيدَّعون أن عندهم من العلم ما عند جميع الناس، بل سمعت بعضهم يقول لمّا لُمْتُهُ على عدم التردد للعلماء: والله لو علمتُ أن أحداً في البلد عنده علم زائد على ما عندي لخدمت نعاله، ولكن بحمد الله قد أعطانا الله من العلم ما أغنانا به عن الناس.

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ١٤٢).

(٢) سنن الترمذي (٤/ ١٤١).

وهذا كله جهْلٌ بنص الشارع، كما ورد في قصة موسى مع الخضر عليه السلام، وفيها كفاية لكل معتبر. فاجتمع يا أخي! في كل قليل على العلماء، واغتنم فوائدهم، ولا تكن من الغافلين عنهم، فتحرم بركة أهل عصرك كلِّهم لكونك رأيت نفسك أعلى منهم، أو مساوياً لهم، فإن الإمدادات الإلهية من علم أو غيره حكمُها حكمُ الماء، والماء لا يجري إلا في السُّفليات، فمن رأى نفسه أعلى من أقرانه لم يصعد له منهم مَدَد، ومن رأى نفسه مساوياً لهم فمددهم واقفٌ عنه كالحوضين المتساويين، فما بقي الخير كلُّه إلا في شهود العبد أنه دون كل جليس من المسلمين؛ لينحدر له المدد منهم.

روى أبو يعلى، ورواته رواة الصحيح، إلا مبارك بن حسان، عن ابن عباس رضي الله عنهُما قال: قيل: يا رسول الله! أيّ جلسائنا خير؟ قال: «من ذكّركم اللهَ رؤيتُه، وزاد في علمكم منطقه، وذكّركم بالآخرة عملُه».

٨/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نكرم العلماء، ونُجِلَّهم، ونوقّرَهم، ولا نرى لنا قدرةً على مكافأتهم، ولو أعطيناهم جميع ما نملك، أو خدمناهم العمرَ كلَّه؛ وهذا العهد قد أخلّ به غالبُ طلبة العلم والمريدين، وهذا داءٌ عظيم في الدين، مُؤْذِنٌ باستهانة العلم، وأَمْرِ مَن أَمَرنا بإجلال العلماء ﷺ.

وقد بلغنا عن الإمام النووي: أنه دعاه يوماً شيخُه الكمال الأربيلي ليأكل معه، فقال: يا سيدي أعفني من ذلك فإن لي عذراً شرعياً، فتركه، فسأله بعضُ إخوانه: ما ذلك العذر؟ فقال: أخاف أن تسبق عين شيخي إلى لقمة فآكلها وأنا لا أشعر. وكان رحمه الله تعالى إذا خرج للدرس ليقرأ على شيخه، يتصدق عنه في الطريق بما تيسَّر، ويقول: اللهم استر عني عيب معلمي، حتى لا تقع عيني له على نقيصة، ولا يبلغني ذلك عنه عن أحد.

ثم من أقل آفات سوء أدبك مع الشيخ: أن تحرم فوائده بأن ينعقد لسانه عن إيضاح المعاني لك، فلا تتحصل من كلامه على شيء تعتمد عليه عقوبة

لك، فإذا جاءه شخص من المتأدبين معه، انطلق لسانه له لموضع صدقه، وأدبه معه.

فينبغي أن يخاطب الطالب شيخه بالإجلال كما يخاطب الملوك، ولا يجادله قطّ في علم استفاده منه في وقت آخر إلا على سبيل التعرّف، فيقول: يا سيدي سمعناكم تقررون لنا أمس خلاف هذا! فماذا تعتمدون عليه من التقريرين الآن حتى نحفظه عنكم، ونحو ذلك من الألفاظ التي فيها رائحة الأدب.

روى البخاري عن جابر رضي الله عنه: أَن رسول الله ﷺ كان يجمعُ بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: «أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟» فإذا أشير لَهُ إلى أحد قدّمه في اللحد[1].

وروى الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، عن عبد الله بن عمر يبلغ به النبي ﷺ: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا»[2].

وروى أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أَن رسول الله ﷺ قال: «ليس من أمتي من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا» ومعنى: «ويعرف لعالمنا» أي: واجب إكرامه. وفي رواية: «ويعرف لعالمنا حقه».

وروى الطبراني مرفوعاً: «لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خصال» فذكر منها: «وأن يروا ذا علم فيضيعونه، ولا يسألون عليه».

٩/ ٦ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: إذا لم نعمل بعلمنا أن ندلَّ عليه من يعمل به من المسلمين، وإن لم يكن ذلك يجبر خللنا على التمام، فإن من الناس مَن قُسم له العلم، ولم يقسم له العمل به، ومنهم من قسم له العلم والعمل به، ومنهم من لم يقسم له واحدٌ منهما.

---

(١) البخاري (٥/ ١٣١).

(٢) الترغيب والترهيب (١/ ١١٣).

قال سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى: يتعين على كل من لم يعمل بعلمه أن يعلمه الناس، ولمن يرجو عمله به.

وسمعته مرة أخرى يقول: ما ثم عالم إلا وهو يعمل بعلمه بوجهٍ من الوجوه ما دام عقله حاضراً، وذلك أنه إن عمل بالمأمورات الشرعية، واجتنب المنهيات، فقد عمل بعلمه بيقين؛ إذا رزقه الله الإخلاص فيه، وإن لم يعمل بعلمه كما ذكرنا، فيعرف بالعلم أنه خالف أمر الله، فيتوب، ويندم، فقد عمل بعلمه أيضاً؛ لأنه لولا العلم ما اهتدى لكون ترك العمل بالعلم معصية، فالعلم نافع على كل حال، ويحمل ما ورد في عقوبة من لم يعمل بعلمه على من لم يتب من ذنبه.

قال الشعراني رحمه الله: وملخَّص ذلك أنه لا يشترط في كون الإنسان عاملاً بعلمه عدم وقوعه في معصية، كما يتبادر إلى الأذهان، وإنما الشرط عدم إصراره على الذنب، أو عدم إصراره على الإصرار.

روى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله»(١).

وروى الحاكم موقوفاً، وقال: صحيح على شرطهما، عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦٦/ ٦] قال: علّموا أهليكم الخير(٢).

* * *

(١) مسلم (٣/ ١٥٠٦).

(٢) الترغيب والترهيب (١/ ١٢١).

# كتاب الطهارة والوضوء

١٠/١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نكرم المساجد بشتى أنواع الإكرام تعظيماً لله تعالى، وإجلالاً له، فلا نبول قريباً من أبوابها في غير الأمكنة المعدّة لذلك، ولا نتنخَّم على أبوابها، وإذا اضطر أحدنا فليزل النخامة بدلكها بنعله، أو في منديل يحتفظ به في جيبه.

ومن إكرام المساجد: التطهر والتوضأ في المنزل، ثم القدوم عليها متوضئاً، إلا إذا اضطر، فلا حرج عليه.

ومن إكرام المساجد تعظيمها، وأخذ الزينة عند كل صلاة فيها كما أمر الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٧/ ٣١] وعدم الصلاة بثياب المهنة فإن ذلك ينفّر الناس من الصلاة.

ومن إكرام المساجد: تجنب الأكل والشرب فيها والنوم إلا لمعتكف؛ لما فيه من خرم تعظيم الحرم، وإذا كنا نهينا عن تشبيك الأصابع، وعن تقليب الحصى، وعن رفع الصوت لإنشاد الضّالّة في المساجد، فلأن ننهى عن الجدال، والخصومة، والمراء، والكذب، والغيبة، والنميمة فيه بالأولى.

ودخل سيدي علي الخوّاص مرة المسجد، فقام له شخص، فزجره زجراً شديداً، وقال: إن العبد إذا عُظِّم في حضرة الله تعالى ذاب كما يذوب الرصاص، حياءً من الله تعالى أن يشاركه في صورة التعظيم والكبرياء.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع رجلاً ينشد ضالّةً في المسجد، فليقل: لا ردَّها الله عليك، فإن المساجد لم تُبنَ لهذا»[١].

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل من هذه الشجرة المنتنة، فلا يقربنَّ مسجدنا؛ فإن الملائكة تأذى مما يتأذى منه الإنس»[٢].

وروى مسلم عن عبد الله بن الشخّير رضي الله عنهُ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رسول الله ﷺ، فرأيته تنخَّع، فدلكها بنعله[٣].

وروى ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم ليس لله فيهم حاجة»[٤].

١١/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نسبغ الوضوء صيفاً وشتاءً امتثالاً لأمر الله، واغتناماً للأجر الوارد في ذلك في الشتاء، ولأنه ربما استلذَّت الأعضاء بالماء البارد في الصيف، فيبالغ المتوضىء في الإسباغ لحظّ نفسه، فينبغي أن يتنبه المتوضىء لمثل ذلك، ويسبغ امتثالاً للأمر، لا لاستلذاذ الأعضاء بالماء، وهذا سرُّ أمر الشارع لنا بالوضوء، ليقول العبد لنفسه: إذا استلذّ بالماء في الصيف، وادّعت أنها مخلصة في ذلك، إنما هذا لحظّ نفسك بدليل نفرتك من إسباغ الوضوء في الشتاء، فلو كان إسباغك الوضوء في الصيف امتثالاً لأمر الله، لكنت تسبغين ذلك في الشتاء من باب أولى؛ لأنه وعدك بالأجر عليه أكثر، وهذا الأمر يجري مع العبد في أكثر

---

(١) مسلم (١/ ٣٩٧).
(٢) المصدر السابق.
(٣) الترغيب والترهيب (١/ ٢٠٥).
(٤) المصدر السابق.

المأمورات الشرعية فيفعلها العبد بحكم العادة مع غفلته عن امتثال الأوامر، وعن شهود الشارع، فيفوته معظم الفرض الذي شرعت تلك الطاعة له، وهو الفوزُ بمجالسة الشارع في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم الغُرُّ المحجَّلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطلْ غرَّته وتحجيله»[١].

وروى البزّار بإسناد حسن عن حُمران رضي الله عنهُ قَال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» وقوله: «وما تأخّر» لعله يلهم التوبة النصوح بعد وقوعه في الذنب، فيغفر له.

١٢/٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نحافظ على دوام الوضوء، وعلى تجديده؛ لنكون مستعدّين لقبول الواردات الإلهية، فإن صدقته تعالى على عبده لا تنقطع ليلاً ولا نهاراً، ومن كشف الله تعالى عن بصيرته، وجد نفسه جالساً في محراب العبودية على الدوام. وهذا أمرٌ يتأكّدُ فِعْله على أكابر العلماء والصالحين؛ لأن معظم الواردات الإلهية في العلوم الظاهرة والباطنة تنزل عليهم، وقد أغفل ذلك كثيرٌ منهم.

روى ابن ماجه بإسناد صحيح عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أنّ خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[٢].

قال الشعراني: معنى: «ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»: أي: مؤمن بأنه في حضرة الله على الدوام، إذ الإيمان يتخصَّص في كل مكان

---

(١) مسلم (١/٢١٦).
(٢) الترغيب والترهيب (١/١٦٢).

بحسبه، فإذا جاء عقب قول من ينكر البعث مثلاً لا يؤمنون، فمعناه: لا يؤمنون بالبعث، وإذا جاء ذلك عقب قول من ينكر الحساب فمعناه: لا يؤمنون بيوم الحساب، وهكذا القول في نحو حديث: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» أي: بأنّ الله يراه، فلو آمن بأن الله يراه على الكشف والشهود حال الزِّنى ما قدر على الزنى، فلا يلزم من نفي الإيمان بشيء من التكاليف مثلاً نفي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وغير ذلك. ويحتمل أن يكون المراد: نفيَ سائر صفات الإيمان؛ لكون الإيمان كلّه كالجزء الواحد، إذا انتفى بعضه انتفى كله، كما قالوا في الإيمان بالرسل أنه إذا لم يؤمن ببعض الرسل لا يصح له إيمان، والله أعلم.

وروى ابن خزيمة في صحيحه عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنهما، قال: أصبح رسول الله ﷺ يوماً، فدعا بلالاً، فقال: «يا بلال! بم سبقتني إلى الجنة؟ إني دخلتُ البارحةَ الجنةَ فسمعت خشخشتك أمامي» فقال بلال: يا رسول الله! ما أذَّنتُ قط إلا صليت ركعتين، ولا أصابني حدث قطُّ إلا توضأت عنده. فقال رسول الله ﷺ: «لهذا»[(١)].

ومعنى «خشخشتك أمامي» أي: رأيتك مُطْرِقاً بين يدي (كرئيس التشريفات) بين يدي الملوك والرؤساء، قاله محمد بن علي الحاتمي رحمه الله تعالى، والله تعالى أعلم.

١٣/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نواظب على السواك عند كل وضوء، وعند كل صلاة. قلت: فإن تعذر وجود السواك، فتطييب الفم وتنظيفه بالفراشي والمعاجين يقوم مقام السواك، إذ القصد تطهير الفم، وتنظيفه من البخر، وفي الإخلال بذلك إخلال بتعظيم الله تعالى وملائكته وصالح المؤمنين، فضلاً عَنْ غير الملائكة والصالحين. وقد أكد ﷺ في

---

(١) الترغيب والترهيب (١/ ١٦٢).

ذلك، ولم يكتف بمجرّد الأمر به مرة واحدة. فلازم يا أخي! على السنة المحمدية لتجني ثمرة ثوابها في الآخرة؛ فإن لكل سنَّة سنَّها رسول الله ﷺ درجة في الجنة لا تُنال إلا بفعل تلك السنّة، ومن قال: هذه سنّةٌ يجوز تركها، يقال له يوم القيامة: وهذه درجة في الجنة يجوز حرمانك منها.

وقد بلغنا عن الشِّبلي رحمه الله تعالى: أنه احتاج إلى سواكٍ وقت الوضوء، فلم يجده، فبذل فيه نحوَ دينارٍ حتى تسوّك به، ولم يتركه في وضوء! فاستكثر بعض الناس بذل ذلك المال في سواكٍ، فقال: إن الدنيا كلَّها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فماذا يكون جوابي إذا قال لي: لم تركتَ سنة نبيي، ولم تبذل في تحصيلها ما خصَّك الله به من جناح البعوضة؟ فَأَعْجَزَهُ، ومضى.

وقد كان الدسوقي رحمه الله تعالى يقول لقرّاء القرآن: إيّاكم والغيبة والتكلّمَ بالكلام الفاحش، ثم تتلون القرآن، فإن ذلك حكم من مسَّ بألفاظ القرآن القذر، وهذا أمرٌ قد عمّ غالب قرّاء القرآن، فلا يكاد يسلم منه إلا القليل.

قال الفضيل بن عياض وسفيان الثوري: قد صار القرَّاء يتفكَّهون في هذا الزمان بالغيبة، وتنقيص بعضهم بعضاً خوفاً أن يعلوَ شأن أقرانهم عليهم، وبعضهم يجعلها كالإدام في الطعام، وهو أخفُّهم إثماً.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: رأيتُ شخصاً من المجاورين يقرأ كل يوم ختمة، وهو مع ذلك لا يكاد يذكر أحداً من المسلمين بخير، إنما هو غيبة وازدراء، فنهيته عن ذلك، فتركهم، واشتغل بغيبتي، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فعظّم يا أخي! سنّة نبيك، واستغفر الله من استهانتك بتركها.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[1] وعن ابن خزيمة وأحمد: «لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء».

---

(١) مسلم (١/ ٢٢٠).

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنهَا: أَن النبي ﷺ كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك[1].

وروى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: كانَ رسول الله ﷺ إذا قام ليتهجد يشوص فاه بالسواك. وفي رواية: كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك[2].

والشوص: دَلك الأسنان بالسواك عرضاً.

وروى البزار بإسناد جيد عن عليّ رضي الله عنهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا تسوَّك ثم قام يصلي، قام الملك خلفه فيستمع لقراءته، فيدنو منه ـ أو: كلمة نحوها ـ حتى يضع فاه على فيه، فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك، فطهروا أفواهكم للقرآن»[3].

وروى أبو نعيم في كتاب «السواك» بإسناد جيّد عن ابن عباس رضي الله عنهُما: أن رسول الله ﷺ قال: «لأن أصلّيَ ركعتين بسواكٍ أحبُّ إليّ من أن أصلّي سبعين ركعةً بغير سواك»[4].

١٤/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نخلّل أصابع اليدين والرّجلين بالماء في كل طهارة اهتماماً بأمر الشارع ﷺ، ولا نترك فعل ذلك لا في وضوءٍ ولا غسلٍ؛ وهذا العهد يخلّ به كثير من الناس، فينبغي إشاعة ذلك بينهم في أوقات وضوئهم؛ ليكون فاعل ذلك معدوداً من رسل رسول الله ﷺ؛ فإنه ﷺ يحب من يبلّغ سنته التي اندرست إلى من يجهلها من أمته، ومن أحبّه ﷺ حُشِر معه؛ لقوله ﷺ: «يحشر المرء مع من أحب» ومن حُشِر مع النبي ﷺ لا يلحقه في مواقف القيامة كربٌ.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الترغيب والترهيب (١/ ١٦٧).

(٤) المصدر السابق.

فخلل يا أخي أصابعك، وبلِّغ ذلك إلى من يجهله، والله يتولى هدانا.

روى أحمد والطبراني، واللفظ للطبراني، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «حبّذا المتخلّلون من أمتي» قالوا: وما المتخلّلون يا رسول الله؟ قال: «المتخللون في الوضوء، والمتخللون من الطعام، أما تخليل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع، وأما تخليل الطعام فمن الطعام، إنه ليس شيء أشد على الملكين أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاماً وهو قائم يصلّي»[1].

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنهُ قال: تخلّلوا فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة[2].

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنهَا قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ويل للأعقاب من النار»[3].

وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهُما قال: رجعنا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، حتى إذا كنّا بماء بالطريق، تعجَّل قومٌ عند العصر، فتوضؤوا وهم عِجالٌ، فانتهينا إليهم وأعقابهم تلوح لم يمسها الماء فقال رسول الله ﷺ «ويل للأعقاب من النار أسبغوا الوضوء»[4].

١٥/٦ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نواظب على أذكار الوضوء الواردة في السنّة، ولا نتركها في وضوء واحد، ونقولها بحضورٍ تامّ، ونستحضر معاصي كل عضوٍ عند غسله، ونتوب منها مع الغسل ليطهر باطننا بالتوبة وظاهرنا بالماء، فكما لا تكفي طهارة الباطن عن الظاهر،

---

(١) الترغيب والترهيب (١٦٨/١).
(٢) المصدر السابق.
(٣) مسلم (٢١٣/١).
(٤) المصدر السابق.

فكذلك لا تكفي طهارة الظاهر عن الباطن، كما أشار إليه أمرُه ﷺ المتوضّىء بالشهادتين، فإن الماء يطهر الظاهر، والشهادتين يطهّران الباطن، فكأن المتوضىء أسلم إسلاماً جديداً، وتاب من ذنوبه كما تاب من أسلم من ذنب الكفر.

روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيُبلغُ (أو فيسبغ) الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»(١).

٧/١٦ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نواظب على الركعتين بعد كل وضوء بشرط ألا نحدِّث فيهما أنفسنا بشيء من أمور الدنيا، أو بشيء لم يُشرع لنا في الصلاة.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى المداومة على ذكر الله تعالى، والصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ، وأخ ناصح يعينه على ذلك حتى تنقطع عنه الخواطر المشغلة عن خطاب الله تعالى.

واعلم أن حديث النفس المذموم ليس هو رؤية القلب لشيء من الأكوان، بل هو حديث النفس في الصلاة، كقولك: أروح لكذا، وأفعل كذا، أقول كذا، أو نحو ذلك.

إذ ليس في قدرة العبد أن يغمض عين قلبه عن شهود أنه في مكان قريب أو بعيد من بستان، أو جامع، أو غير ذلك، فإن في حديث الصحيحين أنه ﷺ قال: «رأيت الجنة والنار في مقامي هذا» وكان ذلك في صلاة الكسوف فلو كان ذلك يقدح في كمال الصلاة لما وقع له ﷺ ذلك.

وحَمْلُ بعضهم ما وقع له ﷺ على قصد التشريع لأمته بعيد؛ وأما ما نقل

---

(١) مسلم (١/ ٢١٠).

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تجهيزه الجيوش في الصلاة، فذلك لكماله؛ لأنَّ الكُمَّل لا يشغلهم عن الله شاغل، مع أن ذلك كان في مرضاة الله عز وجل.

فاجتهد يا أخي! وأكثر من ذكر الله تعالى، والصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ، ومجالسة أخ ناصح يرشدك، ويعينك على ذلك حتى ينقطع عنك حديث النفس في الصلاة وإلا فمن لازمك حديث النفس في الصلاة، ولا يكاد يسلم لك منه صلاة واحدة لا فرض ولا نفل. وبدون ما ذكرت من الوسائل فإن ذلك لا يصح لك أبداً.

قال الجُنَيد للشبلي يوماً: يا أبا بكر! إن خطر في بالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فلا تأتنا، فإنه لا يجيء منك شيء.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: مراد الجنيد: بغير الله تعالى: غير ما لا يرضيه من المعاصي.

روى مسلم عن حمران مولى عثمان رضي الله عنهُ أن عثمان رضي الله عنه دعا بوضوء فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قام فركع ركعتين، لا يحدِّث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه»(١).

قال الشعراني رحمه الله تعالى: قواعد الشريعة تقتضي أن السهو محمول على العبد في صلاته، ولكن لما فرّط العبد بعدم تفريغ نفسه من الشواغل قبل الدخول في الصلاة، ثم سها، كان عليه اللوم، لو أنه فرّغ نفسه ثم سها لم يكن عليه لوم.

* * *

---

(١) مسلم (١/ ٢٠٥).

# كتاب الأذان

١٧/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نواظب على الأذان لكل صلاة، ولو سمعنا المؤذن إذا كنّا بعيدين عن المسجد، وكذا إذا احتاج الناس إلى الأذان أذّنّا لهم، وليس لنا أن نتعلل بالحياء؛ الحياء في مثل ذلك حياء طبيعي نفسي، وليس في فعل المأمورات الشرعية حياء، وإنما الحياء المطلوب أن يترك العبد ما نهاه الله تعالى عنه. وهذا العهد يخلّ به كثير من الناس أصحاب الطبع اليابس، فيقول الناس أذّن لنا فيقول: أستحي، بلسان الحال، أو لسان المقال، وهذا ليس بعذر.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النّداء والصّفّ الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه، لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»[(١)].

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهُ أنه قال لابن أبي صعصعة: «إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك، أو باديتك، فأذَّنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنسٌ ولا شيءٌ إلا شهد له يوم القيامة» قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ.

---

(١) مسلم (١/ ٣٢٥).

ومدى الشيء: غايته، والمعنى: أنه يستكمل مغفرة الله إذا استوفى وسعه في رفع الصوت، فيبلغ الغاية من المغفرة إذا بلغ الغاية من الصوت. فلو قدّر أن يكون ما بين أقصى صوته وبين مقامه الذي هو فيه ذنوب تملأ ذلك المدى، لغفرها الله له.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضُراطٌ حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي النداء أقبل، حتى إذا ثوّب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه ويقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظلّ الرَّجل لا يدري كم صلى»[١].

١٨/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نجيبَ المؤذن بما ورد في السنة، ولا نتلاهى عنه قطّ بكلام آخر ولا غيره أدباً مع الشارع ﷺ، فإن لكل سنةٍ وقتاً يخصّها، فلإجابة المؤذن وقتٌ، وللعلم وقتٌ، وللتسبيح وقتٌ، ولتلاوة القرآن وقت، كما أنه ليس للعبد أن يجعل موضع الفاتحة استغفاراً، ولا موضع التسبيح للركوع والسجود قراءةً، ولا موضع التشهد غيرَه وهكذا.

وهذا العهد يخلّ به كثير من طلبة العلم فضلاً عن غيرهم، فيتركون إجابة المؤذّن، بل ربما تركوا صلاة الجماعة حتى يخرج الناس منها وهم يطالعون في علم نحو، أو أصولٍ، أو فقه، ويقولون: العلم مقدّمٌ مطلقاً. وليس كذلك، فإن المسألة فيها تفصيل، فما كل علم يكون مقدّماً في ذلك الوقت على صلاة الجماعة، كما هو معروف عند كل من شمّ رائحة مراتب الأوامر الشرعية. نعم إذا دخل الكافر في الإسلام، وحضرت الصلاة، فتعليمه فرائض الصَّلاة مقدّم على صلاته. فهنا طلب العلم مقدم على صلاة

(١) البخاري (١/ ١٥٠).

الجماعة، فإذا تعلّم فرائض الصلاة، وما تصح به، فعليه المسارعة إلى صلاة الجماعة من غير تأخير.

روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلّت له شفاعتي يوم القيامة»[1].

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنّها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة»[2].

١٩/٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نسأل الله تعالى ما شئنا من حوائج الدنيا والآخرة، لنا وللمسلمين، فيما بين الأذان وإقامة الصلاة، ولا نفرّط في ذلك إلا لعذر شرعي، وذلك لأن الحجب ترفع في ذلك الوقت بين الداعي وبين ربه، بمثابة فتح باب الملك والإذن في الدخول لأصحابه وخدّامه عليه. فمن كان من أهل الرعيل الأوّل قضيت حاجته بسرعة مقابلة له على سرعة مجيئه بين يدي ربه تعالى، ومن كان من آخر الناس مجيئاً كان أبطأهم إجابة، مع أنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن، ولكن هكذا معاملته تعالى لخلقه.

ولا يخفى أن الحق تعالى يحبُّ من عبده الإلحاحَ في الدعاء؛ لأنه مُؤْذنٌ بشدة الفاقة والحاجة، ومن لم يلحّ في الدعاء فكأنّ لسان حاله يقول: أنا غير

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مسلم (٢٨٨/١).

محتاج إلى فضل الله تعالى، وربما أن الله تعالى يكشف حاله حتى يصير يدعو فلا يستجيب له، ويلحّ في الدعاء ليلاً ونهاراً فلا يرى له أثر إجابة، حتى يكاد كبده يتفتت من القهر، كما عليه طائفة من الذين دارت عليهم الدوائر، فتراهم يدعون الله ليلاً ونهاراً بأن يعيد الله عليهم حالهم الذي كانوا عليه فلا يجيبهم.

فإيَّاك يا أخي! أن تتهاونَ بالدعاء في كل وقت ندبك الحق تعالى إلى الدعاء فيه، فتقاسي ما لا خير فيه.

روى أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أنس رضي الله عنهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء لا يُردُّ بين الأذان والإقامَة»[1].

* * *

(١) سنن الترمذي (١/١٣٧).

# كتاب المساجد

٢٠/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نساعد الناس في بناء المساجد في الأمكنة المحتاج إلى صلاة الجمعة والجماعة فيها، بأنفسنا، وأموالنا، بشرط الإخلاص، والحلِّ في المال، وعدم زخرفتها، ولا نتخلف عن المساعدة فيها إلا لعذر شرعي، فإنها من جملة شعائر الله تعالى، وكذلك لا نتخلف عن مساعدة خدّامها، ومن يقوم بوظائفها، فإن المساجد لا تكمل إلا بذلك. وإنما شرطنا: الإخلاص في البناء، والحلّ في المال، وعدمَ الزخرفة؛ لأن معاملة الله تعالى لا تكون إلا على الأوضاع الشرعية، وذلك ليقبلها من صاحبها.

فجميع ما ورد من فضائل الأعمال يرجع إلى من كان مخلصاً في عمله، منفقاً من طيب كسبه، وأما من بنى مسجداً من حرام، أو شبهات، أو من غير إخلاص نيّة، فربما أثم، ولم يقبل منه، وإذا كان يوم القيامة انهار به في نار جهنم، فعذّب به.

وأما عدم الزخرفة فإنما هو حتى لا يفتن المصلون، فتطمح أبصارهم إلى تلك الألوان والصنائع، فلا يفي أجره بوزره؛ لأن روحَ الصلاة؛ الذي هو الإقبال بالجسم والقلب على الله تعالى، لم يحصل لمن صلى هناك، فكأنهم لم يصلّوا.

فلا تعمر يا أخي! شيئاً من المساجد إلا إن علمت من نفسك الإخلاص، فإن علمت من نفسك أنما تَعْمُر ليقال، فأعط الناس الذين يكتمون عليك الأمر ما سمحت به من المال ليصرفوه في عمارته، من غير أن ينسب إليك ذلك.

روى مسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجداً لله تعالى يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة»[1].

وروى الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «من بنى بيتاً يعبد الله فيه من مال حلال، بنى الله له بيتاً في الجنة من درٍّ وياقوت[2]».

٢١/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن ننظف المساجد، ونطهرها بواسطتنا، أو واسطة أولادنا إن تعيّن ذلك علينا. وكان كنس المساجد المهجورة بمصر من وظائف سيدي عليّ الخوّاص، فكان يكنسها، ويكنس أسطحتها، ومجاري ميضآتها، وكراسي أخليتها، وكان يتفقدها يوم الخميس، ويوم الجمعة، فيخرج في صلاة الصبح، فلا يرجع إلا بعد المغرب احتساباً لله تعالى. قلت: لو عيّن إنساناً، ودفع له مرتّباً ليقوم بذلك كله، فله أجر الاعتناء بالمسجد إن شاء الله تعالى.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن امرأةً سوداءَ كانت تقُمُّ المسجد (أو شابّاً) ففقدها رسول الله ﷺ، فسال عنها (أو: عنه) فقالوا: مات، فقال: «أفلا كنتم آذنتموني» قال: فكأنّهم صغَّروا أمرها (أو: أمره). فقال: «دُلُّوني على قبره» فدلّوه، فصلّى عليها. ثم قال: «إنَّ هذه

---

(١) مسلم (١/ ٣٧٨).
(٢) الترغيب والترهيب (١/ ١٩٥).

القبور مملوءةٌ ظلمةً على أهلها. وإن الله عز وجل ينوِّرها لهم بصلاتي عليهم»[1].

وروى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاةُ يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليّ ذنوب أمتي، فلم أر ذنباً أعظم من سورةٍ في القرآن أو آية أوتيها رجلٌ ثم نسيها»[2] أي: تناساها، وترك العمل بها، وإلا فإن النبي ﷺ قال: «إن الله رفع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه».

٣/٢٢ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نمشي إلى المساجد في الصلوات الخمس وغيرها لنصليّ فيها لا سيما في العشاء والصبح في الليالي؛ التي لا نور فيها في وقت مشينا إليها، وذلك لكثرة فضل الجماعة في المسجد على غيره، ولأن الناس يمشون يوم القيامة على الصراط وغيره في نور أعمالهم.

واعلم يا أخي أنَّ الشارع ﷺ قد جعل خِفّة مشي العبد إلى المسجد علامةً على صحة إيمانه، وكماله، وجعل ثقل المشي إليه علامة على ضعف إيمانه، ونقصه، ونفاقه، فانظر يا أخي في نفسك، فإن وجدتها تستثقل المشي إلى المسجد، فاحكم عليها بضعف إيمانها ونفاقها، وتحتاج يا أخي إلى دليل ناصح يسلك بك حتى يخلّصك من بقايا النفاق والكسل، فربما يكون الحاثَّ لك على خفة مشيك إلى المسجد عِلّةٌ أخرى، كجلوسك مع جماعة يتحدثون في أخبار الدنيا، وولاتها، ومن عزل، ومن تولى، ومن يصلح، ومن لا يصلح، ونحو ذلك، فليمتحن الماشي إلى المسجد نفسه بما لو رحل عنه ذلك الشخص الذي كان يتحدث هو وإياه أو مات، فإن خفّ عليه المشي إلى المسجد، فهو لأجل امتثال أمر الله تعالى وعلامةٌ على

(١) مسلم (٢/٦٥٩).
(٢) سنن أبي داود (١/١٢٦).

إيمانه، وإلا فالأمر بالعكس، والله غفور رحيم.

روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهُما: أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفَذّ بسبع وعشرين درجة»(١).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً؛ ولقد هممتُ أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمرَ رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلقَ معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرِّقَ عليهم بيوتهم بالنار»(٢).

وروى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من سرّه أن يلقى الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهنّ، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سُنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى. ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلّف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم. وما من رجل يتطهر فيحسن الطُّهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحطّ عنه بها سيئة، ولقد رأيتُنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصفّ(٣).

٢٣/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نطيلَ الجلوس في المسجد، ونخفّف الجلوس في السوق، ولكلّ منهما شروط معلومة، فإذا لم نستطع القيام بالشروط، فالأولى عدم الإطالة.

فشروط الجالس في المسجد: أن تكون حركاته، وسكناته، وخواطره

---

(١) مسلم (١/ ٤٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) مسلم (١/ ٤٥١).

كلُّها محمودة، فإن لم تكن كذلك فمن الأدب تخفيف الجلوس؛ لأنه ما دام في المسجد فهو جالسٌ بين يدي الله تعالى شعر أو لم يشعر، ومن لم يجالس الملوك بالأدب أسرع إليه العطب.

وقد غلب على الناس الذين يطيلون المكث في المسجد جرّهم الحديث على الناس، وذكرهم بالنقائص في حضرة الله عز وجل، أو الاستغراق في الأحاديث الدنيوية، فمثل هؤلاء كالبهائم، بل البهائم أحسن حالاً منهم، ومن هنا كان سيدي علي الخوّاص ـ رحمه الله تعالى ـ لا يدخل المسجد إلا عند قول المؤذن: حيَّ على الصلاة، فحينئذ يأتي المسجد، فقيل له: ألا تأتي المسجد مرة قبل الوقت؟ فقال: مثلنا لا يصلح، لإطالة الجلوس بين يدي الله تعالى، فنخاف أن نأتي لنربح فنخسر؛ فينبغي لكل مؤمن مراعاة الأدب في المسجد، فإنه بيت الله الخاصّ، ولا يبادر قبل الوقت إلا إذا علم من نفسه القدرة على كفّ جوارحه الظاهرة والباطنة عن كلِّ مذموم حتى من سوء الظن بأحدٍ من المسلمين، حتى بالاهتمام العظيم بأمر الرزق والمعيشة، فإن ذلك من أقبح الصفات لما فيه من رائحة الاتهام للحق تعالى بأنه يضيعه، وهو تعالى يرزقه من حين كان في بطن أمه حتى ضربه الشيب.

قال سيدي علي الخواص: وعلى الجالس أيضاً في المسجد أمور منها: ألا يسأله أحد بالله شيئاً، ويقول: لا، إلا إن كان يطلب ذلك تعنُّتاً، أو امتحاناً، أو استكثاراً.

ومنها: أن يشغل نفسه بالعبادة مع مداومة الطهارة، فلا يجلس فيه لحظة واحدة وهو مُحْدِث.

ومنها: ألا يخطر في باله أنه خير من أحد من المسلمين، فإنّ هذا ذنب إبليس الذي أُخرج من الجنة من أجله، ولعن، وطرد. وهذه أمهات الآداب، ولكل أدبٍ فروع.

وأما شروط الجالس في السوق: فألا يشغله البيع والشراء عن ذكر الله

تعالى، ومنها: عفة البصر عن زبونات الجيران، وألا يخطر في باله سوء ظن بهم ولا حسد لهم.

ومنها: ألا يعتمد في رزقه على البيع والشراء، بل يجعل ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى، وهو معتمد على الله تعالى، فإن الله تعالى يخلق البركة في الرزق، والغنى عن الناس عند الحرفة لا بالحرفة، ونظير ذلك ما قالوا في الطعام والشراب من أنه تعالى يخلق الشبع والريّ عند الأكل والشرب، لا بالأكل والشرب.

وقد كان سيدي علي الخواص ـ رحمه الله تعالى ـ إذا فتح حانوته يقول: بسم الله الفتاح العليم، نويت نفع عبادك يا الله. ثم يجلس بحضور مع الله تعالى حتى ينصرف.

ومنها: أن يغضّ بصره عن رؤية النساء، ولا يستلذّ قط بكلام امرأة، فمتى استحلاه، ومال قلبه إليها كان جلوسه في السوق معصية.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»(١).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظلّه: الإمام العادل، وشابٌّ نشأ بعبادة الله. . . . ورجل قلبه معلّق في المساجد(٢). . . » الحديث.

* * *

(١) مسلم (١/ ٤٦٤).
(٢) مسلم (٢/ ٧١٥).

# كتاب الصلاة

١/٢٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نأمر النساء بصلاتهن في بيوتهن، ونرغِّبهن في لزوم البيوت، ونبيِّن لهنَّ ما في ذلك وغيره من الفضائل، حتى لا يحتجن إلى الخروج لسماع واعظٍ أجنبي، فإننا مسؤولون عن عيالنا سؤالاً خاصّاً، وإذا احتفّت الفضائل بالمكروهات، كان ترك المكروه أولى من اكتساب تلك الفضيلة قلت: اللهم إلا أن تحرم المرأة العلم في بيتها، فلها أن تطلبه خارجه، فإنه لا يحل للمرأة أن تبقى على جهل، ما دام رجلها لا يؤمّن لها العلم. أمّا إذا كان الزوج يزوّدها بالعلم دائماً، ويبين لها الأحكام التي تجهلها، فمكثها في بيتها خير لها.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وكان سيدي أحمد الزاهد يخصّ بوعظه النساء في أكثر أوقاته، ويقول: إنهن محبوساتٌ في البيوت، ولا يسمعن شيئاً من أحكام الشريعة؛ لقلة مخالطتهن الرجال، فكان يعقد المجلس لهنّ، ويعلمهن أركان الوضوء والصلاة والصيام والحج، وكيفية النية في ذلك، ويعلمهن حقوق الزوج، وآداب الجماع، وفضل صيام التطوُّع.

وهذا أمرٌ قد أغفله غالبُ طلبة العلم الآن فضلاً عن العامة، فترى أحدهم يشاهد حليلته وهي جنب ليلاً ونهاراً لا تغتسل، ولا تصلّي، ويضاجعها، ويقبّلها، إما تهاوناً بالدين، أو خوفاً من أن تقول: أقللْ عني الجماع. وكان ينبغي له أن يساعدها على أمر دينها، ويرشدها إلى فعل كل شيء فيه خير.

وقال سيدي علي الخوّاص رحمه الله تعالى: إنما أمر الشارع النساء أن يصلِّين في البيوت مراعاة لمصلحة غالب الناس؛ الذين لا يتورعون عن النظر إلى الأجنبيَّات، ولو أنهم كانوا كلهم يشهدون نفوسهم أنه تعالى ناظر إليهم؛ لأمرهنَّ بالصلاة مع الرجال.

وتأمل لما كان الناس يحضرون بقلوبهم في الإحرام في الحج، وتغلب عليهم هيبة الله تعالى، ومراقبته، كيف أمرت النساء بكشف وجوههن وأكفّهن؛ إذ يبعد أن أحداً في تلك الحضرة يميل إلى امرأة من الأجانب؛ فتأمّل، وعلّم يا أخي عيالك وخدمك من النساء جميع ما يحتجن إليه في دينهن، فإنك مسؤول عن ذلك، فإن لم يتيسر ذلك لك، فلا بأس أن تدعها تخرج لطلب العلم، والله يتولى هداك.

روى أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن أم حُميد الساعدي: أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إني أحبُّ الصلاة معك. قال: «قد علمتُ أنكِ تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خيرٌ من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي». قال: فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها، وأظلمِه، وكان تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل(١).

قلت: فعلم من هذا الحديث أن قول النبي ﷺ: «صلاةٌ في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» إنما أراد به صلاة الرجال دون صلاة النساء.

وروى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهُما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا نساءكم المساجدَ، وبيوتهن خير لهن»(٢).

---

(١) سنن أبي داود (١/ ١٥٥).

(٢) المصدر السابق.

وروى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن وهن تَفِلاتٌ»[١].

وروى الطبراني بإسناد حسن عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «النساء عورة، وإن المرأة لتخرجُ من بيتها وما بها بأس، فيستشرفها الشيطانُ فيقول: إنكِ لا تمرين بأحد إلا أعجبتِهِ، وإن المرأة لَتَلْبَسُ ثيابها، فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضاً، أو أشهد جنازة، أو أصلي في مسجد، وما عبدت امرأةٌ ربها مثل أن تعبده في بيتها»[٢].

وروى أبو داود عن أبي أُسَيد الأنصاري: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ للنساء: «استأخِرن، فليس لكن أن تَحْقُقْنَ الطريق (تتوسطنه). عليكن بحافّات الطريق» فكانت المرأة تلتصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلّق بالجدار من لصوقها به[٣].

وفي رواية لابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لو تركنا هذا الباب للنساء» فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات[٤] يعني به: باب النساء، أحد أبواب المسجد النبوي.

٢٥/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نبيّن لتاركي الصلاة ما جاء في فضل الصلوات الخمس، وفضل من يواظب عليهن، ويخصّ ذلك بمزيد تأكيد، كما أكّده الله تعالى ورسوله ﷺ.

وقد أغفل ذلك غالب طلبة العلم، فيخالط أحدُهم تارك الصلاة من ولد

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٣٦٩).

(٤) سنن أبي داود (١/ ١٥٥).

وصاحب وغيرهم، ويأكل معهم، ويضحك معهم، ويستعملهم في العمالة والتجارة وغير ذلك، ولا يُبيِّن لهم ما في ترك الصلاة من الإثم، ولا ما في فعلها من الأجر وذلك مما يهدم الدين؛ فبيِّن يا أخي! لكل جاهل ما أخلَّ به من واجبات دينه، فإن لم تفعل فأنت داخلٌ فيمن علم ولم يعمل بعلمه، وإن كنت لم تُسمَّ فقيهاً في عُرْف الناس، وليس الأمر قاصراً على الفقهاء والعلماء، بل كل مسلم علم شيئاً من أمر الدين، ووعاه، وفقهه واجبٌ عليه تبليغه، فإذا لم يبلّغه، وهو قادر على ذلك، دخل في زمرة من علم ولم يعمل بعلمه.

واعلم أن البلاء يرتفع عن كل مكان أهله يصلُّون، كما أن البلاء ينزل على كل مكان يترك أهلُه الصلاة، ولا تقل: إني أصلّي فما عليَّ من غيري، فإن البلاء إذا نزل يعمُّ الصالح مع الطالح؛ لكونه لم يأمرهم، ولم ينههم، ولم يهجرهم في الله تعالى.

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمسَ مرات، هل يبقى من درنه شيء» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو اللهُ بهنّ الخطايا»(١) الدرن: الوسخ.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تطهَّر في بيته، ثم مشى إلى بيتٍ من بيوت الله ليقضيَ فريضة من فرائض الله، كانت خطواته: إحداهما تَحُطّ خطيئة، والأخرى ترفع درجة»(٢).

والخطايا التي تكفر بها الصلاة غيرُ الخطايا التي تكفر بها الخطوات إلى المساجد، وغير الخطايا التي يكفرها الوضوء؛ إذ كل مأمور يكفِّر ما هو خاص به لرفع التعارض بين الأحاديث الواردة في ذلك، والله تعالى أعلم.

---

(١) مسلم (١/ ٤٦٢).

(٢) المصدر السابق.

٢٦/٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نكون منشرحين لتقديم ما جعله الشارع أفضل على ما جعله مفضولاً، وذلك لأن معظمَ الفضلِ والثواب في الاتباع، فلا تقدِّم على صلاة التطوع شيئاً إلا إن صرَّح الشارعُ بتقديمه عليها.

ومثل هذا العهد يخلّ به كثير من الناس، فالشارع جعل لكلٍّ عبادة وقتاً تفعل فيه مقدمةً على غيرها وإن كان هناك أفضل منها، والعبدُ تابع للشارع لا مُشَرِّع لنفسه حكماً، والشارع ما سنّ تلك السنةَ في ذلك الوقت ذاهلاً عن كون أن هناك أفضلَ منها، وإنما ذلك ما علمه بأن فعل المفضول في الوقت الذي شرع فيه مطلوب، كما أن فعلَ الأفضل في الوقت الذي شرع فيه مطلوب أيضاً.

فلا ينبغي لطالب العلم أن يترك النوافل المؤكدة، ويشتغل مكانها بعلم، إلا إذا تعيَّن ذلك عليه بالطريق الشرعي بشرط الإخلاص فيه، وذلك لئلا يؤدي إلى ترك الاشتغال بالسُّنن كلها، ويفوِّتها كأنها لم تشرعْ في حقه أبداً، هذا مع أنه كثيراً ما يجلس في لهو، ولعب، وغيبة، ونميمة، وحسد، وفخر، وكبر، وعجب، ولا يقول لنفسه قط: الاشتغال بالعلم أولى.

فلا تلبِّس على نفسك يا أخي! وتقول لمن أمرك بالاشتغال بسنة من السنن المضروب لها وقت: الاشتغال بالعلم أفضل، مع علمك بعدم إخلاصك فيه، فإن مثل ذلك ربما يكون حجَّة في قلة الدين.

وتأمَّل طالبَ العلم إذا ترك فعل السننِ والفضائل، وأكثر من الجدال، وترك الأوراد السنية، كيف يذهب منه الأُنس، ولا يكاد يعتقد الخيرَ فيه أحد، ولا يقول له: ادع لي أبداً، بخلاف من أكثر من فعل السنن والأذكار من طلبة العلم، يصير الناس يعتقدون فيه الخيرَ، ويسألونه الدعاء.

فأكثر يا أخي! من الصلوات الموقوتة، ولا تخلَّ بها في يوم من الأيام،

واجعلِ الاشتغالَ بالعلم في غير أوقاتها، واترك اللغو، واجعل بدل كل مجلس تريد أن تلغوَ فيه مجلسَ علم؛ فإن المؤمن لا يشبع من خير، ومن فَعَلَ الأوراد الشرعية كفته في الاشتغال بالخير الذي أمره به الشارع، حتى لا يكاد يجد له وقت بطالة أبداً، ما عدا أوقاتَ الملل الذي يطرق البشر، وذلك معفوٌّ عنه إن شاء الله تعالى.

روى مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن عمل أعمله يدخلني الله به الجنة، أو بأحب الأعمال إلى الله، فقال: «عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد سجدةً إلا رفعك الله بها درجة، وحطَّ عنك بها خطيئة»[1].

وروى أيضاً عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنتُ أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سَلْ» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «أو غير ذلك»؟ قلت: هو ذاك. قال: «فأعنّي على نفسك بكثرة السجود»[2].

٢٧/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نستعدَّ بالوضوء قبل دخول الوقت للصلاة أوَّل الوقت، فمن لم يستعدَّ لذلك فربما فاته فضيلة جماعة الوقت.

وهذا العهدُ يخلُّ به كثير من التجّار، والصنَّاع، فيفرِّطون في الوضوء أوَّل الوقت حتى تفوتهم صلاة الجماعة في المساجد، وربما صلّوها في البيوت بجماعة، ويقولون: نحصل ثواب صلاة الجماعة بالصلاة مع واحد، وما دروا أن ثوابَ الجماعة في المسجد تربو على ثواب الجماعة في البيوت، وأمثال أولئك ربما يكونون من الأئمة المضلّين عن السنة، فإن

---

(١) مسلم (١/ ٣٥٣).
(٢) المصدر السابق.

حقيقة الإضلال ليس هو إلا ترك الأئمة للأوامر الشرعية، فيتبعهم الناس على ذلك فيصيرون قدوة في الضلال، فلا يرجى لمثل هؤلاء خير ولو كان معهم من العلم كأمثال الجبال.

وكان الشيخ إبراهيم المتبولي رحمه الله تعالى يقول: إذا قرأتم العلم فاقرؤوه على العلماء العاملين، وإياكم أن تقرؤوه على أحد من المجادلين؛ الذين لا يعوّلون على العمل بما علموه، فإنكم تخسرون بركة علمكم، فإن إبليس لهؤلاء بالمرصاد لكونهم حملةَ الشريعة، بقاؤها ببقائهم، فإذا تلفت حالهم تلف حال الشريعة؛ لعدم الأعمال التي يفعلونها حتى يقتديَ الناس بهم فيها، فكأن الشريعة لم تكن موجودة؛ لأنه لا وجود لعينها إلا بالعمل بها.

وكان رحمه الله تعالى يقول: حكم الفقيه الذي لا يعمل بعلمه حكم الذي تعلم فنون القتال كلها، ثم خرج على نية القتال في سبيل الله، فلقيه إبليس في الطريق فقال له: اقطع الطريق أو اسرق فإنك تعرف تدافع وتخادع، وما كل أحد يعرف ذلك، فمر إنسانٌ معه أمتعة، فضربه حتى صرعه، وأخذ متاعه، ورجع إلى بيته بلا جهاد، أو سطا على محلات تجارية في وقت الراحة، فسلب منها مسروقات، وعاد إلى بيته بعد أن أخفى معالم إجرامه.

فكذلك الفقيه المذكور يتخذ علمه سلاحاً يقاتل به العامّة، وإن رأى علمه عليه في واقعة، قلّد مذهب غيره ممن ليس هو عليه، ويقول: يجوز لي التقليد للضرورة، وإن نازعه أحد في أن تقليده لغيره ضرورة أقام الأدلّة والبراهين على الضرورة. فمثل هذا ربما يكون علمه زادَه إلى النار.

فالزم يا أخي! آدابَ الشريعة، ولا تجادلْ من نصحك، فربما تخسر دينك.

روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أيٌّ؟

قال: «ثم برّ الوالدين» قلتُ: ثم أيٌّ؟: قال: «الجهاد في سبيل الله»[1].

وروى أيضاً عنه عن النبي ﷺ قال: «أفضل الأعمال (أو العمل) الصلاة لوقتها وبرّ الوالدين»[2].

٢٨/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نواظبَ على صلاة الجماعة في الصلوات الخمس، وفيما تشرع فيه الجماعةُ من النوافل، ولا نتخلَّف حتى تفوتنا الجماعة كلها أو بعضها، وإن جعل الشارعُ لمن خرج لها فوجدها قد انقضت مثلَ أجرها؛ لأن الشارع إنما جعل ذلك جبراً، وتسكيناً لخاطر من خرج إلى الجماعة، فوجد الناس قد فرغوا، فتأسَّف وحزن، فكان ذلك كالتعزية لصاحب المصيبة، وإلا فكيف يجعل من فرَّط في أوامر الله، كمن فعلها، وبادر إليها، وترك أشغاله كلها لأجله تعالى؟!.

وهذا العهد يخلُّ به كثير من جيران المساجد خاصة، وكذا بعض طلاب المعاهد الشرعية المجادلين، فيتأخرون عن صلاة الجماعة، وذلك غالبه من أكل الحرام، والشبهات، فتظلم بواطنهم، ويفقدون النور الذي يهديهم إلى الصواب والحق.

روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان: براءةٌ من النار، وبراءةٌ من النفاق»[3].

وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن وضوءه، ثم راح، فوجد الناس قد صلَّوا، أعطاه الله عز وجل مثل أجر من صلاها وحضرها، لا ينقُص ذلك من أجرهم شيئاً»[4].

---

(١) مسلم (١/ ٩٠).
(٢) المصدر السابق.
(٣) سنن الترمذي (١/ ١٥٢).
(٤) سنن أبي داود (١/ ١٥٤).

٦/٢٩ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نصلي مع الجماعة العظمى دون الصغرى، ولا نقنع بالصغرى، ونترك الكبرى إلا لعذر شرعي، ومتى خالفنا ذلك استغفرنا الله تعالى من تركنا فعل ما هو الأحب إليه، فعلم أنه ينبغي أن يكون الباعثُ لنا على صلاة الجماعة محبةَ الحق لها، لا طلب الثواب، فإن ذلك علّةٌ تقدح عندنا في الإخلاص، وما ساق الله تعالى أحداً من عباده إلى خير بالثواب الأخروي؛ إلا لعلمه تعالى بأن ذلك الواحد ليس من أهل الإخلاص؛ لكونه يعبد الله على علّةٍ وحرف، ولو أنه وصل إلى مقام الإخلاص لم يحتج إلى ذكر ثواب، بل كان يبادر لفعل ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى، ولا يتوقف على معرفة الثواب في ذلك.

هذا كله حال السلوك، فإذا تمّ سيره، ورجع كشف له عن جميع ما فيه الأجزاء، ووجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه، فيطلب الثواب على عبادته من حيث كونه عبداً لله فحسب.

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار، لو لم أخلق جنة ولا ناراً، ألم أكن أهلاً لأن أُطاع؟!».

واعلم أنه قد يكون لمن تأخر عن حضور الجماعة العظمى من أهل العلم والفضل أعذار، فربما تأخروا عن الخروج لصلاة الجماعة، فلا ينبغي لأحد المبادرة إلى الإنكار عليهم، فربما غلب عليهم حال قاهر منعهم من الخروج، والمنهي عنه إنما هو تخلُّف العبد عن الجماعة لشغل دنيوي، أو مفضول مع قدرته على الخروج. أما إذا كان عذرهم في عدم الخروج أحوالٌ أخرى، فينبغي التماس الأعذار لهم، وهم أدرى بأحوالهم من غيرهم، ومتى تأكد عند أحدهم رجحان خروجه على مكثه في بيته، فليتعين عليه الخروج على الفور إلى الجماعة.

روى البزار والطبراني بإسناد لا بأس به عن قُباث بن أَشيم الليثي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجلين يؤمُّ أحدهما صاحبه

أزكى عند الله من صلاة أربعةٍ تترى، وصلاة أربعة أزكى عند الله من صلاة ثمانية تترى، وصلاة ثمانية يؤمهم أحدهم أزكى عند الله من صلاة مئة تترى»[1]. تترى: متفرقين.

٧/٣٠ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: إذا خرجنا لسفر، أو نزهة، أو غير ذلك، ونزلنا في فلاةٍ من الأرض أن نصلي فيها ولو ركعتين، فإن حضر وقت فريضة أذَّنَّا لها، أو أقمنا، وصلينا جماعةً، فإن لم يتيسَّر صليناها فرادى فرداً فرداً، وذهب بعضُهم إلى أن صلاة الفرد في الفلاة أفضل من صلاة الجماعة في البلد، مستدلاً بما روى أبو داود في السنن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاةُ في جماعة تعدل خمساً وعشرين صلاةً، فإذا صلاها في فلاةٍ فأتمّ ركوعها وسجودها بلغت خمسين صلاة»[2] وهذا يعني: أن صلاة الرجل في الفلاة تضاعف على صلاته في الجماعة، فهذا من الشارع تشجيعٌ وتقويةُ عزم لمن لم يجدْ أحداً يساعده على الجماعة مع ضعف عزمه، فما قوّى داعيته إلى الصلاة في البريّة إلا وعد الشارع له بتضعيف الأجر، ولولا ذلك ما وجد عنده داعية إلى الصلاة في البرّيّة أبداً لعدم من يراعيه هناك من الخلق، ومن شأن الشارع أن يسوقَ الناس إلى عبادة ربهم بأمورٍ شتى، كلٌّ بما يناسب حاله، وإلا فصلاة الجماعة لا تعادلها صلاته وحده أبداً من حيث الجماعة.

وإن فضلت صلاته وحده في البرية على صلاة الجماعة، لما وجد فيها من الإخلاص مثلاً دون صلاة الجماعة من غير إخلاص، وعلى ذلك جمهور العلماء رحمهم الله تعالى.

روى أبو داود والنسائي عن عقبة بن عامر رضي الله عنهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يعجبُ ربك من راعي غنم على رأس شظيّةٍ للجبل

---

(١) الترغيب والترهيب (١/ ٢٦٥).

(٢) سنن أبي داود (١/ ١٥٣).

مأجور، وربما تسبق الصدقة منه ألف صدقة من غيره، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٦٥/ ٧].

فانظر يا أخي إلى ما وسَّع اللهُ تعالى به على عباده، حيث لم يأمرهم بالصَّدقة تكليفاً مع حاجتهم إليها، بل نهاهم عن ذلك؛ لأنَّ كلَّ من تصدَّق بما فوق طاقته، فمن لازمه أن نفسه تتبع ذلك، ثم يندمُ على إعطائه، وفي الحديث: «نحن معاشر الأنبياء برءاء من التكلف».

وقد تصدَّقت السيدة عائشة رضي الله عنه مرة بحبة عنب، فكأن السائل استقلَّها، فقالت: مالك لا تفقه؟! كم في هذه من مثقال ذرة؟ وفي القرآن: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٩٩/ ٧].

وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله! أيُّ الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقلِّ، وابدأ بمن تعول»[1].

وروى أيضاً عن أم بجيد رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله! صلى الله عليك، إن المسكين ليقوم على بابي فما أجد له شيئاً أعطيه إياه، فقال لها رسول الله ﷺ: «إن لم تجدي له شيئاً تعطينه إياه إلا ظلفاً محروقاً فادفعيه إليه في يده»[2].

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق درهم مئة ألف» قالوا: «يا رسول الله! كيف يسبق درهم مئة ألف؟» قال: «رجل كان له درهمان فأخذ أحدهما فتصدَّق به، وآخر له مال كثير، فأخذ من عُرْضها مئة ألف»[3] يعني: فتصدق بها.

وروى أيضاً عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير سمع عقبة بن عامر

---

(١) سنن أبي داود (٢/ ١٢٩).
(٢) المصدر السابق.
(٣) سنن البيهقي (٤/ ١٨٢).

يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كل امرىء في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس» أو قال: «حتى يحكم بين الناس» قال يزيد: وكان أبو الخير لا يخطئه يومٌ لا يتصدق فيه بشيء، ولو كعكةٍ، ولو بصلة(١).

وروى المنذري عن البيهقي عن ابن مسعود موقوفاً عليه: إنَّ راهباً عبد الله في صومعته ستين سنة، فجاءت امرأة فنزلت إلى جنبه، فنزل إليها فواقعها ستَّ ليال، ثم سُقِطَ في يده، فهرب، فأتى مسجداً، فأوى فيه ثلاثاً لا يطعم شيئاً، فأتي برغيف فكسره، فأعطى رجلاً عن يمينه نصفه، وأعطى آخر عن يساره نصفه، فبعث الله إليه ملك الموت، فقبض روحه، فوضعت الستون في كفّة، ووضعت الست في كفة، فرجحت، يعني: الستة، ثم وضع الرغيف، فرجح، يعني: رجح الرغيفُ الستة(٢).

٨/٦٦ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نتصدَّق بما نحب، أدباً مع الله تعالى، وعملاً بقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٣/ ٩٢] ونحن نحب أن ننال مقام البرِّ عند الله تعالى، ونكره أن نكون ناقصي المقام؛ لما فيه من الجفاء والبعد في شهودنا له في نفس الأمر. ولا يقوم بالعمل بهذا العهد إلا كُمَّل الرجال؛ الذين يغلب عليهم الحضورُ مع الله تعالى.

وقد بلغنا أن المنادي ينادي يوم القيامة: ألا من أعطى شيئاً لله فليأتِ به، فيأتي الرجل بالثياب البالية، والكسر اليابسة، والأمور التي تزهدها النفوس، ثم ينادي ثانياً: ألا من أعطى شيئاً لغير الله فليأت به، فيأتي الرجل بالثياب الفاخرة، والأطعمة النفيسة، والأمور التي تهواها النفوس، فيكاد الرجلُ من الحياء أن يذوب، ويسقط لحم وجهه.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الترغيب والترهيب (٢/ ٢٤).

وبالجملة فمعاملة الله تعالى تابعة لمعرفته، كثرةً وقلّة، فاسلك يا أخي! على يد مربّ ناصح، إن طلبت أن تعرف صفاء المعاملة مع الله تعالى، وإن لم تسلك كما ذكرنا، فمن لازمك عدم صفاء المعاملة كما هو مشاهد فيمن يسأل الأغنياء بالله من الفقراء أن يعطوه رغيفاً، أو ريالاً، فلا يعطونه، ويمرّ على نحو الألف نفس أو أكثر، فلا يلتفتون إليه، ولو أنهم كانوا جالسين بحضرة ملك من ملوك الدنيا، وسألهم أرذل الناس بحياة رأس الملك أن يعطوه رغيفاً، أو ريالاً، لأعطوه ألفاً، أو أكثر مراعاة لوجه العظيم، فأيما أعظم عند هؤلاء قدراً حينئذ الله، أو ذلك الملك؟ فانظر، وتأمّل في نقص إيمانك، وقلّة تعظيمك لله تعالى يا أخي! وتُبْ، واستغفر، وتشهّد لتسلم الإسلام الكامل، فإن الله تعالى يعامل العبد بحسب ما في قلبه من التعظيم وغيره.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٦٧ـ٢٦٨].

وروى البيهقي عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه عصا، فإذا أقناء معلّقة، قنْوٌ منها حشف، فطعن في ذلك القنو، وقال: «ما ضرَّ صاحبُ هذه لو تصدق بأطيب من هذه، إنَّ صاحب هذه ليأكل الحشف يوم القيامة»(١).

٦٧/ ٩ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نُسِرَّ بصدقاتنا المندوبة دون المفروضة، على وزان الصلاة، إلا ما استثني مما تُسَنُّ الجماعة فيه امتثالاً لأمر الله عز وجل، لا لطلب الأجر والثواب، فإن الشارع ﷺ قد وَعَدَ بذلك، وهو لا يخلف وعده، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً،

---

(١) سنن البيهقي (٤/ ١٣٦).

اللهم إلا أن نطلب الأجر والمنة، فلا حرج على العبد في ذلك، إذ لا يستغني عبد من فضل سيده طوعاً أو كرهاً.

واعلم أن الشارع ما أمر العبد بصدقة السِّرِّ إلا لما يعلم من نفس العبد من محبة المال، وإنفاقه ليقال، فلا يكاد يسكت على ما أعطاه لأحد أبداً لعظمته عنده، ولو أنه سلك على يد مربٍّ عالم ناصح، لكان إخراج الألف صدقة عنده كحبة عنب على حدٍّ سواء، وما رأينا أحداً قطُّ أعطى حبة عنب، وصار يذكرها في المجالس، ويفتخر بها أبداً لهوانها عنده، وكذلك الألف إذا تصدق بها العارف لا يحتفل بها، ولا يذكرها في المجالس أبداً؛ لأنه لا يرى نفسه يملك شيئاً مع الله تعالى، فكيف يرى نفسه بشيء ليس هو له.

وفي الحديث: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»(١).

فما قدر ما يخصُّه من ذلك الجناح إذا فُرِّق أجزاءً صغاراً حتى عمَّ جميعَ الخلق من الملوك إلى السوقة؟!.

فالغني العارف يستحيي من الله تعالى أن يرى نفسه على الفقراء، ولو تصدَّق بجميع الدنيا لو تصوّرَ أنّه ملكها كلّها؛ لأنه يراها كجناح البعوضة، وإن لم يكن من أهل هذا المقام فمن لازمه أنه يكره الإسرار بالصدقة، ويحبّ إظهارها لما عنده من العظمة والمحبة لها، ولجهله بالله تعالى، فإنه لا يعامل الله تعالى إلا من يعرف عظمة الله تعالى.

وممن كان يحرصُ على الإسرار بالصدقة: الشيخ علي النبتيتي بن الجمَّال، فكان يرسل كل سنة المئة حمل قمحاً وأرزاً، وغير ذلك، إلى مكة في البحر، ويسافر هو في البر مع الحجاج، ثم يجلسُ يبيعها في المسعى، ويخبر بالسعر الغالي زيادة على الناس، وينظر، فكل من اشترى منه بالزيادة

---

(١) الترغيب والترهيب (٤/ ١٧٣).

على السعر يعرف أنه مضطر إليه، فيعطيه ما اشتراه بلا ثمن، ويأمره بالكتمان، فعلم بذلك غالب أهل مكة، فكان يعطيهم كذلك، حتى إنه لم يأخذ درهماً واحداً في بعض السنين، فقيل له: إن كان ولا بدَّ لك من العطاء للناس بلا ثمن فتصدَّق أنت به، فقال: البيع أستر لنا من الصدقة، وكذلك كان يفعل في الثياب التي يفرِّقها يأمرهم بالكتمان فيها، وكل من تكلّم بذلك يرسل يأخذ الثوب منه، ويقول: يا ولدي! غلطنا والثوب لشخص غيرك، حتى لا يصير يتكلم بعد ذلك بشيء.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه معلَّق في المساجد، ورجلان تحابًا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[1] قلت: هذه رواية مسلم فقط: «حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله» وأما جميع روايات الحديث عند غير مسلم: «حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

وروى الطبراني في الكبير بإسناد حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقةُ السر تطفىء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»[2].

٦٨/ ١٠ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نقرضَ كلَّ من استقرضنا من المحتاجين، سواء كان مشهوراً بحسن المعاملة، أم لا؛ امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [الحديد: ٥٧/ ١٨] ومن أقرض الله تعالى من الخلق لا يطلب جزاءً.

---

(١) مسلم (٢/ ٧١٥).

(٢) الترغيب والترهيب (٢/ ٣٠).

والله تعالى لم يأمر بالقرض إلا الأغنياء، فهم الذين فازوا بلذة خطاب الله تعالى بقوله لهم: ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الحديد: ٥٧/١٨] وأما الفقراء ففاتتهم تلك اللذة، وذلك الأجر، ومن هنا سارع الأكابر من الأولياء إلى التكسب بالتجارة، والزراعة، والحرفة؛ ليفوزوا بلذة ذلك الخطاب، لا لعلَّة أخرى، من طلب ثواب أو غيره.

قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٢٤/٣٧] الآية. فوصفهم بالرجولية لأجل أكلهم من كسبهم، وإقراضهم من فواضل كسبهم كلَّ محتاج، ومفهومه: أنَّ من لا كسب له والناس ينفقون عليه، فهو من جنس النساء، وإن كانت له شفاعات عند الحكام، وغير ذلك، وليس له في الرجولية نصيب.

فلا يقدح في الشيخ المربي أن يكون تاجراً، ولا صانعاً، ولا مزارعاً، بل ذلك أكمل له.

فإياك يا أخي! أن تنكر على عابد في الكسب بالتجارة، أو معاملة الناس أواخر عمره، وتقول: فلان كان من الصالحين أوَّل عمره، وقد ختم عمره بمحبة الدنيا وشهواتها، بعد أن كان زاهداً فيها وفي أهلها، فربما يكون مشهد ذلك العابد ما قلناه، أو غيرَ ذلك من النيات الصالحة، فإنَّ زهد الكُمَّل ليس بخلو اليدين من الدنيا، وإنما هو بخلو القلب.

وقد قالوا: مِن شرط الداعي إلى الله تعالى ألا يكون متجرّداً عن الدنيا بالكلّيّة، بأن تخلو يده منها، وذلك لأنه يحتاج ضرورة إلى سؤال الناس، إما بالحال، وإما بالمقال. وإذا احتاج إلى الناس هان عليهم، وقلَّ نفعهُم به، بخلاف ما إذا كان ذا مالٍ يعطي منه المحتاجين من مريديه وغيرهم، فإنْ فقد الحال الذي يميلُ به قلوب المريدين إليه، كان معه المال يُميلُهم إليه به، ومَن لا حال له، ولا مال، لا ينفعه المقال، وفي الحديث: «عز المؤمن استغناؤه عن الناس، وشرفه في قيام الليل».

وَمِن مِحَكِّ صدقِ مَن طلب الدنيا لله تعالى طلباً للفوز بلذة خطابه؛ ألا يشح بشيء منها على محتاج إليها؛ لأن من أحب شيئاً، وتلذَّذ به أحبَّ تكراره، ومتى تكدَّر من كثرة السائلين لما عنده، فهو كاذب في دعواه أنه يحب الدنيا للالتذاذ بخطاب الله، أو نفع عباد الله.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن البراء بن عازب رضي الله عنهُ، قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «من منح منيحة لبن أو وَرِقٍ، أو هدى زقاقاً كان له مثل رقبة»[١]. ومعنى قوله: «من منح منيحة ورق» إنما يعني به: قرض الدراهم. وقوله: «أو هدى زقاقاً» إنما يعني به: هداية الطريق، وهو إرشاد السبيل.

وروى الطبراني عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ قال: «دخل رجلٌ الجنة، فرأى على بابها مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر»[٢] قال بعضهم: وذلك أن الصدقة تقع في يد غني في الباطن، والقرض لا يأخذه إلا محتاج.

٦٩/ ١١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: إذا كان لنا دين على معسر أن ننظره، ونضع عنه، امتثالاً لأمر الشارع ﷺ، وطلباً لمرضاته، فإنه لا يأمرنا قطّ إلا بما فيه النفع لنا في الدنيا والآخرة، لكن بشرط الإخلاص؛ لنهيه ﷺ عن الرياء والسمعة، فربما سامح أحدنا المعسر ببعض ما عليه بحضرة الناس، ليقال، لو أنه لم يعلم به إلا الله تعالى، لربما كان يثقل عليه، ولا ينشرح له صدره، فليتنبه من يفعل المعروف لمثل ذلك، ويفتش نفسه التفتيش المبرىء للذمة.

فمن حاسب نفسه في هذه الدار، خفَّ حسابه في الدار الآخرة، وإن

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٢٢٩).

(٢) معجم الطبراني (٨/ ٢٤٩).

وقع له حساب، فإنما هو في أمور لم يحاسب نفسه عليها في دار الدنيا.

واعلم أنه ليس مراد الحق تعالى بالحساب إلا إقامة الحق على العبد، وبيان فضله وحلمه عليه لا غير، وإلا فالعبد ليس معه شيء يدفعه لسيّده، فاعلمْ ذلك، واعمل عليه، والله يتولَّى هُداك.

روى مسلم والطبراني عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفِّس عن معسر، أو يضع عنه»[1].

وروى أيضاً عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُوسب رجلٌ ممن كان قبلكم، فلم يوجدْ له من الخير شيء؛ إلا أنه كان يخالط الناس، وكان مُوسِراً، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه»[2].

٧٠/ ١٢ـ أُخذ علينا العهد العام من سيدنا رسول الله ﷺ: أن ننفق جميع ما دخل يدنا من المال على أنفسنا، وعيالنا، وأصحابنا، وغيرهم، ولا ندَّخر منه شيئاً إلا لغرض صحيح شرعي لا تلبيسَ فيه، وكذلك نبادر بالصدقة، لكن بنية صالحة من غير تهوُّر فيها، وعلى السائل الصبر حتى نُحرِّر النية، ولا ينبغي له المبادرة إلى سوء الظن، ورَمْينا بالبخل، ولو مكثنا شهراً حتى نجد لنا نية صالحة، وهذا العهدُ يخلُّ به كثير من الناس، فلا المعطي يتربَّص حتى يجد نيةً، ولا الفقير يصبر، وخُلِق الإنسان عجولاً.

ويحتاجُ من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد مربٍّ ناصح يخرجه من شحِّ الطبيعة إلى حضرة الكرم، حتى لا يشحّ على محتاج إلا لحكمة دون بخل، ومن لم يسلكْ فلا سبيلَ له إلى العمل به، ولو صار من

---

(١) مسلم (٣/١١٩٦).

(٢) المصدر السابق.

أعلم الناس، فإن العلم بمجرَّده محتفٌّ بآفات، يتيه بها العبد عن طريق الوصول إلى العمل بما علم.

قال العارفُ الدسوقي رحمه الله تعالى: إنما احتاج العلماءُ إلى شيخ يربيهم مع ذلك العلم العظيم الكثير؛ لعدم إخلاص نيتهم فيه، ودخول الإعجاب فيه، وطلب أحدهم أن يصرف وجوهَ الناس إليه، ولو أنهم سلموا من الآفات، وأتوا حضرة العمل بلا عِلَّة لنارت قلوبهم بالعلم، ولهان عليهم بذل نفوسهم في مرضاة الله تعالى، فضلاً عن شيء من أعراض الدنيا.

واعلم يا أخي! أنه قد وَرَدَ أن العبد ليرزق رزق سنة في شهر، فإن رفق به كفاه، وإلا احتاج في بقية سنته. وإن العبد ليرزق رزق شهر في جمعته، فإن رفق به كفاه، وإلا احتاج في بقية الشهر، وإن العبد ليرزق رزق جمعة في يوم، فإن رفق به كفاه، وإلا احتاج في بقية جمعته، وهذا محمولٌ على من كان ضعيف اليقين، كما يدل عليه نحو قوله ﷺ لكعب بن مالك: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك» وقوله لبلال: «أنفق ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً».

فلا ينبغي لمن معه ما يزيد على حاجته أن يتصدَّق به، إلا أن يكون قويَّ اليقين من الأغنياء، أما من يأكل من كسب ربحه فله أن يمسك رأس ماله، وما بقي من ربحه ينفقه على نفسه وعلى الأقارب وغيرهم.

وليس اللوم إلا على من يجمع ويمنع، قال العارف الخوّاص رحمه الله تعالى: لكل خُلُق من أخلاق النبوة كرب في مقابلة تركه يوم القيامة، فمن لم يطعم لله جاء يوم القيامة جيعانَ، ومن لم يسق الماء لله جاء يوم القيامة عطشانَ، ومن آذى الناسَ جاء يوم القيامة يُؤذى، ومن لم يستر مسلماً لله جاء يوم القيامة مهتوكاً مكشوف السوءة على رؤوس الأشهاد، ومن لمْ ينفِّس عن مسلم كربة جاء يوم القيامة مكروباً، ومن لم يسامحْ أحداً في حقه كان يوم القيامة تحت أَسْر من له عليه حقّ، ومن ازدرى بالناس ازدري هناك، وهكذا

فلا يجني أحد إلا ثمرة عمله في الدنيا والآخرة.

ومن وصية العارف أبي النجا لأصحابه وهو محتضر: اعلموا يا إخواني! أنَّ الوجودَ كله في الدنيا والآخرة، يعاملكم بحسب ما برز منكم من الأعمال، فانظروا كيف تكونون، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خَلَفَاً، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً»(١).

قال بعضُ المحققين: والمراد بقول الملك: «اللهم أعط ممسكاً تلفاً» أي: إنفاقاً في وجوه الخير؛ لأن الملك من عالم الخير، فلا يدعو بفساد، كما يقال: فلان أتلف نفسه وماله في مرضاة الله تعالى، وأما على ما يتبادر إلى الأذهان، فالمتلف لماله إنما عليه إثم، وهم لا يدعون بالإثم.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مثل البخيل والمتصدق أو والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديِّهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت، أو وفرت على جلده حتى تخفيَ بنانه، وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفقَ شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسِّعها ولا تَتَّسع»(٢).

وروى البخاري ومسلم عن أسماء رضي الله عنهَا قالت: قال لي النبي ﷺ: «لا توكي فيوكى عليك»(٣). لا توكي: لا تدَّخري. والإيكاء: سدّ رأس الوعاء، وهو الرباطُ الذي يربط به، يقول: لا تمنعي ما في يدك، فيقطع الله مادة بركة الرزق عليك.

---

(١) بخاري (٢/١٣٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) بخاري (٢/١٣٤).

٧١/ ١٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نأذن لزوجاتنا بالتصدُّق بما جرت به العادة من مالنا، ولا نمنعها من ذلك، طلباً لنزول الرحمة على بيتنا في غيبتنا وحضورنا، ولتدوم النعمة أيضاً علينا.

وهذا العهد يخلُّ به كثير من الناس، فيمنع زوجته أن تتصدَّق على فقير، فيكون ذلك سبباً لتضييق الرزق على أهل البيت.

واعلم يا أخي! أنه كلما كثر إطعامك للناس، كلما كثرت النعمة عليك؛ فإن الله تعالى يسوقُ لكل عبد من الرزق بقدر ما يعلم في قلبه من السخاء والكرم، فمنهم من يكون عنده قوت خمسة أنفس، ومنهم من يكون عنده قوت عشرة، وهكذا إلى الألف نفس، أو أكثر، فتعرف مراتب الكرم في الناس بقدر عيالهم.

وقد يكون بعض الأولياء يطلب لنفسه الخفاء، فلا يكون عنده أحد، وهو في غاية الكرم، ويودُّ أن لو كان محل من في الدنيا عائلته، فمثل هذا يعطيه الله تعالى في الآخرة أجر من عال جميع الخلق وراثة محمدية، فيحصل له هذا الثواب العظيم مع الخفاء، وعدم الشهرة، فإن الله هو الرزاق للعبد.

ومن كان هذا مشهده، فكثرة العيال، وقلَّتهم عنده سواء لا يتحمَّل همّاً من جهتهم أبداً، وإنما يلحقه بعض كرب إذا توجهت العائلةُ إليه، من حيث كونه واسطة، مع عدم شهودهم أن الله هو الرزاق، فيقصرون نظرهم على ذلك العبد، فيؤثرون فيه الضِّيق والكرب، حتى يصل إليهم رزقُهم الذي قسمه الله لهم على يده، ولو أنهم كلهم كانوا متوجِّهين إلى الله دونه، ما تأثر من جهتهم قطُّ، ولا حمل همّاً.

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أنفقت المرأةُ من طعام بيتها، غير مفسدة، كان لها أجرها بما

أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً»[١].

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في خطبة عام حجَّة الوداع: «لا تنفق امرأةٌ شيئاً من بيت زوجها إلا بإذن زوجها» قيل: يا رسول الله! ولا الطعام؟ قال: «ذلك أفضل أموالنا»[٢].

٧٢/ ١٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نطعم الطعام لكل من ورد علينا، ونسقي الماء كذلك، ولا نتوقَّف على استحقاقه لذلك إلا بطريق شرعي، تخلُّقاً بأخلاق الله تعالى؛ فإنه يرزق البَرَّ والفاجر.

والسخاء هو خُلُقُ الله الأعظم، فاصحب من يخلصك من رعونات نفسك، ويشهدك أن جميع ما أنت فيه من النعم هو كلّه لله تعالى، جعله الله تعالى لعباده على يديك، ليس لك تعمّلٌ في تحصيله، إنما أنت خازنٌ استأمنك الملك على أرزاق عباده، فلو سجدت على الجمر أبد الآبدين، ما أديت شكر ذلك.

وقد عمَّ غالب الأسخياء في هذا الزمان العلل في أعمالهم، وأخلاقهم؛ لقلَّة من يربيهم، أو لقلة سماع من يربِّيهم، فصار المطعمُ يطعم لعلة، والمانع يمنع لعلة، وصار من لا يطعم الناس يحسدُ من يطعم الناس، ويودُّ أن الله تعالى يحوِّل عن ذلك الكريم النعمة.

فأطعم الطعام، واسقِ الماء، وأفشِ السلام ابتغاء مرضاة الله تعالى، والله يتولى هداك، وهو يتولى الصالحين.

روى المنذري في: «الترغيب والترهيب» عن ابن مسعود رضي الله عنه

---

(١) بخاري (٢/ ١٣٢).
(٢) سنن الترمذي (٢/ ٩٠).

قال: يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قطُّ، وأجوع ما كانوا قطُّ، وأظمأ ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قطُّ. فمن كسا لله عز وجل كساه الله عز وجل، ومن أطعم لله عز وجل أطعمه الله عز وجل، ومن سقى لله عز وجل سقاه الله عز وجل، ومن عمل لله أغناه الله، ومن عفا لله عز وجل أعفاه الله عز وجل[(١)].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا بن آدم! مرضتُ فلم تعدني. قال: يا رب! كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمتَ أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده. أما علمتَ أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا بن آدم! استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين! قال: أما علمتَ أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمتَ أنك لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي يا بن آدم! استسقيتك فلم تسقني. قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»[(٢)].

وروى البخاري في تاريخه، وابن خزيمة في صحيحه عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر ماءً لم تشرب منه كبد حرَّى من جن ولا إنس ولا طائر، إلا آجره الله يوم القيامة»[(٣)].

٧٣/ ١٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نشكر كل من أسدى إلينا معروفاً، ونكافئه على ذلك، ولو بالدعاء، أدباً مع الشارع في أمره لنا بذلك، وقد كثرت الخيانةُ لهذا العهد من غالب الناس. والله عز وجل يحوّل النعم حين تكفر، فاشكر يا أخي! من أسدى إليك معروفاً، لكن

---

(١) الترغيب والترهيب (٢/ ٦٦).
(٢) مسلم (٤/ ١٩٩٠).
(٣) الترغيب والترهيب (٢/ ٧٤).

من غير وقوفٍ معه، فتراه كالقناة الجاري لنا منها الماء، أو كالأجير الذي يغرف لنا من طعام رجل غيره بأجرة جعلها له.

وقد قرن الله تعالى السعادة بشهود الأمور كلها من الله، وقرن الشرّ بشهودها من الخلق. فكن ممن يشهد النعمة من الله تعالى ببادىء الرأي، ولا يضيفها إلى الخلق إلا بعد تأمُّل، ولا تكن ممن يشهد النعمة من الله بعد تأمّل.

ومقام السعادة شهود الأمور كلِّها ببادىء الرأي من الله خلقاً وإيجاداً، ومن العبد نسبة وإسناداً. وأكثر الناس عميٌّ عن تحقيق هذه المسألة، فإما يضيفونها إلى الله تعالى فقط، وإما إلى الخلق فقط، لكن من يضيفها إلى الله وحده أكثر أدباً ممن يضيفها إلى الخلق وحدهم غافلاً عن الله تعالى.

والخلق كلهم آلات، ومحرّكها الله تعالى، فإذا صدرتْ منهم نعم تجاهك، فمقدّرها على أيديهم هو الله تعالى وحده، إلا أن شكرهم مطلوب، وإن كان عليك أن تقدم شكره على شكرهم، ومن شكر الناس ولم يشكر الله في كل نعمة أسداها الناس إليه، فهو أعمى، وكان حكمه حكم من غُرف له طعام بمغرفة، فصار يمدح المغرفة، ويشكرها بين الناس، وينسى الفاعل بتلك الآلة.

واعلم أن كفران النعم للوسائط مما يُحوِّلها، وإذا حُوّلت فلا يقدر من كفرتَ نعمته أن تجري لك نعمة على يديه سنة الله؛ التي قد خلت في عباده؛ لأن كفران النعمة يقطع طريقها، فبتقدير أن من كفرت نعمته لا يؤاخذك، فأنت لا تستحق تلك النعمة. فلا بد من وجود صفة الاستحقاق في المنعَم عليه، وعدمِ كفرانه نعمة من كان واسطة فيها من زوج، ووالد، ونحوهما.

وقد كثر كفران النعم في هذا الزمان من الزوجة، والأولاد، والتلامذة، وبذلك تعسَّرت عليهم الأرزاق، وكلما تأخَّر الزمان زاد على الناس الأمر في تعسير الأرزاق، وفي تحويلها عنهم بالكلِّيَّة لقلة الشكر بالعمل، فإن الشكر

بالقول ما بقي يكفي لغالب النعم في هذا الزمان؛ لكون الموازين قد أقيمتْ فيه على الناس لقرب الساعة، وما قارب الشيء أعطيَ حكمه، ولقلة الإخلاص في القول، وقد قال تعالى في حق آل داود: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ٣٤/ ١٣] ولم يقل: قولوا آل داود شكراً.

وهذه الأمة المحمدية أولى بأن يشكروا بالعمل؛ لأنهم أعظم نعمة بنبيهم وشريعتهم، فليتنبه من كان غافلاً عن ذلك؛ ليدوم الماء في مجاريه.

روى الترمذي وقال حديث صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»(١).

وروى أيضاً، وقال: حديث حسن، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»(٢).

وروى الترمذي، وقال: حديث جيِّد غريب، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صنع إليه معروف فقال لفاعله؛ جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الثناء»(٣).

وروى الطبراني عن طلحة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أُولي معروفاً فليذكره، فمن ذكره فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره»(٤).

* * *

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٢٢٨).
(٢) المصدر السابق.
(٣) سنن الترمذي (٣/ ٢٥٦).
(٤) معجم الطبراني (١/ ١١٥).

# كتاب الصوم

٧٤/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن يكون معظم محبتنا للصوم من حيث كونُ الله تعالى قال: «الصوم لي» لا من حيثية أخرى كطلب ثواب، أو تكفير خطيئة، ونحو ذلك، فإن من عمل لله تعالى كفاه همَّ الدنيا والآخرة، وأعطاه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فضلاً عن الثواب، وتكفير الخطايا، وغيرها من الأغراض النفسانية في الدنيا والآخرة، ولم يبلغنا عن الله تعالى أنه قال في شيء من العبادات أنه له خالصاً إلا الصوم، فلولا مزيد خصوصيته ما أضافه إليه.

قال الخوَّاص رحمه الله تعالى: معنى قوله تعالى: «الصوم لي» يعني: من حيث أنه صفة صمدانية، ليس فيه أكل ولا شرب؛ ولذلك أمر الصائم ألا يرفث ولا يفسق ولا يقول الهجر من الكلام أدباً مع الصفة الصمدانية التي تلبَّس بنظير اسمها.

وقال سفيان بن عُيينة رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به». قال: إذا كان يوم القيامة يُحاسب الله تعالى عبده، ويؤدِّي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم، فيحمل الله تعالى ما بقي عليه من المظالم، ويدخله بالصوم الجنة. وهو كلام غريب.

ومن فوائد الصوم: أنه يسدُّ مجاري الشيطان من بدن الصائم، ويصير عليه كالجُنَّة، فلا يجد الشيطان من بدنه مسلكاً يدخل إلى قلبه منه، من العام إلى العام، أو من الإثنين إلى الخميس، أو من الخميس إلى الإثنين، أو من

الأيام البيض إلى الأيام البيض، أو من الشهر الحرام إلى الشهر الحرام، أو من عاشوراء إلى عاشوراء، أومن يوم عرفة إلى يوم عرفة.

كل صوم يكون جُنَّة منه إلى نظيره من الصوم الذي بعده، كلّ جنس بما يقابله، فللإثنين دائرة، وللخميس دائرة، ولأيام الليالي البيض دائرة، وللشهر الحرام إلى مثله دائرة، وليوم عرفة إلى مثله دائرة، وليوم عاشوراء إلى مثله دائرة، ولكل دائرة حفظ من أمور خاصة بها، فلا يصل إبليسُ إلى العبد ليوسوس له بها كنظيره من الصلاة، والزكاة، والحج، والوضوء، والركوع، والسجود، فلكلٍّ منها ذنوب تكفر بها، فلا يكفّر عمل ما يكفر غيره من الأعمال، ويؤيد ما قلناه خبر مسلم مرفوعاً: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: إنما كان صوم رمضان شهراً كاملاً إما تسعة وعشرين أو ثلاثين؛ لأن أصل مشروعيته كان كفارة للأكلة التي أكلها آدم عليه السلام من الشجرة، فأمره الله تعالى بصومه كفارة لها، وقد ورد أنها مكثتْ في بطنه شهراً حتى ذهبت فضلاتها، وورد: الشهر يكون ثلاثين ويكون تسعاً وعشرين.

واعلم أن فائدة الصوم لا تحصل إلا بالجوع الزائد على الجوع الواقع عادة في غير رمضان، فمن لم يزدْ في الجوع في رمضان فحكمه كحكم المفطر، سواء في عدم سدِّ مجاري الشيطان، لا سيما إن تنوع في المآكل، والمشارب، وأنواع الفاكهة، وتعشى عشاءً زائداً عن الحاجة، ثم تعتم بالحلويات، ثم تسحَّر آخر الليل كذلك، فإن مثل هذا ينفتح من بدنه للشيطان مواضع زائدةٌ عن أيام الإفطار، فتكثر مجاري الشيطان التي يدخل منها إلى هلاكه في مثل هذا الشهر العظيم؛ الذي فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، وهي مدةُ أعمارِ الناس الغالبة، وهي ثلاثة وثمانون سنة، فلو وزنت

عبادة العبد طول هذا العمر مع أعماله في ليلة القدر؛ لكانت ليلة القدر أرجح من سائر أعماله الخالصة الدائمة التي لا يتخلَّلها فتور، فكيف بالأعمال التي دخلها الرياء، وتخللها معاصٍ، وسيئات، وغفلات، وشهوات؟!.

ومن نظر بعين البصيرة وَجَد جميع صوم الأيام التي قبل ليلة القدر كالاستعداد، والتطهير للقلب حتى يتأهَّل لرؤية ربّه عز وجل في تلك الليلة، وأظن غالب كبراء الزمان فضلاً عن غيرهم غارقين فيما ذكرناه، فيمضي عليهم شهر رمضان، وقد ازدادت قلوبهم ظلمة بأكل الشهوات، والنوم.

وقد كان المؤمن في الزمن الماضي لا يخرج من صوم رمضان إلا وهو يكاشفُ الناس بما في سرائرهم؛ لشدة الصفاء الذي حصل عنده من توالي الطاعات، وعدم المخالفات.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: سمعتُ أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول: من أدب المؤمن إذا أفطر عنده الصائمون ألا يشبعهم الشبع العادي، وإنما يشبعهم شبع السُنَّة، وقد قال ﷺ: «حسب ابن آدم لقيماتٌ يقمن صُلْبه». قال أهلُ اللغة: واللقيمات: جمع لقمة من الثلاث إلى التسع. فمتى أخرج الإنسان لمن أفطر عنده أكثر من تسع لقيمات، فقد أساء في حقه، ولا بقي له أجر في إفطاره بما حصل له من تعدّي السنَّة!! وهذا الأمر لا يفعله إلا من خرج عن حكم الطبع، ومعاملة المخلوقين إلى فضاء الشريعة، ومعاملة الله وحده، حتى صار يشفق على دين أخيه المسلم أكثر مما يشفق هو على نفسه.

وعلامات خروجك من حكم الطبع: ألا تتأثر من ذمِّه فيك بين الأعداء إن لم تشبعه؛ لأن حكم من يتعدَّى السنَّة مع العارف كحكم الطفل على حد سواء، والطفل لا يُجاب إلى كل ما اشتهت نفسه.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وقال الخوّاص رحمه الله تعالى: أولياء الله تعالى أشفقُ على العباد من أنفسهم؛ لأنهم يمنعونهم من الشهوات التي

تنقص مقامهم، وهم لا يفعلون بأنفسهم ذلك أبداً ما أمكنهم وراثة محمدية. فاعلم ذلك، واعمل به، والله يتولى هداك، وهو يتولى الصالحين.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام جُنَّة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله، أو شاتمه، فليقل: إني صائم، إني صائم، والذي نفسي بيده! لَخلوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها»(١).

الرفث: يطلق ويُراد به الجماع، ويُطلق ويراد به الفحش، ويطلق ويراد به خطاب الرجل المرأة فيما يتعلق بالجماع، وقال كثير من العلماء: المراد به في هذا الحديث: الفحش، ورديء الكلام. والخُلوف: تغيُّر رائحة الفم من الصوم.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»(٢).

٧٥/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن يكون معظم قصدنا من قيام رمضان وغيره؛ امتثال أمر الله عز وجل، والتلذُّذ بمناجاة الحق، لا طلب أجر أخروي، ونحو ذلك، هروباً من دناءة الهمَّة، فإن من قام رمضان لأجل حصول الثواب، فهو عبد الثواب لا عبد الله تعالى، كما أشار إليه حديث: «تعس عبد الدينار، والدرهم، والخميصة».

اللهم إلا أن يطلب العبد الثواب إظهاراً للفاقة، ليميِّز ربه بالغنى المطلق، ويتميز هو بالفقر المطلق، فهذا لا حرج عليه، لكن هذا لا يصحُّ له

---

(١) بخاري (٣/ ٣٠).

(٢) المصدر السابق.

إلا بعد رسوخه في معرفة الله عز وجل، بحيث يصير يُجِلُّ الله تعالى أن يعبده خوفاً من ناره، أو رجاءً لثوابه.

وهذا لا يتم للعبد إلا إذا رأى أن الله تعالى هو الفاعل لكل ما برز في الوجود وحده، والعبد مظهرٌ لظهور الأعمال، إذ الأعمال أعراض، وهي لا تظهر إلا في جسم، فلولا جوارح العبد ما ظهر له فعلٌ في الكون، ولا كانت الحدود أُقيمت على أحد.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: سمعتُ سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول إذا صلّى نفلاً: أصلي ركعتين من نعم الله عليَّ في هذا الوقت. فكان يرى نفس الركعتين من عين النعمة، لا شكراً لنعمة أخرى.

وكان يقول: يجب على العبد أن يستقل عبادته في جانب الربوبية، ولو عبد ربَّه عبادة الثقلين، بل ولو عبده هذه العبادة على الجمر من ابتداء الدنيا إلى انتهائها، ما أدى شكر نعمة إذنه له بالوقوف بين يديه في الصلاة لحظة ولو غافلاً.

وكذلك ينبغي له إذا قلَّت طاعاته أن يرى أن مثله لا يستحق ذلك القليل. ومن شهد هذا المشهد حفظ من العجب في أعماله، وحفظ من القنوط من رحمة الله تعالى.

وقال العارف الدسوقي: من كان الباعثَ له على حب القيام بين يدي الله تعالى في الظلام: لذَّته بمناجاته، فهو في حظِّ نفسه ما برح؛ لأنه لولا الأنسُ الذي يجده في مناجاته، ما ترك فراشه، وقام بين يديه، فكأن هذا قام محبة في سواه، وهو لا يحبُّ من أحب سواه إلا بإذنه، فإن الأنسَ الذي يجده في قلبه سواه بيقين.

وكان يقول: ما أنس أحد بالله قطُّ؛ لعدم المجانسة بينه وبين عبده بوجه من الوجوه، وما أنس من أنس إلا بما منَّ الله تعالى من التقريب الإلهي

لا بالله تعالى، ومن هنا قامت الأكابر حتى تورَّمت منهم الأقدام؛ لعدم اللذة التي يجدونها في عباداتهم، فإن اللذة تدفع الألم، فلا يتورَّم لهم أقدام، فعلم أن عبادتهم لله تعالى محض تكليف لا يدخلها اللذة، ولو دخلها لذة لكانوا عبيدها، وهم مطهرون مقدسون عن العبودية لغير الله تعالى.

وليلة القدر تدور في ليالي رمضان وغيره ليحصل لجميع الليالي الشرف، وبه قال بعض الأئمة، وظواهر الأدلة كلها يعطي تخصيصها بشهر رمضان، وهو المعتمد.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل رمضان فُتِّحت أبواب السماء، وغُلِّقت أبوابُ جهنم، وسُلْسِلت الشياطين»[١].

وتصفيد الشياطين وسلسلتها في رمضان: مبالغة في الحفظ، ويحتمل أن يكون المراد أيام رمضان فقط، ويحتمل أن يكون المراد: أيامه، ولياليه.

وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال في ليلة القدر: «من كان ملتمسها، فليلتمسها في العشر الأواخر»[٢].

٧٦/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نتبع صوم رمضان بصوم ستة أيام من شوال تطهيراً؛ لما عساه تدَنُّسٌ من غفلات يوم العيد بأكل الشهوات؛ التي كانت النفس محبوسة عن تناولها مدة صوم رمضان، فربما أقبلت النفس بهمَّتها على أكل الشهوات يوم العيد، وحصل لها فيه من الغفلة والحجاب؛ أكثر مما كان يحصل لها لو تعاطت جميع الشهوات التي تركتها في رمضان، فكانت هذه الستة كأنها جوابر لما نقص من الآداب والخلل في صومنا لرمضان، كالسنن التابعة للفرائض، أو كسجود السَّهو.

---

(١) بخاري (٣/ ٣١).

(٢) مسلم (٢/ ٨٢٣).

ومن هنا قال سيدي علي الخوّاص: ينبغي الحضور والأدب في صوم هذه الستة أيام، كما في رمضان، بل أشدّ لأنها جوابر، وإذا حصل النقص في الجوابر لم يحصل بها المقصود، فيتسلسل الأمر، فيحتاج كل جابر إلى جابر.

قال: ونظير ذلك تخصيص الشارع الجبر لخلل الصلاة بالسجود دون القيام والركوع، وغيرهما؛ لما ورد أنها حالة أقرب ما يكون العبد فيها مع ربه عز وجل، فلا يقدر إبليس يدخل لقلب العبد فيها حتى يوسوس له، ولو جعل الجابر غير السجود لربما كان يوسوس للعبد فيه، فيحتاجُ الجابر لجابر آخر، وإنما استحبَّ بعض العلماء صومها متتابعة غير متفرقة في الشهر؛ لأن التوالي أقرب في جلاء الباطن من المتفرق، ولذلك سنَّ الأشياخُ الخلوة على التوالي من ثلاثة أيام إلى أربعين يوماً إلى أكثر من ذلك، حسب القسمة الإلهية؛ لتتوالى جمعية قلوبهم بالحق تعالى، كما يشهد لذلك حديث البخاري وغيره في تحنُّثه ﷺ قبل النبوَّة بغار حراء، ومن هنا أمر الأشياخُ مريديهم في حال الخلوة بالجوع، وترك اللغو، وتوالي الذكر، وعدم النَّوم، وذلك لتتراكم الأنوار وتتقوَّى، فينهزمَ جيش الشَّياطين، ويكون حزب الله هم الغالبون.

وإيضاح ذلك: أنه إذا تخلَّلت الخلوة غفلةٌ، أو شبع، أو لغو، أو نوم؛ فإن الظلمة تغلبُ على تلك الأنوار المتفرِّقة لكون الظلمة هي الأصل، إذ الطينُ هو الغالب في نشأة البشر على النور، فما لم يكن عسكر النور أقوى، لم يخرج الإنسانُ عن الظلمة والكثافة. فقد بان لك حكمة صوم الستة أيام المذكورة، وحكمة صومها على التوالي، والله يتولى هداك.

روى مسلم وغيره عن أبي أيوب الأنصاري: أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان، وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»(١).

---

(١) مسلم (٢/ ٨٢٢).

وروى الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال فإن ذلك صيام سنة»[1].

٧٧/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نصوم يوم عرفة، ولا نترك صومه إلا لعذر شرعي، كأن نكون بعرفات، أو بنا مرض يشقُّ معه الصوم، ونحو ذلك، والحكمة في كراهة صومه للحاج: أنه يوم تحطُّ فيه الخطايا، فيتأثر البدن، ويضعف، ويحصل له فتور وانحلال، وهذا من رحمه الله تعالى بعباده؛ لأنِ النهي عن صومه للحاج، إنما هو نهيُ شفقةٍ عليه، فمن خالف وصام، وأظهر القوة، فلا بد من إخلاله بالأعمال من وجه آخر كما جرّب.

روى مسلم، وأبو داود، والنسائي من حديث أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة التي قبله والسنة التي بعده»[2].

٧٨/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نصوم يوم عاشوراء، ونوسِّع فيه على عيالنا بالطعام، والكسوة، وغير ذلك من كلِّ ما هم محتاجون إليه، لكن بشرط أن يكون ذلك وجه من حِلٍّ، لا اعتراض للشريعة عليه.

روى مسلم وغيره من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: «وصيام يوم عاشوراء أحتسبُ على الله أن يكفّر السَّنة التي قبله»[3].

وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله! إنه يوم تعظِّمه اليهود

---

(١) معجم الطبراني (٢/ ١٠٢).
(٢) مسلم (٢/ ٨١٩).
(٣) المصدر السابق.

والنصارى، فقال رسول الله ﷺ: «فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع» قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ[1].

وجاء في إحدى الروايات تفسير: «لئن بقيت: إلى قابل لأصومن التاسع» يعني: يوم عاشوراء[2].

ورواه البيهقي موقوفاً على ابن عباس: صوموا التاسع، والعاشر، وخالفوا اليهود[3].

وروى أيضاً عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «لئن بقيت لآمرنَّ بصيام يوم قبله أو يوم بعده يوم عاشوراء»[4].

وروى البيهقي أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من أوسَع على عياله وأهله يوم عاشوراء، أوسع الله عليه سائر سنته».

ورواه وغيره من طرق، وقال: هذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة، فهي إذا انضم بعضها إلى بعض أخذت قوة[5].

٦/٧٩ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نقومَ ليلة النصف من شعبان، ونصوم نهارها، ونستعدّ لها بالجوع الشاق، وقلة الكلام والصمت، فإن من يشبع ليلتها، وأكثر من اللغو، والكلام، والغفلة عن الله تعالى، لا يذوق لما فيها من الخيرات طعماً ولو سهر، وما حثَّ الشارع العبد على الاستعداد لحضور المواكب الإلهية؛ إلا ليشعر بما يمنحه في تلك المواكب، ويتلقّى ما يخصّه من الإمداد بالأدب، ومن لا يشعر بذلك فاته خيرٌ كبير.

---

(١) مسلم (٢/٧٩٨).
(٢) المصدر السابق.
(٣) سنن البيهقي (٤/٢٨٧).
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

فعلم أنه يجبُ على كلِّ مؤمن أن يتوبَ من جميع ما ورد في الحديث؛ أنه يمنع حصول المغفرة لصاحبه ليلة النصف من شعبان، قبل دخول ليلة النصف من شعبان، كالمشاحن بغير عذر شرعي، وكالعقوق للوالدين، ونحو ذلك. فيجب السعي في إزالة ما عندنا من الشحناء، وما عند غيرنا منها في حقنا، ولو بإرسال كلام طيب، أو مدح بين الأقران، ونحو ذلك، كإهداء هدية، وبذل مال؛ لننال الرحمة والمغفرة من الله تعالى في تلك الليلة، ولا نتهاون بالمبادرة في إزالة الشحناء إلى ليلة النصف، فربما يتعسَّر علينا إزالةُ ما عندنا، أو عند المشاحن لنا من الحقد الكمين، فتفوتنا المغفرة تلك الليلة.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: يجب على قاطع الرحم المبادرةُ قبل ليلة النصف من شعبان إلى إزالة القطيعة، وكذلك الحكم في جميع ما ورد فيه التجلي الإلهي، كالثلث الأخير من الليل في جميع ليالي السنة، فيجبُ عليه أن يتوب من جميع الذنوب ولو وقف يصلي فصلاته لا روح فيها.

روى البيهقي من طريق العلاء بن الحارث عن عائشة رضي الله عنها، وقال: هذا مرسل جيد، أن النبي ﷺ قال لها: «هذه ليلة النصف من شعبان، إن الله عز وجل يطَّلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخِّر أهلَ الحقد كما هم»[1].

٨٠/٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نصومَ الإثنين والخميس، ولا نترك صومهما إلا لعذر شرعي، ومن العذر أن يكون الصوم يضرّ بدنه، أو عقله؛ لانحراف مزاجه عن مقام الاعتدال، وكلُّ أحد مؤتمن على ما يدَّعيه في نفسه من ذلك، وكذلك من العذر: أن يتعاطى العبد الأعمال الشاقة المأمور بها في طريق الكسب الشرعي، فلا يؤكَّد على هؤلاء

(١) الترغيب والترهيب (١١٦/٢).

صيام الإثنين والخميس، ونحوهما من النوافل. فاتبع يا أخي الشرعَ، ولا تكنْ من المبتدعين، وأخْفِ صومك إن خفتَ أن أحداً يمدحك على ذلك، وتميل نفسُك إليه.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «تعرض الأعمالُ يوم الإثنين والخميس، فأحبُّ أن يعرض عملي وأنا صائم»(١).

٨١/ ٨ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نصومَ ثلاثةَ أيام من كل شهر، لا سيما أيام الليالي البيض، ولا نترك صيامَها إلا لعذر شرعي، لا إيثاراً لشهوة الأكل، فإنَّ اللوم إنما هو على من ترك الصوم إيثاراً للشهوة، وهذا يجري معنا في سائر الأعمال والله غفور رحيم.

ومن فوائد صومها: أنها تزيلُ من صاحبها ما في قلبه من الحقد، والغش، وسوء الظن، وغيرها من الكبائر الباطنة. وقد ورد أنَّ أول من صامها آدم عليه السلام لما وقع في الخطيئة.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «: «يا أبا ذرّ! إذا صمتَ من الشهر ثلاثة أيام، فصمْ ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة»(٢).

وروى أيضاً، وقال: حديث حسن، عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام من كل شهر ثلاثة أيام، فذلك صيام الدهر» فأنزل الله تبارك وتعالى تصديق ذلك في كتابه ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ٦/ ١٦٠] اليوم بعشرة أيام(٣).

---

(١) سنن الترمذي (٢/ ١٢٤).
(٢) سنن الترمذي (٢/ ١٣١).
(٣) المصدر السابق.

٨٢/ ٩ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نتسحَّر من الحلال دون الشبهة في كل ليلة نصوم يومها، ولا نترك ذلك أبداً امتثالاً لأمر الشارع ﷺ لنا بذلك، لا لعلّة أخرى. ولقد فاز عبيد الله الخُلَّص الذين عبدوه امتثالاً لأمره، ورأوا الفضل له تعالى عليهم في تأهيلهم لذلك، وخسر ذلك المقام عبيد الثواب والعلل الدنيوية.

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تسحَّروا فإن في السَّحور بركة»(١).

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب: أكلة السحر»(٢).

٨٣/ ١٠ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نعجِّل الفطر، ونؤخر السحور.

أما تعجيل الفطر فالحكمة فيه: المسارعة إلى تعجيل حظّ النفس من حيث كونها مطيتنا، ولولا هي ما استطعنا ظمأ الهواجر في أيام الصيف الطوال. وفي المثل السائر تقول النفس لصاحبها: كن معي في بعض أغراضي وإلا صرعتك.

وفي الحديث: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفَّ عرقُه».

وفي حديث آخر: «المنبتّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى».

والمنبتُّ: هو الذي حمَّل دابته فوق طاقتها، أو سيارته حتى عجزت، وسار بها، فنفقت الدابة، وخربت السيارة، فلا هو قطع طريق السفر، ولا هو أبقى ظهر دابته.

---

(١) بخاري (٣/ ٣٢).

(٢) سنن الترمذي (٢/ ١٠٦).

فبمجرَّد ما تغرب الشمس تحنُّ النفس إلى الفطر، وتتألم لتأخيره، ويكون كالعذاب عليها، وأما تأخير السحور فالحكمةُ فيه: عدم التفات النفس إلى الأكل والشرب حين الشروع في الصوم. فإن شرط العبودية أن يتوجَّه المكلف بقلبه وقالبه إلى فعل ما كُلِّف به، فإن التفت إلى تمنّي فعل ما منعه الله منه في الصوم، فكأنه دخله بلا قلب.

وفي تأخير السحور يقلُّ التفات النفس إلى الأكل والشرب، فتدخل النفس الصوم بكليتها، وإذا كان عند العبد التفات إلى الأكل والشرب أول شروعه في الصوم، فكيف حاله أواخر النهار، فلا تكاد النفس تنشرحُ لفعل ما كُلِّفت به أبداً، وعبادة المكره لا يقبلها الله تعالى، ومن هنا كره الشارعُ قيام العبد للصلاة ونفسه تتوقُ إلى الطعام.

ومن المعلوم: أن الله تعالى أمرنا بالإحسان إلى أنفسنا، ومن الإحسان إليها: تعجيل فطرها، وتأخير سحورها؛ فإن فيها جزءاً يطلب ذلك، وإن لم تعطه عصى عليها، وجمح، ونازعها في الخروج من الصوم لنيل شهواتها.

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناسُ بخير ما عجَّلوا الفطر»(١).

وروى البخاري ومسلم عن مسروق أنه قال لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين! رجلان من أصحاب محمد ﷺ: أحدهما يعجِّل الإفطار ويعجِّل الصلاة، والآخر يؤخِّر الإفطار ويؤخِّر الصلاة. قالت: أيهما الذي يعجِّل الإفطار ويعجل الصلاة؟ قال: قلنا: عبد الله. قالت: كذلك كان يصنعُ رسول الله ﷺ(٢).

٨٤/ ١١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نفطر من صومنا

---

(١) مسلم (٢/ ٧٧١).

(٢) المصدر السابق.

على تمر، فإن لم نجد فعلى ماء. والحكمة في ذلك: أن معظم ما كانت النفس محبوسة عنه في النهار الطعام والشراب، وهي محتاجة إلى الطعام أكثر، فلذلك قدم على الشرب، فإنهم قالوا: شهوة الشراب كذابة، فإذا ردها الإنسان مراراً ذهبت، ولا هكذا شهوة الطعام.

وفي الفطر على التمر المسارعة إلى تحلية النفس بعد تعبها، لتعطينا في وقت آخر إذا دعوناها إلى مثل ذلك العمل الذي حلَّيناها لأجله، وفي الشرب للماء: المسارعة إلى طفء لهيب تلك النار التي تأجَّجت من الجوع، وحرارة الطعام.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن سلمان بن عامر عن النبي ﷺ قال: «إذا أفطر أحدُكم فليفطرْ على تمر، فإن لم يجدْ فليفطرْ على ماء، فإنه طهور»[1].

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يصلي على رُطَبات، فإن لم تكن رُطَبات فتميرات، فإن لم تكن تُميرات حسا حسواتٍ من ماء»[2].

٨٥/ ١٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: إذا كان عندنا طعام من حلالٍ، وفاض عنَّا، وعن عيالنا، ومن تلزمنا نفقته: أن نطعمه لإخواننا، فإن لم نجد حلالاً، أو وجدناه، ولم يفضل عنا، فلا نؤمر بتفطير أحدٍ من الصائمين عندنا.

وهذا العهدُ يخلُّ به كثير من العلماء والصالحين؛ الذين اشتهروا بالكرم فضلاً عن غيرهم، فربما كان ما يطعمه أحدهم لإخوانه من أموال أيتام، وربما كان قد جاءه المال من طريق غير مشروع، أو كان مالاً مشبوهاً، فمثل هذا المال لا يتقرب به إلى الله تعالى، ولا يجوز لأحدٍ أن يُفطِّر الصوَّام عليه.

---

(١) سنن الترمذي (٢/ ١٠٢).

(٢) المصدر السابق.

فاحذر يا أخي! من المبادرة إلى الفطر في رمضان وغيره عند من اشتهر بالعلم والصلاح حتى تخالطه، وتعرف شدَّة ورعه.

روى الطبراني عن سلمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من فطَّر صائماً في رمضان من كسب حلال، صلَّت عليه الملائكة»[1].

وروى عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «من فطَّر صائماً على طعام وشراب من حلال، صلَّت عليه الملائكة في ساعات شهر رمضان، وصلَّى عليه جبريل عليه السلام في ليلة القدر»[2].

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن زيد بن خالد الجهني، قال: قال رسول الله ﷺ: «: «من فطَّر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً»[3].

٨٦/ ١٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نعتكف في كل وقت لا يكون لنا فيه ضرورة، لا سيما في رمضان، فإن كان لنا ضرورة خارج المسجد، فالأولى تقديمها على الاعتكاف.

وما أمرنا الله تعالى ورسوله بالاعتكاف في المسجد إلا لنتنبه لأنفسنا، ونعلم أننا بين يدي الله تعالى على الدوام، شعرنا أو لم نشعر، فإذا ذقنا ذلك في المسجد، وتلذَّذنا بمراقبة الحق تعالى فيه، انجرَّ ذلك إن شاء الله تعالى إلى خارج المسجد، وصرنا نشهد كوننا بين يدي الله تعالى على الدوام.

واعلم أن الحق لا يُجالَس إلا في فعل المأمورات، أو اجتناب المنهيات، وما عدا ذلك فلا يقدر على مجالسة الحق تعالى أبداً، إنما هو يجالس الكون.

---

(١) معجم الطبراني (٦/ ٢٦١).
(٢) المصدر السابق.
(٣) سنن الترمذي (٢/ ١٥١).

قال الخوَّاص رحمه الله تعالى: من شأن الكامل ألا يعمل بقول من الأقوال إلا مع الحضور مع صاحب القول: من الحق تعالى، أو رسوله ﷺ، أو أحد من الأئمة، أو مقلِّديهم. فإذا كان يوم القيامة امتدت مجالسته المذكورة، وانبسطت في الزمان، وتنعَّم مع أصحابها بقدر مقامه في الحضور معهم، ومن لم يحضرْ حال العمل مع صاحب ذلك الكلام الذي عمل به، لم يتنعم يوم القيامة بشهود أصحابه، ولا كأنه جالسهم قطُّ.

روى الطبراني في الأوسط، والبيهقي، واللفظ له، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ، فأتاه رجل فسلَّم عليه، ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان! أراك مكتئباً حزيناً؟ قال: نعم يا بن عمِّ رسول الله! لفلانٍ عليّ حق ولاء، ما أقدر عليه. قال ابنُ عباس: أفلا أكلِّمه فيك؟ فقال: إن أحببتَ. قال: فانتعل ابنُ عباس، ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا، ولكني سمعتُ صاحبَ هذا القبر ﷺ، والعهد به قريب، فدمعتْ عيناه، وهو يقول: «من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها، كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق، أبعد ما بين الخافقين»(١).

٨٧/ ١٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نخرج زكاة فطرنا كل سنة قبل صلاة العيد، ولا نترخّص في تركها إلا بطريق شرعي. فينبغي لكلِّ قدوة أن يُخْرِج زكاته قبل الناس ليقتدي الناس به؛ فإنه أسوة لهم، وقد صار في أفواه غالب الناس إذا قيل له: افعل كذا من الأمور التي أمره الله بها يقول: قل هذا لفلان، فإننا ما رأيناه يفعل ذلك أبداً، فإذا قيل لهم: إذا علمتم أنكم مأمورون به من جهة الشارع، تعيَّن عليكم فعله، ولو لم يعمل به

(١) الترغيب والترهيب (٢/١٤٩).

العلماء، فيقولون: فإذا كان العلماء لا يقدرون على العمل به، فنحن أعجزُ فاعذرونا.

كل ذلك لعدم اعتناء الناس بالأوامر الشرعية، وبذلك اندرست الشريعة، فلا عالم يبدأ بالعمل قدَّام الناس، ولا هو ينكر عليهم بالقلب هكذا. تخرج عظمة الله تعالى من قلوب هذه الأمة، كما خرجت قلوب بني إسرائيل، فعمَّهم الله بالعذاب.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وقد كنتُ أترخَّص في ترك إخراج زكاة فطري مدةَ عمري، لكوني ما ملكت قطُّ نفقة يومٍ وليلة في ليلة العيد، إلى أن دخلتْ سنة خمسين وتسعمئة، فرأيتُ في واقعةٍ عقب العيد أنني في أرض فضاء واسعة، وفيها خَلْق كثير، معهم شيء كالأرائك التي يتكأ عليها، وكل واحد يرمي أريكته نحو السماء، فتصعد نحو أربعة أذرع، وترجع إلى الأرض، فرميتُ أنا الآخر أريكتي، فصعدت يسيراً ورجعت، فقلتُ لملك من الملائكة بجنبي: ما هذا؟ فقال لي: تنظر هذه الأرائك كلَّها وأصحابَها؟ فقلت: نعم. فقال: هؤلاء الذين صاموا رمضان، ولم يخرجوا زكاة فطرهم، فتُصُوِّرَ صومهم كالأريكة جلداً محشوّاً لا روح فيه. فقلت له: أنا لم أملك قوت يوم وليلة. فقال: أما عندك قميص زائد؟ أما عندك رداء زائد؟ أما عندك قبقاب زائد؟ تبيع ذلك وتشتري به قمحاً، وتخرج به زكاتك. فقلت: نعم، فقال: فأخرج فإن مثلك لا ينبغي له الأخذ بالرُّخص، فتذكرت قبقاباً جديداً كان عندي في صندوق أهداه لي بعض التّجار، فبعته، وأخرجت به زكاتي. ومن تلك السنة وأنا أخرج زكاتي وزكاة من تلزمني نفقته، وتقوَّى بذلك عندي الحديث الوارد في: أن صوم رمضان موقوف بين السماء والأرض، حتى يخرج العبد صدقته، فالحمد لله رب العالمين.

فأخرجْ يا أخي زكاة فطرك، وليكن دينك أعزّ عليك من دنياك، ولا

تستكثر شيئاً من الدنيا تبذله في مرضاة الله تعالى.

وقالوا: من كانت دنياه عنده أعزّ عليه من دينه، فهو أخسُّ الناس مرتبة عند الله، وعند خلقه، وإن عظّمه أحد من الخلق، فإنما ذلك لعلة دنيوية. فعلم أنه ينبغي لكل من صار قدوةً ألا يتخلّف عن فعل مأمور، أو اجتناب منهي، وذلك لئلا يكون من أئمة الضلال.

وقال الشعراني رحمه الله تعالى: ووالله! إني لأخرجُ من البيت لصلاة الجماعة، وأنا أحسُّ بعظمي أنه ذائب، وربما أضطجع في المجلس، وهم يقرؤون الورد، ولا أقوم خوفاً أن أتخلَّف، فيتبعني بعضُ الكسالى على ذلك، فأكون معدوداً من أئمة الضلال.

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقط، أو صاعاً من زبيب(١).

زاد الترمذي: فلم نزل نخرجه حتى قدم معاوية المدينة، فتكلم، فكان فيما كلَّم به الناس: إني لأرى مدّين من سمراء الشام تعدل صاعاً من تمر. قال: فأخذ الناس بذلك، فالشافعي وأحمد يرون من كل شيء صاعاً، وابن المبارك، وأهل الكوفة، يعني: الحنفية، يرون نصف صاع من برّ(٢).

وأمر النبي ﷺ بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة(٣).

* * *

(١) بخاري (٢/ ١٥٤).
(٢) سنن الترمذي (٢/ ٩١).
(٣) بخاري (٢/ ١٥٤).

# كتاب الأضاحي

٨٨/ ١٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نضحي عن أنفسنا، وعيالنا، وأولادنا، كل سنة، ولا نترك التضحية إلا لعذر شرعي، والحكمة في ذلك: إماطة الأذى عمَّن ذُبحت على اسمه، ومغفرةُ ذنوبه. ومن شرط دفع الضحية البلاء عن أهل المنزل: أن تكون من وجه حلال. ولا يكفي شراء اللحم والتصدق به؛ لأن السر إنما هو في إراقة الدم.

ومن لم يكن له قدرة على شراء أضحية، وليس عنده فضل ثوب، ولا دابة، فليكثر من الاستغفار بدل الأضحية، فلعل الاستغفار يجبر ذلك الخلل.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما عمل آدميٌّ من عملٍ يوم النحر أحبُّ إلى الله من إهراق الدم، إنه ليأتي يوم القيامة بقرونها، وأشعارها، وأظلافها، وإنَّ الدمَ ليقعُ من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً»[١].

وقال الترمذي: يروى عن النبي ﷺ أنه قال في الأضحية: «لصاحبها بكل شعرة حسنة» ويروى: «بقرونها».

قال الترمذي: وقد رخَّص بعضُ أهل العلم أن يُضحَّى عن الميت، ولم ير بعضهم أن يضحى عنه.

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٢٦).

وقال عبد الله بن المبارك: أحبُّ إليَّ أن يتصدّق عنه، ولا يضحّى. وإن ضحى فلا يأكل منها شيئاً، ويتصدق بها كلّها.

ولا يضحّى بالعرْجاء البيِّن عرجها، ولا بالعوراء بيِّنٌ عورها، ولا بالمريضة بيِّن مرضها، ولا بالعجفاء التي لا تنقى.

وتكره التضحية بما قُطع طرف أذنها (المقابلة) وبما قطع من جانب أذنها (المدابرة) وبالمشقوقة (الشرقاء) والمثقوبة (الخرقاء) ونهى رسول الله ﷺ أن يضحى بأعضب القرن والأذن، والعضب: ما بلغ النصف فما فوق ذلك. ويجزىء الجَذَع من الضأن في الأضاحي وهو ما كان له ستة أشهر، وسبعة أشهر.

ويضحي الرجل بالشاة عنه، وعن أهل بيته، وهو ما ذهب إليه الشافعي وأحمد، وذهب الحنفية، وهو قول ابن المبارك، وغيره من أهل العلم: أن الشاة لا تجزىء إلا عن نفس واحدة. وتجزىء البقرة عن سبعة، والبدنة عن سبعة أيضاً.

والأفضل أن يضحي المضحي بنفسه، وإن كان له عذر شرعي، أو يجهل، وكَّل من يذبح، وحضر الذبح اهتماماً بأوامر الله عز وجل؛ لما روى البزار وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة! قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإن لك بأوَّل قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما سلف من ذنبك» قالت: يا رسول الله! ألنا خاصةً أهل البيت، أو لنا وللمسلمين؟ قال: «بل لنا وللمسلمين»(١).

١٦/٨٩ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نتصدق بلحم أضحيتنا حتى جلدها، كما ورد، ولا ندَّخر اللحم عندنا لنأكله في المستقبل كما يفعله بخلاء الناس، فإن ذلك لا يدفع عنا البلاء الذي شرعت له الأضحية.

---

(١) الترغيب والترهيب (٢/ ١٥٤).

ومن أشرب قلبه الإيمان، ومحبة الشارع ﷺ ألقى قياده له، فإنه لا يأمر قط بشيء إلا وفيه مصلحة للعبد في الدنيا والآخرة.

وليحذر المضحِّي أن يرى له فضلاً على من يرسل إليه اللحم من الفقراء، بل يرى الفضل عليه للفقير الذي يتحمل عنه البلاء بتلك القطعة من اللحم. ومثال الفقير الذي يتحمل البلاء عن صاحب الصدقة، مثال من غسل ثوب إنسان من الوسخ، فلا يليق بصاحب الثوب أن يرى نفسه على الكوَّاء، بل اللائق به إعطاؤه الدراهم والشكر له.

٩٠/١٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نحسن الذِّبحة، وذلك بإحداد الشفرة بحيث لا تراها البهيمة والإسراع بالذبح في المنحر، ومن هنا استحب العلماء النحر لكلِّ ما طال عنقه دون الذبح تعجيلاً لزهوق الروح، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. ورأى عمر رضي الله عنه رجلاً يسحب شاةً برجلها ليذبحها، فقال له: ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً.

روى الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ رسول الله ﷺ على رجل واضع رِجله على صفحة شاة، وهو يحدُّ شفرته، وهي تلحظُ إليه ببصرها، قال: «أفلا قبل هذا؟ أوتريد أن تميتها موتتين؟!»(١).

وروى مسلم وغيره عن شداد بن أوس رضي الله عنه، قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبح، وليحدّ أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته»(٢).

* * *

---

(١) معجم الطبراني (١١/ ٢٦٣).
(٢) مسلم (٣/١٥٤٨).

# كتاب الحج

٩١/١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نبادر بالحج إذا استطعناه، ولا سيما عند خوفنا اخترام المنية، ولا نتأخر لعلّةٍ دنيوية، كما يقع فيه بعضُ من غلب عليه حب الدنيا، وشقّ عليه مفارقة أهله وأوطانه، فيموت أحدهم من غير أن يحج حجة الإسلام، وذلك في غاية النقص، فإنه لا يكمل دين المستطيع إلا بالحج المبرور.

والحج المبرور: هو الذي لا يقع فيه معصية، وبر الحج أيضاً: إطعام الطعام، وطيب الكلام، وإفشاء السلام، وترك الرفث، وهو كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة فيما يتعلق بالجماع، ويطلق، ويراد به: الفحش.

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»(١).

وروى أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسولَ الله! نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور»(٢).

---

(١) بخاري (١٥٦/٢).

(٢) المصدر السابق.

٩٢/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن ننفق في الحج والعمرة بقدر وسعنا، ولا نتكلف لما فوق مقامنا خوفاً أن يعقبنا ندمٌ لمعاملتنا غير الله تعالى مع إظهار أن ذلك لله تعالى، ولا نتقرَّب إلى الله تعالى بشيء تنقبض النفس للإنفاق فيه عاجلاً أو آجلاً، وإنما اللائق أن ينفقَ الإنسان ماله في مرضاة الله تعالى، وهو منشرح القلب والقالب، وذلك لا يكون إلا إذا أنفق من ماله حسب طاقته، وإلا فمن لازمه غالباً ارتكابه الدَّين، ودخول الفخر، وحبُّ السمعة في حجه، فإن من أوسع النفقة فوق طاقته، فالغالبُ عليه وقوعه فيما ذكرنا، لا سيما إن كان شيخاً أو عالماً لا كسب له.

واعلم يا أخي! أن كل من تكلف، ودخله الفخر في حجه، فهو إلى الإثم أقرب.

فإياك يا أخي! وقبول المعونة في الحج ممن لا يتورع في مكسبه ومن الظَّلَمة، حتى يكون حجك مبروراً، ويسلم الناس من لسانك، وإلا فمن لازم من حج بمال الظلمة: أن يتناول بلسانه كل أحد.

روى البيهقي عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله عز وجل سبعين ضعفاً»(١).

وروى الطبراني والبزار ورجاله رجال الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما رفعه قال: «ما أمعر حاجٌ قط». قيل لجابر: ما الإمعار؟ قال: ما افتقر(٢).

٩٣/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نعتمرَ في رمضان إذا جاورنا بمكة، أو دخلنا في رمضان، ولا نفوِّتها إلا لعذر شرعي؛ فإنه

---

(١) سنن البيهقي (٤/ ٣٣٢).
(٢) الترغيب والترهيب (٢/ ١٨٠).

ورد أنها تعدل حجة، وذلك لما عند الإنسان من الصفاء والنور في رمضان، ولما عليه من الجوع، وكثرة العبادة، والأجر يعظمُ بحسب شدة القرب من الله تعالى.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أم مَعقِل عن النبي ﷺ قال: «عمرة في رمضان تعدل حجّة»(١).

٩٤/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نكثر من التواضع في الحج، ونلبس ما غلظ؛ اقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأن لِثياب الزينة محلاً مخصوصاً ليس هذا موضعَه؛ وقد أجمع أهلُ الله عز وجل على أن من كان فيه صفة الفخر، أو رائحة التكبر لا يدخل جنة الله تعالى، ولا يحصل له شيء من الإمدادات التي تُفرَّق على أهل تلك الجنة.

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٩/ ٦٠] والمتكبر، ولابس الثياب الفاخرة فخراً ليس فيه صفة الافتقار ولا المسكنة، إنما فيه صفة الجبابرة.

وينبغي تخصيصُ جزء من المال لإنفاقه على الفقراء والمساكين، فالصدقة في مكة بمئة ألف إن شاء الله تعالى، لا أن يبخل عن نفسه، ويشتري بماله كله الهدايا!.

وينبغي لمن يبيت بمكة في مواسم الحج: ألا يبيت على مال، وهو يعلم أن بها جائعاً أو محتاجاً، وعليه أن يسعفه، وألا يخطر على باله مدة إقامته بمكة معصية، وألا يمسك طعاماً أو شراباً إلا لضرورة.

روى الترمذي في «الشمائل» عن أنس رضي الله عنه قال: حجَّ النبي ﷺ على رحل رثٍّ، وقطيفة خَلَقة، تساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي، ثم قال: «اللهم حجةً لا رياء فيها، ولا سمعة».

---

(١) سنن الترمذي (٢/ ٢٠٨).

وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ بوادي الأزرق فقال: «أي وادٍ هذا؟» فقالوا: هذا وادي الأزرق، قال: «كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً في الثنية، وله جؤار إلى الله بالتلبية». ثم أتى على ثَنيّة هَرْشى، فقال: «أي ثنيّة هذه؟» قالوا: ثنية هرشى، قال: «كأني أنظر إلى يونس بن متّى عليه السلام على ناقة حمراء جعدةٍ عليه جبّة من صوف، خطام ناقته خُلْبَة، وهو يلبي»[1] خلبة: ليف.

٥/٩٥ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرفع صوتنا بالتلبية، ولا نتعلل بالحياء من الناس، كما يفعله بعضُ الكبراء، فإن ذلك وقتٌ لا يُراعَى فيه إلا الله عز وجل، والمراد بالتلبية: إظهار العبودية، وأننا أجبنا الداعي لنا إلى الحج، ولم نتخلّف تهاوناً به. وقد راعى الشارعُ ﷺ رفعَ الصوت بذلك، ولم يكتف بإذعان قلوبنا، كما راعى أفعال الصلوات، ولم يكتف بما في باطننا من الخضوع، وقد قلت مرة لشخص من الأكابر: أما ترفع صوتك بالتلبية؟! فقال: أستحي.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن خلاّد بن السائب عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبرائيل، فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال، أو التلبية»[2].

٦/٩٦ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نكثر من الطواف، واستلام الحجر الأسود والركن اليماني مدة إقامتنا بمكة المشرفة، وكذلك نكثر من الصلاة في المقام، فإن تلك حضرةٌ لا أقرب منها في سائر المساجد.

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله

---

(١) مسلم (١/ ١٥٢).

(٢) سنن الترمذي (٢/ ١٦٣).

ﷺ: «من طاف بالبيت خمسين مرة، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[1].

وروى مسلم في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كان رسول الله ﷺ لا يستلم إلا الحجر والركن اليماني[2].

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ حين قدم مكة، فطاف بالبيت سبعاً، وأتى المقام فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ٢/ ١٢٥] فصلى خلف المقام، ثم أتى الحجر فاستلمه، ثم قال: «نبدأ بما بدأ الله به» فبدأ بالصفا، وقرأ: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢/ ١٥٨][3].

وروى ابن خزيمة في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، أن النبي ﷺ لما قبّل الحجر بعد الطواف، وضع يديه عليه، ثم مسح بهما وجهه[4].

وروى الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، عن عابس بن ربيعة قال: رأيتُ عمر بن الخطاب يقبّل الحجر، ويقول: إني أقبّلك وأعلمُ أنك حجر، ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يقبلك لم أقبلك[5].

يُستحبُّ تقبيلُ الحجر، فإن لم يمكنه أن يصل إليه استلمه بيده، وقبّل يده، وإن لم يصل إليه استقبله إذا حاذى به، وكبّر.

٩٧/ ٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نستعدَّ للعبادة في عشر ذي الحجّة؛ بإزالة الموانع التي تمنع العبد؛ من شعوره بأوقات تقريبات الحق تعالى لتؤدّى الأعمال الصالحة فيها على ضرب من رائحة الكمال،

---

(١) سنن الترمذي (٢/ ١٧٧).
(٢) مسلم (٢/ ٩٢٤).
(٣) سنن الترمذي (٢/ ١٧٧).
(٤) الترغيب والترهيب (٢/ ١٩٦).
(٥) سنن الترمذي (٢/ ١٧٧).

والموانع: كل ما يحجبُ العبد عن الله تعالى من سائر أنواع المعاصي صغيرها وكبيرها.

فتمام الأعمال بحضور العبد فيها مع الله تعالى، فإذا لم يحضر فيها مع الله فهو دليل على نقص إيمانه.

ووالله! لقد فاز أهلُ الله تعالى بمجاهدتهم لنفوسهم، حتى لم يَبْقَ لهم مانع يمنعهم من القرب من الله تعالى في ليل أو نهار. ووالله! لو سجدوا على الجمر ما أدوا شكر الحق تعالى، على إذنه لهم في القرب منه لحظة واحدة في عمرهم، وكذلك لو فعل التلامذة من الاحترام ما فعلوا، ما قاموا بواجب حق أساتذتهم في إرشادهم إلى إزالة جميع تلك الموانع؛ التي تمنعهم من القرب من الله عز وجل.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن غريب صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيامٍ العملُ الصالح فيهن أحبُّ إلى الله من هذه الأيام العشر» فقالوا: يا رسولَ الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «ولا الجهادُ في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجعْ من ذلك بشيء»(١).

٩٨/٨ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نستعدَّ لوقوف عرفة بتلطيف الكثائف، وإزالة الحجب المانعة من قبول الدعاء من الغذاء الحرام، والثياب الحرام، ومن وجود غلّ، أو حقد، أو حسد في القلب لأحدٍ من المسلمين، فإن تلك مواضعُ ذلٍّ وانكسار، وبكاء وعويل، وأكلُ الحرام، ولبسُه يقسّي قلب العبد.

ومن أعظم دواء لحصول رقة القلب: الجوع الشرعي يوم التروية وليلة عرفة، وهذا أمر قلَّ من يتنبه له من الحجاج، فيأكل أحدهم اللحم والطعام

---

(١) سنن الترمذي (٢/ ١٢٩).

حتى يشبع، ويطلب رقة قلبه يوم عرفة فلا يقدر، ويريد يبكي على ذنوبه فلا يقدر.

ثم مما لا يخفى عليه يا أخي! تحريم رؤيتك نفسك على أحد من الخلق في عرفات؛ لأنه موقف لا يناسبه إلا الذُّلُّ والمسكنة، فمتى رأيت نفسَك على أحد هناك، فربما حرمت المغفرة، ورجعت بدونها عقوبة لك.

وينبغي للعاقل مراعاة هذا الأدب في كل مجمع، ومجمع عرفة أشد من غيره، فإن أي مجمع لا يخلو غالباً من وليّ مستور يحضر فيه مع الناس يُغْفَر لهم بسببه، حتى قال بعضُ العارفين: لا يجتمعُ ثلاثة قطُّ (أي: على طاعة) إلا وفيهم وليٌّ لله تعالى، أو وليّة.

فكل من رأى نفسه على أحد، فقد أذنب ذنب إبليس؛ الذي طرده الله، ولعنه بسببه، والله غفور رحيم.

روى أبو يعلى، والبزار، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحه، واللفظ له، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة» قال: فقال رجل: يا رسول الله! هنَّ أفضلُ أم من عدَّتهن جهاداً في سبيل الله؟، قال: «هن أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي، جاؤوني شعثاً، غبراً، ضاحين، جاؤوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم يُر يومٌ أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة»[1].

وروى مالك والبيهقي عن طلحة بن عبيد الله بن كُرَيز رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر، ولا أدحرُ، ولا أحقرُ، ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يرى فيه من تنزُّل الرحمة،

---

(١) الترغيب والترهيب (٢/ ٢٠٢).

وتجاوزِ الله عن الذنوب العظام، إلا ما رأى يوم بدر، فإنه رأى جبرائيل عليه السلام يزع الملائكة»[1].

٩/٩٩ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نأتي بالمناسك كلها كما وردت، فنقدِّم ما قدَّم ﷺ، ونؤخِّر ما أخَّر، ولو خيّرنا ﷺ اخترنا الكيفية التي فعلها هو في حجة الوداع، وهي معروفة في كتب الأدلة، سواءٌ عقلنا الحكمة في التقديم، أم لم نعقلها، فلا يقال: لأي شيء إذا دخل الحجاج مكة طافوا بالبيت، ثم يخرجون إلى عرفات التي هي طرف الحرم، ثم يرجعون ثانياً؟ لأنا نقول: إنما نفعل ذلك اقتداء بأبينا آدم عليه السلام لما حج من الهند، فكان اقتداؤنا به في الخروج من الحرم إلى خارجه، ثم دخولنا ثانياً أولى، مع أن العقل يقتضي بأن من وصل إلى حضرة الملك من أي طريق كان، لا معنى لخروجه، ثم دخوله ثانياً؛ لأن الكعبة هي المقصود الأعظم، مع أنا لم نعقل ذلك إلا بأمر الشارع لا بعقولنا.

ومن رحمة الله تعالى، وشفقته بعباده: أنه أذن لهم أن يدخلوا مكة قبل الوقوف؛ لما علم عندهم من شدة الشوق؛ ليحصل لهم التبريد لبعض أشواقهم، لا من كلها؛ إذ الحق تعالى لا يُبْدِي لهم ما يطيقون من عظمته، ويخلع عليهم الخلع، إلا إن وقفوا بعرفة أولاً، ثم بالمزدلفة ثانياً، ثم بمنى ثالثاً، فلا يزال العبد يتقرب إلى مكة، وهو يزداد تعظيماً لله تعالى حتى يدخل مكة والحرم، فهناك يعرف كل أحد ربه بقدر مقامه، فربما يكون أعلى مقام لنا في التعظيم يستغفر منه قوم آخرون.

فَدُرْ يا أخي! مع السنّة؛ فإن الله تعالى إنما جعل الأجر، والثواب، والدرجات لمن كانت أعماله تبعاً لما شرعه تعالى، ومن طلب القرب من الله من غير باب ما شرعه الله، لم يزددْ من الله إلا بعداً، وعليه أن يطلبَ الحكمة

---

(١) المصدر السابق.

من الله تعالى، فإذا أطلعه الله تعالى عليها، رأى أن ما فعله الحقُّ بعباده أكمل في وجوه المعارف.

أخرج المنذري في «الترغيب والترهيب» عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى، فيما يرويه عن ذي النون المصري، أنه سئل عن الوقوف بالجبل (أي: عرفة) ولم لم يكن في الحرم؟ قال: لأنَّ الكعبة بيت الله، والحرم باب الله، فلما قصدوه وافدين، أوقفهم بالباب يتضرعون؟ قيل: فالوقوف في المشعر الحرام؟ قال: لأنه لما أذن لهم بالدخول إليه وقفهم بالحجاب الثاني، وهو المزدلفة. فلما أن طال تضرعهم أذن لهم بتقريب قربانهم بمنى. فلما أن قضوا تفثهم، وقرَّبوا قربانهم، فتطهّروا بها من الذنوب التي كانت عليهم، أذن لهم بالزيارة إليه على الطهارة. قيل: فمن أين حُرِّم الصيام أيام التشريق؟ قال: لأن القوم زوَّار الله، وهم في ضيافته، ولا يجوز لضيف أن يصومَ دون إذن من أضافه. قيل: فتعلق الرجل بأستار الكعبة لأي معنى هو؟ قال: هو مثل الرجل بينه وبين صاحبه جناية، فيتعلَّق بثوبه، ويتنصَّل إليه، ويتخدَّع له، ليهب له جنايته[(١)].

١٠٠/ ١٠ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نبادر لرمي الجمار إيماناً؛ حتى تنكشف لنا حكمتها جهاراً ولذلك قال ﷺ لمن قال له: يا رسول الله! ما لنا في الجمار؟ فقال: «تجد ذلك عند ربك أحوج ما تكون إليه» لما علم أن السائل لا يتعقَّل حكمتها، وربما امتحن الحق تعالى عباده في أمرهم بما لا يتعقلون حكمته كرمي الجمار، وتقبيل الحجر الأسود، وكإضافته إلى نفسه تعالى ما يحيله العقل بدليله، كالنزول إلى السماء الدنيا، وغير ذلك من آيات الصفات وأخبارها؛ لينظر كيف يعملون، هل يؤمنون بما أضافه الحق تعالى لنفسه على ألسنة رسله، وإن لم يتعقّلوه، أم يردون ذلك على الرسل، أو يقبلونه لكن بعد تحريفه بالتأويل عن مواضعه، فيفوتهم الإيمان الكامل؟ كما يقع فيه غالب الناس، فيخافون أن يكذّبوا الرسل

---

(١) الترغيب والترهيب (٢/ ٢٠٦).

فتضرب أعناقهم، ويخافون أن يقبلوا آيات الصفات على ظاهرها فيقعون في التشبيه، فلذلك رأوا التأويل أحسن عندهم؛ لأنه طريق وسطى بين طريقين، وإنما قلنا: فاتهم كمال الإيمان دون فوات الإيمان كله؛ لأنهم لولا آمنوا ما اشتغلوا بتأويله، ولكانوا يرونه لغيرهم.

فاعمل يا أخي! بأوامر الحق على الوجه المشروع، سواءٌ أعقلت معناها، أم لم تعقل.

روى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سأل رجلٌ النبي ﷺ عن رمي الجمار ماله فيه؟ فسمعته يقول: «تجد ذلك عند ربك أحوج ما تكون إليه»(١).

وروى البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما من حديثه: «وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات»(٢).

١٠١/ ١١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نحلقَ رؤوسنا، أو نقصّر في النسك، ويكون معظم قصدنا بذلك: أن نحصل دعوة النبي ﷺ لنا بقوله: «اللهم اغفر للمحلِّقين».

قال الشعراني رحمه الله تعالى: قال شيخنا: والحكمة في إزالة الشعر بالحلق أو التقصير: أنه شرع لكونه مأخوذاً من الشعور، فكان الحلق إشارة إلى زوال الشعور، وحصول العلم؛ إذ الشعر حجاب على الرأس.

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم ارحم المحلِّقين» قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «اللهم ارحم المحلِّقين» قالوا: والمقصِّرين يا رسول الله؟ قال: «والمقصِّرين»(٣).

---

(١) معجم الطبراني (١٢/٣٠٦).
(٢) الترغيب والترهيب (٢/٢٠٦).
(٣) بخاري (٢/٢٠٣).

قال مالك بن أبي ربيعة: وأنا يومئذ محلوق الرأس، فما يسرّني بحلق رأسي حمر النعم.

١٠٢/ ١٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نتضلَّع من شرب ماء زمزم مدة إقامتنا بمكة؛ امتثالاً لقول السائب رضي الله عنه: اشربوا من سقاية العباس، فإنه من السُّنَّة، وتأسِّياً بفعله ﷺ، وفعل الأنبياء قبله، والأولياء والصالحين إلى وقتنا هذا. وماء زمزم لما شرب له.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وشربت من ماء زمزم في سبع وخمسين حاجةً لي ولإخواني، فقضى الله جميع ما كان منها من حوائج الدنيا، ونرجو من كرم الله قضاء الحوائج الأخروية؛ فإن قضاء حوائج الدنيا عنوان للآخرة، ومن جملتها: دبيلَةٌ كانت طلعتْ بجنبي قدر البطيخة تحت طبقات الجلد، وكان حكماء مصر أجمعوا كلهم على أن يشقوا جنبي، ويخرجوها منه، فشربت ماء زمزم للشفاء منها، فألقى الله تعالى في باطني ناراً ثلاثة أيام حتى طبختها، وقتلتها، فنزلت في منزل خُلَيص كمشيمة البهيمة، سوداء كالزفت الأسود، وحصل لي عندها من الطلق كما يحصل للمرأة، فعوفيت منها ببركة شربي من ماء زمزم، وعلمتُ صحة الحديث الوارد في شربها، والله هو الشافي؛ فإن الماء بطبعه لا يفعل مثل هذه الأفاعيل كلها، فاشرب يا أخي! من ماء زمزم، وقدِّمه على مياه المطر وغيرها، فإن عذوبته حلاوة في إيمانك، وشفاء لأمراضك.

روى الطبراني، ورجاله ثقات، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير ماء على وجه الأرض: ماء زمزم، فيه طعام من الطعم، وشفاء من السقم. . .» الحديث[1].

وروى الطبراني، ورجاله ثقات، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

---

(١) معجم الطبراني (١١/ ٨١).

كنا نسميها شَبّاعة يعني: زمزم وكنا نجدها نعم العون على العيال[1].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا شرب ماء زمزم قال: اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء.

١٠٣/ ١٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نكثر من الصلاة في مسجد مكة والمدينة؛ لما ورد في ذلك من الفضل، فإن الشارعَ ﷺ إنما بيَّن لنا فضلَ هذين المسجدين؛ لنستغنم الصلاة فيهما مدة إقامتنا هناك، لا سيما إن زادت الصلاة في الخشوع هناك، كما هو الغالب، فيجتمع للمصلي شرف البقعة وشرف الزمان.

والصلاة خير موضوع؛ لأن فيها عمل جميع البدن، فيكون معظم عملنا الصلاة والطواف. ومن كانت الدنيا أكبر همه هناك، حرم الخير؛ لكون القلب ليس له اشتغال إلا بأمر واحد متى توجَّه إليه حجب عن غيره، والحكم للأغلب من الأمرين.

وهذا العهد يخلُّ به كثير من المقوِّمين الذين يأتون بالحجاج، المعتمرين إلى الأماكن المقدسة، فلا يتهنأ أحدهم بطواف بل، ولا بصلاة الجماعة، فيصير في النهار غافلاً، وبالليل نائماً، وربما صلى الصلاة منفرداً، ففاته خير كثير.

روى مسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ، قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[2].

وروى أحمد عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام،

---

(١) معجم الطبراني (١٠/ ٢٧١).

(٢) مسلم (٢/ ١٠١٢).

وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه»[1].

١٠٤/ ١٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نشتكي أحداً من أهل المدينة المشرفة، ولا نخيفه ولو بحق لنا؛ إكراماً لرسول الله ﷺ؛ لكون جميع أهل المدينة جيرانه.

وهذا العهدُ يخلُّ به كثير من الزوار فمثلهم سافروا ليربحوا فخسروا؛ لإخلالهم بالتعظيم لمن الوجود كله في بركته ﷺ.

ومن حقّق النظر وجدَ جميعَ أهل المدينة من حرّ وعبد، وصغير وكبير، كلهم جالسين في داره ﷺ، وكيف يؤذي الإنسانُ مَن هو جالسٌ في دار رسول الله ﷺ، ويشتكيه؟!.

فالزم الأدبَ مع رسول الله ﷺ، وأولاده، وأصحابه، وجيرانه، ولا تظهر الخصومة، والعصبية، وبخاصة إذا كنت ظالماً.

روى البخاري ومسلم عن سعد رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «لا يكيد أهلَ المدينة أحدٌ، إلا إنماع كما ينماعُ الملح في الماء»[2].

وروى الطبراني عن السائب بن خلاد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «اللهم مَن ظلم أهل المدينة، وأخافهم، فأخفه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[3] أي: لا فرضاً ولا نفلاً، وقيل غير ذلك.

* * *

---

(١) الترغيب والترهيب (٢/ ٢١٤).

(٢) بخاري (٣/ ٢٦).

(٣) معجم الطبراني (٦/ ١٠١).

# كتاب: الإعداد والاستعداد

١٠٥/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نتعلم الرمي وفنون القتال لنكون مستعدين لرد العدوّ عن نفوسنا، وأموالنا، وعيالنا، وجيراننا، سواء كان العدو غازياً، أو باغياً، أو قاطع طريق، ويقبح بمن أعطاه الله تعالى قوة أن يبخل بها، ولا يتعلم كيفية الدفاع عن النفس، فربما خرج عليه بعضُ اللصوص، فهتك حريمه، أو أخذ ماله، أو قتله، أو جرحه.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القويُّ خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير احرصْ على ما ينفعك، واستعنْ بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان»[١].

١٠٦/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نسأل ربنا أن نموت شهداء في سبيل الله لا على فرشنا، فإن لم يحصلْ لنا مباشرة ذلك، حصل لنا النية الصالحة، وربما ترجَّح على ثواب من باشر الجهاد حتى قتل؛ لغلبة ما يطرق المجاهدين من حب الرياء والسمعة.

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٥٢).

ومَن نوى ولم يباشر الجهاد حتى مات على فراشه ربما أعطاه الله تعالى ذلك الأجر كاملاً من غير مناقشة، كما ورد مثل ذلك فيمن عزم على قيام الليل، فلم يفق إلى الصباح.

وقد وسَّع الله تعالى على هذه الأمة بإعطائهم الأجر بالنية الصالحة، فكلٌّ فعل لم يقسم الله تعالى لهم مباشرته يحوزن فضله بالنية.

قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى». لم يقل: وإنما لكل امرىء ما عمل، مع أن النية أيضاً عمل قلبي. فانوِ فِعْلَ كل خير بنية جازمة، فإذا لم يحصل لك فِعْله، حصل لك أجره من حيث النية.

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب الشهادة صادقاً أُعطيها، ولو لم تصبه»[1].

وروى مسلم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازلَ الشهداء، وإن مات على فراشه»[2].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يَغْزُ، ولم يُحدِّث به نفسه، مات على شعبة من نفاق»[3] قال عبد الله بن المبارك: فنُرى أن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ.

١٠٧/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: إذا لم يقسم لنا الجهاد في سبيل الله؛ أن نتلقّى الأمور التي تلحقنا بالشهداء في الثواب الأخروي بمنتهى الرضا، فإن لم يتيسر فبالصبر، وليس بعد الصبر إلى السخط. ويحتاجُ من يريد التخلقَ بهذا العهد إلى جليس صالح، لا يزال معه يصبِّره ويجلِّده، حتى يوصله إلى الرضا عن الله تعالى.

---

(١) مسلم (٣/١٥١٧).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

فعلم أن البلاء ثلاث مراتب: سخط، وصبر، ورضا، والرضا عن الله تعالى لا يخلو من كراهة خفية؛ لأن في كل إنسان جزءاً يكره المرض، ولا يخرج عنه أبداً، وجزءاً يختار خلافَ ما اختار الله، ولا يخرج عنه أبداً، وجزءاً يحب الدنيا ولا يكرهها أبداً، وما خرج عن ذلك سوى الأنبياء؛ لأن الله تعالى طهَّر طينتهم من النقائص بسابق العناية، ومن هنا عُصِموا دون غيرهم.

فاخرج من رعونات نفسك لتتلقّى أقدار سيدك بالانشراح والرضا ظاهراً، واستغفر من الجزء الخفي الذي فيك؛ الذي يكره أقدار سيِّدك.

قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: إنما خاف الأكابر من المرض؛ لما يطرق المريض من كراهيته ومن السخط.

وقال أيضاً: رجال البلاء إنما هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ووالله! ما أدري ماذا يقعُ مني لو ابتليت، فلعلي أكفر ولا أشعر.

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تعدُّون الشهيد فيكم؟» قالوا: يا رسول الله! من قُتِل في سبيل الله فهو شهيد. قال: «إن شهداء أمتي إذاً لقليل».

وقال عليه الصلاة والسلام: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغَرِق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله عز وجل»[1].

المطعون: الذي يموت في الطاعون، المبطون: الذي يموت بالإسهال، الغَرِق: الذي يموت في الماء، صاحب الهدم: الذي يموت تحته. والتي تموت وولدها في بطنها شهيد، والنفساء شهيد، والحرق شهادة، وذات الجنب شهادة، والسل شهادة، ومن قتل دون ماله فهو شهيد،

---

(١) مسلم (٣/١٥٢١).

ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون ماله مظلوماً فهو شهيد.

١٠٨/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نعلِّم أولادنا وعيالنا القرآن، ونأمرهم أن يعلِّموه لغيرهم، ولا يقولوا لمن طلب منهم التعليم: ما نحن فارغين، فإن ذلك من أعظم القربات.

واعلم أن الله تعالى ما أمرنا بتعليم القرآن والعلم للناس إلا طلباً للأجر الأخروي، فمن خفَّ عليه تعليمه للناس بلا أجر دنيوي، فهو كامل الإيمان، ومن أحسَّ بثقل إذا علَّمه بغير أجر، فهو رجل دنيا، وأجره في الآخرة قليل.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: الحكم في جميع الأعمال الصالحة لغلبة الباعث، فمن غلب عليه تلاوة القرآن لدنيا يصيبها حبط عمله المذكور، أو للأجر الأخروي فلا حبوط.

قال: ومن أراد أخذ الأجرة على القرآن أو العلم من غير نقص الأجر في الآخرة، فليعقد نيته على تلاوته تقرّباً إلى الله تعالى، ثم يأخذ الأجر المعطى على تلاوته؛ على نية أن ذلك ابتداء عطاء من الله تعالى، لا لأجل قراءة القرآن أو العلم.

ولتعلمْ أنَّ الله تعالى ما أعطى كتابه، وسُنَّة نبيه لعباده إلا ليعملوا بهما، ويعلِّموهما الناس.

روى البخاري وغيره عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلّم القرآن، وعلّمه»[١].

١٠٩/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نستعد بالطهارة لقراءة القرآن، ونأمر أصحابنا بذلك بنية تعظيم كلام الله عز وجل، ونية

---

(١) بخاري (٦/ ٢٣٦).

سجود التلاوة إذا قرأنا آية سجدة، أو سمعناها، وإذا قرأنا القرآن حسَّنَّا أصواتنا به، وتعاهدنا المحفوظ منه بمذاكرته لكي لا يتفلَّت منَّا، واقرأ من القرآن كل يوم جزءاً حتى تمر على القرآن في كل شهر مرة، كما أمر رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص، أو اقرأ ما ندبك الشارع ﷺ إلى قراءته.

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن، كمثل صاحب الإبل المعقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت»[1].

وروى أيضاً عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده! لهو أشد تفصّياً من الإبل في عُقُلها»[2].

وروى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيٍ أن يتغنى بالقرآن»[3].

٦/١١٠ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نداوم على الإكثار من ذكر الله تعالى سراً وجهراً، ولا نترك الذكر لفظاً إلا إذا حصلت لنا ثمرته، التي هي دوام القرب من الله في جميع أحوالنا.

وكذلك ينبغي لنا أن نحثّ المترددين إلينا على حضور مجالس الذكر، فإن ذكر الله تعالى من أعظم القربات، والشيطان يقعدُ لكل مريد للذكر على طريقه حتى يصرفه عنه. لكن الحق أحق أن يتبع، فلا ينبغي لعاقل أن يجهر بذكر الله تعالى في مسجد؛ إلا إذا لم يشوِّش على نائم، أو مصلٍّ، أو مدرس لعلم، فإن احتفَّت القرائن في إخلاص الذاكرين لله تعالى نصرناهم، أو

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

بإخلاص المطالع للعلم نصرناه. ويحتاج من يمشي بين هؤلاء إلى نور عظيم، وسياسة عظيمة.

وينبغي لطالب العلم إذا اعترض على الذاكرين أن يتلطف معهم في العبارة، ولا يقوم عليهم كقيامه على من يخرجه من الدين، بل فعله ذلك هو الذي ينكر؛ لأنه كالمنع من الدين، ولو استحضر عظمة الله تعالى لما استطاع أن ينطق بكلمة في حقِّ أحدٍ من الذاكرين.

فلازمْ يا أخي! على الذكر، وانصرْ أصحابه بالطريق الشرعي إكراماً لله تعالى، وتعظيماً له. وإن احتفَّت قرائن الرياء، وعدم الإخلاص في الذاكرين، فانصرْ طلبة العلم المخلصين، ولا تكن مع الذين ينصرون أحد الفريقين بحظ النفس، والله يتولّى هداك.

قال المرصفيُّ رحمه الله تعالى: مراد الشارع ﷺ، والمشايخ من مريدهم إذا أكثر من ذكر الله باللسان والقلب، أن يحصل له الأنس، ويصير قلبه لا يغفل، ولا يتكلَّف للذكر، بل يكون الحق مشهوده على الدوام، تارة يشهد بقلبه، وتارة يشهد أنه قريب من الله، وأن الله يراه، وكلا الحالين إذا دام يمنع العبد من وقوعه في المعاصي، وسوءِ الأدب مع الله تعالى، وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأُنس، بل يقع في كل معصية كالبهائم السَّارحة.

وقال أيضاً: مِن خاصِّيَّة تمكُّن الذكر من القلب؛ أنه يهذِّب أخلاقَ صاحبه، فمن لم يتهذَّب فكأنه لم يذكر.

فهذا مقصودُ الشارع والأشياخ بأمرهم المريد بإكثاره من الذكر.

وقال الخوّاص رحمه الله تعالى: ما ثَمَّ كرامةٌ للعبد أفضل من ذكر الله تعالى؛ لأنه يصير جليساً للحق كلما ذكر.

وقد أدمن مريدٌ على ذكر الله تعالى سنة كاملة، فما رأى نفسه وقعت له

كرامة، فذكر ذلك لشيخه فقال: أتريد كرامةً أعظم من مجالسة الحق؟! ثم قال: ما رأيت أكثف حجاباً منك، لك في الكرامة العظمى سنة كاملة، ولا تشعر بها؟!.

روى الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرَّب مني شبراً تقرَّبت إليه ذراعاً، وإن تقرَّب إليَّ ذراعاً تقرَّبت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»(1).

وروى أحمد والطبراني عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي المجاهدين أعظم أجراً؟ قال: «أكثرهم لله ذكراً» ثم ذكر الصلاة، والزكاة، والحج، والصدقة، كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول: «أكثرهم لله ذكراً» فقال أبو بكر الصديق لعمر رضي الله عنهما: يا أبا حفص! ذهب الذاكرون الله بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: «أجل»(2).

روى الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس يتحسَّر أهلُ الجنة إلا على ساعة مرَّت بهم لم يذكروا الله فيها»(3).

قال الشعراني رحمه الله تعالى:

ولا يخفى أن محل أفضلية الذكر على غيره ما إذا تعلَّم العلم، وعرف أمور دينه كلها؛ إذ الذاكر جليس الحق، ولا ينبغي مجالسته إلا بعد التضلُّع في أحكام الشريعة، ويصير عنده علم بشروط جميع العبادات وآدابها، وهناك يصلح لمجالسة الملك، فإن الشريعة حكمها السبيل لمجالسته

---

(1) مسلم (٤/ ٢٠٦١).
(2) معجم الطبراني (٢٠/ ١٨٦).
(3) معجم الطبراني (٢٠/ ٩٤).

سبحانه وتعالى، ومن هنا قالوا: يجب على العبد أن يقدِّم العلم المتعلق بأدب الملوك على مجالستهم، ومن جالسهم بلا أدب، فهو إلى العطب أقرب. والله تعالى أعلم.

١١١/٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نحفظ لساننا في كل مجلس نجلسه عن كلام اللغو، والفحش ما أمكن، وإن وقعنا في ذلك، فلا ننصرف حتى نذكر الله تعالى بما ورد أنه يُكفِّر ما وقع في المجلس، وذلك أن الملك لا يكتب ما عمله العبد من السيئات إلا بعد ساعة أو ثلاث ساعات كما ورد، فإن استغفر لم يكتبها، وإن لم يستغفر يكتبها، وهذا من جملة رحمته تعالى بعباده من حيث كون رحمته، وحلمه سبق غضبه وانتقامه.

فإذا وقع العبد في معصية تتسابق إليه أسماء الرحمة والانتقام، ومعلوم أن أسماء الرحمة أسبق، فتأتي أسماء الانتقام، فتجد أسماء الرحمة قد سبقتها إلى محلِّ الانتقام، فرجعت أسماء الانتقام بلا تأثير، فالحمد لله رب العالمين.

وكان الشيخ محمد بن علي بن عربي رحمه الله تعالى يقول: إذا عصيت الله في أرض فلا تفارقها حتى تعمل فيها خيراً، كقولك: لا إله إلا الله، أو سبحان الله، أو الحمد لله، فكما صارت البقعة تشهد عليك، كذلك صارت تشهد لك يوم القيامة، والله يحفظ من يشاء كيف يشاء.

روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: كلماتٌ لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كُفِّر بهن عنه، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم له بهنَّ عليه، كما يختم بالخاتم على الصحيفة: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك، وأتوب إليك[1].

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٦٤).

وروى أيضاً عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول بأَخَرَةٍ إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك» فقال رجل: يا رسول الله! إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى، قال: «كفَّارةٌ لما يكون في المجلس»[1].

١١٢/٨ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نتحفظ من الشيطان كلما نريد النوم، وذلك بالنوم على طهارة باطنة وظاهرة، وبقراءة الأذكار الواردة في ذلك، فإن من نام على حدث، وعدم قراءة أذكار، فمن لازمه عدم مفارقة الشيطان له، فلا يزال يوسوسُ له بكثرة النوم، ويريه المنامات الرديئة ليحزنه حتى يستيقظ، فاعمل يا أخي! بالأذكار الواردة عند النوم، ونَمْ على طهارة إن أردت الحفظ من الشيطان.

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصقْ عن يساره ثلاثاً، وليستعذْ بالله من الشيطان ثلاثاً، وليتحوَّل عن جنبه الذي كان عليه»[2].

وروى أيضاً عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا الصالحة من الله، فإذا رأى أحدُكم ما يحبُّ فلا يحدِّث بها إلا من يحب، وإن رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثاً، وليتعوَّذ بالله من شر الشيطان وشرِّها، ولا يحدِّث بها أحداً فإنها لن تضرَّه»[3].

١١٣/٩ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: إذا حصل لنا قلة نوم، وسهر مفرطٌ؛ لقلة رطوبات البدن، أو لخوف، أو لكآبة، ونحو ذلك: أن نتداوى بالأذكار الواردة في ذلك قبل التداوي.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مسلم (١٧٧٣).

(٣) المصدر السابق.

وقلة النوم تقعُ كثيراً عقب المرض الطويل، فلا يكاد ينام، ويحصل له بذلك ضرر شديد، فلا ينبغي لمسلم أن يترك التداوي بالذكر، ثم التداوي بما يتداوى به الناس.

والإكثار من ذكر الله يورث الأنس به، والأنس به يزيل الوحشة والخوف والكآبة، فاعمل أيها المسلم على جلاء مرآة قلبك حتى لا تصير تخاف أحداً إلا الله؛ وذلك بقراءة الأوراد الواردة في عمل اليوم والليلة.

روى الترمذي وقال حديث حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فزع أحدكم في النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون فإنها لن تضره»[1] فكان عبد الله يُعلِّمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها كتبها له، فعلَّقها في عنقه.

وروى الطبراني عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: كنت آرق من الليل، فقال لي النبي ﷺ: «ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن نمت؟! قل: اللهم رب السموات وما أظلَّت، ورب الأرضين وما أقلَّت، ورب الشياطين وما أضلَّت، كنْ لي جاراً من شر جميع الجن والإنس وأن يفرط عليَّ أحد منهم، أو أن يؤذيني، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك»[2].

١١٤/ ١٠ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نواظبَ على الأذكار الواردة في دخول البيت والمسجد، والخروج منهما امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، مع ما في ذلك أيضاً من المصلحة لنا في الدنيا والآخرة.

فإن رسول الله ﷺ أشفقُ على كل مسلم ومسلمة من والديه، فلا يأمره

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٢٠٠).

(٢) معجم الطبراني (٤/ ١١٥).

إلا بما فيه حفظه من الآفات، فالله تعالى يجعلنا وإخواننا ممن سلَّم قياده للنبي ﷺ في كل أمر.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح غريب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال يعني: إذا خرج من بيته: «بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كُفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان»[1].

وروى أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم عن جابر رضي الله عنه؛ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا دخل الرجلُ بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء ها هنا، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله، قال: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر اسم الله عند مطعمه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[2].

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أنس بن مالك: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني! إذا دخلتَ على أهلك فسلِّم عليهم، فيكون بركة عليك وعلى أهل بيتك»[3].

١١٥/ ١١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نستعيذَ بالله، ونستعدَّ للشيطان باستعمال ما يبعده منا خوف الوسوسة المُضِرَّة في إيماننا وأعمالنا، وذلك بالزهد في الدنيا، وتركِ التعلق بها، فإن من لم يقللْ من تعلُّقه بالدنيا غرق في شهواتها، ومتى غرق في شهواتها لم يعرفْ طريقَ الآخرة، ومثله يركبه الشيطان، ويتصرف فيهم كيف شاء.

ومتى خرج المستيقظ من حضرة الإحسان، وهي شهود أن الله يراه،

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ١٥٤).
(٢) مسند أحمد بشرح البنا (١٤/ ٢٥٥).
(٣) سنن الترمذي (٥/ ١٥٤).

ركبه إبليس لأنه واقف على الباب على الدوام، ولا يمكنه الدخول أبداً، فهو الوسواس الخناس، يخنس إذا كان المسلم ذاكراً حاضراً له، فإذا غفل، التهم قلبه، وجعل يوسوس له. فطَرْدُ إبليس إنما هو دخول حضرة الإحسان اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهذا لا يتم إلا بالزهد في الدنيا وترك التعلق بها، فمن أحب التعلق بالدنيا زوَّجها إبليس له لأنه وليُّها. نعم تُطلب الدنيا لتُعين على عبادة الله، وليتكفَّف المرء بها عن الحاجة إلى غيره، ولينفقها على عياله، والفقراء، والمساكين، دون أن تجرَّه إلى أكل الشبهات، أو أكل الحرام، فإذا جرَّته إلى الشبَه، والمحرمات، فليتركها؛ فإنه لا ينال ما عند الله تعالى بمعصيته، فإن لم يفعل فقد فتح باباً للشيطان يدخل عليه يوسوس له؛ حتى يشككه في إيمانه.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناسُ يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله»[(١)].

وروى مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إنَّ الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، يَلْبِسُها عليَّ. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له خِنْزَب، فإذا أحسسته فتعوَّذ بالله منه، واتْفُلْ على يسارك ثلاثاً» قال: ففعلتُ ذلك، فأذهبه الله عني[(٢)] والله تعالى أعلم.

١١٦/ ١٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نكثر من الاستغفار ليلاً ونهاراً، سواء استحضرنا ذنوبنا أم لم نستحضرها.

وهذا العهد يخلُّ به كثير من المسلمين الذين لم يتلقوا دينهم على أيدي

---

(١) مسلم (١/ ١١٩).
(٢) مسلم (٤/ ١٧٢٩).

العلماء العاملين، فيزيّن لهم الشيطان أنهم صاروا موحِّدين، لا فِعْل لهم مع الله تعالى، فلا يكاد أحدهم يستحضر له ذنباً يستغفر الله منه، وربما قال في نفسه بعيدٌ أنّ مثلي يُعذِّبه الله، ولو كشف الله عن بصيرته، كما كشف للعارفين، لرأى أنه قد استحق الخسفَ به في الدنيا، ودخول النار في العقبى، وكم وقع العبد في ذنب فنسيه، وسيبدو له ذلك يوم القيامة.

فأكثر يا أخي! من الاستغفار، فقد كان الخوّاص رحمه الله تعالى أستاذ الشعراني رحمهما الله تعالى يتفقد أعضاءه من رأسه إلى قدمه كل يوم صباحاً ومساءً، ويتوب إلى الله تعالى من جناية كل عضوٍ ذلك اليوم، أو تلك الليلة، لا سيما الأذن، والعين، واللسان، والقلب، ويقول: إن الاستغفار يطفىء غضب الجبار تعالى، ومن قال: أستغفر الله لم يبق عليه ذنب إن شاء الله، لا سيما إن تقدم في العمر، وضاق عمره عن العمل الصالح ما بقي له شيء أنفعَ من الاستغفار، وقال رحمه الله تعالى أيضاً: ما توقف عن أحد حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا من تركه الاستغفار قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ١١/ ٣] الآية.

وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠/ ١٢].

والمجرَّب أن كل من أحكم سدَّ باب جملة المعاصي لم تردَّ له دعوة؛ لأنه يصير كالملائكة.

فلا تقع يا أخي! في المعاصي، وتطلب إجابة دعائك؛ فإن ذلك لا يكون، وإن كان فهو استدراج، فكما دعاك الحق إلى طاعته فلم تجبه، كذلك دعوتَه فلم يستجبْ لك. وكما أسرعتَ إلى طاعته حين دعاك إليها، كذلك أسرع الحق بإجابتك على الفور جزاءً وفاقاً.

وتقدمت وصية أبي النجا لأصحابه وهو محتضر: اعلموا أن الوجود كله يعاملكم على حسب ما برز منكم، فانظروا كيف تكونون.

وقد صرنا في زمان علامات الساعة، وهو القرن الخامس عشر الهجري، صاحب الفتن والمحن، وبرزت علامات الساعة على كواهلنا شئنا أم أبينا، فلا في يدنا رفعُ التقدير عنا، ولا في يدنا دفعُ الجزاء عنا، ومع ذلك فنقول: أستغفر الله العظيم امتثالاً لأمر الله تعالى، ومن لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، ووالله! لو جلس الواحد منا بقية عمره كله يقول: أستغفر الله، لا يغفل ساعة واحدة، لا يفي بجبر خلل معاصيه السابقة، فضلاً عن اللاحقة، والله غفور رحيم.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: يا بن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا بن آدم! لو بلغتْ ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا بن آدم! إنك لو أتيتني بِقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[1] قُرابها: مَلْؤها.

١١٧/ ١٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نحسِّن ظنَّنا بربنا، وأنه يجيب دعاءنا، ولا نترك الدعاء أبداً استناداً إلى السوابق، فإن في ذلك تعطيلاً للأوامر الشرعية. ولو تأمَّل المسلم وجد نفس دعائه من الأمور السوابق.

ونحن نعلم من ربنا جل وعلا أنه يحبُّ من عبده إظهار الفاقة والحاجة، ويثيب عبده على ذلك، سواء أعطاه أو منعه، ومن لم يطلب العلم من عالم ربما ترك الوسائل كلها، وقال: إن كان سبق لي قضاء هذه الحاجة، فلا حاجة للدعاء، وإن لم يقسم لي قضاء تلك الحاجة، فلا فائدة في الدعاء.

(١) سنن الترمذي (٥/ ٢٠٨).

وفي كتاب الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٧٧] فأخبر أن المسلم من أدبه مع الله أن يدعوه في كل شدة، ولا يعوّل على السوابق؛ فإنه لا يعلمها نفياً ولا إثباتاً. وقد دعا الأكابر من الأنبياء والأولياء ربَّهم سبحانه وتعالى، ولم ينظروا إلى السوابق، فبهداهم اقتده، والله يتولى هداك.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»[(١)].

وروى مسلم عن أبي ذرّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي! كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي! كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسُكُم. يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم»[(٢)].

١١٨/ ١٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا ندعو ربنا بدعاء مختـرَع إلا إذا لم نستحضرْ شيئاً من الأدعية الواردة. وذلك لأنَّ لفظَ الشارع ﷺ أتمّ وأكمل، ونكون به متَّبعين.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: سمعتُ سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول: من دعا الحق تعالى بدعاء شرعه أجابه الله تعالى بسرعة، ومن دعاه بدعاء مخترع لم يجبه إلا إذا كان مضطراً، ومقصده ـ والله أعلم ـ أن الدعاء كي يكون مقبولاً، ينبغي أن يكون في حال اضطرار ولو مخترعاً.

قال: فينبغي للمسلم أن يحفظ جملة من الأدعية الواردة ليدعو بها في

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٦٧).

(٢) مسلم (٤/ ١٩٩٤).

الشدائد، يتوِّج بها دعواته، وإن لم يكن من أهل الحفظ فليدعُ بأي دعاء شاء بشرط الاضطرار والاستحضار.

روى الترمذي، وحسّنه، عن بريدة رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

قال: فقال: «والذي نفسي بيده! لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى»[1].

وروى أيضاً، وقال: حديث حسن صحيح، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٢/ ١٦٣] وفاتحة آل عمران: ﴿الٓمٓ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٣/ ١-٢]»[2].

١١٩/ ١٤- أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نسأل الله تعالى شيئاً إلا بعد أن نحمد الله تعالى، ونصلِّي على النبي ﷺ، وذلك كالهدية بين يدي الحاجة. وقد قالت عائشة رضي الله عنها: مفتاحُ قضاء الحاجة: الهدية بين يديها. فإذا حمدنا الله تعالى رضي عنا، وإذا صلّينا على النبي ﷺ شفع لنا عند الله في قضاء تلك الحاجة، وقد قال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٥/ ٣٥].

وتأمّل قصور الحكام تجدها لا بد لك فيها من الواسطة الذي له قربٌ عندهم وإدلال عليهم ليمشوا في قضاء حاجاتك، ولو أنك طلبتَ الوصول إليه بلا واسطة لم تصلْ إلى ذلك. وإيضاح ذلك أن من كان قريباً من الملك، أو الرئيس، أو المسؤول، فهو أعرف منك بالألفاظ التي يخاطبون بها،

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ١٧٨).

(٢) المصدر السابق.

وأعرف بوقت عرض المسائل عليهم، ففي سؤالنا للوسائط سلوك الأدب معهم، وسرعة قضاء الحاجات، ومن أين لأمثالنا أن يعرف أدب خطاب الله عز وجل، والحديث الذي سبق هذا العهد يشير إليه، والله تعالى أعلم.

وروى الترمذي، وحسَّنه، عن فضالة بن عبيد قال: بينا رسول الله ﷺ قاعد، إذ دخل رجل فصلى، فقال: اللهم اغفر لي وارحمني. فقال رسول الله ﷺ: «عَجلتَ أيها المصلي! إذا صليت فقعدتَ فاحمد الله بما هو أهله، وصلِّ عليَّ، ثم ادعه» قال: ثم صلى رجل آخر بعد ذلك، فحمد الله، وصلى على النبي ﷺ فقال له النبي: «أيها المصلي! ادْعُ تُجَبْ»[1].

١٢٠/ ١٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نؤخِّر الدعاء بحوائجنا المهمة إلى الأوقات التي أخبر الحق أنه لا يرد فيها الدعاء، كحال السجود، وبين الأذان والإقامة، وأوقات التجلِّي الإلهي في الثلث الأخير من الليل؛ لاستدعائه تعالى منّا الدعاء فيها، وما طلب ذلك منَّا إلا وقد أراد إجابتنا، وقضاء حوائجنا، فله الفضل، وله الثناء الحسن الجميل.

ولكن يحتاجُ الداعي أن يكون متلبِّساً بآداب الدعاء، ويتحفظ جهده من أن يدعو الله تعالى في حصول شيء إلا بعد تفويض ذلك الأمر إليه، فربما سأل المسلم شيئاً فكان فيه هلاكه، كما وقع لبلعام بن باعوراء، وكما وقع لثعلبة حين قال: يا رسول الله! اسأل الله أن يكثر مالي، فكان في ذلك هلاكه، ولو أن المسلم قال: اللهم أعطني كذا، أو ادفع عني كذا إن كان فيه صلاح لي لم يهلك؛ لأنه تعالى إن أعطاه ما سأل كان خيراً، وإن منعه إياه كان خيراً، وإن دفع عنه ذلك البلاء كان خيراً، وإن لم يدفعه كان خيراً.

ومن كلام الإمام الشاذلي أبي الحسن رحمه الله تعالى: إذا خيَّرك الله تعالى في شيء فإياك أن تختار، وفِرَّ من اختيارك إلى اختياره، فإنك جاهل بالعواقب.

---

(١) المصدر السابق.

وسمعت سيدي محمد بن عنان رحمه الله يقول: من أقبح الذنوب عند الله: أن يسأل العبدُ ربَّه في حصول شيء من غير تفويض، ثم إذا أعطاه له، وحصل له منه ضجر وتعب، سأل الله تعالى أن يحوِّله عنه، فإن الحق تعالى جوده فيَّاض على عبده، وله أوقات لا يردُّ فيها سائلاً ولو كافراً، والحق تعالى ليس تحت أمرنا، ولا طاعتنا، حتى نقول له بكرة النهار مثلاً: افعل لنا كذا، ثم آخر النهار نندم، ونقول له: حوِّل عنَّا ما أعطيته لنا بكرة النهار.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى أستاذ ناصح عالم، عامل، يعلمه أدب الخطاب مع الله تعالى، فإن غاية أدب غالب الناس أن يعرفوا أدب الخطاب مع جنسهم من الخلق.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»(١).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له»(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء:

أحدهما: مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها، مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

---

(١) مسلم (١/ ٣٥٠).
(٢) مسلم (١/ ٥٢١).

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين، وجماعات من السلف، وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي؛ أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين: أحدهما تأويل مالك بن أنس وغيره رحمهم الله تعالى، معناه: تنزل رحمته، وأمره، وملائكته، كما يقال: فعل السلطان كذا؛ إذا فعله أتباعه بأمره. الثاني: أنه على الاستعارة، ومعناه: الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف(١).

١٢١/ ١٦ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نكثر من الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ ليلاً ونهاراً ونذكر لإخواننا ما في ذلك من الأجر والثواب، ونرغبهم فيها كل الترغيب، إظهاراً لمحبته ﷺ، وإن جعلوا لهم ورداً كل ليلة صباحاً ومساءً ألف مرة، كان ذلك من أفضل الأعمال.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: صلاة الله تعالى على عبده لا يدخلها العدد؛ لأنه ليس لصلاته تعالى ابتداءٌ ولا انتهاءٌ، وإنما دخلها العدد من حيث مرتبة المصلِّي؛ لأنه محصورٌ مقيَّد بالزمان، فتنزَّل الحق تعالى للعبد بحسب شاكلته، وأخبر أنه تعالى يُصلِّي على عبده بكل مرة عشراً.

والمسلم في صلاته على النبي ﷺ إنما يسأل الله تعالى أن يصلي على نبيه، دون أن يقول: اللهم إني صليت على محمد مثلاً؛ لأنه يجهلُ رتبة رسول الله ﷺ.

وتعداد الصلوات على النبي ﷺ إنما هو من حيث سؤالنا نحن الله تعالى أن يصلي عليه، فيحسب لنا كل سؤالٍ مرة. والفضل في الصلاة على النبي ﷺ لمحمد ﷺ أصالة؛ فإنه هو الذي سنَّ لنا أن يُصلَّى عليه؛ ليحصل للمصلي الصلاة من الله تعالى، فمن واظب على ما ذكرناه، كان له أجر عظيم، وهو من أولى ما يتقرب به إليه ﷺ.

---

(١) مسلم بشرح النووي (٣/ ٣٧).

فالزم الإكثارَ من الصلاة على النبي ﷺ، ولو كنت سالماً من الخطايا.

وقد حُبِّبَ لي أن أذكر لك يا أخي! جملةً من فوائد الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ، تشويقاً لك؛ لعل الله تعالى أن يرزقك محبته الخالصة، ويصير شغلك في أكثر أوقاتك الصلاة والتسليم عليه، وتصير تُهدي ثواب كل عمل عملته في صحيفة رسول الله ﷺ.

فمن ذلك ـ وهو أهمها ـ: صلاة الله وسلامه وملائكته ورسله على من صلى وسلم عليه.

ومنها: تكفير الخطايا، وتزكية الأعمال، ورفع الدرجات.

ومنها: مغفرة الذنوب، واستغفار الصلاة عليه لقائلها.

ومنها: كتابة قيراط من الأجر مثلِ جبل أحد، والكيل بالمكيال الأوفى.

ومنها: كفاية أمر الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته كلها عليه ﷺ.

ومنها: ورود الحوض، والأمان من العطش.

ومنها: رجحان الميزان في الآخرة.

ومنها: العتق من النار، والجوازُ على الصراط كالبرق الخاطف، ورؤية المقعد المقرّب من الجنة قبل الموت.

ومنها: كثرة الأزواج في الجنة.

ومنها: أنها عبادةٌ، وهي أحب الأعمال إلى الله تعالى.

ومنها: أنها علامة على أن صاحبها من أهل السنّة.

ومنها: أنها تزين المجالس.

ومنها: أنها تنفي الفقر وضيق العيش.

ومنها: أن فاعلها أولى الناس به ﷺ يوم القيامة.

ومنها: أنه ينتفع هو وولده بها وبثوابها.

ومنها: أنها نور لصاحبها في قبره، ويوم حشره وعلى الصراط.

ومنها: أنها تطهِّر القلب من النفاق والصدأ.

ومنها: أنها تُوجِب محبة المؤمنين.

ومنها: رؤية النبي ﷺ في المنام إن أكثر منها في اليقظة.

ومنها: أنها تقلِّل من اغتياب صاحبها.

وهي من أبرك الأعمال، وأفضلها، وأكثرها نفعاً في الدنيا والآخرة، وغير ذلك من الأجور التي لا تُحصى.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من صلَّى عليَّ واحدة، صلى الله عليه عشراً»[1].

وروى الطبراني عن أبي طلحة: أن رسول الله ﷺ قال: «فارقني جبريل الساعة، فقال: يا محمد! من صلى عليك من أمتك صلاة، كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات، وقال له الملك مثل ما قال لك، قلت: يا جبريل! وما ذاك الملك؟ قال: إن الله عز وجل وكَّل بك ملكاً من لدن خلقك إلى أن يبعثك، لا يصلي عليك أحد من أمتك، إلا قال: وأنت صلى الله عليك»[2].

١٢٢/ ٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نبكِّر في طلب الرزق؛ مبادرةً لقطع خاطر الاهتمام بأمر الرزق، لا حبّاً للدنيا من حيث هي دنيا، فإن في الآدميِّ جزءاً يهتم بأمر المعيشة، ويضطرب، ولا يسكن حتى يحصِّل المسلم كفايته ذلك اليوم، وقد كان السلفُ الصالح رحمهم الله تعالى

---

(١) مسلم (١/ ٣٠٦).

(٢) معجم الطبراني (٥/ ١٠١).

يفتحون حوانيتهم، فإذا ربحوا قدر نفقة ذلك اليوم أغلقوا الحانوت، ورجعوا إلى بيوتهم، أمّا في هذا الزمان فلا يتأتى الذي كان يعمله أولئك؛ لما يلزم أصحاب المحالِّ من ضرائب وغيرها، فلا بد لهم من العمل لتأمين معاشهم، والضرائب المرتبة عليهم.

والصالحون يبكِّرون للأسواق اغتناماً لدعائه ﷺ بالبركة لمن يبكر في طلب رزقه، ودعاؤه ﷺ لا يردُّ، فلا يزالون يبيعون حتى إذا آن أوانُ تعلّمهم، أو تعليمهم العلوم الشرعية، أغلقوا حوانيتهم، وأقبلوا على العلم، والتعليم، والصلاة ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٢٤/٣٧]. وكانوا ينوون إذا فتحوا محالَّهم: نفع عباد الله.

وكان الخوّاص رحمه الله تعالى إذا عرف من مشترٍ أنه لا يعتقد فيه، يرجِّح له الكيل والوزن، وإذا عرف أنه يعتقده أعطاه على تحرير الذهب، وكان إذا أخذ منه إنسان شيئاً بدرهم، وماطله، يذهب إلى داره، ويطالبه كذا وكذا مرة في اليوم الواحد، ويقول: نعظِّم حقوقَ الناس عندهم حتى لا يتساهلوا في قضائها في دار الدنيا، ونخلِّصهم بمطالبتنا لهم من مِنَّتِنا عليهم يوم القيامة إذا سامحناهم بذلك في الدنيا، ونريح أنفسنا أيضاً من رؤيتها أنَّ لها حقاً على أحدٍ من عباد الله تعالى.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن صخر الغامدي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» قال: وكان إذا بعث سريَّةً، أو جيشاً بعثهم أوّل النهار، وكان صخر رجلاً تاجراً. وكان إذا بعث تجارة بعثهم أوّل النهار، فأثرى، وكثر ماله[1].

١٢٣/٨ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتعاطى أسباب

---

(١) سنن الترمذي (٢/٣٤٣).

تعسير الرزق؛ كعدم الإيثار، وكالمعاصي الظاهرة والباطنة من زنى، وغيبة، وحقد، وحسد، وتكبّر، وفخر، وعجب، وكالنوم في الأسحار وقت تفرقة الغنائم، وكالنوم بعد الفجر حتى يتعالى النهار.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: سمعت سيدي علياً الخوّاص رحمه الله يقول: إن الله تعالى يقسم الأرزاق المحسوسة بعد صلاة الصبح والأرزاق المعنوية بعد صلاة العصر، قال: «ولذلك نُهينا عن النوم في هذين الوقتين؛ لأن فيه إظهار عدم الفاقة، وعدم الاعتناء بمشاهدة من يقسم الأرزاق من قبل الحق تعالى.

وسمعته مراراً يقول: والله! إني ليصبحُ عندي نفقة الجمعة، أو أكثر، ويكون عليَّ النوم، فلا أنام لأجل حضوري بقلبي مع الله تعالى وقت القسمة، حتى لا أظهر عدم احتياجي إلى فضله في وقتٍ من الأوقات.

ووردت أحاديث ضعيفة تحضّ على عدم النوم بعد صلاة الفجر إلى أن تطلع الشمس. وفي كثير منها أسانيدها مقال، وبعضها حسن، مثل: ما روى البزار والطبراني في الأوسط، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «باكروا الغدوَّ في طلب الرزق؛ فإن الغدوَّ بركة ونجاح».

وما روي عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نوم الصُّبحة يمنع الرزق».

وما روي عن فاطمة رضي الله عنها قالت: مر بي رسول الله ﷺ وأنا مضطجعة متصبِّحة، فحرَّكني برجله، ثم قال: «يا بنيَّة! قومي اشهدي رزق ربك، ولا تكوني من الغافلين، فإن الله عز وجل يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس»[١].

ومع هذا كله فقد روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني

---

(١) الترغيب والترهيب (٢/٥٢٩).

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسناً»[1]. أي: حتى تبيض بارتفاعها قيد رمح.

١٢٤/ ٩٦ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نجتهد في طلب الحلال لنأكلِ منه، ونلبس منه، وننفق على عيالنا وإخواننا منه؛ فإنه موجودٌ ما دام المكلَّفون في الدنيا، وإذا صدق العبد المسلم في طلب الحلال، استخرجه الله له من بين الحرام والشبهات، كما يستخرج اللبن من بين فرث ودم.

فلا تسمع يا أخي إلى قول من يقول: ما بقي في الدنيا حلال؛ فإن ذلك جهل منه، وأصل ذلك: كثرة أكله هو من الحرام والشبهات، فظنَّ أن أحداً لا يسلم من ذلك قياساً عليه هو، وغاب عنه أن الله تعالى إذا اعتنى بعبده المسلم طهَّره من الخبائث، ويسَّر له الحلال، فلولا ما سبق في علم الله تعالى من خبث نفس هذا القائل ما ساق إليه الخبيث.

قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ [النور: ٢٤/٢٦] فمن خبثت نفسه، سيقت للخبيث وسيق الخبيث لها، ومن طابت نفسه، سيقت للطيب، وسيق إليها الرزق الطيب.

فاعمل يا أخي! على إصلاح النية، واطلب الحلالَ جهدك، فإن رُزقت حلالاً فاحمد الله، وإن رُزقت حراماً فاستغفر الله وقد بذلت جهدك، فلا يبقى عليك إن شاء الله تعالى كثير لوم في الآخرة، كلوم من أرخى عنانه في أكل الحرام، ولم يجاهد نفسه، ولم يدافع الحرام، وقد كلف الله تعالى المسلم بمدافعة الحرام.

وعاشر أهل الورع من العلماء، وإياك وعشرة من لا يتورع؛ فإن صفاتك

---

(١) مسلم (١/ ٤٦٤).

قد تكون مكتسبة؛ ولذلك قالوا: إن كل شيء رأيته في جليسك ربما ينتقل إليك، ولو على طول مدة من خير أو شر، فمن خالط أهلَ الشر فكأنما تعاطى أسباب المعصية فيكون عقابه أشد عقاباً مما وقع غفلةً أو سهواً، وها أنا أعطيتك ميزاناً تعرف به أهل الورع من غيرهم، فكلّ من رأيته في المعاملة مؤدِّياً الحقوق المرتبة عليه، متعفِّفاً عن أموال العامة وغيرهم، فاقربْ منه، وإلا فابتعد عنه.

ومن هنا قالوا: من تمام التوبة هجر إخوان السوء الذين كان يعصي الله تعالى معهم، فإنه إذا شاهدهم وهم يعصون على عادتهم خفَّ القبح الذي كان عنده للمعصية، وسرعان أن يرجع إلى فعل ما تاب منه، فقد بان لك أن مجاهدة النفس في ترك الحرام والشبهات واجبة، وأن المدار بعد ذلك على حماية الله تعالى للمسلم، أو عدم حمايته، وهو مثابٌ في مدافعته سواء قُسِم له ذلك أم لم يُقْسَم، وإنه لا ينبغي لمن قُدِّم له طعام فيه شبهة، فلم يأكل منه أن يرى نفسه على من أكل إلا من حيث الشكرُ لله على حمايته له لا غير، وإلا فلو قسم له لأكل منه، كما أكل من رأى نفسه عليه. فلم يتورَّع المتورعون، ولم يزهد الزاهدون إلا فيما لم يُقْسَم لهم، وإنما أثابهم الله تعالى من حيث مدافعتهم للأكل من الحرام فقط. وفي التحقيق: ذلك حمايةٌ لهم من الله تعالى، فاعلم ذلك، والله عليم حكيم.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ٥١]، وقال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [طه: ٢٠/ ٨١] ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمدُّ يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟!»[1].

---

(١) فتح المبين (١/ ١٣٧).

١٢٥/ ١٠ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نفتش كل شيء دخل في يدنا في هذا الزمان من مالٍ، وطعام، ولباس، وغير ذلك، ولا نستعمل شيئاً تردَّد في صدورنا حِلّه وحرمته، ويكفي في زماننا هذا تفتيش يد واحدة، وهي التي يؤخذ منها.

واعلم يا أخي! أن من أعظم المساعدة على الورع: القناعة، فمن لم يقنع أكل رأس الفيل ولم يشبع، ومن لازم الشره عدم الورع، وإن كان المتورعون لم يتورعوا إلا فيما لم يقسم لهم. وأهل الله تعالى لا يعوّلون في الورع على العلامات الظاهرة في الأيدي، وإنما يعوّلون على ما يلقيه الحق تعالى في قلوبهم.

روى البخاري ومسلم والترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمىً، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مُضغة، إذا صلحت صلح الجسدُ كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»(١).

وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ وجد تمرة فقال: «لولا أن تكونَ من الصدقة لأكلتها»(٢).

* * *

---

(١) مسلم (٣/١٢١٩).
(٢) مسلم (٢/٧٥٢).

# كتاب البيوع

١٢٦/ ١١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن يكون عندنا سماحة في البيع والشراء، وسهولة في أخذ حقنا، ولن نستطيعَ التخلق بهذا الخلق إلا إذا أخرجنا من قلوبنا محبة الدنيا، والحرص على جمعها، وحتى نرى حقاً أنها لا تعدلُ عند الله جناح بعوضة، ويُرى منها عظمة حرمة المؤمن، وأن الدنيا بأسرها لو كانت في يده، وأخذها إنسان فلا يتأثر قلبه، كما لو فقد شيئاً حقيراً، وهناك تكون عنده السماحة في البيع والشراء، وحسن المطالبة والعطاء، ومن لم يتخلّق بهذا الخلق، فمن لازمه غالباً: تقديم يسير الدنيا على حرمة أبيه.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غفر الله لرجلٍ كان قبلكم، كان سهلاً إذا باع، سهلاً إذا اشترى، سهلاً إذا اقتضى»(١).

وروى البخاري ومسلم والترمذي، واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ، فأغلظ له، فهمَّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه؛ فإن لصاحب الحق مقالاً»، وقال: «اشتروا له بعيراً، فأعطوه إياه» فطلبوه، فلم يجدوا إلا سِنّاً أفضل من سنّه، فقال: «اشتروه، فأعطوه إياه؛ فإن خيركم أحسنكم قضاء»(٢).

---

(١) سنن الترمذي (٢/ ٣٩٠).

(٢) المصدر السابق.

١٢٧/ ١٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نقيلَ كلَّ نادم على بيع أو شراء؛ عملاً بأخلاق السلف الصالح، كما نقيل كلَّ نادم على وقوعه في حقنا.

قال المتبولي رحمه الله: لا يبلغ الإنسان مقامَ المحبة لله ولرسوله إلا إن سامح جميع الخلق مما له عليهم من حق؛ إكراماً لمن هم عبيده، ولمن هم من أمته ﷺ. قلت: يعني: إذا كانوا معسرين، أما إذا كانوا موسرين فإنه يطالبهم، ويسعى إلى تحصيل حقه منهم، وليس عليه في ذلك ملامة، وهم إذا تأخروا في تسديد ما عليهم، فهم مَطَلَة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «مطل الغني ظلم». وقال عليه الصلاة والسلام: «ليّ الواجد يحلُّ عرضه وعقوبته».

روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أقال مسلماً أقال الله عثرته»[1].

١٢٨/ ١٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن ننصح كل مسلم، ولو لم يطلب هو منا ذلك فكيف إذا استنصحنا؟!.

وهذا العهد قل من يفعل به الآن من التجار والصنَّاع؛ فإن الواحد منهم يخاف إن بيَّن عيبَ مبيعه ألا يشتريه منه أحد.

وقد سأل أحد تلامذة الشعراني رحمه الله تعالى أستاذه، فقال له: صرت أنصح المشتري، وأعطيه أحسن القماش، فيرده، ويقول: هات لي من ذاك الذي هو دونه، فأحلف له بالله إن ما أعطيته له أوّلاً هو الأنفع والأحسن، فلا يرجع لي، ويأخذ الردي؛ قياساً لي على الناس الذين يغشّون، فهل عليَّ إثم إذا أعطيته الرديء، فقال له: لا. فلكثرة غشّ الناس لبعضهم بعضاً، صاروا لا يصدِّقون مَن نصحهم من التجار.

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٢٧٤).

روى مسلم عن تميم بن أوس الداري: أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم[2].

١٢٩/ ١٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرغب إخواننا التجار وغيرهم في الصدق في أخبارهم؛ خوفاً عليهم وعلى أموالهم من النقص؛ فإن الله جعل البركة مقرونة بالصدق في العمل، والعلم، والعمر، والرزق، وغير ذلك. فمن لم يصدُق نَزَعَ الله البركة من علمه، وعمله، وعمره، ورزقه. فاصدقْ يا أخي! في إخبارك المشتري، ولا تغشّ؛ فيحول الله عنك النعم.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن، عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيّين، والصدّيقين، والشهداء»[3].

وروى الترمذي أيضاً، وقال: حديث حسن صحيح، عن رفاعة رضي الله عنه: أنه خرج مع النبي ﷺ إلى المصلّى، فرأى الناس يتبايعون، فقال: «يا معشر التجار!» فاستجابوا لرسول الله ﷺ، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: «إن التجار يُبْعَثُون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله، وبرّ، وصدق»[4].

---

(١) مسلم (١/ ٧٤).
(٢) المصدر السابق.
(٣) سنن الترمذي (٢/ ٣٤١).
(٤) المصدر السابق.

١٣٠/ ١٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن ننوي الوفاء لكل شيء استدنَّاه من الناس، ولو صداقاً لامرأة؛ خوفاً ألا يعيننا الله على الوفاء إذا نوينا عدم الوفاء، ويصير علينا التبعة في الآخرة، ويزيد الصداق بكون الشارع جعل وطء تلك الزوجة التي نوينا عدم وفاء مهرها كالزنى.

وقد كثرت الخيانةُ لهذا العهد من غالب الناس في هذا الزمان، فصار كلُّ واحد ينصبُ على الآخر، ويستدين من هذا ليعطي لذاك، فركبتهم الديون، ودخلوا السجون، ولو أنهم نووا الوفاء بصدق لأعانهم الله تعالى عليه.

وإذا وقعت يا أخي! في الدَّين، فإياك أن تظهر لصاحب الدَّين الفقر، والأمر بخلاف ذلك، فيسلِّطه الله عليك وتَذِلّ. وإياك أن تتزوج بدين، وإياك أن تعمل عرساً بدين، بل قتّر على نفسك كل التقتير. وكلُّ شيء دخل يدك مما زاد على ضرورتك، فأعطه لصاحب الدين، واشكر فَضْلَه في صبره عليك، واطلب الدعاء منه بأن يوسّع الله عليك حتى توفِّيه وتوفِّي غيره. وكم تُعمل حفلات الزواج والأعراس بالدَّين، ويتكلف الزوج بالديون، وربما تمرُّ عليه السنون وهو غيرُ قادر على السداد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا سيق على صاحب الدَّين جاهةٌ، فعلى الوجهاء أن يكونوا مع صاحب الدين، ولا يكونوا مع المدين، فيزداد الأمر شدة وعسراً؛ فإن المدين هو المُحَقّ الذي أتلف أموال الناس، وفي الحديث: «هلا مع صاحب الحق كنتم؟!».

ثم إذا كانت الجاهة علماء، فمن الأدب من صاحب الدَّين أن يجعل لمجيئهم تأثيراً، ولا يخالفهم.

روى الطبراني عن ميمونة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من ادان ديناً وهو يحدث نفسه بقضائه أعانه الله عليه»[١].

---

(١) معجم الطبراني (٢٣/ ٤٣٢).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله»[1].

وروى أبو داود عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه بها عبدٌ بعد الكبائر التي نهى الله تعالى عنها أن يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء»[2].

١٣١/ ١٦ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نُبادر إلى وصية ميّتنا، وإلى قضاء دينه وفاءً بحقّه، ولا نتهاون بذلك، وينبغي للوارث ألا يشاحح أصحاب الدين، ولا يتعبَهم في المطالبة، حتى يقع الإبراء للميت بغير طيب نفس، فربما ادَّعى بما بقي عليه يوم القيامة، بل ينبغي أن يعطيَ من نصيبه الذي وَرِثه للمدين نصيباً، ويقول لنفسه: قدِّري أن ذلك ناقص من حصتك من الأصل، لا سيَّما إن شحَّ، ولم يبرىء ذمة الميت، وقال: بيني وبينه معاملاتٌ باطنة، فإن الميت لو عاش لم يعطِ الوارث إلا ما فضل عن الدَّيْن. فليعامل الوارث ميّته معاملة الحيِّ، فإنه لا بُدَّ من لقائه يوم القيامة، ويدَّعي عليه بما أخذه من إرثه بغير حقٍّ، إذ ليس له إلا ما فضل بعد وفاء الدَّيْن، فلا فرقَ بين من يأخذ مال مُوَرّثه سراً أو جهراً، وخاصم أرباب الديون ومنعهم حقّهم، وبين الغاصب أو السارق.

فبادر يا أخي! إلى وفاء دَيْن مُوَرِّثك، وبرِّد قلبه في قبره كما برَّد قلبك بالإرث، وأدخل عليه سروراً كما أدخل عليك سروراً، ووسِّع عليه كما وسَّع عليك، والله يتولَّى هداك.

روى الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وصححه الذهبي، عن جابر

---

(١) فتح الباري (٥/ ٤١).

(٢) سنن أبي داود (٣/ ٢٤٧).

رضي الله عنه قال: مات رجل فغسَّلناه، وكفَّنَّاه، وحنَّطناه، ووضعناه لرسول الله ﷺ وآله وسلم، حيث توضع الجنائز عند مقام جبريل، ثم آذنَّا رسول الله ﷺ بالصلاة عليه، فجاء معنا خُطىً، ثم قال: «لعلَّ على صاحبكم ديناً؟!» قالوا: نعم، ديناران، فتخلَّف، فقال له رجلٌ منا يقال له أبو قتادة: يا رسولَ الله! هما عليَّ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «هما عليك، وفي مالك، والميت منهما بريء؟» فقال: نعم، فصلى عليه، فجعل رسول الله ﷺ إذا لقي أبا قتادة يقول: «ما صنعت الديناران؟» حتى كان آخر ذلك، قال: قد قضيتهما يا رسول الله! قال: «الآن حين بردت عليه جلده»[(١)].

١٣٢/ ١٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرجع في جميع مهماتنا وشدائدنا في الدنيا والآخرة إلى الله تعالى، وندعو ربنا بما دعا به رسول الله ﷺ ربه عند الكرب، وأمر به أمته، ولا نخترع دعَاء من عند أنفسنا ما أمكن، وينبغي لنا أن نعتقد إجابة دعائنا، ويكره أن نظن عدم الإجابة خوفاً ألا يجيب دعاءنا، فإن الله تعالى عند ظن عبده به. فإذا ظن أحدنا أن الله تعالى لا يستجيب له دعاءه لكثرة عصيانه مثلاً، فليسأل غيره أن يدعو له، وينبغي لكلِّ داع أن يدعوَ بما ورد، وإن كان الدعاء المخترع مقبولاً، لكن الدعاء الوارد أرجى في القبول؛ فإن كلام النبوة أفصح، وأكثر أدباً، فإذا دعونا بدعائه ﷺ الذي قاله، أو أمرنا به، كان أقرب إلى الإجابة، وما أمرنا ﷺ أن ندعوَ بشيء، أو بحصول شيء، إلا وقد مهَّد لنا عند ربه طريق الإجابة، وكل من في قلبه تعظيم للشارع ﷺ، يستعظم أن يسلكَ طريقاً لا يرى فيها قدمَ الاتباع لنبيه ﷺ، بل لو كشف له لرآها طريقاً وعرة، مظلمة، كثيرةَ المهالك، قليلة الأُنس. فاسلك يا أخي طريق أهل الله، وتأدَّب مع رسول الله ﷺ يحبّك الله، والله يتولى هداك.

روى البخاري ومسلم والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قلت:

---

(١) المستدرك (٢/ ٥٨).

يا رسول الله! إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني»(١).

وروى مسلم والحاكم عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّم من أسلم أن يقول: «اللهم اهدني، وارزقني، وعافني، وارحمني»(٢).

وروى الحاكم، وصححه الذهبي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى عليه السلام: يا رب! علِّمني شيئاً أذكرك به، وأدعوك به، قال: يا موسى! قل: لا إله إلا الله، قال: يا رب! كل عبادك يقول هذا. قال: قل لا إله إلا الله. قال: لا إله إلا أنت، يا رب إنما أريد شيئاً تخصُّني به، قال: يا موسى! لو كانت السموات السبع، وعامرهن غيري، والأرضون السبع في كفّه، ولا إله إلا الله في كِفّة، مالت بهن لا إله إلا الله»(٣).

وروى أبو داود عن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلماتٍ تقولينهن عند الكرب أو في الكرب: الله الله ربي لا أشرك به شيئاً»(٤).

وروى أبو داود عن ابن عباس: أنَّ رسول الله ﷺ كان يُعلِّمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»(٥).

* * *

---

(١) المستدرك (١/ ٥٣٠).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المستدرك (١/ ٥٢٨).
(٤) سنن أبي داود (٢/ ٨٧).
(٥) سنن أبي داود (٢/ ٩١).

# كتاب النكاح

١٣٣/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نغضَّ بصرنا عن رؤية كل ما نهانا الله عن النظر إليه، وأن نروِّض نفوسَنا قبل الغضِّ بالجوع ونحوه؛ حتى يصير غض البصر مما تعطيه سجيتنا لا نتكلف له، وخطيئة داود عليه السلام كونه رفع بصره عليه السلام بغير حضور؛ ذلك لأن الأكابر مكلَّفون بألا يقع منهم حركة ولا سكون إلا بعد حضور مع الله تعالى، ومراقبة له؛ لأن الأنبياء معصومون عن الوقوع في النظر المحرّم ولو فجأة؛ لعكوفهم بقلوبهم في حضرة الإحسان، فلا يقع منهم خطيئة لا سهواً ولا عمداً، وأيضاً فإنهم مشرعون لأممهم في جميع الحركات والسكنات، فلو صحَّ في حقهم الوقوع في معصيةٍ ما، لصدق عليهم تشريع المعاصي، ولا قائل بذلك من المسلمين، فكانت ذنوبهم صوريّة؛ ليُرُوا من وقع من أممهم في خطيئة كيف يفعل، وقد بكى داود عليه السلام حتى نبت العشب من دموعه تعظيماً لحرمات الله على أن قومه يفعلونها، فكان بكاؤه ﷺ إنما هو من باب شفقته على قومه، كما كان ﷺ يستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة، وقال: «إنه ليغان على قلبي» يعني: مما ستقع فيه أمتي بعدي.

هكذا كان الخوّاص يقول في معنى استغفار المعصومين، وقال: جميع ما ذكر عن الأنبياء مما يخالف هذا، إنما أخذه الناس من كتب اليهود الذين

كذبهم الله في وجوههم، ولم يأتنا ذلك في كتاب ولا سنة، وإنما جاء الأمر مجملاً، والأنبياء من مقامهم العكوف في حضرة الإحسان؛ التي منها حفظ من حفظ من الأولياء الذين دخلوا حضرة الإحسان.

فليكن لك أخي المؤمن! أستاذ ناصح ليدلّك على دخول دائرة الخير التي تحفظ منها جوارحك عن الوقوع في شيء من المعاصي، ولا يصير لها قطّ شهوة إلى معصية، وحتى لا ترى شيئاً إلا وترى الله قبله، فيكون الله تعالى حاجباً لك عن ما نهى عنه، وعندها لا تؤمر بغضّ البصر كالغير، وإنما تغض بصرك حياء من الله تعالى، وإجلالاً له.

فإن لم تكن ممن شهد هذا المقام، فلتكن ممن لا يشهدون شيئاً إلا ويرون الحق تعالى معه، فإن لم تكن من هؤلاء فلتكن ممن لا يشهدون شيئاً إلا ويرون الحق تعالى بعده.

فمن شهد الخلق مع الحق فهو الكامل كالرسول عليه الصلاة والسلام، كان مكلفاً برعاية أمته ليلاً ونهاراً من حيث الأمر والنهي، ومعظم رسالته لأجل أمته.

فمتى ورثك البصر محظوراً، فعليك أن تغضّه.

روى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»(١).

وروى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم ينظر إلى امرأة أوّل رَمَقَة، ثم يغضّ بصره؛ إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها»(٢).

---

(١) معجم الطبراني (١٠/١٧٣).

(٢) معجم الطبراني (٨/٢٠٨).

قال البيهقي: المراد: أن يقع بصره عليها من غير قصد، فيصرف بصره عنها تورعاً، لا أنه يقصد النظر إليها أوّلاً.

وروى مسلم عن جرير رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري(١).

١٣٤/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نختار الزواجَ على العزوبة، ولو كنا في عبادة ليلاً ونهاراً، ونعين من طلب التزويج جهدنا؛ لأن عبادة العزب ناقصة، وإنما مدح الله تعالى سيدنا يحيى عليه السلام بالعزوبة بقوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣/ ٣٩] لأن مقامه أعطي ذلك، فخرج عن الشهوة الغالبة على البشر.

فالعزوبة ليست صفة كمال في البشر؛ لأنَّ الله تعالى أثنى على الرسل بالتزويج في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ١٣/ ٣٨] وكم يقع العازب في فاحشة ويستره الله! وكم يسيء الناس ظنهم به!.

روى البخاري ومسلم وغيرهما في خبر الثلاثة الذين قال أحدهم: أما أنا فأعتزل النساء فلا أتزوّج أبداً، فقال رسول الله ﷺ: «لكني أصلي وأرقد، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

ونختار ذات الدين الشوهاء غير الجميلة على الجميلة الفاسقة عند فقد ذات الدين الجميلة، وغالب الناس، حتى بعض من ينسب إلى العلم والصلاح يختارون الجميلة ولو فاسقة على الشوهاء ولو كانت ذات دين؛ لإيثارهم الدنيا على الآخرة، وفي الحديث: «لو تعلمون ما أعلم ما تلذّذتم بالنساء على الفرش».

والقاعدة عند الصالحين: أن يكون أكلهم ضرورة، ولبسهم ضرورة،

---

(١) مسلم (٣/ ١٦٩٩).

وجماعهم ضرورة؛ إما عند غلبة شهوتهم عليهم، أو غلبة شهوة نسائهم عليهم. ومن كان جماعه ضرورة كفاه أي امرأة ذات دين، فإن فقدت الجميلة ذات الدين فلا بأس بشوهاء ذات دين، كما اكتفى الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بجارية، وكان اسمها بلاغاً، وكانوا إذا طلبوه ليتزوَّج المنعَّمات يقول: ما لي فراغ إلى الاستمتاع بهنَّ، ثم يقول: إن في بلاغٍ لبلاغاً.

واعلم أن من أكبر الفسق الذي تقع المرأة فيه: تركها الصلاة، وتهاونها في الغسل من الجنابة كلما يقع لها جنابة، فيصير الإنسان يضاجعها وهي جنب. فابحثْ عن دين المرأة، وحُسْن خُلُقها، ولا يضرك ما فاتك بعد ذلك، عكس ما عليه غالب الناس اليوم، فترى أحدهم يسأل عن حسنها وعن مالها فقط، وما عليه من دينها.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفرْ بذات الدين تربتْ يداك»(١).

ونختار الودود الولود على الجافية الطبع العجوز، من حيث إن تزويج الولود الودود أشرح للخاطر، ولما فيه من فتح باب الشكر لله عز وجل، وارتباط القلب بها من حيث أولادها، ولا هكذا العجوز الجافية، فإن من تزوجها ربما سخط على مقدور ربه عزوجل لنفرة الخاطر منها؛ وربما ولدت الجافية ولداً، فجاء نصف الخلق ضعيفاً لضعف الداعية، بخلاف الودود يستخرج بحسن ملاعبتها، وحلاوة كلامها المني الكثير من جميع مكامنه فتنزل النطفة غزيرة، فيأتي الولد ضخم الخلق، حسن الوجه، جميل الأخلاق، على صورة ما كان أبواه عليه حال الوقاع بإذن الله تعالى.

---

(١) مسلم (٢/١٠٨٦).

روى أبو داود عن معقل بن يسار قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبتُ امرأةً ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: «لا» ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»(١).

١٣٥/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نكون رحمة بين الناس، وميزان عدالة بينهم، لا نحيف على واحد دون آخر. فنرغِّب مثلاً الزوج في الوفاء بحق زوجته وحسن عشرتها، ونرغِّب المرأة في الوفاء بحق زوجها، وطاعته، وعدم مخالفته، ونتلو على كل واحد منهما ما ورد في ذلك في حقه عن الشارع ﷺ.

وهذا العهد قلَّ من يعمل به الآن، وأولى الناس بالعمل به حملة القرآن، والعلم؛ لإطلاعهم على ما ورد في ذلك، وينبغي للواعظ إذا وعظ الرجال والنساء أن يذكر لكل فريق ما عليه من الحق للآخر.

وإياك يا أخي! إذا عرفتَ العلم أن تتخذه سلاحاً تقاتل به كل من له عليك حق؛ فإن ذلك حق أريد به باطل. ويحتاجُ من يريد العمل بهذا العهد إلى من يبيّن له طرق السياسة، وتمهيدها لكل خصم؛ حتى يكون كل منهما يبادر إلى إعطاء ما عليه من الحق لما لنفسه من الحظ والمصلحة، فإنَّ من لم يعرف طرق السياسة ربما نسبوه إلى غرض، وخاصمه أحد الخصمين، وأخرجه عن كونه ميزان عدالة.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: أخلاقُ الزوجة على صورة أخلاق الرجل في نفسه؛ لأنها منه خُلِقت، فمن جهل شيئاً من أخلاقه، فلينظر إلى أخلاق زوجته؛ فإنها تغمز عليه. فإن أردتَ يا أخي! استقامة زوجك في الأخلاق، فاستقم مع الله فيما بينك وبينه.

---

(١) سنن أبي داود (٢/ ٢٢٠).

وهذا أمر قد أغفله غالب الناس، فصاروا يشكون من أخلاق زوجاتهم، ولا ينتبهون لنفوسهم، ولو أنهم عرفوا ما قلناه لرجعوا لنفوسهم، فاستقاموا في أخلاقها، فاستقامت أخلاق نسائهم، ففتش يا أخي! نفسك في الأخلاق السيئة قبل أن تشكو من زوجتك، وكذلك المرأة ينبغي لها أن تفتش نفسها، ثم تشكو من زوجها. ثم إن ما ذكرناه من هذه القاعدة هو الغالب في الناس، وقد يكون بعضُ الصالحين مستقيماً في باطنه، ويُبتلى بزوجته وبأصحابه وغيرهم اختباراً له.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم»[١].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ المرأة خُلِقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعتَ بها استمتعتَ بها وبها عوج، وإن ذهبتَ تقيمها كسرتها، وكسرها: طلاقها»[٢].

وروى أيضاً عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمنٌ مؤمنة، إن كره منها خُلُقاً رضي منها آخر»[٣] وقال: «غيره». الفَرْك: البغض.

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن غريب عن طلق بن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجة فلتأته، وإن كانت على التنُّور»[٤].

---

(١) سنن الترمذي (٢/ ٣١٥).
(٢) مسلم (٢/ ١٠٩١).
(٣) المصدر السابق.
(٤) سنن الترمذي (٢/ ٣١٥).

١٣٦/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن ننفق على زوجاتنا، وعيالنا، وبناتنا، ونؤدِّبهن، ونصبر عليهن، ونقدِّم في النفقة من أمرنا الشارع بتقديمه، لكن أمر الشارع لنا بالإنفاق إنما يكون بشرط وجود ما ننفقه من وجه حلال، فإن لم نجدْ ذلك من وجه حلال صبرنا حتى ييسِّر الله تعالى لنا، ويحتاجُ العامل بهذا العهد إلى صبر شديد هو وعياله وأولاده، كما كان أهلِ بيت النبوّة في حال حياة رسول الله ﷺ. وإلا فمن لازم كلٍّ منهم السّخطُ على المقدور، وعدمُ الرضا بما قسمه الله تعالى له.

ثم اعلم: أن عليك السعي ليلاً ونهاراً على عيالك؛ لتكفيهم مؤنتهم، وإن سمَّاك الناس ما سموك به؛ ما دمت تنفقه عليهم.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدَّقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»[(١)].

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: أعتق رجلٌ من بني عُذرةَ عبداً له عن دُبُر (أي: أعتقهُ بعد موت السيد) فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ألك مالٌ غيرُه؟» فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «من يشتريه مني؟» فاشتراه نُعيم بن عبد الله العدوي بثمانمئة درهم، فجاء بها رسول الله ﷺ، فدفعها إليه. ثم قال: «ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا»[(٢)] يقول: فبين يديك، وعن يمينك، وعن شمالك.

١٣٧/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نسمي أولادنا بالأسماء الحسنة، ونرشد جميعَ إخواننا إلى ذلك، والأسماء الحسنة هي

---

(١) مسلم (٢/ ٦٩٢).
(٢) المصدر السابق.

التي لها معانٍ حسنة؛ ونتجنب تسمية الذكور منهم بالأسماء الله تعالى المختصة به، وكذلك نجنبهم الأسماء التي تتسمَّى بها الملل الأخرى لحديث: «من تشبَّه بقومٍ فهو منهم»[1].

روى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم»[2].

وروى أيضاً عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الأسماء إلى الله تعالى: عبد الله، وعبد الرحمن»[3].

وروى أيضاً عن أبي وهب الجشمي قال: قال رسول الله ﷺ: «تسمّوا بأسماء الأنبياء[4] » الحديث.

وكان ﷺ يغيِّر الأسماء القبيحة.

١٣٨/٦ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نؤدِّب أولادنا الذكور والإناث، ولا نكل تأديب البنات إلى أمهنّ جملة كما عليه غالب الناس، بل ترك الناس تأديب الأولاد بالكليّة؛ زاعمين أن التأديب يعقِّد الأولاد، فينشؤون على الخوف والارتباك، ولو أننا تركناهم وما يشاؤون لكان أفضل لهم. وليس الأمر كذلك، فالتأديب والتربية أمر حتم على الأبوين؛ فإن الولد ينشأ على ما يعلمه الوالدان، كما قال عليه الصلاة والسلام: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه».

---

(١) المقاصد الحسنة (٤٠٧).
(٢) سنن أبي داود (٢٨٧/٤).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

ولا يترك الأمر للأم إذا كان الأب أعلم منها بالتربية والتأديب. وحين تُرك الأدب نشأ الأولاد تنشئة جاهلية.

ولا شك أن الأب مسؤول عن ذلك، فعليه الأمر لِوُلْدِه بالخير، ويبقى التوفيق من الله تعالى، وقد أدركنا الناس وهم يؤدبون أولادهم ليلاً ونهاراً، ولا يكتفون بالمدرسة، فإن قلب الأجنبي على الولد ليس كقلب الوالد.

فأدِّبْ يا أخي! ولدك، ولا تغفل عنه، وعلِّمه الآداب العامَّة والخاصَّة، علِّمه آداب الضيافة، واستقبال الناس، ومكافأة الناس على هداياهم، واحترام أصدقائك وَأْمُره باكتساب الفضائل ليلاً ونهاراً، والإيثار على نفسه، وتحمّل الأذى من جميع الخلق.

روى الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يؤدب الرجل ولده، خير من أن يتصدق بصاع»[1].

وروى أيضاً عن سعيد بن العاص مرسلاً: أن رسول الله ﷺ قال: «ما نحل والد ولداً من نُحْلٍ أفضل من أدب حسن»[2] نحل: أعطى، ووهب.

١٣٩/ ٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نروِّض نفوسنا في عدم الميل الطبيعي إلى أولادنا، بحيث نعرف من أنفسنا أنها صارت لا تتأثر بفقدهم ولو ماتوا في ساعة واحدة؛ تقديماً لمرضاة الله على مرضاة نفوسنا.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى مؤدِّب صادق، يسلك به حتى يخرجه عن محبة الدنيا وشهواتها، وإلا فمن لازمه: التأثر المصاحب للضجر على فراق المحبوب، سواء كان مالاً، أو زوجة، أو أولاداً.

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٢٢٧).

(٢) المصدر السابق.

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يُتوفى له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة؛ بفضل رحمته إياهم»[1].

وروى البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن النساء قلن للنبي ﷺ: اجعل لنا يوماً، فوعظهن، وقال: «أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد، كانوا حجاباً من النار»، قالت امرأة: واثنان؟ قال: «واثنان»[2].

٨/١٤٠ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نسعى في تطهير باطننا من سائر الأدناس بمصاحبة الصادقين، والكينونة معهم، ومن لم يطهر باطنه من الأدواء القلبية أورثته المقت، والكبر، والعجب، وسائر صفات إبليس، والتخلص منها كائن في صحبة الصادقين، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ٩/ ١١٩] فهم الجلساء الصالحون الناصحون؛ الذين ندب رسول الله ﷺ إلى مجالستهم.

روى البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيَك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة»[3] يحذيك: أي: يعطيك.

* * *

(١) بخاري (٢/٨٨).
(٢) المصدر السابق.
(٣) بخاري (٧/ ١٢٥).

# كتاب الشكر

١٤١/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نحضر قلوبنا مع الله تعالى عند كل نعمة تجدَّدت علينا، ونتلقاها بكل شعرة فينا، ونحمد الله تعالى عليها كما ورد، ولا نرى نفوسنا تستحق ذرّة منها بكسبها وقوّتها، بل هي محض فضل من الله علينا من غير استحقاق.

وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول للحواريين: بحق أقول لكم: والله إننا لا نستحقُّ على ربنا الرماد نسفّه.

وقال الخوّاص في سجوده: اللهم إني أعترفُ بين يديك بأني لا أستحق ذرّة واحدة مما أنعمت به عليّ في الدنيا والآخرة. اللهم إني أعترفُ بين يديك بكل ذنب فعلته جوارحي إلى وقتي هذا، فتطوّل عليَّ بالعفو والمغفرة لأطمئن.

وقال أيضاً: من أراد تخليد النعم عليه فليتلقاها بالشكر والاعتراف بالذنب، فإن من تلقاها مع الغفلة، فقد حلَّ عقالها، وعرَّضها للزوال.

وغالب الناس اليوم يتلقون النعم وهم غائبون عن الشكر، فتتفلَّت منهم النعم، وربما أخذوها مع الاستهانة بها، فكان ذلك سبب زوالها.

وفي الحديث: «أوحى الله إلى موسى عليه السلام يا موسى إذا جاءتك

مني باقلاة مسوسة على يد أحد من عبادي، فاشكرني على ذلك، فإني مُهديها إليك، ولا ترى نفسك أهلاً لها، هكذا شأن العبيد».

واعلم أن من تتمة الشكر: أن يتصدق العبد بالخَلَق إذا لبس الجديد، ولا يحبسه عنده إلا لغرض شرعي كأن يعدَّه للمحتاج إليه من قرابته، أو يكون من وجه حلّ، واعلم أن أعظم الشكر والحمد على النعمة: أن يكون ذلك بالفعل لا بالقول، قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ﴾ [سبأ: ٣٤/١٣] ولم يقل: قولوا آل داود شكراً، وهذه الأمة أولى بذلك لعلوّ مقامها.

وقام رسول الله ﷺ حتى تورَّمت قدماه شكراً لله، ولم يكتفِ بالقول، فما ورد من الاكتفاء بالشكر بالقول إنما هو رخصة للضعفاء.

وقال أفضل الدين رحمه الله تعالى: يجب على الشاكر أن يرى جميع ما يشكر به ربّه من جملة نعم الله عليه، فلا يرى أنه كافأ الحق في نعمة من النعم، ولو سجد على الجمر من افتتاح الوجود إلى انتهائه، والله غني حميد.

روى أبو داود عن معاذ بن أنس عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل طعاماً ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام، ورزقنيه من غير حولٍ مني ولا قوة، غفر له ما تقدّم من ذنبه [وما تأخر]. ومن لبس ثوباً فقال: الحمد لله الذي كساني هذا [الثوب] ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»(١).

وروى الحاكم عن أبي أمامة: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا بقميص له جديد فلبسه، فلا أحسب بلغ تراقيه حتى قال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي، ثم قال: أتدرون لم قلت

---

(١) سنن أبي داود (٤/٤٢).

هذا؟ رأيت رسول الله ﷺ دعا بثياب جُدُدٍ فلبسها، قال: فلا أحسبها بلغت تراقيه، حتى قال مثل ما قلت: ثم قال: «والذي نفسي بيده! إما من عبد مسلم لبس ثوباً جديداً، ثم يقول مثل ما قلت، ثم تعمَّد إلى سمل من أخلاقه الذي وضع، فيكسوه إنساناً مسلماً فقيراً، لا يكسوه إلا لله عز وجل إلا كان في جوار الله، وفي ضمان الله، ما دام عليه منها سلك واحد حيّاً وميّتاً»[1].

والأخلاق والسملة: الثياب البالية.

* * *

(١) المستدرك (٤/ ١٩٣).

# كتاب: اللباس والزينة

١٤٢/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نبقي الشيب في لحيتنا إذا شبنا، ولو قبل وقته المعتاد؛ من حيث إنه نذير لنا يخبرنا بقرب الموت، وانتقالِنا من هذه الدار إلى البرزخ، ولا يخلو حالنا من أن ننتقل إمَّا إلى خير وإما إلى شرّ، وكلاهما يذكِّرنا به الشيب، فنأخذ في الأهبة للانتقال والتزوُّد، ونتنصَّل من ذنوبنا وتبعاتنا، وقد لغز في نظير ذلك في النعش الشاطبيُّ في أبيات، فقال:

أتعرف شيئاً في السماء نظيره ... إذا سار صاح الناسُ حيث يسير
فتلقاه مركوباً وتلقاه راكباً ... وكل أميرٍ يعتريه أسير
يحضُّ على التقوى ويُكرَه قُربه ... وتنفر منه النفسُ وهو نذير
ولم يستزرْ عن رغبة في زيارة ... ولكن على رغم المزور يزور

وأنشد الإمام الشافعي محمد بن إدريس رحمه الله تعالى لما طلع الشيب في رأسه ولحيته:

خبتْ نار نفسي باشتعال مفارقي ... وأظلم ليلي إذا أضاء شهابها
أيا بومةً قد عشَّشت فوق هامتي ... على رغم نفسي حين طار غرابها
رأيتِ خرابَ العمر مني فزرتيني ... ومأواك من كل الديار خرابها
أأنعم عيشاً بعد ما حل عارضي ... طلائعُ شيب ليس يغني خضابها
ولذَّة عمر المرء قبل مشيبه ... وقد فنيت نفسي فولَّى شبابها
إذا اصفرَّ لون المرء وابيضَّ شعره ... تنغَّص من أيامه مستطابها
فدعْ عنك سوءات الأمور فإنها ... حرامٌ على نفس التقيّ ارتكابها

وأدِّ زكـاة الجـاه واعلـمْ بـأنهـا
كمثل زكاة المال تمَّ نصابها

وأحسنْ إلى الأحرار تملك رقابهم
فخيرُ تجارات الكريم اكتسابها

ولا تمشين في منكب الأرض فاخراً
فعمَّا قليل يحتويك ترابها

ومن يذقِ الدنيا فإني طعمتها
وسيق إلينا عذبها وعذابها

فلـم أرهـا إلا غـروراً وبـاطـلاً
كما لاح في ظهر الفلاةِ سرابها

ومـا هـي إلا جيفـة مستحيلـةٌ
عليها كلابٌ هَمُّهن اجتذابها

فإن تجتنبها عشتَ سلماً لأهلها
وإن تجتذبها نازعتك كلابها

فطوبى لنفس أُوطنت قعر دارها
مغلَّقةَ الأبواب مُرخىً حجابها

فلن تُخْرَبَ الدنيا بموت شرورها
ولكن موت الأكرمين خرابها

ولما بلغ رحمه الله تعالى الأربعين سنة، أمسك العصا، فقيل له: نراك تدمن إمساك العصا ولست بمحتاج إليها! فقال: لأذكر أني مسافر من هذه الدار.

وأنشد أيضاً لما خرج من بغداد إلى مصر:

ومتعب العيش مرتاح إلى بلد
والموت يطلبه في ذلك البلد

ومـاشٍ والمنـايـا فـوق هـامتـه
لو كان يعلمُ غيباً مات من كمد

آمـالـه فـوق ظهـر النجـم شـامخـةٌ
والموتُ من بين رجليه على رصد

من كان لم يُعطَ علماً في حياة غدٍ
فما تفكره في رزقِ بعدَ غد

وأنشد أيضاً لما خرج من بغداد، أو من مكة إلى مصر:

لقد أصبحتْ نفسي تتوقُ إلى مصر
ومن دونها أرض المهامه والقفر

فوالله ما أدري إلى الفوزِ والغنى
أساق إليها أم أساق إلى قبري

ولما تمنّى بعضُ الناس موته أنشد يقول:

تمنّى رجال أن أموت وإن أمُتْ
فتلك سبيلٌ لست فيها بأوحد

فقلْ للذي يبغي خلافَ الذي مضى
تهيَّأ لأخرى مثلها فكأن قد

فقد كان الموت على بال السلف الصالح، لا يغفلون عنه ساعة، ويحبون من يذكِّرهم بالموت، سواءٌ كان شيباً، أو انحناءً، أو مرضاً، أو غير ذلك.

روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تنتفوا الشيب، ما من مسلم يشيبُ شيبةً في الإسلام إلا كانت له نوراً يوم القيامة» وفي رواية: «إلا كتب الله له بها حسنة، وحطَّ عنه بها خطيئة»[(١)].

فإذا عارض الشيبَ أمر يتولَّد منه شرور وأنكادٌ مع محبة الرجل لزوجته، فله أن يغيِّر الشيب بغير السواد.

روى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في الشيب: «غيِّروا هذا بشيء، واجتنبوا السَّواد»[(٢)].

وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسَّواد كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة»[(٣)].

١٤٣/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نكتحل كل ليلة بالإثمد، ونأمر بذلك عيالنا وأولادنا، ويكون معظم نيتنا بذلك امتثال أمر الشارع ﷺ لإجلاء البصر، فإن جلاء البصر حاصل بذلك ولو لم نقصده، اللهم إلا أن يكون قصدنا به التداوي، فننويَ جلاء البصر.

ومراد أهل الله تعالى أن تكون أفعالهم كلُّها وأقوالُهم كلُّها من تحت حكم الشارع امتثالاً لأمره، ولو لم يعقلوا معناه؛ لأن الباعث على قيامهم

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٨٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٨٧).

بالفعل عندئذ امتثال الأمر، وهو أحبُّ إلى الله تعالى، وأكثر أجراً ممن عمل لعلة من شفاءٍ أو ثواب. فمن المعلوم أن من يخدمك محبة فيك لا طلباً للأجرة، هو عندك أعظم قدراً، وأقرب محلاً ممن خدمك لأجل الأجرة، ولولا الأجرةُ ما خدمك.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «اكتحلوا بالإثمد؛ فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر» وزعم أن النبي ﷺ كانت له مكحلة يكتحل بها كلّ ليلة ثلاثةً في هذه، وثلاثةً في هذه[1].

* * *

(١) سنن الترمذي (٣/١٤٦).

# كتاب: الطعام والشراب

١٤٤/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نسمي الله تعالى عند الطعام والشراب، وذلك لأن كل شيء فُعل مع الغفلة عن الله فهو كالميتة، وفي القرآن: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ٦/ ١٢١] والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ففي التسمية: تقديس الطعام، وتزكيتُه، والحضورُ مع الله تعالى بأسمائه الحسنى، لا سيّما والأكل محلُّ الغفلة عن الله تعالى لقوة الداعية إليه، ومن هنا كُرِهت الصلاةُ بحضرة طعام أو شراب تتوق إليه نفس المصلي، ونُهي عن الأكل والشرب في الصلاة ولو نفلاً؛ لأن العبد لا يقدر أن يردَّ عن نفسه لذة الأكل والشرب، فتزاحمه تلك اللذة في حال مناجاته، وتحول بينه وبين لذة مناجاة الحق تعالى؛ التي هي روح الصلاة.

قال الخواص رحمه الله تعالى: لا يكمل حال المحسن في مقام الإحسان حتى يحضر مع الله تعالى في حال الأكل والشرب، وفي حال الجماع، كما يحضر في حال الصلاة، ويجمع بين لذة الأكل ولذة المناجاة في آن واحد، لا تحجبه إحدى اللذتين عن الأخرى، فيشكر الله تعالى من وجهين في آن واحد.

وقال الشيخ أفضل الدين: ينبغي للمحسن أن يأكل بنعت الحضور مع الله تعالى، فيرى أنه يأكل والحق ناظر إليه بعينه التي لا تنام، يرى شره نفسه، أو قناعتها، فمن أدمن ذلك رزقه الله القناعة، وخلع عليه من الآداب ما لم يكن عنده.

وقال الخوّاص: سمّوا الله تعالى على كل حركة وسكون يبارك لكم فيها، وما شرعت التكاليف كلها إلا ليحضر العبد فيها مع الله.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يأكل طعاماً في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه لو سمّى لكفاكم»[(١)].

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل باسم الله، فإن نسي في أوله فليقل: باسم الله في أوله وآخره»[(٢)].

١٤٥/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نروِّض أنفسنا بآداب الصالحين حتى لا يصير عندنا شرهٌ عند أكلنا مع الجماعة، وذلك حتى لا نسابق إلى لحمة، أو رُطَبَةٍ ثم نُضْبحها أو إلى حلواء من عسل ونحو ذلك، فمن أكل من غير تقدّم رياضة، فمن لازمه غالباً: شراهة النفس.

قال أمين الدين رحمه الله تعالى: لا ينبغي لأحدٍ أن يأكل مع جماعة إلا إذا كان يؤثرهم بأطايب الطعام، فإن لم يعلم من نفسه القدرة على إيثارهم، فمن الأدب أن يأكل وحده.

وكان الغمريُّ رحمه الله تعالى لا يأكل مع أحد إلا لضرورة، ويقول: ما آمن على نفسي أن تأكل من قدَّام رفيقها، ولا أن تسابق إلى أطايب الطعام دون جارها؛ لقلّة حيائها من الله تعالى أو من عباده، وقد أمرنا الشارعُ ﷺ بالأكل مما يلينا لعلمه بشراهة نفوسنا من أصل الخلقة، ولو أنها لم يكن عندها شره ما احتجنا إلى الأمر بالأكل مما يلينا.

روى أبو داود عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه قال: كان للنبي ﷺ

(١) سنن الترمذي (٣/ ١٩٠).
(٢) المصدر السابق.

قصعة يقال لها الغرّاء، يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا، وسجدوا الضحى أُتي بتلك القصعة ـ يعني: وقد ثُرِد فيها ـ فالتفوا عليها، فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ، فقال أعرابي: ما هذه الجِلسة؟ قال النبي ﷺ: «إن الله جعلني عبداً كريماً، ولم يجعلني جباراً عنيداً» ثم قال رسول الله ﷺ: «كلوا من حواليها ودعوا ذِروتها، يبارك فيها»[1].

وروى أبو داود أيضاً عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم طعاماً، فلا يأكل من أعلى الصحفة، ولكن ليأكل من أسفلها؛ فإن البركة تنزل من أعلاها»[2].

١٤٦/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نبحث عن كيفية أكل رسول الله ﷺ اللحم والفواكه وغيرها، لنقتدي به في ذلك، حتى نكون تحت القدوة به ﷺ في كل أمرٍ، فإن لم نجدْ شيئاً عنه في ذلك سلكنا في الأكل لذلك الشيء مسلك الملوك والأكابر في الأدب، فإن عند الأكابر من الأدب في الأكل ما ليس عند غيرهم، أو نترك أكل ذلك الشيء جملةً، ولا سيما إن كان أكله من الشهوات النفسية دون الضرورية.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن عمرو بن أمية الضمري أنه رأى النبي ﷺ احتزَّ من كتف شاة، فأكل منها، ثم مضى إلى الصلاة[3].

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي النبي ﷺ بلحم، فدفع إليه الذراع، وكان يعجبه، فنهس منها.

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٣٤٨).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

وروى أيضاً عن صفوان بن أمية قال: إن رسول الله ﷺ قال: «انهسوا اللحم نهساً، فإنه أهنأ وأمرأ»[1].

١٤٧/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نجتمع على الطعام كلما نأكل مع عيالنا، وأولادنا، وإخواننا، وهو مجرَّب للبركة في الرزق، وفيه ائتلاف القلوب. وفي الحديث: «شر الناس من أكل وحده، وجلد عبده، ومنع رفده». فلو لم يكن في الاجتماع إلا خروجنا عن صفة شرار الناس بنص كلام الشارع؛ لكان في ذلك كفايةٌ في الزجر.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى من يُربِّيه حتى يخرجه عن شحِّ النفس، ويعطِّلها، فلا يستعملها صاحبها، فإن شحَّ النفس جبلِّي في النشأة؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ [الحشر: ٥٩/ ٩] وما قال تعالى: ومن يزل شح نفسه، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١١٣/ ٥] والحسد مقرون بالنعمة، فلو أنه شرع للإنسان أن يستعيذ بالله من وجود الحاسد؛ لكان ذلك استعاذة من وجود النعمة، فإن الحاسدَ لا يفقدُ إلا بفقد النعمة.

ومعلوم أن نعمةً مع حسد خير من نقمة بلا حسد.

فانظر يا أخي! من يخرجك من ضيق الشح والبخل إلى ساحة الجود والكرم، فتكون محبوباً للناس ولو كنت فاسقاً، بخلاف ما إذا كنت شحيحاً بخيلاً؛ فإنك تكون مبغوضاً لهم ولو كنت على عبادة الثقلين.

ولا شك أن محبة أخينا المسلم لنا أنفع من أكلة نلقيها عذرة في الخلاء، وعلينا تبعتها وحسابها في الآخرة. فأكثر من العزومات عند وجود الحلال من غير تكلُّف. وإذا علم الحق تعالى من قلبك السخاء والكرم أجرى على يديك أرزاق الخلائق بقدر ما عندك من ذلك. فطوبى للأجواد.

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ١٨٠).

وفي المثل السائر: إذا قلَّ مال المرء، وإطعامه الطعام، قلَّت أصدقاؤه. وإيضاح ذلك: أن الغالب على أصدقاء الزمان العلل النفسانية التي تميل إليها النفوس، فلا يصحبون شخصاً إلا ويشركون معه محبة إحسانه، وإذا انتفى إحسانه لا يكادون يقدرون على نفوسهم أن تميل إليه كل ذلك الميل الكلِّي، بحيث يكون عندهم كمن يطعمهم، ويحسن إليهم أبداً.

وقال التوزي: من مدّ يده بالإحسان إلى الناس نفذت كلمته فيهم، ومن بخل عليهم حرم انقيادهم له.

ومن مد يده إلى الأخذ من الولاة وغيرهم قصرت كلمته ويده عندهم. ومن زهد فيما بأيديهم وردَّ كل ما أعطوه له عليهم طالت كلمته ويده عندهم.

فتحبّب يا أخي! إلى إخوانك بالإحسان بكل ما تقدر عليه، ولا سيّما إن كنت تدعوهم إلى الله تعالى، والله يتولّى هداك.

روى أبو داود عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده: أن أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله! إنا نأكل ولا نشبع قال: «فلعلكم تفترقون»؟ قالوا: نعم. قال: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه، يبارك لكم فيه» قال أبو داود: إذا كنت في وليمة فوضع العشاء، فلا تأكل حتى يأذن لك صاحب الدار(١).

١٤٨/٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بالمندوبات الشرعية، فضلاً عن المأمورات، ولا نتساهل بالمكروهات فضلاً عن المنهيات، مثل لعق الأصابع عند الفراغ من الطعام، فإنه قد ورد أن الله تعالى أخفى ثلاثاً في ثلاث: أخفى رضاه في طاعته، وأخفى سخطه في معصيته، وأخفى أولياءه في عباده.

---

(١) سنن أبي داود (٣/٣٤٦).

فربما كان رضا الله تعالى عنه معلَّقاً على طاعة لا يُؤْبه لها لقلتها وسهولتها، وربما كان سخطه تعالى في معصيته صغيرة في رأي العبد لا يتنبَّه لها غالب الناس، وربما كان الشخص الذي ازدريناه في أعيننا من أولياء الله تعالى فيمقتنا الله تعالى.

فوجب على كل عاقلٍ الإقبال على فعل كلِّ مأمور، والإدبار عن كل فِعْل منهي، وتعظيم كل مسلم بطريقه الشرعي، فإن الله تعالى إنما كلفنا بنهي المسلمين عن كل منكر، ولم يبحْ لنا ازدراءهم، ولا يخفى أن رضا الله تعالى المعلَّق على فِعْل شيء إذا حصل لا يقع بعده سخط على ذلك العبد أبداً، كما أن سخطه إذا حصل لا يقع بعده رضا على ذلك العبد أبداً، وإذا مقت من ازدرى وليّاً لا يفلح بعد ذلك أبداً.

فافعل يا أخي! جميعَ المأمورات، واعتن بالسنن كأنها واجبات، واجتنب المناهي ولو مكروهات، واجتنبها كما تجتنب المحرّمات. فمن تساهل بالسنن فهو على خطر، كما أن من استهان بالمكروهات كذلك.

وفي الحديث: «المؤمن يرى ذنوبه كأنه تحت جبل يخاف أن يقع عليه، والفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا».

فصاحبْ من يوصلك إلى تعظيم أوامر الله ونواهيه، واعلم أنك لا تبلغ مقام الأدب مع الله تعالى، إلا إن تبت من ترك السنن، كما تتوب من ترك الواجبات، وتندم على فعل المكروهات، كما تندم على فعل الكبائر.

روى مسلم عن كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها[1].

وروى مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقعت لقمة

---

(١) صحيح مسلم (٣/١٦٠٥).

أحدكم فليأخذها، فليمط ما كان بها من أذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان، ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه؛ فإنه لا يدري في أي طعامه البركة»[1].

١٤٩/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نحمد الله تعالى بعد الأكل، وبعد الشرب، وبعد كل نعمة؛ إظهاراً للاعتراف بالنعم، ولتدوم علينا. فمن أكل، وانصرف غافلاً عن الحمد، فهو كالبهائم، وربما عوقب بزوال النعم.

وينبغي لوالد الطفل، ووالدته أن يعلِّماه قول الحمد لله، ولا يسامحاه في ترك ذلك وقتاً واحداً؛ ليصير ذلك من عاداته، وينبِّهاه على أن يقول ذلك بحضور القلب مع اللسان، فإن القلب إذا شكر وقع الشكر من جميع الجوارح من حيث كونها رعيته، وإذا شكر باللسان لم يتعد ذلك إلى غيره. فاحمدْ يا أخي! ربك محبة فيه، وامتثالاً لأمره، لا ليعطيك شيئاً في نظير ذلك، تكنْ من أهل الأدب مع الله تعالى.

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، فيحمده عليها، أو يشرب الشربة، فيحمده عليها»[2].

* * *

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مسلم (٤/ ٢٠٩٥).

# كتاب: القضاء والمظالم

عهد الولاية بالعدل:

١٥٠/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرغِّب من وَلِيَ من إخواننا ولاية في العدل في رعيته، ومعاملتهم بالرفق والشفقة، والإذْنِ في الدخول عليه في كل وقت إلا في وقت ضرورة شرعية؛ لأن من لم يكن مع رعيته كذلك، عزلته المرتبة، ونفرت منه، وما وَلَّى الله تعالى عبداً على عباده؛ إلا أن يكون لهم كالأب الشفيق، والأم الحنون.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى من يُرَوِّض له نفسه حتى يحلم على عباد الله؛ لأن الخلق في حجر الولاة كالغنم في يد الراعي، وربما انتشروا منه في أرض ذات شوكٍ وهو حافٍ، فهذا حكم الخلق، ولولا أن الغنم بهائم لما احتاجوا إلى من يرعاهم.

وفي الأثر الوارد: أن موسى عليه السلام ما كلَّمه ربه إلا بعد صبره على رعاية الغنم، وما من نبيٍّ إلا وقد رعى الغنم، والسرُّ في ذلك: الإدمان بصبره على الغنم قبل صبره على قومه، وبلغنا أنه بالغ في الشفقة، حتى إنه أورد الغنم مَرَّة على الماء، فكان فيهم نعجةٌ عرجاء، فلم تستطعْ أن تشربَ من الجرف، فنزل الماء، وجعلها على ظهره حتى شربت.

فرعيَّة كل راعٍ من سلطان، أو أمير، أو والٍ، هم ربحه وخسرانه، فبهم يربح، وبهم يخسر.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: ينبغي لكلٍّ من ولاه الله ولاية على الناس أن يصبر على مخالفتهم لأوامره، لا سيما في أوائل الولاية حتى ترتاض نفسه، ويتمكّن في مقام الصبر والحلم، فإن من كانت رعيته منقادةً له، فهو خِدَاع لا يظهر مقامه في الحلم.

قالوا: وذو الكفل عليه السلام لم يكن رسولاً، وإنما كفل رسول زمانه حين خرج في غزاة، وقال له: اخلفني في قومي خلافة حسنة، فكان لا ينام في الليل ولا في النهار. فتقلّق يوماً في ذلك، فأراد أن ينام في القائلة، فأغلق بابه، ووضع رأسه، فأول ما خفق به النوم دقَّ إبليس عليه الباب، فتصدَّع رأسه، وقال: قم افصل بيني وبين خصمي. وكان قصد إبليس أنه يتقلّق، ويترك الخلافة؛ لما علم ما لذي الكفل من الأجر العظيم، فقام، وفصل بينهما. فأتاه في اليوم الثاني كذلك، والثالث كذلك، إلى أن ألهمه الله تعالى أنه إبليس، فاستعاذ بالله منه، فانصرف عنه. فلولا أنه كان من الصالحين لفتنه في دينه، فليتنبَّه كل من ولي ولاية لمثل ذلك.

ولما تولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة، سمع جيرانه بكاءً وعويلاً في داره، فسألوا عن ذلك، فقالوا: إن عمر خيَّر زوجاته وسراريه بين الإقامة عنده من غير مسيس إلى أن يموت، وبين أن يعتقهن أو يطلّقهن، وقال: قد جاءني أمرٌ شغلني عنكن، فلا أقدر ألتفت إلى واحدةٍ مِنكن حتى أفرغ من الحساب يوم القيامة، رضي الله عنه.

وبلغنا: أنه كان لا ينامُ ليلاً ولا نهاراً إلا بضع خفقات، وهو جالس، ويقول: إن نمتُ في الليل ضيَّعت نفسي، وإن نمتُ في النهار ضيَّعت حقوقَ الرعية.

والمؤمن الذي لم يتولَّ ولاية عن نفسه، يُحاسب يوم القيامة في يوم كان مقداره قدر وقت صلاة يصليها، والمؤمن الذي تولّى ولاية عن نفسه، وعن جميع رعيته يُحاسب، ويسأل عن جميع حقوقهم في يوم كان مقداره خمسين

ألف سنة. ومَن قام بواجب حقِّ ولايته، كان إبليس له بالمرصاد، فَيُدْخِل عليه الأمور التي تقلقه، حتى يكاد يجزم بأنه يعزلُ نفسه من تلك الولاية.

فاصبر يا أخي على من استرعاك الله إياهم كلما ملَّت نفسُك منهم، واعذرْ كل من فرَّ من الولاية، وإياك وأن تسخر من أحد تُبتلى بنظيره.

قال الشعراني ـ رحمه الله تعالى ـ: حكى لي أحد الأمراء أنَّ شخصاً كان له جارٌ من القضاة سيىء الخُلُق، وكان يخرج خُلُقه على الأخصام فكان جاره يبالغ في الإنكار عليه فيقول ايش هذا الخلق؟! وكان لذلك القاضي بيت فوق مجلس حكمه، فلما أكثر عليه جاره من الإنكار، قال له: احكم يا أخي مكاني غداً؛ لأني عازم على شرب دواء. فقال: نعم.

فجاءه خصم ادعى على خصمه أن له عنده مئة دينار، فقال الخصم المدَّعى عليه: ما له عندي شيء، فالتمس من المدَّعي البيِّنة، فأتى بثمانية شهود يشهدون بها. فقال المدَّعى عليه: هؤلاء شهود زور، فأتى بمزكين؛ فزكُّوهم، فثبت الحق على ذلك الخصم، وطلب التقسيط عليه، فأبى صاحبُ الحق، فما أجاب إلا بعد أن كادت روحه تزهقُ منه. فقال: كم تقدر كل يوم؟ على نصف؟ أي: نصف دينار، فقال: لا أقدر على ذلك.

فجعل عليه القاضي عثمانياً كل يوم، أي: أقل من ربع دينار فقال: لا أقدر، فقال: كل جمعة عثماني، فقال: لا أقدر، فقال. كل شهر عثماني، فقال: لا أقدر، فقال: كل سنة عثماني، فقال: لا أقدر، فقام القاضي النائب، ورمى عمامة نفسه، وصار ينطحه برأسه، ويرفسه برجله، وهو يقول: لا أقدر على عثماني! ثم نادى القاضي الأصيل، فقال: تعال. انزل لحكمك، فقد عذرتك، عذرتك، عذرتك.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلَّق في المساجد، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه

وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخافُ الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[1].

١٥١/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن ننصر المظلوم، ونرغِّب جميعَ إخواننا في ذلك حسب القدرة، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سياسة عظيمة بحيث يمهِّد لكل من الخصمين بساطاً؛ حتى يبادر كل منهما إلى العمل بإرشاداته، لا سيما أرباب الجدال والنفوس الأبيَّة، فإن أحدهم يكون ظالماً، ويطلب من الناس أن يعينوه في الظلم، وكل من خالفه سلقه بلسان حديد، وآذاه كل الأذى، وهذا هو الغالبُ على الناس اليوم، ولذلك ترك بعضهم الإصلاحَ بين الناس، وربما تضارب الخصمان بالعصي والسلاح، ولا يتجرأ أحدٌ يدخل بينهما، بل صار بعض الحكام يخاصمون من أصلح بين الخصوم، كل ذلك لعدم استحقاق الرعية للرفق بهم.

فإن أردتَ العمل بهذا العهد، فتعلَّم طرقَ السياسة أولاً، ثم انصر المظلوم، وإلا تحوَّل الأمر الذي كان فيه المظلوم إليك، واحتجتَ إلى من ينصرك.

وقال الشيخ أفضل الدين: ليس للمظلوم نصرة أعظم من صبره على ظلم عدوه له، واستشعاره نظر الله تعالى إليه، ورضاه بِعلْم الله فيه.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: ولقد جرَّبتُ أنا ذلك، فصبرتُ على أذى خصمي، ففعل الله به من الأذى ما لم يكن في حسابي.

وفي الحديث: «لا ينتصر عبدٌ من عبيدي بي، أعلم ذلك من قلبه يقيناً، فيكيده أهل السماوات وأهل الأرض إلا نصرته عليهم».

وفي الحديث: «أنا وليُّ من سكت».

وفي القرآن العظيم: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٤٧/ ٧].

---

(١) بخاري (٢/ ١٣٢).

وقد جرّب أن من غضب لله غضِب الله لغضبه، ومن غضب حميّةً جاهليّة لم يغضب الحقُّ لغضبه؛ لأنه لم يغضب لله خالصاً.

ورخَّص الله تعالى للخلق في مقابلتهم من أساء إليهم؛ تنفيساً لهم، أما من أقدره الله تعالى على كظم غيظه، فترك المقابلة له أفضل بلا خلاف، مع أن رخصة المقابلة مشروطة بقدر ما يسكن به الغضب؛ خوفاً من إثارة فتنةٍ أعظم من فتنة عدم المقابلة، فإن بعض الناس ربما يُمنع من أن يقابل عدوه بالسيئة فيزدادَ حنقاً، ويقعَ منه الأذى لخصمه أضعاف ما آذاه به.

ولما تأمل أهلُ الله تعالى في تسمية سيئة المجازاة سيئةً تركوا المقابلة، وقالوا: إذا قابلنا المسيء بقدر إساءته، فما الذي تركناه من السوء، فنحن إذاً من أهل السوء.

وأيضاً فإن الله تعالى إنما شرط في سيئة المجازاة المثليةَ تعريضاً لعدم المؤاخذة، فإن المثلية لا تكاد تُوجَدُ لتعذر مساواتها للسيئة الأصلية في التأثير والأذى، وفي موافقة الألفاظ، أو الأفعال، أو الحاضرين ذلك المجلس، وغير ذلك، فلذلك سارعوا إلى الصفح، والله غفور رحيم.

روى أبو داود عن جابر بن عبد الله، وأبي طلحة، قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرىء يخذلُ امرأً مسلماً في موضع تُنتهك فيه حرمته، ويُنتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موطن يحبُّ فيه نصرته، وما من امرىء ينصُر مسلماً في موضع يُنتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحبُّ فيه نصرته»[1].

١٥٢/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نستعمل ما ورد

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٧١).

من الكلمات عند خوفنا من ظالم وُلِّي علينا، مع أن الظالم ما سُلِّط علينا إلا بذنوب وقعتْ منا، ولم نتبْ منها توبة يقبلها الله تعالى. فليرجع العاقلُ إلى نفسه، ويفتش ما وقع فيه من الصغائر والكبائر، وما ألحق بها، ويتوب، ويستغفر، ثم بعد ذلك يلتجيء إلى الله تعالى، ويدعوه بما ورد.

روى الطبراني برجال الصحيح، غير جنادة بن سلم، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إذا تخوَّف أحدُكم السلطان، فليقلْ: اللهم رب السموات السبع، وربّ العرش العظيم، كنْ لي جاراً من شرِّ فلان بن فلان ـ يعني: الذي يريد ـ وشر الجن، والإنس، وأتباعهم أن يَفْرُطَ عليّ أحدٌ منهم، عزَّ جارك، وجلَّ ثناؤك، ولا إله غيرك»[١].

وروى الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، عن ابن عباس قال: إذا أتيتَ سلطاناً مهيباً تخافُ أن يسطو بك، فقل: الله أكبر، الله أكبر من خلقه جميعاً، الله أعزُّ مما أخاف وأحذر، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو، الممسك السموات السبع أن تقعن على الأرض إلا بإذنه، من شرِّ عبدك فلان، وجنوده، وأتباعه، وأشياعه من الجن والإنس. إلهي كن لي جاراً من شرِّهم، جلَّ ثناؤك، وعزَّ جارك، وتبارك اسمك، ولا إله غيرك ثلاث مرات[٢].

١٥٣/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نروِّض نفوسَنا بالورع عن شبهات الدنيا، والزهد في حلالها إذا طلبنا الدخول على الظلمة، ومخالطتهم، فإذا أحكمنا المقام في ذلك دخلنا بعد ذلك على كل ظالم، وخرجنا من حضرته سالمين من الإثم إن شاء الله تعالى، وأما من دخل إليهم من غير أن يروِّض نفسه في الورع والزهد، فمن لازمه غالباً الآثام، والسكوت على منكراتهم؛ لأن من يستمطر من أحد حسنة يخافُ من تغيُّر خاطر ذلك الأحد عليه، ولو كان في ذلك سخطُ الله، بخلاف من يدخلُ

---

(١) الطبراني (١٠/ ١٥).

(٢) الطبراني (١٠/ ٢٥٨).

إليهم زاهداً فيما بأيديهم، بحيث لو قبَلوا يديه ليأخذ مالهم لا يلين إليهم خوفاً من الله، فهذا يخرجُ سالماً من الإثم، ومن تسليطهم عليه بضرب، أو حبس، أو تحويل نعمة.

ولما مشوا بذي النون المصري من مصر إلى بغداد مقيَّداً، مغلولاً في محنة وقعت له، مرّوا به على عجوز تُسَرِّح كتاناً في مخزنها، فقالت: ما هذه الكوكبة؟ فقالوا لها: إنهم أتوا بذي النون المصري إلى الخليفة ليقتله؛ لزعم أهل مصر أنه أتلف عقائد الناس فقالت العجوز: أتوني به فأتوها به فقالت له: يا ذا النون إن أردت النصرة على مَن ظلَمك بين يدي الخليفة فاستحضر عظمة الله تعالى، ومثِّل نفسك أنت والأخصام والخليفة بين يدي الله عز وجل، وهو الحاكم، وإياك أن تخافَ من الخليفة فيسلِّطه الله عليك، وإياك أن تجيبَ عن نفسك فيكلك الله إليها، بل اسكت، وارْضَ بعِلْم الله فيك، وانتظر ما يُنْطِقُ الله تعالى به الخليفة في شأنك، فقال لها: نعم، فلما مضوا به إلى الخليفة ادعى عليه أهل مصر بأنه زنديق أتلف عقائد الناس فقال له الخليفة: ما تقول؟ فقال: ماذا أقول؟! إن قلت لا كذَّبتهم، وأنا أستحي أن أكذب مسلماً، وقد سافروا من مصر إلى هنا لتنصرهم عليَّ، وإن قلت: نعم، كذبت نفسي، وظلمتها، وطالبني الله بها.

فسكت الخليفة ثم قال: إن كان هذا زنديقاً فما على وجه الأرض مسلم، ثم صنع له محفّة، وجعل فيها شيئاً من الذهب.

وقال: أنفقه في سفرتك، ولا تنسنا من دعائك، فمر ذو النون على العجوز، وقال لها: جزاك الله عني خيراً.

قال الخوَّاص: من لم يكن ذا حال مع الله كبير، فليس له الإكثار من الدخول على الظلمة في شفاعة ولا غيرها، لكن متى أحكم الداخل عليهم مقام الزهد في أموالهم ومناصبهم، ثم دخل عليهم ليلاً ونهاراً في الشفاعات، لا يضره ذلك إن شاء الله تعالى.

وأما محبُّو الدنيا الذين يستمطرون من الظلمة هدايا أو مراكز، فيخاف عليهم من هلاك دينهم، والله غفور رحيم.

١٥٤/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، سواء أنفسنا أو غيرنا؛ فإن كلاهما واجب، ويحتاجُ من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوكٍ على يد من يعرِّفه طرق السياسة؛ ليدخل منها إلى حضرة انقياد الناس له، فإنَّ كثيراً من الناس يأمر بمعروف وينهى عن منكر من غير سياسة، فيزداد المنكر بقيام نفس ذلك العاصي أو الظالم مثلاً.

وكثيراً ما يأمر إنسان بمعروف، أو ينهى عن منكر بغير سياسة، فيحصل له ضرر، ويقول: أنا ظالم الذي أمرت فلاناً أو نهيته، ولكن تبت إلى الله، إني ما عدت آمر بالمعروف أو أنهى عن المنكر. فيجعل الواجبَ محظوراً، ويستغفر منه، وكل ذلك من قلّة السياسة.

واعلم يا أخي! أنَّ الإجماعَ منعقدٌ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٥١] وما قام الدين إلا بذلك، وقد ذمَّ الله تعالى بني إسرائيل بقوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٥/ ٧٩].

وقد جعل الشارعُ ﷺ لتغيير المنكر ثلاثة طرق: اليد، واللسان، والقلب.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: تغيير المنكر باليد للولاة الذين إن ضربوا العاصي لا يقدر يضربهم، وتغييره باللسان للعلماء العاملين، فيأمرون الناس، وينهونهم، فيمتثلون قولهم، وتغييره بالقلب لكمّل العارفين بالتوجه، فيتوجهون إلى الله في إزالة المنكر فيزول. لا على ما يفهمه غالب الناس منه أنه إنكار بالقلب، فليس ذلك بتغيير للمنكر، بل هو باقٍ، والشارع

قد صرَّح بأنه يغيِّر بقلبه، وليس التغيير إلا ما ذكرنا، ولكن مع هذا فإن الإنكار بالقلب واجب على كل مسلم.

وقد دأب العارفون على إزالة المنكرات بهمة قلوبهم من غير مدِّ اليد واللسان إلى تغييرها، ومن مد يده أو لسانه إلى تغيير المنكر في هذه الأزمان قطع.

والأجدر بكل مسلم في هذه الأزمان: ألا يشتغل بإزالة منكرات الغير، ولا يسعى في إزالة منكرات نفسه، أو يهجر الغير لأفعاله الرديئة ولا يهجر نفسه لأفعاله، وإن كان كل منهما واجباً.

والله تعالى ذمَّ من ينسى نفسه ويشتغل بأمر الخلق في قوله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢/ ٤٤] أي: وهي أقرب الأشياء إليكم، وقال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٥١/ ٢١].

وقد قالوا للغريق: تخلَّص من الغرق، ثم اشتغل بأخذ يد غيرك مع وجوب عزمك حال غرقك أنك تأخذ بيد غيرك. وكذلك القول في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: اشتغل بأمر نفسك، ونهيها، وأنت عازم على أمر غيرك ونهيه، وليس المحظور إلا أن تشتغل بنفسك، وأنت عازم على أنك لا تأمر غيرك، فأنت كمن خاف من أمره بمعروف أو نهيه عن منكر ثورانَ نفس المأمور أو المنهي، وزيادته في المعصية. فمن السياسة أن تترقَّب له وقتاً آخر. وأيضاً فإن من كان جالساً يشرب الخمر، فصار يقول لإنسان آخر يشرب: حرامٌ عليك، لا يؤثر قوله في ذلك الشارب، بل يضحك عليه، ويقول له: قل ذلك لنفسك.

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا فعلت كذا فأنت حكيم

وهذا العهدُ يخلُّ به كثير من الناس؛ لأجل عدم سلامتهم من المنكر، فيخافون أن ينكروا منكراً، فيقول الناس لهم: انهوا أنتم أنفسكم عن كذا وكذا، ولو أنهم سلموا من المنكر لربما انقاد الناسُ لهم، ومن هنا قالوا: لا ينبغي لإنسان أن يعظ الناسَ إلا إذا كان مُتَّعظاً قبلهم، فلا يأمرهم بترك الدنيا، ويزاحم هو عليها، ولا يأمرهم بالصدقة ويبخل هو، ولا يأمرهم بقيام الليل وينام هو، وقِسْ على ذلك؛ لأن رؤية الناس إلى أفعاله تحجبهم عن سماع مقاله، ولا يخفى أن ذلك أكثريّ لا كلِّيّ، فلا يلزمُ من عدم انقياد الناس للواعظ أنه غير عامل بعلمه، فإن الأنبياء عليهم السلام عاملون بعلمهم بالإجماع لعصمتهم، ومع ذلك فما أطاعهم، وانقاد لهم إلا القليل، وإنما الانقيادُ وعدمه راجعٌ للقبضتين، والداعي جاء يميِّز بدعوته بين أهل كل قبضةٍ لا غير، وليس بيده سعادةٌ ولا شقاوة. قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦/٤٨] وكذلك الحكم في كل داع إلى الله إلى يوم القيامة.

وإن كثرةَ الأتباع لا تعدُّ خيراً مطلقاً بالنسبة لهم؛ لأن أتباعه في الخير قليل، ومخالف ذلك كثير، فإن الداعي يقيم الحجة عند الله على أتباعه يوم القيامة، ولم يبق لهم عذر، ولو أنه لم يأمرهم ولم ينههم، قالوا: يا ربنا! لم يأتنا نذير، ومن هنا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: لما مدحوا أتباعه، وكثرة نفعه، قال: ضررنا أكثر من نفعنا، والهالك من أتباعنا أكثر من الناجي؛ لأننا نبيِّن لهم فيخالفون فيهلكون، ومؤاخذة الإنسان بعد البيان أشد من مؤاخذته من غير بيان.

فالكامل من نظر مالَه ليشكر الله، وما عليه ليستغفر الله، وإن كانت أدلة الشريعة تشهد بأنه ليس على الداعي إثم من حيث كونُه كان سبباً لمؤاخذة من خالفه وإنما ذلك من حيث إن ثم للدعاة مقام رفيع وأرفع فلا يقال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب فكيف يشرع لفاعله الاستغفار؟! لأننا

نقول: قد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١١٠/ ١ـ٣] فأمره بالاستغفار من حيث إن ذلك الجهاد، والاشتغال بهداية الأمة اشتغال بالخلق في الجملة، فلما رقاه إلى الاشتغال بالحق دون الخلق، استغفر من ذلك المقام.

* * *

# كتاب: البر والصلة والآداب

عهد ستر عورات المسلمين:

١٥٥/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نستر جميع عورات المسلمين، مع تبيينها لهم؛ ستراً على نقائصهم. وأول ما ترجع فائدة ذلك علينا في الدنيا والآخرة، فإن من ستر سُتِر، ومن هتك الناس هُتِك جزاءً وفاقاً.

واعلم أن كل من كمل عقله لا يستبعد وقوعه في شيء من الذنوب، فإن لم يكن وقع بها، فهو معرَّض للوقوع فيها، فلينظرْ في جميع ما وقع فيه الناس يجد نفسه قابلة له؛ لأن طينة البشر واحدة إلا من عصمه الله تعالى كالأنبياء.

ثم من أقبح ما يكون: ذكر من كان عاصياً ثم تاب، أحداً من العصاة بسوء، وقد قالوا في المثل: تابت الزانية البارحة، فقالت: مقصودي أن الحاكم يكبس على بنات الخطا الزانيات الكلاب اللاتي لا يخفن الله، ونسيت نفسها، وما كانت عليه.

ثم اعلم يا أخي! أن العاصي ما دام يغلقُ عليه بابه، ولا يتجاهر، فله الستر، فإذا تجاهر فلنا كشفه، وكذلك لا يجوز لك أن تذكر للناس ما رأيته يفعله من خلف باب أو ستر، وكن أولى به من نفسه، ولكن لا بأس بأن تذكر له بعض ما رأيت، فلعلّه يتوب.

وهذا العهدُ قد صار العملُ به عزيزاً جداً، فلا تكاد تجد أحداً من إخوانك الأصدقاء، فضلاً عن غيرهم، يستر لك عورة إذا اطلع عليها، بل ينشرها في الناس، وكلَّما وصَّيتَه على الكتمان، تحرَّكتْ عنده الداعية إلى الإفشاء.

وقد قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: لا تركن إلى صديق حتى تمتحنه غاية الامتحان، فربَّما أحصى عليك الزَّلات حال رضاه عنك ليهجوَك بها حال سخطه عليك، كما هو مشاهد كثيراً فيمن يصحب الناس لغير الله.

فالذي يخالطُ الناس اليوم يحتاجُ إلى ترويض نفسه؛ ليصير يخشى الله تعالى بالغيب، ويخاف أن يمقته إذا ذكر أحداً من عبيده بسوء، لا سيما العلماء العاملون؛ فإن ملاحظهم دقيقة، فربما ظن بعض المجادلين في عقائدهم نقصاً، أو في أعمالهم خللاً، فيحكي ذلك للناس من غير أن يراجعهم في ذلك، فيمقته الله؛ لأنَّ كلَّ من استند إلى الله دون خَلْقه كان الله تعالى له بالنصر، وهذا شأنُهم على الدوام، لا يعوّلون قطُّ على نصرة مخلوق، ولا يشتكونه إلى حاكم ولو فعل معهم ما فعل، فلما أكرموا عبيده لأجله؛ كذلك أكرمهم، وأجلَّهم.

وقال الخوّاص رحمه الله تعالى: من ادَّعى أنه من أهل الله، ولم يتحمل الأذى من عبيده فقد كذب.

وقال أيضاً: إذا نازعتك نفسك في إظهار عورة مسلم فقل لها: انظري ثمرة ذلك، فإنك إن أظهرتِها للناس، لا بد من إظهار جميع زلاتك على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، حتى تفتضحي بحضرة من كان يعتقد فيكِ الصلاح في دار الدنيا، فربما أن النفس تكتم ما رأت.

وليتأمل الذي يظهر عورات الناس بعينه يجد نفسه أغضب الله، وتعرَّض للهتكة، ولا يعطيه الناس لأجل ذلك شيئاً، إنما ذلك رفث، ومقت، وفسوق لا غير.

وبالجملة فلا يتجسس على العورات إلا فاسق، فإن القلب المطهر من السوء لا يظن في الناس إلا خيراً، فعلم أن كل من اشتكى أحداً آذاه إلى حاكم، فليس له في طريق المحبين نصيب، فاستر يا أخي! الناس إن طلبت أن تخرجَ من الدنيا مستوراً، وإذا عاملت إخوانك، فعاملهم معاملة من يسيء بهم الظن من غير سوء ظن، وعلى المسلم ألا يسلك مسلك التهم، ومَنْ سلك مسلك التُّهم، فلا يلومنَّ من أساء به الظن.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»[(١)].

وروى الطبراني عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «لا يرى امرؤ من أخيه عورةً فيسترها إلا ستره الله وأدخله الجنة»[(٢)].

وروى أبو داود عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»[(٣)].

١٥٦/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نعين من يزيل الشر على إزالته، ومن يؤدِّب ولده على تأديبه، ولا نعارضه في ذلك، ولا نداهن مساعدةً على إقامة شعائر الدين.

ومن سعى في عدم إقامة الحدود، أو عدم التأديب بالشفاعة لهم، فقد غشَّ جماعة المسلمين، وآذاهم في دينهم بإبقاء دنسهم، ونجاستهم، فهو يزعم أنه يحبهم، وفعله فعل من يكرههم.

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٠٢).

(٢) معجم الطبراني (١٧/ ٢٨٨).

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٧٠).

فإياك يا أخي! أن تتوسط فيمن وقع فيما يوجب الحدّ من: شرب الخمر، وقذف العرض، أو يوجب التأديب من سفه صغيرٍ على كبير، أو طفل على أمه أو أبيه؛ فإن ذلك غشٌّ له؛ بل ساعِدْه على تطهيره ما أمكن، وإن تكدَّر منك في الدنيا أو في الصغر، فسوف يشكرك على ذلك في الآخرة، أو عند بلوغه درجة الرجال، ويقول: جزاك الله عني خيراً.

روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحدٌّ يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عاماً»(١).

١٥٧/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرغِّب جميع أهل المعاصي في التوبة، ونخبرَهم بسعة رحمة الله لهم إذا تابوا، وأنه سبحانه وتعالى لا يتعاظم عليه ذنب أن يغفره ما عدا الشرك، ونلين لهم الكلام، ونحسن إليهم كلَّ الإحسان حتى يحكوا ذلك لرفقتهم في المعاصي، فلعل قلوبهم تلين للتوبة، وكذلك لا نؤيس أيضاً أن نخاطب التائبين بالألفاظ الحسنة المميلة لخاطرهم كلفظة السيادة، ونراهم أطهر منَّا قلباً؛ لأنهم قريبو عهد بتوبة، وهي تجبُّ ما قبلها من الذنوب بنصِّ الحديث، بخلافنا، فربما كان أحدنا بعيد عهد بالوقوع في معصية، أو كثيرَ الطاعات المتوالية، فيقول في نفسه: بعيد أن الله تعالى يعذِّب مثلي، وغاب عنه أنه في تلك الحالة من أبعد الأبعدين عن الله عز وجل لعدم انكسار قلبه، والله تعالى يقول: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» أي: من أجل مخالفتهم لأمري، ودخولِ النقص في طاعاتهم، فهم لا يرون لهم وجهاً عندي.

قال الخوَّاص رحمه الله تعالى: إنما بدأ الإمام القشيري في رسالته بابن أدهم، والفضيل بن عياض رحمهما الله تعالى؛ تقويةً لقلوب مريدي القرب

---

(١) معجم الطبراني (١١/ ٢٦٧).

من الله تعالى؛ لكون ابن أدهم والفضيل سبق لهما زمنٌ قطيعة، فكأن الشيخ القشيري بذلك يقول: إن من سبقت له العناية لا تضره الجناية، حتى لا يستبعد المريد الذي سبق له زمن قطيعة كثرة الفتح عليه من الله تعالى، ومحوَ تلك الذنوب كلّها.

وقالوا: من لم يذقْ مرارة القطيعة لا يعرف مقدار حلاوة الوصال.

فكان من كمال حال من أراد الله أن يؤهِّله لتربية المريدين، وإرشادهم؛ وقوعه في بداية أمره، ولو في نية المخالفات؛ ليصير عنده حِلْم على العصاة، وصبرٌ على تقويم عوجهم.

وأيضاً فإنه بوقوعه في المعصية يزول عنه الإعجابُ بعمله، ويعرف سعة حِلْم الله عليه، ويقوم بين يديه بالذُّلِّ والأدب الذي هو مَهْرُ دخول الجنة، ولو أنه لم يسبق له معصية لم يعرف ذلك، وكان يسبق له مثل ما وقع في الإدلال على الله بعمله، كما هو مشاهد فيمن تربى على التورُّع، وعدم ابتلائه بشيء من القاذورات، فتراه يرى الخلق كلهم هالكين إلا هو، وهذا عينُ الكبر؛ الذي أدخل الله به المتكبرين النار.

وقال بعضهم: حكم المعاصي حكم السماد البلدي الذي يوضع في أرض شجر الفواكه فيحليها، ويطيب طعمها، أو كحكم الأنفحة للَّبن؛ فإنه مع طيب طعمه يحتاجُ إلى الأنفحة المنتنة الخبيثة الطعم؛ لتثبته، وتصونه من الفساد.

فإياك يا أخي! وتنفير مَنْ تاب من العصاة منك بكلامك الجافي، وعدم إحسانك إليهم؛ فإن إبليس ربما قال لهم أي فائدة لكم في صحبة الفقهاء، وتركتم أصحابكم الذين كانوا يحبونكم، ويسترون عليكم زلاتكم، وجئتم إلى من يحتقركم، ويزدريكم، ويكشف عوراتكم؟! فإذا أصغوا إلى كلام إبليس طلبوا الرجوع إلى حالتهم الأولى ضرورة.

فرغِّب يا أخي! من تاب من إخوانك في التوبة كلَّ الترغيب، وأحسنْ إليه كل الإحسان واذكر له ما ورَدَ في قبول التوبة من الآيات، والأخبار.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر لم تُقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب لم يتب الله عليه، وسقاه من نهر الخبال» قيل: يا أبا عبد الرحمن! وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار[١].

ومعنى: فإن تاب الأخيرة لم يتب الله عليه؛ بأنها توبة الكذابين، وأما إذا تاب بشروط التوبة المعروفة تاب الله عليه، وإن عاد سبعين مرة.

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها، لم يشربها في الآخرة»[٢].

١٥٨/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نحفظ فروجنا عما لا يحل لنا مباشرته من فرج، ومفاخذة، لذكر أو أنثى، أو تقبيل لذلك بشهوة محرمة، فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيما حرّم عليه، ومن هنا كره غالب العلماء الاستمتاع بما بين السرة والركبة للحائض، وكرهوا قطرة الخمر وإن لم تسكر، وكرهوا للصائم تناول مقدار أقلّ من سمسمة، وإن لم تؤثر فيه ثوران شهوة، وكرهوا له القبلة ولو شيخاً.

وقد عدُّوا استحلاء كلام الأجنبية من زنى الكلام المحرّم، فعلم أنه

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ١٩٢).

(٢) المصدر السابق.

لا ينبغي القرب من نساء أصحابنا اللاتي يخشى منهن الفتنة ولو بطيبة أنفس أزواجهن؛ لأن ما حرَّمه الله لا يُباح بالإباحة، فهم في الحكم كالذي يقر أهله على مقدِّمات الزنى، وهذا الأمر يقعُ فيه كثير من الفسقة الذين يتصاحبون على الفساد، فيطلب كل منهما التقرب لصاحبه بتمكينه من محادثة زوجته، والنظر إليها، ويقول لهم إبليس: أنتم الآن صادقون في الأُخُوَّة والمحبة.

فإياك يا أخي! أن تتهاون بمثل ذلك، أو تمكِّن زوجتك، أو ابنتك، أو أخواتك من التساهل بمصافحة العالم، أو المرشد؛ الذي يقعد لإرشاد النساء، أو تنظر إليه، أو ينظر إليها اعتقاداً أنه صار والدها يجوزُ له النظر إليها، وترى هي كذلك أنها صارت ابنته، ولها أن تُظْهِر وجهها له، وكل ذلك خروج عن الشريعة المطهَّرة، وربما جعل إبليس ذلك مقدِّمات للزنى، وقد قال الله تعالى لأصحاب رسول الله ﷺ في حق أزواج رسول الله ﷺ الطاهرات المبرّآت من فوق سبع سموات: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ٥٣] فإذا كان هذا في هؤلاء مع علوِّ مقامهم، فكيف بمن نفسُه عاكفةٌ على الشهوات المحرمة كعكوف الذباب على العسل.

فاترك يا أخي! جميعَ الأبواب التي تتوصَّل منها إلى الزنى، ولا تدخلْها، وتطلبِ السلامة؛ فإن ذلك لا يكون، والله يحفظ من يشاء كيف يشاء.

روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»(١) المراد بما بين لحييه: اللسان، وبما بين رجليه: الفرج.

١٥٩/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرغِّب إخواننا في

---

(١) بخاري (٨/ ١٢٥).

العفو عمن جنى عليهم، أو ظلمهم بقتل، أو أخذ مال، أو ضرب، أو وقوع في عرض، ونحو ذلك، فإن من عفا عفا الله عنه.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: إنما جعل الله الدِّية على العاقلة إذا شحَّ الورثة ولم يعفوا، وإلا فالعفو أولى عند الله تعالى.

والحكمة في جعل الدية على العاقلة: أنهم هم الذين كانوا سبباً في تَجَرُّئِه على القتل، فلولا أنه جعل الدية عليهم لم يكفوه عن القتل، فلما جعلها عليهم كانوا أوَّلَ من يكفّه عن ذلك خوفاً من غرامة الدِّية.

ويتعيَّن العملُ بهذا العهد على العلماء والصالحين لكونهم قدوةً للناس، فربَّما شاححوا في حقهم، فاقتدى بهم العوام والظلمة، وقالوا: إن فلاناً مع صلاحه وعلمه غلبتْ عليه النفس، ولم يصفحْ، فنحن أضعفُ منهم، وما فاز الصالحون وتميزوا عن غيرهم إلا باحتمال الأذى، والصفح عن زلل الإخوان في حقّهم.

وإن شاحح الصالحون أحداً فإنما ذلك تأديب له، وتقبيح؛ لئلا يتجاسر على غيرهم. كما وقع ذلك الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى شيخ الشعراني، فقد حكى الشعراني: أن شيخ الأزهر دخل على السيوطي وهو محتضر، فسأله الصفح عن زلل من كان آذاه من الفقهاء، فقال له: قد سامحتهم من حين وقعوا في حقِّي، وإنما أظهرتُ لهم التشويش والعداوة، وصنعت كراريس في الرد عليهم؛ لئلا يتجرؤوا على أعراض غيري من الناس.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: ومع صفحه رحمه الله عنهم مقتوا كلهم، ولم ينتفع أحدٌ بعلمهم.

وقال المرصفي رحمه الله تعالى: لا ترجُ الخير لمن آخذ إخوانه بما يبدو في حقه منهم، وعليك أن تعفو وتصفح لتفوزَ بمحبة الله تعالى لك، كما قال

لنبيه ﷺ: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ٥/ ١٣].

ثم من أقبح ما يقع فيه المسلم إذا طلب منه ذو قدرٍ، أو جاهٍ، أو سنٍّ، أو شرف أن يعفو ويصفح، فيقول: لا.

روى الطبراني عن كعب بن عجرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ من وصل من قطعه، وعفا عمن ظلمه، وأعطى من حرمه»[(١)].

وروى أبو يعلى عن عدي بن ثابت قال: هشم رجلٌ فم رجل على عهد معاوية، فأعطى ديته، فأبى أن يقبَل حتى أعطى ثلاثاً، فقال رجل: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من تصدَّق بدمٍ، أو دونَه، كان كفارةً له من يوم وُلِد إلى يوم تصدق»[(٢)].

وروى الطبراني بإسناد حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إذا وقف العبادُ للحساب، جاء قومٌ واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دماً، فازدحموا على باب الجنة، فقيل: مَن هؤلاء؟ قيل: الشهداء كانوا أحياءً مرزوقين، ثم نادى مناد: ليقمْ مَن أجره على الله فليدخل الجنة، ثم نادى الثانية: ليقمْ من أجره على الله فليدخلْ الجنة. قال: ومن ذا الذي أجره على الله؟ قال: العافون عن الناس، ثم نادى الثالثة؟ ليقم مَن أجره على الله فليدخل الجنة، فقام كذا وكذا ألفاً، فدخلوها بغير حساب»[(٣)].

١٦٠/ ٦ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرغِّب إخوانَنا في برِّ والديهم، وصلتهم، والإحسان إليهم، وبر أصدقائهم من بعدهما، ونبيِّن لهم تأكيد طاعتهما.

---

(١) معجم الطبراني (١٩/ ١٥٥).
(٢) الترغيب والترهيب (٣/ ٣٠٩).
(٣) المصدر السابق.

ويحتاج العامل بهذا العهد إلى توفيق زائد في هذا الزمان، مع مصاحبة أستاذ يطلعه على مقام الوالدين.

وتقدّم أن عمر بن عبد العزيز منذ وعى على نفسه لم يأكل مع والدته خوفاً أن تسبقَ عينُها إلى لقمة، أو قطعة لحم، أو رطبة، أو عنبة، فيأكلها وهو لا يشعر.

وقد كان السابقون يجلُّون آباءهم، وأمهاتهم، ولو صاروا في مراتب رفيعة في الدنيا، وذلك لنظرهم إلى الدار الآخرة، أما اليوم فصار غالبُ الناس اليوم بصره مقصوراً على أحوال الدنيا، وزينتها، حتى ولو نال الشهادات العالية في الشريعة، حتى إن أحد المدرسين جاءت والدته من الريف إلى المدينة، فأنكرها خوفاً أن تزدريه امرأته المدنية، وقال لها: يا عجوز! إن قلتِ أنا أمُّ فلان أخرجتك امرأتي، ولم أعدْ أمكنك من الدخول إلى داري أبداً، فكان يقول للخادمة: غدّيتم العجوز الفلاحة! ولو أنه كان فيه رائحة الأدب مع الله تعالى، وقَبِل وصيته في قوله ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [البقرة: ٢/٨٣]، لصارت أمَّ الأستاذ فلان، فأين ثمرة علم مثل هذا؟. ومثل الوالدين: الأستاذ المربي.

فعظِّم يا أخي! والديك، وقمْ بواجب حقهما طلباً لمرضاتهما، وإن طلبا منك طعامك، فأعطه لهما، واطوِ ذلك اليوم، وإن ضعفا فاخدمهما، وإن مشى باطناهما، فاغسل النجاسةَ عنهما بيدك، ولا تقلْ لهما قط أف، كما أنهما كانا يمسحان عنك البول والغائط، ويتحملان ذلك منك.

روى الطبراني عن سمرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن أبي اجتاح مالي! قال: «أنت ومالك لأبيك»[1].

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء

---

(١) الطبراني (٧/ ٢٣٠).

رجلٌ إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: «أحيٌّ والداك؟» قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد»(١).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه» قيل: مَن؟ يا رسول الله! قال: «من أدرك والديه عند الكبر أحدهما، أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة»(٢).

وروى مسلم عن ابن عمر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن من أبر البر صلةَ الرجل: أهل ودّ أبيه بعد أن يولّي»(٣).

١٦١/ ٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نصل رحمنا من نسب أو رضاع، وإن قَطَعت، كأبي الأم، وأولاد البنات، وبنات الإخوة للأم، وبنات الأعمام، والعمات، والخالات، والأخوال.

وتحصل الصلةُ بإطعام الرحم، أو كسوته، أو قضاء الدين عنه، أو إرسال هدية له إن كان بعيداً، وذهابه له إن كان مكانه قريباً منه، فإن لم يكن هدية فإرسال السلام.

ومدار الأمر أن يكون معتنياً برحمه، وبالإحسان إليه عملاً بوصية الله تعالى ورسوله حسب الاستطاعة. ومن فرَّط في شيء مما ذكرنا مع القدرة فقد قطع رحمه، وقاطع الرحم لا يصعدُ له عمل، ولا يغفر الله له حين يغفر لجميع خلقه في ليلة القدر، وليلة النصف من شعبان.

وهذا العهد قلَّ من يعمل به من أهل العلم والمشايخ فضلاً عن غيرهم، فبمجرد ما تتَّسع عليهم الدنيا ينسون قراباتهم الفقراء، ويستنكفون أن يعترفوا بأنهم من قراباتهم مع أنهم يبذخون على من ليس بينه وبينهم قرابة ولا نفع،

---

(١) مسلم (٤/ ١٩٧٥).
(٢) مسلم (٤/ ١٩٧٩).
(٣) المصدر السابق.

وهو دليلٌ ظاهر على أن جميع طعامهم وإحسانهم للناس إنما هو ليقال: فلان وهب، وذلك أن الأجنبي يشكر أحدهم في المجالس، والقريب يأكل، وينكر، ويسكت عن الشكر، ولو أن الله فتح عيونَ قلوب هؤلاء لقدَّموا ما أمرهم الله تعالى بصلته قبل من لم يأمر الله بصلته، كما أنه لو فتح عيونهم لأكثروا العطاء لمن لا يشكرهم، وفرحوا به أكثر ممن يشكرهم؛ لأن من شكر المعطي فقد كافأه، فيذهب المعطي إلى الآخرة صفر اليدين من الأجر إذا نوى الناس ولم يلحظ. ومن لم يشكره يجدْ ثوابه كاملاً في الآخرة لم ينقص منه شيء.

ويحتاجُ من يريد العمل بهذا العهد إلى أستاذ مربٍّ، يسلك به حتى يطلع على أحوال الآخرة بعين قلبه، وينظر ما أعدَّ الله تعالى للعاملين بما أمرهم الله تعالى به. فإنه ما من مأمور شرعي إلا وله درجة في الجنة، لا ينالها العبد إلا إذا فعل ذلك المأمور.

روى مسلم عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبَّ أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»(١).

وروى مسلم عن أبي هريرة: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! إنَّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تُسفُّهم المَلّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»(٢). الملّ: الرماد الحار.

١٦٢/ ٨ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نكفل اليتيم، ونرحمه، ونشفق عليه، ونسعى على الأرامل والمساكين، ونمسح رأس اليتيم، ونرغِّب جميعَ أصحابنا بذلك طلباً لرضى الله عز وجل، ومرافقةً لنبيه ﷺ في الجنة، ويتعين العمل بهذا العهد على كل من ربي يتيماً؛ لأنه ذاق ذلَّ

(١) المصدر السابق.

(٢) مسلم (٤/ ١٩٨٢).

اليتيم، وعرف مقدار كسر خاطر اليتيم.

وقد امتنَّ الله تعالى على نبيه محمد ﷺ بقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٩٣/٦] إلى آخر النَّسَق، فنهاه عن قهر اليتيم ونهر السائل؛ لذوقه ذلك، وأمره بالتحدُّث بالنعمة.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: إني رُبِّيت يتيماً، فمات والدي وأنا ابنُ ثماني سنين، وتركني مع إخوتي يتيماً، فكنتُ ربما أنظر الفاكهة تدخلُ بيت جيراننا فأقفُ أنظر إليهم وهم يأكلون، فربما أعطوني الخوخة، أو التينة، أو الخيارة، فأجد لها موقعاً عظيماً، ولما كفلني والد تربيتي الشيخ خضر، وأتى بي من الريف إلى مصر، وكساني ثياب ولده، حصل لي لذة أجد طعمها إلى الآن في نفسي، مع أن لحيتي قد شابت.

فاعلم ذلك، وأشفق يا أخي! على اليتيم والمسكين يقيِّض الله تعالى لك من يفعل ذلك مع ذرّيّتك. فقد كان جدّي يشفقُ على الأيتام، والأرامل، والمساكين، والمجذوبين، ويحلب اللبن، ويأكل مع المجذوم وجذامُه يقطر صديداً، فببركته قيَّض الله لي الشيخ خضر؛ الذي ربَّاني مع زوجته، فعشتُ معهما في أرغد عيش، وأرفهه في المأكل والملبس حتى ماتا، وبلغت، وتزوجت، فكنت أعد ذلك من جملة ما جوزي به جدّي، رحمه الله.

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بإصبعيه السبابة والوسطى[(١)].

وروى البخاري عن صفوان بن سُليم يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «السَّاعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار، ويقوم الليل»[(٢)].

---

(١) بخاري (٨/ ١٠).
(٢) المصدر السابق.

وروى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوةَ قلبه، فقال: «امسحْ رأس اليتيم، وأطعم المسكين»(١).

١٦٣/ ٩ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نزورَ الإخوان والصالحين، ونكرمَ كل واردٍ علينا.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى مربٍّ يمرُّ به إلى حضرة الأخلاق الحسنة ويكسوه منها ما قسم له، فتصير سجيَّته تعصي النفس والشيطان في كل ما يطلبانه منه، ويطيع المَلك في جميع حالاته، وهناك يخوضُ في الرحمة إن زار أحداً ذاهباً أو راجعاً، فإن غالب زيارة الناس اليوم بعضهم بعضاً لا إخلاص فيها، وإنما هي أهوية نفس. فترى المسلم يزور أخاه، وهو ملتفتٌ إلى ذكر ما اطلع عليه من نقائص أخيه، وتستحلي نفسُه ذلك حتى يذكره للناس، وربما كان المذكور لهم ذاك أعداءً لذلك المزور، فلا هو نصحه في ذلك النقص الذي رآه بينه وبينه، ولا هو ستره بين الناس.

وكثيراً ما يخرج الزائر فينشر ما رآه، أو سمعه في بيت المزور من المخالفات، ويظهر الندم على زيارته؛ احتقاراً له بين الناس، فمثل هذا الزائر خاض في نار جهنم ذاهباً وراجعاً، مع أن هذا القائل ربما زار الظلمة، وأكلة الحرام، وأكل طعامهم في رمضان، وخرج ينشر فضائلهم، ولا تكاد تسمع منه لفظة واحدةً في حقّهم تنقّصهم، وربما أجاب عنهم، وزجر من ينقصهم وردّ عليه، فكان العلماء والصالحون أحقَّ بذلك.

فحرّر يا أخي! النية الصالحة لكل من طلبت زيارته، ثم زُرْ، ولو لم تجد نيةً صالحةً إلى سنة أو أكثر، فلا حرجَ عليك في ترك الزيارة.

وقد كان السلف الصالح يحبون إرسال السلام لبعضهم بعضاً، ويرون ذلك أحسن من اللقاء؛ خوفاً أن كل واحد يرائي الآخر بذكره أحسن ما عنده

---

(١) المنذري (٣/ ٣٤٩).

من الكلام والأخلاق، ويزكِّي نفسه، فيستحقان الطرد والمقت، كما وقع لإبليس لعنه الله. وبالجملة فلا يتشوش من قلة زيارة إخوانه له إلا كلُّ قليل العقل.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: دخل عليَّ شخص من مشايخ العصر كان عندي من أعزِّ الإخوان، فذكرت له عن سيدي عليّ الخوّاص رحمه الله أنه كان يقول: مِن شرط مَن يدَّعي الكمال في طريق أهل الله تعالى: أن يكون فقيهاً، محدّثاً، صوفيّاً، فقلت: وقد منَّ الله تعالى عليَّ بالثلاثة ولله الحمد، وقصدت بقولي: فقيهاً؛ أنني من أهل الفهم في الكتاب والسنة، إذ الفقه لغة: الفهم، وبقولي: محدثاً؛ أنني أعرف أقول: قال رسول الله ﷺ كذا، وبقولي: أنا صوفي، ألبس الجبّة الصوف، فخرج من عندي، ما ترك مسجداً ولا زاوية حتى دخل يذمّني فيها. فقلت له: كيف تدَّعي طريق أهل الله وأنت لا تحمل أخاك على محمل واحد حسن. وقد قال الإمام النووي في «آداب العالم والمتعلم» في مقدمة «شرح المهذّب»: يجب على الطالب أن يحمل إخوانه على المحامل الحسنة في كل كلام يفهم منه نقصٌ إلى سبعين محملاً، ثم قال: ولا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق.

ثم إذا دخلت يا أخي لزيارة أخيك، فإياك وذكر حال أركان الدولة وما هم فيه، أو تذكر أحداً من المسلمين بسوءٍ، ونحوِ ذلك، فيصير اجتماعكما معصية، وهذا الأمر يقعُ فيه أكثر الزوار اليوم، فيجمع كلُّ واحد منهما جملة كلام وقع في تلك الجمعة، فيحكيه لصاحبه، ليس فيه كلمةٌ واحدة نصحاً ولا خيراً، ومثل هؤلاء لا ينبغي فتح الباب لهم.

واعلم أن الزيارةَ مأخوذةٌ من الزُّور: أي: الميل، يقال: زار فلان فلاناً؛ إذا مال إليه. ومن شرط صحة الميل لشخص: أن يعمى عن مساويه، وقد كان السلف إذا خرجوا إلى زيارة عالم، أو صالح طلبوا أن الله يعميهم عن مساوىء ذلك المزور، فكانوا لا يخرجون من عنده إلا بفائدة، ولو لم يكن

من أهلها أجراها الله تعالى على لسانه لموضع صدق الزائر.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مَدْرَجته مَلَكاً. فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمةٍ تَرُبُّها [أي: تحفظها، وتراعيها، وتُرَبّيها] قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»(١).

وروى مالك عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: وجبتْ محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ»(٢).

وروى الطبراني عن صفوان بن عسال قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار أخاه المؤمن خاضَ في رياض الجنة حتى يرجع، ومن عاد أخاه المؤمن خاض في رياض الجنة حتى يرجع»(٣).

١٦٤/ ١٠ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نقريَ الضيف ونكرمَه ونأمَر جميع إخواننا بذلك، ونبيِّن لهم ما ورد من تأكيد حقه، وهذه السُّنَّة عظيمة، والعامل بها قليل، ويتعيَّن على العلماء أن يدعو طلبتهم إلى طعامهم اقتداءً بسيد البشر صلوات الله وسلامه عليه، والكريم جعل الله تعالى أرزاق الخلائق على يديه ومَدَحه فضلاً منه، والبخيل لم يجعلْ لأحد على يديه رزقاً وذمّه عدلاً منه، فما أطعم كريم قطُّ أحداً من رزقه هو، وإنما أطعمه ما قسمه الحقُّ تعالى لذلك الآخذ، ولو أراد أن يمنعه لما قدر.

---

(١) مسلم (٤/١٩٨٨).
(٢) الموطأ (٢/٢٣٦).
(٣) معجم الطبراني (٣/ ٦٧).

فإياك يا أخي! أن تُطلِقَ لسانك فيمن وردتَ عليه، فلم يطعمك شيئاً، ولتعلم أن الله عز وجل لم يقسم لك رزقاً عنده، فلا تذمّه خوفاً من الوقوع في غيبته، وارجعْ في أمرك إلى القسمة الأزليَّة، وللحق تعالى أن يذمَّ عبده بالبخل، وليس لنا معشر الناس الاشتغالُ بذم الخلق، وفي رجوعك إلى القسمة الأزلية رائحة عذر لهم.

وإياك أن تضيفَ إنساناً، ويخطر في بالك أنه يقابلك إذا وردت عليه، فتكون مرائياً لا مخلصاً، والمرائي أجره حابط من أصله، وهو حالُ غالب الناس اليوم.

وإذا استضفتَ إنساناً في رمضان، فلا تقدِّم له طعاماً كثيراً زيادةً على حاجته، إلا إذا علمت منه العفَّة والقناعة، وعدم شراهة النفس، فإن علمتَ منه ضدَّ ذلك، فأخرج له شيئاً يسيراً؛ لأن رمضان شهر الجوع، ومن أعان ضيفاً على تعدِّي آداب الشرع، فهو إلى قلَّة الأجر أقرب، فينبغي لك أن تكون أشفق على الناس، وعلى دينهم من أنفسهم.

ولا تخشَ أن تنسب إلى التقصير إذا أخرجت للضيف اليسير، فمن خاف العتب من الناس، فقد خرم إخلاصه، ولتعلم أنه ما أخلص أحد عمله لله، وردَّ عليه بسوء. فإن ردَّ عليه بسوء، فإنما ذلك لشيء يخالطه من أهواء النفوس.

وحذارِ من التكلّف للضيف، وبخاصة إذا صرتَ موردةً للناس يَرِدون عليك، فإنك إن تكلفت هربت ولو بعد حين.

روى البخاري ومسلم عن أبي شُرَيح العدوي قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته» قالوا: وما جائزته؟ يا رسول الله! قال: «يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه»[1].

---

(١) مسلم (٣/ ١٣٥٣).

وروى مسلم عن أبي شريح الخزاعي قال: قال رسول الله ﷺ: «ولا يحل لأحدكم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثّمه»[1] أي: حتى يوقعه في الإثم بأن يقعوا فيه، والله أعلم.

١٦٥/ ١١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرغِّب إخواننا في الزرع والغرس إذا كانوا من أهلها، فإن ذلك معدود من الصدقة الجارية بعد الموت، سواءٌ باشر الزرع والغرس بنفسه، أو أقام من يفعل ذلك له بأجرة، لكن أجر من يباشر ذلك أرجح، وأكثرُ منفعة، فإن الأرض قد قلَّت بركتها تبعاً لاختلاف النيات، وفساد المعاملة مع الله تعالى، ومع خلقه، وما بقي فيها فائدة إلا لمن يعمل بيده.

وأما من يعمل بالأجرة فهو إلى الخسارة أقرب، اللهم إلا أن يوجد شخص يراقب الله تعالى في غيبة صاحب الزرع، حتى يكون غيابه مثل حضوره، فربما فضل له شيء يسير، وهذا أعزُّ من المعادن النادرة جداً، بل بعضهم لا ينصح في شغله بحضرة صاحب الزرع، وذلك مُذْهِب للبركة. والزرع يكثر ويقل، ويصغر ويكبر، بحسب طيب النيَّة وخبثها، وقد عزَّ إصلاح الناس من غالب أهل هذا الزمان. فالعاقلُ من زرع وحده مع مباشرة الزرع مع الأجير، ولا ينبئك مثل خبير.

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أُكِلَ منه له صدقةً، وما سُرِق منه له صدقةٌ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يَرْزَؤه أحدٌ إلا كان له صدقة»[2] يرزؤه: ينقصه، ويأخذ منه.

١٦٦/ ١٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نُرغِّب إخواننا بالجود والسخاء، ونكونَ أول الفاعلين لذلك؛ لا سيَّما في شهر رمضان.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) مسلم (٣/ ١١٨٨).

وهذا العهد قد قلَّ العمل به في غالب الناس حتى العلماء والتجار، فاكتفوا بالتوسعة على أنفسهم في المطاعم، والملابس، والمراكب.

وليس السخيُّ من ينفق ماله على نفسه، ويدع ذوي الحاجات يتلمَّظون من الجوع والفاقة، وليس السَّخي من ينفق ماله فيما نهاه الله عنه، وإنما السخيُّ من ينفق ماله في مرضاة الله تعالى.

ومن نصح الآخرين بالإنفاق، ودعا إلى خير ولم يفعل، كانت أفعاله مكذّبةً له، وحاجبةً للناس عن سماع مقاله، وكان ذلك دليلاً على ضعف يقينه بربه.

والجواد من يجودُ بحقوق الله في ماله، والبخيل من منع حقوق الله وبخل على ربه، وليس الجواد من أخذ حراماً، وأنفق إسرافاً، والإسراف كرم واسع خارج عن الحد والمقدار، ولما كان المسرف لا يقدر على المداومة عليه، بل يندم على ما يخرجه إذا وجد حالَه قد ضاق، جعله الله تعالى مذموماً، وجعل المحمود حالةً بين الإسراف والتقتير.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قلت: يا رسول الله! إنه ليس لِي من شيء إلا ما أدخل عليَّ الزبيرُ، أفأعطي؟ قال: «نعم، لا توكي فيوكى عليك» يقول: لا تحصي فيحصى عليك.

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «السخيُّ قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس بعيدٌ من النار، والبخيلُ بعيد من الله، بعيدٌ من الجنة، بعيدٌ من الناس، قريب من النار، ولجاهل سخيٌّ أحب إلى الله من عابد بخيل»(١).

١٦٧/ ١٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نقضي حوائج

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٢٣٠).

المسلمين، ونُدْخِلَ عليهم السرور، ولا نقبل على ذلك هديةً منهم، على قاعدة: أن فعل الطاعات بالأصالة إنما هو للثواب الأخروي.

فاقضِ أيها الأخ! حوائجَ المَسلمين لله تعالى، وإن طلبت على ذلك أجراً فاطلبه من الله على سبيل إظهار الفاقة، وأنه لا غنى لك عن فضله، وإياك وقبول الهدية على ذلك لا سيما من النساء والفقراء.

وقد كان الشيخ جلال الدين المحلِّي يخدم جميع عجائز محلَّته، وشيوخها العاجزين، ويشتري لهم الحوائج من السوق؛ ليدخل عليهم السرور، وربما قدَّم قضاء الحوائج على التدريس، وقد سأله أحدُ إخوانه في ذلك، فقال: قطعنا عمرنا في الاشتغال بالعلم، والآفات فيه كثيرة، قلَّ من ينجو منها، وما رؤي أحدٌ من العلماء بعد موته فقال: غُفر لي بعلمي أبداً إلا قليلاً؛ لما فيه من الآفات، بخلاف مثل هذه الحوائج، فربما يُغفر لنا بها.

ومن خَدَم خُدِم... من خدم الكبار والعاجزين في حال شبابه وقوَّته، قيَّض اللهُ له من يخدمه عند عجزه، مجازاة على فعله. فمن ضيَّع حقوقَ الله وحقوق عباده في صغره ضيَّعه الله في كبره، ومن وفى بحقِّ الله وحق عباده في صغره، قيَّض الله تعالى له من يخدمه في كبره. فلا تكاد ترى مخدوماً قطُّ في كبره، إلا وقد خَدَم الناسَ في صغره.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفَّس عن مؤمن كُربةً من كُرَب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة»[١].

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»[٢].

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٧٤).
(٢) بخاري (٩/ ٢٨).

وروى الطبراني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عز وجل خلقاً خلقهم لحوائج الناس، يفزعُ الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله»(١).

وروى السيوطي في «جامع الأحاديث» عن تمام عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «إن لله عباداً اختصَّهم بالنِّعم لمنافع العباد، فمن بخل بتلك المنافع على عباد الله، نقل الله تلك النعم عنهم، وحوَّلها إلى غيرهم»(٢).

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله تعالى: أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى: سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجته أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد ـ يعني مسجد المدينة ـ شهراً، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ـ ولو شاء أن يمضيه أمضاه ـ ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له، أثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام»(٣).

١٦٨/ ١٤ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نستحي من الله حق الحياء سراً وجهراً، حتى لا يكون لنا سريرة سيئة نخشى من ظهورها، وفضيحتها، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ونأمر جميع إخواننا بذلك.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى إحكام حضرة الإحسان، والدخول فيها على الدوام، وعدم الخروج منها، فإذا استدام له شهوده

---

(١) معجم الطبراني (١٢/ ٢٧٤).
(٢) جامع الأحاديث (٣/ ٣٤).
(٣) معجم الطبراني (١٢/ ٣٤٧).

للحق، فتارة يرى أن الله يراه، وتارة يؤمن بأنه جليس الله وإن كان لا يراه، كالأعمى يعرف أنه جليسٌ لزيد ولكنه لا يراه. ومن لم يحكم الدخول في حضرة الإحسان، فمن لازمه غالباً: قلة الحياء مع الله تعالى حتى في صلاته.

ولا يبلغ أحدٌ مقام الحياء مع الله تعالى حتى يتعطَّل كاتب السيئات، فلا يجد شيئاً يكتبه في حقه البتة، وبالجملة: فكل من وقع في شهوة كمعصية أو مكروه، فما استحيا من الله تعالى الحياء المشروع، ومن استحيا من الله استحيا الله منه يوم القيامة أن يؤاخذه، ومن غضب إذا انتهكت حرمات الله غضب الله له إذا انتهكت حرمته كذلك، ومن لم يستح من الله لم يستح الله من عذابه، ومن لم يغضبْ لله تعالى لا يغضب الله لأجله، وهكذا، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ٢/ ١٥٢] وكما قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧/٤٧].

قال الشعراني رحمه الله تعالى: سألتُ شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى عن الفرق بين الحياء الشرعي والحياء الطبيعي، فقال: الفرق بينهما هو أن الحياء الشرعي يكون فيما أمر به الشارع أو نهى عنه، فيستحي من الله أن يترك مأموراً، أو يقعَ في منهيٍّ، والحياء الطبيعي يكون فيما سكتَ عنه الشارع من الأمور العادية، كأن يخرج إلى السوق بغير رداء على كتفه، أو المشي حافياً، ونحو ذلك. ومن الفرق أيضاً أن يكون تقبيحه للأمور تبعاً للشارع لا بحكم الطبع، كما يقع فيه غالب الناس فيقع في الغيبة، والنميمة، ولا يستقبح ذلك، ويستقبح الجلوس مع كنَّاسٍ، أو خادمٍ، مع أنه لا مناسبة بين الجلوس مع المغتاب والكناس؛ لأن المغتاب آثم بيقين، في حين أن الكنَّاس إنسان يسعى برزقه الحلال.

فالمسلم عليه أن يستقبح ما استقبحه الشارع لا ما استقبحه الطبع، بل يستقبح ما استقبحه الشارع أكثر، وبذا يكون قد استحيا من الله تعالى.

روى البخاري ومسلم، وغيرهما، عن عمران بن حصين رضي الله

عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «الحياء لا يأتي إلا بخير»[(١)].

وفي رواية: «الحياء خير كله» وفي رواية: «الحياء كله خير».

وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: سمع النبي ﷺ رجلاً يعظ أخاه في الحياء، فقال: «الحياء من الإيمان»[(٢)].

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء» قالوا: يا رسول الله! إنا لنستحيي، والحمد لله. قال: «ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فَعَل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[(٣)].

١٦٩/ ١٥ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نحسِّنَ خُلُقَنا مع الناس ما استطعنا، ونُرغِّب إخواننا في ذلك. ويحتاجُ من يريد التخلُّق بهذا العهد إلى ملازمة خدن صالح حاوٍ لمكارم الأخلاق، يرفعك من دركات الجفاء إلى درجات حسن الخلق، ومن لم يصحب أهل المكارم فمن لازمه غالباً سوء الخلق، إلا أن تحفه العناية من الأزل.

وقد بلغنا أن الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ كان مشهوراً بحسن الخُلُق، فعمل الحسدةُ على إغضابه، فلم يقدروا، فاتفقوا مع الخياط مرة أن يعملَ له الكمّ اليمين ضيقاً جداً لا يخرج يده منه إلا بعسر، ويعمل اليسار واسعاً جداً، فلما رآه الإمام قال له: جزاك الله خيراً الذي ضيقت كمي اليمين لأجل الكتابة، ولم تحوجني إلى تشميره، ووسَّعت اليسار لأحملَ فيه الكتب. مع أنه كان يقول رحمه الله تعالى: من استُغْضِب فلم يغضب فهو

---

(١) مسلم (١/ ٦٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) معجم الطبراني (١٠/ ١٥٢).

حمار، ومن استُرضيَ فلم يرضَ فهو شيطان. فيحمل قوله هذا على غضبه لله تعالى، ويحمل عدم غضبه على غضبه لحظِّ نفسه، فالكُمَّل على الأخلاق الإلهية، والله تعالى يغضبُ لغيره، ولا يغضبُ لنفسه، فلو انتقم تعالى لنفسه لأهلك الخلق كلَّهم في لمحة.

وبلغنا أنهم صبّوا مرة على الجنيد غسالة سمك وهو خارجٌ لصلاة الجمعة، فعمَّته من جُمَّته إلى ذيله، فضحك، وقال: من استحق النار فصولح بالماء لا ينبغي له الغضب، ثم عاد إلى البيت، واستعار ثوباً، وصلى فيه.

وكان السَّلفُ الصَّالح يقولون رضي الله عنهم: الدرجاتُ هي الخُلُق الحسن، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدرجات.

ومن أعظم حُسْن الخلق: صبرك على من تقدر على تنفيذ غضبك فيه، ثم تتركه كزوجتك، قال الخوّاص رحمه الله تعالى: لي مع ابنة عمي سبع وخمسون سنة، ما أظن أنا بتنا ليلةً واحدة صلحاء إلى يومه ذاك.

ومن أعظم حُسْن الخلق: أن تغفر، وتسامح لمن آذاك من الناس عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٤٢/٣٧].

وكذلك من أعظم حسن الخلق: أن يكون الإنسان نفَّاعاً للناس، ومع ذلك يذمُّونه، وينقصونه، فلا يمنعه ذلك من النفع لهم.

وقد كان أحد الصالحين ناظر وقف، فكان يعمل الطعام الفاخر من عنده للفقراء المساكين في الوقف، ويحضره إليهم، ويقول: شخص خرج لكم عن هذا الطعام، ويوهمهم أن ذلك من غيره، ثم يَسمعهم يقعون في عرضه، ويقولون: هذا لا يأتينا إلا بما فضل عنه، ومع ذلك فلا يصدّه ذلك عن الإحسان إليهم، بل يفرح، ويقول: العبد لا يعاملُ إلا الله، وأما الخَلْق فمفاليس، ليس معهم شيء يأخذه منهم يوم القيامة. فهذا من أعظم أخلاق الرجال.

ووصف عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ حُسْن الخلق فقال: هو بَسْط الوجه، وبذل المعروف، وكفُّ الأذى.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «ما شيء أثقلُ في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، فإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء»(١).

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله، وحُسن الخلق» وسُئِل عن أكثر ما يدخل الناسَ النار فقال: «الفم والفرج»(٢).

وروى الطبراني عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله المرأة منا يكون لها زوجان ثم تموت، فتدخل الجنة هي وزوجاها، لأيهما تكون؟ للأول أو للآخر؟ قال: «تخيّر أحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا يكون زوجها في الجنة يا أم حبيبة! ذهب حُسْن الخلق بخير الدنيا والآخرة»(٣).

١٧٠/ ١٦ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نُرَوِّضَ نفوسنا على مراقبة الله عز وجل، حتى نرفق بخلق الله، ونتأنّى في تحصيل ما نطلبه، ونحلم على من خالفنا، وعصانا، وآذانا، وهذا العهدُ من أكمل أخلاق الرجال، وقليل فاعله، ومن تخلَّق به ذوقاً لم يصرْ عنده فظاظةٌ، ولا غلظة إلا على من أمره الله تعالى بالإغلاظ عليهم. وكذلك من تخلق به لا يقابل أحداً آذاه بنظير فعله أبداً.

روى مسلم عن جرير رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من يحرم الرفق يحرم الخير»(٤).

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٢٤٤).
(٢) المصدر السابق.
(٣) معجم الطبراني (٢٣/ ٢٢٢).
(٤) المصدر السابق.

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»(١).

وروى أيضاً عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزَع من شيء إلا شانه»(٢).

١٧١/ ١٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نعوِّد نفوسنا طيب الكلام، وطلاقة الوجه لكل مسلم من عدو وصديق.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى مربٍّ ناصح، يشهده محاسن الوجود، ويحجبه عن مساويه؛ إذ المحاسن هي الأصل، والمساوي عارضة عرضت من حيث الأحكام الشرعية لا غير. فإذا شهد تلك المشاهد صار يخاطب من الخلق السرّ القائم بهياكلهم لا هم، ومن كان يخاطب سر الله تعالى فكأنه يخاطب الله تعالى، ومن كان هذا مشهدَه رُزق من طيب الكلام، وطلاقة الوجه ما لا يُقَدّر قدره، وجنّبه الله كل كلامٍ جافٍ.

ومن لم يلازم المربي، فمن لازمه غالباً: الكلام الجافي للناس، لا سيّما الذين أخذوا العلم عن الأوراق، فإنهم يزدرون ويحتقرون كلَّ من خالف ما فهموه، ويغلظون عليه الكلام، إلا إن كان له مال أو جاه، كما هو مشاهَد منهم حال خطابهم الأمراء والمسؤولين مع علمهم بمظالمهم، وشربهم الخمر، وتضييعهم الصلوات، وغير ذلك، فيتلطَّفون بهم في حال خطابهم أشد الملاطفة، بخلاف من لا مال له ولا جاه.

ولو فتح الله عيون بصائر أولئك لتلطَّفوا في كلامهم لسائر المسلمين؛ فإن ذلك أقرب إلى انقيادهم لهم، وسماع وعظهم.

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٠٣).
(٢) معجم الطبراني (٢٣/ ٢٢٢).

ومن شروط الداعي إلى الله تعالى: ألا يكون عنده غلظة، ولا فظاظة على الفسقة المارقين، بل يجب عليه تليين الكلام والتقرُّب إلى خواطرهم بالإحسان إليهم حتى يميلوا إليه، فإذا مالوا فلينصحهم إذ ذاك.

وفي الحقيقة إنما أرسل الداعي إلى الفسقة لا إلى المستقيمين، فالمستقيم لا يحتاج إلى الداعي، وإذا أغلظ القول على الفسقة، فرّوا منه، ونفروا.

وقد مرَّ فسقةٌ في زورق في دجلة على معروف الكرخي رحمه الله تعالى وبين أيديهم الخمر وآلات اللهو، فقال له أتباعه: يا سيدي! ادع الله عليهم، فقال: ابسطوا أيديكم معي فبسطوها، فقال معروف: اللهم كما فرَّحتهم في الدنيا ففرِّحهم في الآخرة. فقالوا له: كيف ذلك؟ فقال: يا أولادي! إذا فرَّحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا، فطوينا لهم التوبة في الدعاء.

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: وهذا من معروف غايةُ السياسة، وغايةُ اللطافة.

وقد كان الشعراني ـ رحمه الله تعالى ـ يكاتب اليهود والنصارى الذين كانوا يلون أمر الضرائب والمظالم في تخفيف المظالم عن المسلمين، ويقول في كتابه لهم: أسال الله لفلان أن يرضى عنه، ويدخله الجنة مع الصّدّيقين والشهداء والصالحين، ويضمر له سؤال التوبة من الكفر ليصحَّ دخوله الجنة، وربما أنكر ذلك عليه من لا علم له بطرق السياسة. ولو أنه دعا له بالوفاة على الإسلام لنفر خاطره منه، ولم يقبلْ شفاعته.

فاعرف يا أخي! طرقَ السياسة، وعوِّد نفسك طيب الكلام، فإنه أحسن، سواء كان المخاطب صالحاً أو طالحاً، والله عليم حكيم.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك

بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك»[١].

١٧٢/١٨ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نفشي السَّلام بيننا على العدوّ والصديق من المسلمين، بل العدوّ أولى بالسلام، وكأنَّ من يسلِّم يقول لعدوِّه: أنت في أمان مني أن أؤذيك، أو أسعى في ضررك. ومعنى السلام على رسول الله ﷺ: أنت يا رسول الله! في أمانٍ مني أن أخالفَ شرعك. فكان على المسلم أن يقرَّ عينه ﷺ بذلك، وإلا فالأكابر من الناس آمنون من شر الأصاغر. والأكابر، أعني: أهل الله لا يهجرون أحداً إلا لمصلحة، فهم يتركون السلام عليه تقبيحاً لصنيعه، وهم في الباطن يحبونه محبة أهل الإسلام لبعضهم بعضاً، فحكمهم كالطفل مع والدته تخوِّفه ليرجع عن الفعل الرديء خوفاً أن يتربَّى عليه، وهي راحمةٌ له في الباطن محبة له وربما ضربته. فإياك أن تظنَّ بهم أنهم تركوا السلام أو البشاشة لإنسان لحظِّ نفوسهم.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: إذا مررتَ على عدوّك فسلِّم عليه، واجهرْ له بالسلام؛ بحيث تصدع قلبه إن كنت تعلم من دينه أنه يغلب نفسه، ويردُّ عليك السلام، وإلا فتركُ السلام عليه أولى؛ لئلا توقعه في معصيةٍ بترك الردِّ الذي هو واجب.

وقال أيضاً: البداءة بالسلام سنة، وهي أكثر ثواباً من الردِّ وإن كان واجباً، لا سيَّما بين المتشاحنَيْنِ؛ فإن المبادرة لزوال الشحناء واجبة، والسلام طريق إليها، وهو مستثنى من قاعدة: أن ثواب الواجب أفضل من ثواب السنة.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٢٣٤).

تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[1].

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[2].

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمروٍ رضي الله عنهما: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[3].

وروى أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام»[4].

١٧٣/ ١٩ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نصافح إخواننا عند اللقاء، ولا نترك ذلك إلا لضرورة، كأن لم يرض من نصافحه أن يصافحنا لفخامته، أو لجهل، وغلظة، أو لعلّة في يده.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: والحكمة في المصافحة: استجلاب الود والتعاضد، كأنَّ كلاً منهما يقول لصاحبه: أنا معك في جميع ما تريد من الخير؛ فإن صورة المصافحة صورة العهد.

وكان ﷺ لا يصافح أحداً إلا ويشدُّ على يده، فيشابكه إشارةً لقوة التلازم، فاعلم ذلك، واعمل عليه، والله تعالى يتولى هداك، والله عليم حكيم.

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٢٢١).
(٢) مسلم (١/ ٧٤).
(٣) سنن أبي داود (٤/ ٣٥٠).
(٤) المصدر السابق.

روى أبو داود عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان، فيتصافحان، إلا غفر لهما قبل أن يفترقا»[1].

وروى أبو داود عن أنس بن مالك قال: لما جاء أهلُ اليمن قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم أهلُ اليمن، وهم أول من جاء بالمصافحة»[2].

١٧٤/ ٢٠ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن ندفع غضبنا ونكظم غيظنا، ونأمرَ بذلك جميع إخواننا، وإذا غضب أحدنا وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع، فإن لم يَزُل فليتوضأ.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى من يدلُّه على مراقبة الله عز وجل، وأنه الفاعل لكل ما برز في الوجود، ولو أن المرء أدرك ذلك لذهب عنه ما يجده. فما غضب الناس من بعضهم البعض إلا لأنهم يشهدون الفعلَ من جنسهم، فلذلك غضبوا على غضبهم.

والعارفون بالله لا يغضبون لأنهم لا يجدون من يرسلون عليه غضبهم، ويجدون كل شيء وقع في الوجود عين الحكم، فذهب اعتراضهم، اللهم إلا أن يكون الغضب لله إذا انتهكت حرماته. فقد أذن الشارعُ لك فيه، فكأن الحق تعالى يقول للكامل: إذا رأيت عملاً برز على يد أحدٍ من خلقي مخالفاً لشريعة نبيِّي ﷺ فاغضب، ولو شهدت أني أنا الفاعل، ولكنِّي لم آمرك أن تغضبَ على فعلي، وإنما آمرك أن تغضبَ على وجه، نسبة الفعل إلى عبدي.

فَعُلِم أنه لا سبيل لأحد إلى تبرئة المكلف عن الفعل جملةً أبداً، وما رميت إذ رميت، ولكن الله رمى.

وقد مرَّ أن كل من غضب لله تعالى غضب الله تعالى لغضبه إذا آذاه أحد،

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٣٥٤).

(٢) المصدر السابق.

جزاءً وفاقاً، ومن رأى محرَّمات الحق، وسكت على فاعلها مع قدرته على منعه، لم يغضب الله لغضبه، ولا ينتصر له، بل يتركه حتى يكاد يذوب، فلا يلومن العبد إلا نفسه.

وإبليس لم يسلِّطه الله تعالى قطُّ على إنسان إلا بعد وقوع ميلٍ منه إلى ذلك الأمر الذي وسوسَ له به، فالإنسان ككفَّتي الميزان، وقلبه كلسان الميزان، وإبليس واقف تجاهه ينتظر ميل قلبه لمعصية لينفِّذَ قضاء الله فيه بحكم الإضافة فقط، فلا يأتيه إلا إن رأى لسان الميزان خرج، وتدلَّى، فهناك يأتيه فينحِّيه إلِى فِعْل تلك المعصية، وما دام لسانُ الميزان لم يخرج، وهو واقف في خطٍّ استواء القلب، فلا سلطان للشيطان عليه؛ لأنه إما معصوم كالأنبياء، وإمَّا محفوظ كالأولياء.

ومن تحقق بهذا، فهو الذي يقيمُ حجة الله تعالى على نفسه، وإلا فمن لازمه أن يقول: أي شيء أعمل؟ قدَّر الله تعالى عليَّ، فلا يكاد يندمُ إلا قليلاً.

وقد طلب الله تعالى منا في هذه الدار الندم والاستغفار عند كل معصية، ولم يكتفِ منا بذلك في الباطن من غير إظهار، وذلك ليقتدي بنا غيرنا، ويعظموا حدودَ الله إذا وقعوا في معصية.

وسمي الكامل أبا العيون؛ لأن له عيناً ينظر بها إلى التقدير الإلهي؛ ليعطي التوحيد حقه ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٣٧/ ٩٦] وعيناً ينظر بها نسبة الفعل إلى نفسه ليتوب، ويستغفر من كلِّ ذنب في آنٍ واحد.

فالإنسانُ قبل العلم أول ما يفتح عينيه على نسبة الفعل إليه، فلا يزال كذلك حتى يتعلَّم، فتنجلي له الحقيقة، فيشهد الفعل لله تعالى وحده بقطع النظر عن الخلق جملة، ثم يزداد علماً، فيدرك أن عَدَمَ نسبة الفعل للمكلف يكون كالتكذيب للقرآن؛ لأن الله تعالى أضاف العمل إلى المكلف، وأقام به عليه الحجة، فكيف يقول: لا عمل لي، ولا حجة لله عليَّ؟.

وأكثر ما يقع في هذا النقص من يتعلَّم بغير شيخ مرشد، فيكتفي بنفسه، والله سبحانه وتعالى جعل العلماء ورَثة الأنبياء. وربما وصل هذا المتعلم إلى حالٍ يترك العمل بالشريعة البتة، فلا تكاد تجده يحرِّم حراماً، ولا يستغفر من ذنب مطلقاً، وإن قال له شخص: إن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ٢/١٨٨] أو قال رسول الله ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام» قال: ذلك في حقِّ قوم يشهدون أن لهم مع الله ملكاً. ونحن لا نشهدُ ذلك، ومن هنا يضلُّ ضلالاً مبيناً، ويستهينُ بمحارم الله؛ فإن زنى يقول: إن الله هو المقدِّر، وإن سكر يقول: إن الله هو المقدِّر، وإن أخذ مال الناس يقول: إن الله هو المقدِّر، فيقال له: وإذا أدخلك جهنم على هذه الأعمال فهو المقدّر. فهذه فائدة التلمذة على الأساتذة، ينقلونهم من التوحيل إلى التوحيد.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن، عن أبي سعيد الخدري، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً صلاة العصر بنهار، ثم قام خطيباً فلم يدعْ شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، حفظه مَن حفظه، ونسيه من نسيه، وكان فيما قال: «إن الدنيا خضرةٌ حلوة، وإن الله مُستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء».

وكان فيما قال: «ألا لا تمنعنَّ رجلاً هيبةُ الناس أن يقول بحقٍّ إذا علمه» قال: فبكى أبو سعيد، فقال: قد والله رأينا أشياءَ فهبنا.

وكان فيما قال: «ألا إنه يُنْصَبُ لكل غادر لواءٌ يوم القيامة بقدْر غَدرته، ولا غَدرة أعظم من غَدرةِ إمامِ عامّةٍ يركز لواؤه عند استه».

وكان فيما حفظنا يومئذ: «ألا إن بني آدم خُلِقوا على طبقات شتّى، فمنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً، ويحيا كافراً، ويموت كافراً، ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً، ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً، ويحيا كافراً، ويموت مؤمناً، ألا وإن منهم

البطيء الغضب سريع الفيء، ومنهم سريعُ الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك، ألا وإن منهم سريعَ الغضب بطيء الفيء. ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء، وشرُّهم سريع الغضب بطيء الفيء.

ألا وإن منهم حسنَ القضاء حسنَ الطلب، ومنهم سيىء القضاء حسن الطلب، ومنهم حسن القضاء سيىء الطلب، فتلك بتلك.

ألا وإن منهم السيىء القضاء السيىء الطلب.

ألا وخيرهم الحسن القضاء الحسن الطلب، ألا وشرهم سيىء القضاء سيىء الطلب.

ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم. أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه؟! فمن أحسَّ بشيء من ذلك فليلصَق بالأرض». قال: وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي منها شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه»[(١)].

١٧٥/ ٢١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نصلحَ بين المسلمين، ونبذلَ في الصلح بينهم المال، ثم لا نطلب على ذلك عوضاً لا في الدنيا ولا في الآخرة، ونرى أن لله تعالى المنةَ علينا بذلك الذي أهَّلنا للصلح، وجعلنا ميزان عدالة بين الناس يرجعون إلينا، ويقفون عند قولنا. والمال الذي نبذله نراه مشتركاً بيننا وبين المسلمين المحتاجين له، ونرى أن بذل المال في الصلح بين المسلمين من بعض حقوقهم علينا.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس» قال: «تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة»[(٢)].

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٣٢٧).
(٢) مسلم (٢/ ٦٩٩).

وروى مسلم عن سعيد بن أبي بُردة، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة» قيل: أرأيت إن لم يجدْ؟ قال: «يعتمل بيديه فينفع نفسه، ويتصدَّق» قال: قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف. . .» الحديث.

١٧٦/ ٢٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نردَّ عن عرض أخينا المسلم إذا استغابه أحد عندنا، أو بلغنا ذلك عنه حسب الطاقة.

وهذا العهدُ قد صار غالبُ الناس يخلُّون بالعمل به، حتى بعض المشايخ من العلماء والصلحاء، فتراهم يسكتون على غيبة أخيهم، وربما اشتفَوا بذلك في نفوسهم، وهذا من أقوى الأدلة على عدم فطامهم عن محبة الدنيا على يد مربٍّ ناصح.

فإن محب الدنيا يحبُّ الانفراد فيها بالمقام، ومحبة الصيت، والشهرة بالكمال، ويكره من يعلوه في ذلك، فهو يتوهَّم بغيبة الناس لمن يعلوه أن الناس إذا نقصوه يزول اعتقادهم فيه، ويعكفون على اعتقادهم له هو، وغاب عنه أن من نوى شيئاً، أو فعله رجع عليه نظيره، ولو أنه تشوَّش ممَّن استغاب أخاه المسلم لزاده الله تعالى رفعةً على أقرانه كلهم؛ لأن الحماية إنما هي من الله تعالى لا من الخلق، وقد أخذت علينا العهود من المشايخ أن نقوِّي نور إخواننا جهدنا، ونطفيء نور أنفسنا جهدنا؛ ليرجع نظير ذلك علينا فإن من سعى في إطفاء نور أخيه أطفأ الله تعالى نوره. فاحرصْ إذا ذكر عندك أحدٌ من أهل العلم، والصلاح، والتقوى، أن تذكر محاسنه، وأن ترفعه عند الناس إذا هم وضعوا منه. وهذا لن يتمَّ لك إلا بمصاحبة ولي ناصح؛ حتى يخرجك من حب الرياسة، وتصير تحبُّ الخفاء لنفسك والظهور لغيرك، وعندها لا تصير تقدر تسمع غيبة في أحد، وما دمت تحبُّ الدنيا والظهور، فمِن لازمك: محبة تنقيص إخوانك تصريحاً وتعريضاً، فتكون ممقوتاً بين العباد.

قال الشيخ أفضل الدين لأحد الشيوخ، وقد رآه يجعل تلامذته يمشون

معه: كيف تحبُّ الظهور في هذه الدار، وإبليس نفسه اختار الخفاء فيها، وقال: لا أظهر في دارٍ لَعَنني الله فيها، فشيء زهد فيه إبليس، وكرهه، كيف تحبه أنت؟.

فلما سمع الشعراني رحمه الله تعالى من أخيه أفضل الدين مقالته، قال له: لنا مخالفة إبليس في كل شيء أحبه، فإنه لا يحب إلا الشر. فقال أفضل الدين: صحيح، ولكن ذكرت ذلك توبيخاً مثل ما نوبخ المسلم بالخلق الحسن الذي نراه في الكافر، وإن لم يتديّن هو به.

فاسعَ في الخفاء جهدك حتى يقع الظهور لك قهراً عليك، صدقة من الله عليك، وكفى بالله ولياً، وكفى بالله نصيراً. فاعلمْ ذلك، واعمل عليه يذهب عنك الغل، والحسد، وسائر الأمراض الباطنة المتعلقة بالناس، الحاملة لك على غيبتهم، والحاملة لهم على غيبتك، والله يتولى هداك.

روى أبو داود عن معاذ بن أنس الجهني، عن النبي ﷺ قال: «من حمى مؤمناً من منافق» أُراه قال: «بعث اللهُ ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً بشيء يريد شَيْنَه به، حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»(١).

وروى أبو داود عن جابر وأبي طلحة قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرىء يخذل امرأً مسلماً في موضع تُنتهك فيه حرمته، ويُنتَقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موطن يحبُّ فيه نصرته، وما من امرىء ينصر مسلماً في موضع ينتقصُ فيه من عرضه، وينتهك من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب نصرته»(٢).

١٧٧/ ٢٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نسعى في

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٧١).
(٢) المصدر السابق.

تحصيل سلامة صدورنا من الغل، والحسد، وغير ذلك، فإن من كان غير سليم الصدر محروم من الخيرات كلها.

ومن شروط الاجتماع بالخضر عليه السلام ورؤيته، ثلاثة:

أولها: سلامة الصدر من كل سوء لأحد من هذه الأمة.

الثاني: أن يكون على سُنّةٍ، ليس مرتكباً شيئاً من البدع.

الثالث: ترك الادّخار للغد.

قال الشعراني رحمه الله نقلاً عن النبتيتي رحمه الله تعالى: من لم تجتمع فيه هذه الثلاثة الشروط لا يجتمع بالخضر، ولو كان على عبادة الثقلين.

قال النووي رحمه الله تعالى: جمهور العلماء على أن الخضر عليه السلام حيٌّ، موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية، وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه، وسؤاله، وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يستر.

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حيٌّ عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك، قال: وإنما شذَّ بإنكاره بعض المحدثين.

قال المازري: اختلف العلماءُ في الخضر: هل هو نبي أو ولي، واحتج من قال بنبوته بقوله تعالى: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ ﴾ [الكهف: ١٨/ ٨٢]. فدلَّ على أنه نبيّ، وبأنه أعلم من موسى.

وقال الثعلبي المفسِّر: الخضر نبيٌّ معمَّر على جميع الأقوال، محجوب عن الأبصار، يعني: عن أبصار أكثر الناس، وقيل: إنه لا يموتُ إلا في آخر الزمان حين يُرْفَع القرآن. وكنية الخضر: أبو العباس، واسمه بليا بن مَلْكان،

وهو من أبناء الملوك. ولُقِّب بالخضر لأنه جلس على فروة، فإذا هي تهتزُّ من خلفه خضراء، كما جاء في البخاري[1].

ومن شذَّ من المحدثين فقال بموته، استدل على ذلك بما روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلَّم قام، فقال: «أرأيتكم ليلتَكم هذه؛ فإنَّ على رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد» والمراد: أن كل نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مئة سنة.

والجمهور على حياته، ويتأوّلون هذه الأحاديث على أنه كان على البحر لا على الأرض، أو أنها عامٌّ مخصوص.

نعود إلى الحديث فنقول: يحتاجُ المؤمنُ إلى سلامة الصدر من الغل، والمكر، والحسد، والذي يمكر هذه السيئات فهو مُهدَّد بالخسف، كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ١٦/ ٤٥] ومن مكر بأحدٍ من المسلمين، أو نوى به سوءاً في ساعة من ليل أو نهار، فقد تعرض لخسف الأرض به.

ويحتاجُ من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد مُرَبٍّ، يزيل جميعَ رعوناته، حتى تصفّى نفسه، فلا يصير يرى في أحد عيباً قياساً على نفسه هو.

قال الخواص: جميع الصفات البشرية مجموعة في كل ذات، ففي الأكابر ما في الأصاغر، وعكسه، لكن المحاسن ظهرت في الأكابر، وخفيت في الأصاغر؛ ولذلك دعوا إلى الترقي، والمساوي ظهرت في الأصاغر، وخفيت في الأكابر. وما خرج عن هذه القاعدة إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم محاسن صرف، ليس فيهم شيء من المساوي.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٣٥).

ولا يصح من مُكلَّف سلامة الصدر إلا بعد تصفيته من استعمال شيء من المساوي حتى يظن بجليسه أنه لا يقعُ في شيء من المساوي. ومتى وقع في خَلَده أن جليسَه يقعُ في شيء منها، فلا يكون سليم الصدر.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضُكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات. «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»[(١)].

وروى مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «تُعْرَضُ أعمالُ الناس في كل جمعة مرتين: يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبد مؤمن إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا، أو اركوا (أي: أخِّروا) هذين حتى يفيئا»[(٢)].

١٧٨/ ٢٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نتواضع لإخواننا المسلمين، بمعنى: أننا نرى أنفسنا دونهم في المقام، لا أنَّا نرى لنا مقاماً فوقهم، ونتنازل لهم منه، كما هو ظاهر لفظ التواضع.

وهذا العهد يحتاجُ من يريد العمل به إلى مُرَبٍّ قطعاً؛ ليتحقق بهذا العهد.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وقد تحققنا به بحمد الله تعالى على يد سيدي عليّ الخوّاص، فلست أرى لي مقاماً على أحدٍ من المسلمين، ولو بلغ في الفسق ما بلغ، فالحمد لله رب العالمين.

---

(١) مسلم (٤/ ١٩٨٥).

(٢) المصدر السابق.

فدعوى التواضع وحدها غير كافية، فربما يقول الإنسان بلسانه: نحن من أقلّ الناس، نحن تراب، وإذا احتقره إنسان، أو نقصه، تضيق عليه الدنيا بما رحبت، فأين قوله: نحن من أقل الناس، ولو أنه كان صادقاً لرأى أن جميع ما نقصه المنقصون دون ما يعرفه هو من صفات نفسه الخبيثة. فمتى بلغ الإنسان مبلغاً في التواضع بحيث لو أردت أن ترفعه عليك لا يرتفع عند نفسه أبداً، فهو المتحقق بهذا العهد.

وكان الإمام الجنيد يقول: لا يبلغ أحدٌ درجة المتواضعين من أكابر العارفين، حتى يرى أن نفسه ليست بأهل أن تنالها رحمة الله، وإنما رحمةُ الله له محض امتنان، والله غفور رحيم.

روى مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد اللهُ عبداً بعفوٍ إلا عزّاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(١).

وروى أبو داود عن عياض بن حمار رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا؛ حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد»(٢).

وروى الطبراني عن ركب المصري، قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذلَّ في نفسه من غير مسكنة، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية، ورحم أهلَ الذل والمسكنة، وخالط أهلَ الفقه والحكمة، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شرَّه، طوبى لمن عمل بعلم، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله»(٣).

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٠١).
(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٧٤).
(٣) معجم الطبراني (٥/ ٧٢).

١٧٩/ ٢٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نصدق مع الله تعالى، ومع إخواننا المسلمين في أقوالنا، وأفعالنا، ودعاوينا. والصدق كالسيف، ما وضع على شيء إلا أثّر فيه، فعلم أنه يسوغ لنا أن نقول: نحن نحب الله ورسوله والمسلمين أجمعين على قدر ما أعطانا الله. ويسوغ لنا أيضاً أن نقول إذا سألنا سائل: أتخاف الله؟ نعم على قدر ما وضعه الله عندي من الخوف. وإذا قيل لك: أتحب الله؟ فقل: نعم، على قدر ما وضعه عندي من المحبة له، وإذا قيل لك: هل أنت ورع؟ فقل: نعم على قدر ما وضعه الله عندي من ذلك. . . وهكذا.

ومما عُدَّ من الكذب الملحق بالصدق: كذب الإنسان على زوجته بأنه يحبُّها أكثر من ضرَّتها، والكذب في الصلح بين الناس، كقول القائل: إن فلاناً يحبك، مع علمه بأنه يبغضه، وهذا داخلٌ في معنى حديث: «وتُقَارِبُ بينهم إذا تباعدوا». وفي الحديث: «ليس بالكاذب من يصلح بين الناس فيقول خيراً، أو ينمي خيراً».

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ٨] فإن الله تعالى سمَّاه صدقاً، فكيف يسأل عنه.

فالجواب إن المراد بهذه الآية الغيبة والنميمة ـ وإن كانتا صدقاً ـ لا يجوز فعلهما؛ إذ ما كل صدق يجوز فعله، وما كل صدقٍ حقٌّ؛ إذ الصدق ما وقع، والحق ما وجب فعله. فإذا نقل المسلم الكلام كما سمعه من غير زيادة ولا نقصان، وإذا ذكر أخاه المسلم بما فيه من السوء فهذا صدق وليس بحق، وما كل صدق يجوز فعله، بخلاف الحق.

وللعلماء قولان فيمن سُئِل عن شيء يلزم منه أذى لمسلم، كما إذا سَألنا ظالم: أين فلانٌ حتى يظلمه بأخذ مال، أو سجن، ونحوهما، هل يَصْدق، أو يقول: لا أعلم طريقه، ويورِّي عن ذلك؟ بكلٍّ من القولين، قاله جماعة. والمختار: جواز الكذب، بل وجوبه.

وفي حديث توبة كعب بن مالك من تخلُّفه عن غزوة تبوك، قال: قلت: يا رسول الله! إنَّ اللهَ إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صِدْقاً ما بقيت. قال: فوالله! ما علمتُ أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا أحسنَ مما أبلاني الله به. والله! ما تعمَّدتُ كذبة منذ قلتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي(١).

وقال كعب: والله! ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام؛ أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ ألا أكون كذبتُه فأهلكَ، كما هلك الذين كذبوا(٢).

١٨٠/ ٢٦ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نميطَ الأذى عن طريق المسلمين المحسوسة والمعنويَّة، فالأولى معروفة، والثانية: هي إزالة الشُّبَه التي تعرض في عقائدهم، فنميط الأذى عنها بما أطلعنا الله تعالى عليه من طريق كشفنا للحقائق، فيكتب لنا إن شاء الله نظير الثواب؛ الذي وَرَد لمن أماط الأذى المحسوس كالحجر وغيره.

ويحتاجُ من يريد العملَ بهذا العهد إلى سلوك على يد مربٍّ، لا أحد عنده أعلى منه معرفة بالله عز وجل؛ ليزيل الشبهة العارضة في عقائد أهل الأفكار من أكابر العلماء فضلاً عن غيرهم.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وقد وضعتُ في ذلك ميزاناً نحو كرّاسة، أزلتُ بها غالبَ الإشكالات التي في مذاهب الفرق الإسلامية كالجبرية والمعتزلة، ووضعتُ ميزاناً أخرى تزيلُ الشُّبَه التي تعرضُ للعبد في طريق المعرفة بالله تعالى، حاصلها:

---

(١) مسلم (٤/ ٢١٢٧).

(٢) المصدر السابق.

أن الله تعالى لم يكلِّف عبداً بأن يعرفَ الله تعالى كما يعرف الله نفسه أبداً، وإن لله تعالى بنفسه علماً اختصَّ به، لا يعلمه ملك مقرَّب، ولا نبيّ مرسل؛ لأنهم لو علموه لساووه في العلم، ولا قائل بذلك من جميع الملل، فضلاً عن دين الإسلام؛ وذلك أنه تعالى لا يتحد مع عباده في حدٍّ، ولا حقيقة، ولا فصل، ولا جنس.

فردَّ يا أخي! جميعَ ما ورد في الآيات والأخبار من التنزيه إلى مرتبة علمه تعالى بنفسه، وردَّ جميعَ ما ورد في الآيات والأخبار من الصفات التي ظاهرها التشبيه إلى مرتبة علم خلقه تعالى به. فما أحوج الناس إلى التأويل إلا ظنّهم بأن الله تعالى كلَّفهم بتعقُّل مرتبة التنزيه التي لا يتعقَّلونها، وإلا فلو علموا أنها خاصة به تعالى ما أوّلوا شيئاً، وكان يكفيهم الإيمان بأنه ليس كمثله شيء.

فعلم أن من رحمة الله بخلقه أن تنزَّل لعقول خلقه بإضافة الصفات التي فيها رائحة التشبيه إليه؛ ليأخذوا منها المعاني، ثم تذهب تلك الصفات التي كادوا أن يكيفوها بعقولهم كأنها حقّ، ويبقى معهم العلم بالتنزيه؛ الذي هو الأصل.

وإنما قلنا: التي فيها رائحة التشبيه؛ لأن التشبيه لا يلحق الحق تعالى أبداً، كما لا يلحقه التكييف، وذلك أن التكييف لا يصحُّ إلا إذا وقف التجلي الإلهي للعقول والقلوب أكثر من التنزيه، وذلك الوقف محال فجميع التجليات الإلهية كلمحة بارق، لا تقف للرائي حتى يكيِّفها. ثم بتقدير وجود التكييف لأهل العقول فلا بد من جهلهم بالله تعالى؛ لأن تجلِّيه أبد الآبدين، ودهر الداهرين، فإن قُدِّر أن الإنسان عرف ما مضى، فإنه لا يعرف ما يأتي.

وأجمع العارفون على أن الحق تعالى لا يتكرر له تجلٍّ في صفةٍ أبداً، وأجمعوا على أنه تعالى خالق لجميع الوجود الكوني علواً وسفلاً، وأنه تعالى خالقٌ غير مخلوق، ومن كان خالقاً غير مخلوق لا يعرف.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: ومن شك في قولي هذا، فليتعقَّل لنا شيئاً بعقله لم يخلقه الله تعالى لا محسوساً ولا معنوياً؛ مما تصوّره القوة المصوِّرة، فإنه لا يقدر أبداً، فكيف يصوِّر الله تعالى؟! فللحق تعالى أن يردَّ على أهل العقول جميع المعارف التي اكتسبوها بعقولهم، ويقول لهم: ما أحد منكم عرفني حقَّ معرفتي.

قال: وسمعتُ أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول: إنما أدخل إبليس على المتكلمين التأويل؛ ليحرمهم ثواب كمال الإيمان بالغيب، وذلك لأن الله تعالى ما كلَّفهم إلا أن يؤمنوا بعين ما نزل، لا بما أوَّله بعقولهم. قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٨٥] وقال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ [النساء: ٤/ ٤٧].

روى أبو داود عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نزع رجلٌ لم يعمل خيراً قطُّ غصنَ شوك عن الطريق، إما كان في شجرة فقطعه وألقاه، وإما كان موضوعاً فأماطه، فشكر الله له بها، فأدخله الجنة»(١).

روى مسلم عن أبي برزة رضي الله عنه قال: قلت: يا نبيَّ الله! علِّمني شيئاً أنتفع به، قال: «اعزل الأذى عن طريق المسلمين»(٢).

١٨١/ ٢٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نقتل الوزغة، والحية، والعقرب، وكل شيء يؤذي المسلمين، وكلها حشرات، وحيوانات سامّة، وكل ما يؤذي الإنسان فللإنسان أن يقتله.

روى مسلم عن جرير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قتل وزغاً في أول ضربة كتبت له مئة حسنة، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك»(٣).

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٣٦٢).
(٢) مسلم (٤/ ٢٠٢١).
(٣) مسلم (٤/ ١٧٥٨).

وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ سُئل عن حيات البيوت، فقال: «إذا رأيتم منهن شيئاً في مساكنكم، فقولوا: أنشدكن العهد الذي أخذ عليكم نوح، أنشدكن العهد الذي أخذ عليكم سليمان ألا تؤذونا، فإن عُدْنَ فاقتلوهن»[1]. والتحذير ثلاث مرات، والإمهال ثلاثة أيام. وقد وردت الأحاديث بكلٍّ.

١٨٢/ ٢٨ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن ننجز الوعد في الأمانة، ونأمر بذلك جميع إخواننا.

وهذا العهدُ صار غالبُ الخلق يخلُّ به بحكم الوعد السابق من رسول الله ﷺ، فلا يكاد يسلم من خيانته إلا قليل من الناس.

والأمانة تتناول الأموال، فلا ينبغي للمسلم أن يكون مغفَّلاً، بل عليه أن يعامل الناس معاملة من يسيء بهم الظن، ولا يسيء الظنّ.

فمن وضع وديعة عند أحد، فلا ينبغي له الاغترار بمظهره أو حديثه، فيدفعه ذلك إلى عدم أخذ وثيقة بالمبلغِ المودعِ عنده، وعلى المودَع أن يقدم له الوثيقة ابتداء ليكون المودِع والمودَع عاملاً بما ندب الله تعالى إليه. ومن اغترَّ بالمظهر، أو اغتر بالحديث، ففرَّط بما ندب إليه الشرع، فتبعة ذلك راجعة عليه، ولا يلم بعد ذلك الشرع. فلا تثقْ يا أخي! بأحدٍ في هذا الزمان، وتدع عنده وديعة بلا شهود إلا بعد تجربة طويلة. ولو كان مظهره صالحاً، تقياً، ورعاً.

والأمانة تكون في الفروج، فالمسلم لا يأمنُ على أهله وعياله أحداً، فلا يأذن لغير المحارم بالدخول على أهله، وبناته، وإن كان شيخاً، صالحاً، تقياً.

لا يـأمنـنّ علـى النسـاء أخ أخـاً ... ما في الرجال على النساء أمين
إن الأميـنَ وإن تحفَّـظ جهـده ... لا بـدَّ أنْ فـي مـرة سيخـون

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٣٦٥).

والرسول ﷺ حذَّر من ذلك الأحماء أن يدخلوا على النساء، قال صلوات الله وسلامه عليه: «إياكم والدخول على النساء» قيل: يا رسول الله! أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت».

والحمو: قريب الزوج، فلم يرض الشارعُ له بالدخول على النساء، فكيف بالأغراب؟!.

والأمانة تكون في الكلام، والخيانة فيه كثيرة جداً، فلا تكاد تجد أحداً يحفظ لك سرّاً أبداً، ولم يزل الناسُ يحتاجون إلى من يكتم أسرارهم في كل عصر، وحامل السرِّ يكاد يكون مفقوداً في الدنيا، فاكتمْ سرَّك حتى عن ولدك، فربما صار عدواً لك.

روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اكفلوا لي بستٍّ أكفلْ لكم الجنة: إذا حدَّث أحدكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا يخلف، وإذا اؤتمن فلا يخن، وغُضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكُفُّوا أيديكم»[1].

وروى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه حديث رفع الأمانة عن رسول الله ﷺ، قال: «ينام الرجل النومةَ فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوَكت (الأثر اليسير سَوادٌ) ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل المَجْل (الذي يصير في اليد من العمل بفأس أو نحوها، فيصير كالقبة فيه ماءٌ قليل» كجمر دحرجته على رجلك، فنَفِطَ، فتراه منتبراً، وليس فيه شيء ثم أخذ حصىً، فدحرجه على رجله فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، حتى يقال للرجل: ما أجلده! ما أظرفه! ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»[2].

---

(١) معجم الطبراني (٨/ ٢٦١).
(٢) مسلم (١/ ١٢٧).

معنى الحديث: إن زوال الأمانة يكون تدريجاً، فإذا زال أول جزء منها زال نورها، وخلفت ظلمة كالوكت، فإذا زال شيء آخر صار كالمجل، وهو أثر محكم لا يزول إلا بعد مدة طويلة، كالجمر يدحرج على الرجل، فينفط، ويزول الجمر ويبقى التنفط.

وروى أبو داود عن عبد الله بن أبي الحمساء، قال: بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقيَّة، فوعدته أن آتيه بها في مكانه، فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئت فإذا هو في مكانه فقال: «يا فتى! لقد شققت عليَّ، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك»[(١)].

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر».

١٨٣/ ٢٩ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نحبَّ لله، ونبغض لله حتى زوجتنا، وأولادنا، وأموالنا، وأعمالنا. فلا يكون لنا في شيء من ذلك علّةٌ نفسانيةٌ أبداً.

وهذا العهد من أعز ما يوجد، فإنَّ غالب الناس يدَّعي المحبَّة لله وهو كاذب، وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: كذب من ادَّعى محبتي، فإذا أجنَّه الليل نام عني.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد: إلى من يريه صورة التكاليف الشرعية جميلة، وصور المخالفات الشرعية قبيحة، وصور التكاليف الشرعية إذا رآها المكلف جميلة، ورأى المخالفات الشرعية قبيحة، لا يتأتى له الجلوس مع القبيح ورؤيته البتة. فالطاعة إذا برزت للمكلف صورة جميلة

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٩٩).

عشقها، وذاب فيها، وَوَله، والمعصية إذا برزت للمكلف صورة قبيحة، نفر منها، وابتعد عنها، وقذرها، فمن رأى صورة الكذب كما يراها المَلَكُ فرَّ من الكذب، ولم يعدْ إليه البتة، وقد جاء في الحديث: «إذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلاً من نتن ما جاء به» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

فإذا أشهد الله تعالى عبده المكلف وجهَ الحق أجمل من كل جميل، وأطيب رائحة من المسك، وأشهده وَجْهَ قبح المعصية أقبح من كل قبيح، وأنتن رائحة من الخبث، فهل يصير يقدِّم القبيح الصورة والرائحة مثلاً، ويؤخِّر الصورة الحسنة الطيبة الرائحة؟!.

فكل ما وافق الشريعة فهو وجه الحق، وهو باقٍ أبد الآبدين، وكلُّ ما خالف الشريعة فهو وجهُ الباطل، وهو هالكٌ من وقت ظهوره إلى أبد الآبدين إلا من حيث المؤاخذة عليه في الآخرة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٢٨/٨٨] أي وجه الشيء الموافق لما يحبه الله ويرضاه، فلا تظن بوجه الحق ما يراد بوجه الإنسان والحيوان، فإن ذلك محال، فإن حقيقته تعالى مخالفة لسائر حقائق عباده؛ التي هي الأرواح، فضلاً عن الصورة الظاهرة، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

فعلم أن من أحب ولده أو زوجته حبّ الطبع، مع إقامتهما على غير طاعة، فمحبته ليست لله تعالى، ومن شحّ على سائل صادق سأله بالله شيئاً عنده، فلم يعطه، وهو في غنى عَنه، فحبّه له حب طبع، ومحبته ليست لله تعالى.

والصفة الصالحة التي يحبُّها الله تعالى متى تخلَّق بها متخلِّق، فعليك أن تحبّه لله تعالى.

وقد عزَّ الأخُ الذي يحب أخاه لله في هذا الزمان، فلكلِّ واحدٍ لسانان: لسان قدَّام أخيه، ولسان وراءه، حتى بعض الشيوخ والعلماء. وإن شككت في قولي هذا فامدحْ لذلك الأحد بعضَ أقرانه، وبالغ في المديح حتى الذروة أمامه، فإنه لا بد أن يذكر لك كلاماً فيه رائحة تنقيص تعريضاً أو تصريحاً.

ولو كان ذلك الأحدُ محباً لأخيه لله على الحقيقة، لقلب كل كلام فيه رائحة تنقيص لأخيه، ويصلح الكلام، ويعطيه الكمال.

وأقل مراتب الأخوة في الله: أن أخاه لو طلب منه نصف ما بيده من مالٍ، وثياب، وطعام، وغير ذلك لأعطاه له بانشراح صدر، قياساً على ما فعل الأنصارُ بالمهاجرين عقب التآخي الذي سنّه لهم رسول الله ﷺ.

وقالوا: كلُّ من ادَّعى أنه أخوك، فَزِنْه بهذا الميزان، فإذا كان أوفى به فتردَّد إليه، وإلا خفَّ رجلك عنه، فإنَّ من لا ينفعك في الدنيا، لا ينفعك في الآخرة.

قال الشعراني رحمه الله: سمعت أخي الشيخ أفضل الدين يقول: لا يخلو من يطلب منك شيئاً، وتمنعه، أن تكون اطلعت أنه ليس هو له، أو هو له. فإن كان ليس هو له فأعطه له لتخرج من وصفك بالبخل، وسوف يرجع إليك لأنه لم يقسم له، وإن كان هو له فأعطه له اختياراً قبل أن يصلَ إليه اضطراراً.

وقال الشعراني رحمه الله تعالى: وقد منَّ الله عليَّ بسهولة كل ما يُطْلَب مني من الثياب، والأموال، والاختصاصات، وغيرها، فلا أمنع أحداً شيئاً طلبه مني إلا بوجهٍ شرعي. إما أن يكون هناك من هو أحوج منه إلى ذلك الشيء، وإما لكونه يستعينُ به على معاصي الله، أو على أكل الشهوات المكروهة. وأما عند عدم الموانع الشرعية، فمعاذ الله أن نمنعه؛ لأن تصرُّفنا في مال الحق تعالى كتصرف الوكيل، ونعرف أننا متى مَنَعْنَا من أمرنا الحق بإعطائه عزلنا من الوكالة، فتتحوَّل عنا النعم، وتفرّ الخلائق الذين حولنا، فالفاسق ينبغي بغضه في الله لفقد الصفات الصالحة؛ التي ندبنا الحق تعالى إلى محبته لأجلها، ومتى أحببنا فاسقاً من حيث فسقه، فقد خرجنا عن الشريعة.

فليتفقَّد من يريد يحب لله، ويبغض لله نفسَه قبل أن يحبَّ بالطبع، ويكره بالطبع، كما هو واقع في أكثر الناس. فما دام الشخص موافقاً للناس على أغراضهم النفسانية، فهم يحبونه، ويشكرونه ولو كان فاسقاً، ومتى تكدَّروا

منه قامت عليه القيامة، ولو كان على عبادة الثقلين.

قال رجل لأفضل الدين رحمه الله: والله! إني أحبك، وأسأل الله أن يحشرني معك في الآخرة. فقال له: وأي شيء تفعل إذا حشروني إلى النار؟ قال: أفارقك وأروح. فقال: ليست هذه بأخوَّة، إنما الأخوَّة ألا تدخل الجنة حتى أتخلّص من النار، وتدخلني معك، فقال: لا أطيق.

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كُنَّ فيه وجد طعم الإيمان، من كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، ومن كان أن يُلقى في النار أحبَّ إليه من أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه»(١).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابُّون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلّي، يوم لا ظل إلا ظلِّي»(٢).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبَّك، كما أحببته فيه»(٣).

١٨٤/ ٣٠ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نختار للمجالسة الجليس الصالح، وهو الذي لا يلحقنا إثم بمجالسته، وذلك إما بالتوبة من الإثم، فإذا وقع أحدنا بسببه في ذنب، تاب على الفور من غير إصرار، وإما بعد وقوعنا في الإثم بسببه أصلاً.

---

(١) مسلم (١/٦٦).

(٢) مسلم (٤/١٩٨٨).

(٣) المصدر السابق.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سياسة وفراسة ليعرف من يستحق المجالسة ممن لا يستحقّ. ومن لا سياسة عنده يقبل على مجالسة كل من رآه، ثم بعد ذلك يقطع مجالسته، فيصير عدواً له. وقد قالوا: العاقل من يقدِّم التجريب قبل التقريب.

ووالله! إن الإثم الذي يقعُ فيه من يعتزلُ الناس اليوم يكفيه، ويغنيه عن زيادة الأوزار التي يكتسبها من مجالسة الناس، فلا يكاد الإنسانُ يجد مجلساً واحداً يخلو عن إثم أبداً، إما غيبة، وإما نميمة، وإما غفلة عن الله تعالى، وإما غير ذلك، فصاحِبْ من ينهضك حاله، ويدلك على الله مقاله، ولا تجالس أهل السوء؛ فإن الوحدة خير من جليس السوء، واعلم أنَّ كل من حصل لك بواسطة مجالسته إثم، فهو جليسُ سوء.

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنما مثلُ الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير إما أن يُحرِق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة»[(١)].

١٨٥/ ٣١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نجعل جلوسنا دائماً للقبلة، عملاً بعموم قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ٢/ ١٤٤] أي: نحو الكعبة، اللهم إلا أن يكون أحدنا جالساً في حلقة، فقبلة أحدنا حينئذ وجوه أصحابنا، من حيث: إن المؤمن مرآة المؤمن، ولا يخفى أن توجُّه العبد لأخيه في غير صلاة أفضل من توجُّهه للقبلة، فإن لم نجد من نستقبله من المسلمين، استقبلنا القبلة؛ لأنها تليه في المرتبة، والله عليم حكيم.

١٨٦/ ٣٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرغِّب الناس

---

(١) مسلم (٤/٢٠٢٦).

في سكنى الشام؛ امتثالاً لأمر الشارع ﷺ، لا لمقاصد أخرى؛ ليثابوا على ذلك. ولا ينافي ما ذكرنا قولُ سلمان الفارسي رضي الله عنه لأبي الدرداء رضي الله عنه: إن الأرض المقدَّسة لا تقدِّس أحداً، وإنما يقدِّس كلَّ إنسان عمله؛ لأنا نقول: إذا أمرنا الشارع بشيء فلا نخرج عن العهدة إلا بفعله؛ فنسكن في الشام امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، معوِّلين على فضل الله، لا على أرض الشام، وكذلك القولُ في حق من أقام بمكة والمدينة؛ لأجل فضل الصلوات هناك يقيم، لأجل مضاعفة الأجر في الصلوات هناك، ولا يعتمد في نجاته في الآخرة إلا على الله دون الأعمال الصالحة.

فإذا سكنت الشام، فاسكنها بنية صالحة، وإذا زرتها فزرها بنية صالحة.

روى أحمد عن زيد بن ثابت قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ يوماً حين قال: «طوبى للشام طوبى للشام». قلت: ما بال الشام؟ قال: «الملائكة باسطو أجنحتها على الشام».

وروى الطبراني والإمام أحمد بسند صحيح عن خريم بن فاتك الأسدي قال: «أهل الشام سوط الله في أرضه، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده، وحرامٌ على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم، ولا يموتوا إلا غماً وهماً»[1].

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فسد أهلُ الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفةٌ من أمتي منصورين، لا يضرُّهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»[2].

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدّه، قال: قلت يا رسول الله! أين تأمرني؟ قال: «هاهنا» ونحا بيده نحو الشام[3].

---

(١) معجم الطبراني (٤/٢٠٩).
(٢) سنن الترمذي (٣/٣٢٨).
(٣) المصدر السابق.

وروى البخاري عن ابن عمر قال: ذكر النبي ﷺ: «اللهم بارك لنا في شأمنا، اللهم بارك لنا في يمننا» قالوا: وفي نجدنا؟ قال: «اللهم بارك لنا في شأمنا، اللهم بارك لنا في يمننا» قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا؟ فأظنّه قال في الثالثة: «هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان»[١].

وروى الحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، وسكت عنه الذهبي، عن عبد الله بن عمرو قال: يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام[٢].

وروى الحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، وصححه الذهبي، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة، فيها مدينة يقال لها دمشق، خير منازل المسلمين يومئذ»[٣].

وروى أحمد عن عبد الله بن حوالة أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون جند بالشام وجند باليمن» فقال رجل: فخر لي يا رسول الله إذا كان ذلك فقال رسول الله ﷺ: «عليك بالشام عليك بالشام عليك بالشام ثلاثاً عليك بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره فإن الله تبارك وتعالى قد تكفل لي بالشام وأهله»[٤].

وفي رواية: «فإن الله عز وجل توكّل لي بالشام وأهله»[٥].

* * *

---

(١) بخاري (٩/ ٦٨).

(٢) المستدرك (٤/ ٤٥٧).

(٣) المستدرك (٤/ ٤٨٦).

(٤) مسند أحمد (٥/ ١٨٤).

(٥) مسند أحمد (٥/ ٣٣).

# كتاب الأذكار

١٨٧/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرغب إخواننا المسلمين بذكر الله تعالى، وبخاصة في السفر؛ لأن السفر مظنة الغفلة، ومن غفل عن امتثال أمر الله، أو اجتناب نهيه، فقد غفل عن ربه، ومن غفل عن ربه تلف؛ لأن الشفاء في الإقبال على الله تعالى، والتلف في الإدبار عنه تبارك وتعالى. وروائح ذكر الله تعالى تجلو الصدأ عن القلب لطيبها، وكل من توجَّه لغيرها جاءته الآفات من كل جانب، وازداد صدأ قلبه، فلا أعظم من ذنب الغفلة عن الله تعالى.

فاذكر الله تعالى في سائر أحيانك، في حِلّك وترحالك، فإذا ركبت وسيلة السفر فقل: بسم الله، فإذا استويت عليها، فاقرأ قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ (مطيقين) [الزخرف: ٤٣/ ١٣] ثم احمد الله ثلاثاً، ثم كبّر ثلاثاً، ثم قل: سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي.

روى أحمد، وأبو داود، والترمذي، وحسَّنه، عن علي رضي الله عنه أنه أُتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب، قال: باسم الله، فلما استوى عليها قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ٤٣/ ١٤] ثم حمد الله ثلاثاً، وكبّر ثلاثاً، ثم قال: سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي، فاغفر لي، ثم ضحك. فقلت: مم ضحكت؟ (القائل علي بن ربيعة راوي الحديث) قال: رأيتُ رسول الله ﷺ فعل مثلَ

ما فعلتُ، ثم ضحك. فقلت: مم ضحكتَ يا رسول الله؟ قال: «يعجب الربُّ من عبده إذا قال: ربِّ اغفرْ لي، ويقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوبَ غيري»(١).

١٨٨/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرغِّب إخواننا في الدّلجة، وهو السير بالليل، وفي الصلاة في كل منزل ينزلون فيه؛ وذلك ليشهدَ لهم يوم القيامة؛ فإنه ما من شيء فارقناه إلا ويسأله الله تعالى عنّا يوم القيامة: هل وفّينا بحقه أم لا؟ سواء كان صاحباً، أو ثوباً، أو طعاماً، أو زماناً، أو مكاناً.

قال تعالى في حق المكان: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٩٩/ ٤].

وقال عليه الصلاة والسلام في الزمان: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع» وعدّ منها: «وعن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه».

ومن الوفاء بحق الثوب، أو الزمان، أو المكان: ألا نعصيَ الله تعالى فيه. والنعم تُذكِّر بالله، والنِّقم تذكِّر بالله أيضاً.

روى أبو داود، والحاكم، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «عليكم بالدُّلجة، فإن الأرض تُطوى بالليل» والدُّلجة: سير السّحر، والدّلجة: سير الليل كله، وأَدلجوا: ساروا من آخر الليل، وادَّلجوا: ساروا الليل كله. وقيل بالعكس. قال صاحب «اللسان» عند ذكره الحديث: هو سير الليل، ومنهم من يجعل الإدلاج للّيل كله. قال: وكأنه المراد في هذا الحديث؛ لأنه عقّبه بقوله: «فإن الأرض تطوى بالليل» ولم يفرِّق بين أوَّله وآخره، والله أعلم.

١٨٩/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نذكر الله في

(١) مسند أحمد بشرح البنا (٦٦/٥).

السفر إذا حصل لمركبنا شيء في الطريق، ونعتقد أن ذلك من غفلتنا عن الله تعالى، فإذا ذكرنا الله تعالى رُدَّت العقوبة إلى خير إن شاء الله تعالى.

روى الطبراني عن أسامة رضي الله عنه قال: كنتُ رديفَ رسول الله ﷺ، فعثر بعيرنا، فقلت: تعس الشيطان. فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل تعس الشيطان، فإنه يعظم حتى يصير مثلَ البيت، ويقول: بقوّتي. قل: بسم الله؛ فإنه يصير مثل الذباب»(١).

١٩٠/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نقول كلما نزلنا منزلاً في السفر: «أعوذ بكلمات الله التامّات من شر ما خلق؛ فإن من قال ذلك لم يضره شيء حتى يرتحل عن منزله». وذلك أن الله تعالى رتَّب الأسباب على مسبَّباتها، والكل منه وإليه، فكما خلق الرّيّ عند الشرب، والشبع عند الطعام، فكذلك يحرسك عند قولك ما أمر الله تعالى ورسوله بقوله.

روى مسلم عن خولة السلمية: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا نزل أحدُكم منزلاً فليقل: أعوذُ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه»(٢).

١٩١/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن ندعو لإخواننا المسلمين بظهر الغيب، لا سيما المسافرون، وأول ما ترجع منفعة ذلك علينا بقول الملك: ولك مثله، ومن جملة الدعاء للإخوان قولنا: اللهم لا تستجب لنا دعاءً على أحد من إخواننا وأولادنا وغيرهم حال غضبٍ منّا عليهم؛ فإن الله تعالى ربما لم يستجب دعاءنا فيهم، وهذا معدود من الشفقة، والرحمة بالإخوان، والأولاد، والأهل، وغيرهم. فربما دعا الإنسان على من يحبه في حال غضب، فيستجيب الله تعالى دعاءه فيه، فيندم على ذلك، ويطلب ردّ السهم فلا يرتدّ.

---

(١) معجم الطبراني (١/ ١٩٤).

(٢) مسلم (٤/ ٢٠٨١).

وبالجملة فكلٌّ ما فعله الإنسان مع الخلق يرجع نظيره عليه، فإن لم يدركه ذلك أدرك ذريَّته من بعده.

وقد تقدم قولُ أبي النجاء رحمه الله تعالى لأصحابه لما سألوه الوصية لهم وهو محتضر: اعلموا أنَّ الوجودَ كلَّه يقابلكم بحسب ما برز منكم من الأعمال، فانظروا كيف تكونون، فمن رجع عليه سوءٌ فلا يلومنَّ إلا نفسه.

روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال المَلكُ: ولك بمثل»(١). وفي رواية له: «قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثل».

وفي رواية لمسلم: «دعوةُ المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه مَلك موكَّل كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»(٢).

* * *



---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٩٤).

(٢) المصدر السابق.

# كتاب: التوبة والزهد والخوف والرجاء

١٩٢/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أنْ نبادر بالتّوبة عقب كل ذنب، ولا نصرَّ على ما فعلناه لحظة واحدة هروباً من سخط الله تعالى، مع أن الإصرار أيضاً معصية ثانية، فإذا وقع بادرنا أيضاً بالتوبة من الإصرار، وهكذا القول في الإصرار على عدم التوبة من الإصرار أبداً، فما من ذنب إلا وله دواء، حتى لو أصرَّ على ذنب سبعين سنة، أو أكثر، فندم، واستغفر الله عن جميع الإصرار السابق كلِّه، انسحب الاستغفار عليه؛ فإن التوبة تجبُّ ما قبلها.

قال العلماء: والتوبة عن الشرك مقطوع بها بنصِّ القرآن، فهي مقبولة بلا شكٍّ، بخلاف معاصي أهل الإسلام، فإنها كلّها مظنونة القبول؛ وذلك لأنَّ المشرك كان في حجاب القطيعة الكليَّة، فلاطفه الحق تعالى، كما لاطف الشيخ الفاني، وحمل عنه حكم الذنوب السالفة كلِّها إذا تاب وأحسن.

أما العاصي من أهل الإسلام، فكان حكمه حكم الشاب القوي العاتي؛ لضعف حجاب قطيعته، فإنه مسلم موحِّد يشمُّ رائحة الإسلام، فكان من شأنه ألا يقع في معصية الله تعالى.

واعلمْ أنه ما دامت شهوة المعاصي في القلب، فلا تتحقق التوبة البتة؛ لأن من شروط التوبة الندم على الفعل، والندم الحقيقي يجعل التائب يكره المعاصي كراهية شديدة، وهذه الكراهية تحقق الندم، وبالتالي يستقر نور التوبة في القلب، والله أعلم.

روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(١).

وروى الطبراني عن معاذ بن جبل قال: قلت: يا رسول الله! أوصني، فقال: «عليك بتقوى الله ما استطعت، واذكر الله عند كل حجر وشجر، وما عملت من سوء فأحدث لله فيه توبة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية»(٢).

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: المستغفر من الذنب، وهو مقيم عليه كالمستهزىء بالله عز وجل.

والمعصيةُ بأثرها لا بعينها ربما تقرِّب إلى الله عز وجل بسبب الذل والانكسار؛ الذي قد يحصل للمذنب عند التوبة، وأما عين المعصية، فمبعدة من الله تعالى، وداعية إلى سخط الرب تبارك وتعالى، وتأمل قول الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: معصية أورثت ذلاً وانكساراً، خير من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً. فجعل الخيرية في أثر المعصية لا في عين المعصية، فلا يصح إجماعاً أن يفهم أحدٌ عن أهل الله أنهم يقولون: إن المعصية تقرِّب إلى الله تعالى أبداً؛ فإن الحسَّ يكذِّب قائلها، فلو أراد العاصي أن يحصلَ له وصلةٌ بالله بوقوعه في المعصية، لا يصح ذلك له أبداً، بل يجدُ حبل الوصلة مقطوعاً.

جاء رجل إلى الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ فقال: يا سيدي! أنا صرتُ آتي المعاصي وأنا مشاهد لله عز وجل من كونه خالقاً لتلك المعصية. فقال له الجنيد: هذا تلبيسٌ من الشيطان، ولو حققت النظر لوجدت نفسك حال المعصية لا يصح لها مشاهدة الحق تعالى مطلقاً. ثم لو قدِّر أنك شاهدته تعالى لشهدته ساخطاً عليك غير راضٍ عنك.

---

(١) مسلم (٤/ ٢١١٣).

(٢) معجم الطبراني (٢٠/ ١٥٩).

١٩٣/ ٢ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرغب إخواننا في العمل الصالح عند فساد الزمان، من غير اعتمادٍ عليه دون فضل الله تعالى. ونأمرهم برؤية المنة لله عليهم الذي أهَّلهم لتلك العبادة، ونأمرهم بالمداومة على الأعمال الصالحة، وإثباتها، وإن قلَّت.

وما دام العامل يختار لنفسه الأعمال، ويزيد فيها، فهو في خطر، بخلاف من له أستاذ ناصح، فإنه يرشده إلى الأعمال التي تمكنه من المداومة عليها، فإن كثيراً من الذين يودون العمل يتعاطون أعمالاً كثيرة، ثم تملّ نفوسهم، فيتركون الأعمال كلها جملة واحدة، وهذا من تلبيس إبليس.

فكل من لا مرشد له؛ إذا أكثر من العبادات فلا بدَّ أن يملَّ منها، أو يذهب ميله إليها، فيعجب بها، وقد مدح الله تعالى رجالاً بقوله: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ٢٣].

وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبته.

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس! عليكم من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يملّ حتى تملّوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل[1]» وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه.

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها، وقد سُئلت: كيف كان عملُ رسول الله ﷺ؟ هل كان يخصُّ شيئاً من الأيام؟ قالت: لا. كان عمله ديمة. وأيّكم يستطيعُ ما كان رسول الله ﷺ يستطيع[2]؟!.

١٩٤/ ٣ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نحبَّ ما أراده الله سبحانه وتعالى لنا، فإذا أراد لنا الفقر أحببنا مراده، وإذا أراد لنا الغنى أحببنا

---

(١) معجم الطبراني (٢٠/١٥٩).
(٢) مسلم (١/ ٥٤٠).

مراده. فإذا وجَّه إلينا الكفاف أحببناه، وأحببنا من وجّه إليهم ذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ...﴾ [الكهف: ١٨/ ٢٨] الآية، وذلك لأنَّ رحمة الله تعالى لا تفارقهم، فنحبهم، ونحب مجالستهم لمحبة الله تعالى لهم، ونحب الفقر لما فيه من كثرة سؤالنا للحق، وتوجُّهنا إليه لا لعلةٍ أخرى؛ ذلك أن حاجة العبد تُذكِّرُهُ بالله تعالى، وعدم حاجته تنسيه الحق. قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٩٦/ ٦-٧].

وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٦٧].

ومن هنا قال ﷺ: «اللهم اجعلْ رزقَ آل محمد قوتاً»[1] أي: لا يفضل عنهم من غدائهم ولا عشائهم شيء، وذلك ليصيروا متوجهين إلى الله تعالى كل حين لا ينسونه، فانظر ما أشد شفقته ﷺ على أهل بيته.

فإذا ابتلينا بالفقر صبرنا، وتعفّفنا، ورضينا عن الله تعالى، وإن كان الغنى سألنا الله تعالى أن يجعلها في يدنا لا في قلوبنا؛ لأن من كمال الداعي إلى الله تعالى من الأمة أن تكون الدنيا فائضة عليه، غير ناظر إليها، ولا طالبٍ لها، فحينئذ تكون كلمته محرَّرة من كل شائبة فيعظ، ويذكر، ويأمر وينهى؛ ابتغاء مرضاة الله تعالى، وينفق، ويتصدَّق، فيكون داعياً إلى الله بحاله وبقاله.

فالواجب علينا الرضا عن الله تعالى فيما قسمه، ولا نختار غير ما اختاره لنا، فإن وسّع علينا الدنيا فرحنا، وإن ضيَّقها علينا فرحنا بذلك.

ومن سأل الله تعالى كلَّ ساعة توسعة الدنيا عليه لينفقها على خلق الله، وفي طريقها الشرعي، فلا حرجَ عليه، وحاله كحال من يطلب من الله تعالى كثرة الأعمال الصالحة لِيَدين الله تعالى بها سواء.

---

(١) مسلم (٤/ ٢٢٨١).

وقد كان أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٥٢] منكم من يريد الدنيا، أي: للآخرة، ومنكم من يريد الآخرة، أي: لله. والكُمَّل لا يضرّهم كثرة الدنيا ما داموا يستعملونها للآخرة.

فاعملْ يا أخي! على إخراج حبِّ الدنيا من قلبك، ثم اعمل على محبَّتها للإنفاق في سبيل الله، حتى لا تصير تقنع بجميع ما في الدنيا أن لو دخل في يديك، ثم أنفقته؛ لأن غايتك أنك أنفقت دون جناح البعوضة.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وأنا أعطيك ميزاناً في حق الأمة لا في حق الأنبياء تميز به بين المحمود والمذموم، وهو أن الله تعالى إذا مدح عبداً من عبيده؛ فإنما ذلك لفتور همة العبد عن امتثال أمر سيِّده مجَّاناً، ولو أنه علم من قلبه عدم العلة من حيث الثوابُ وغيره لما مدحه، بل كان يأمره فقط أن يفعل ذلك الشيء على قاعدة المرؤوسين مع رؤسائهم.

وتأمَّل لولا أنه تعالى مَدَح المؤثرين على أنفسهم لما آثروا على أنفسهم أحداً؛ لأن كل إنسان يقدِّم أغراضَ نفسه على غرضِ غيره في غريزته، وأصل جبِلَّته. فإذا خرجوا عن شحّ الطبيعة، أطلعهم على ظلمهم لأنفسهم الذي نهاهم عنه، وأمرهم بالبداءة بها على قاعدة: الأقربون أولى بالمعروف، ولا أقرب إلى الإنسان من نفسه، وعليه يُحمل قوله ﷺ: «ابدأْ بنفسك، ثم بمن تعول» ليخرجه عن الظلم لنفسه. فلا تجد قطُّ آيتين، أو حديثين صحيحين غير منسوخ أحدهما، وهما متناقضان أبداً، وإنما هما محمولان على حالين.

من ذلك كله تعرف أن الدنيا ما ذمَّت إلا في حق من لم يكتسب بها خيراً.

روى الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ حوضي ما بين عدن إلى عمَّان، أكوابه عددُ النجوم، وماؤه أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، أوّل من يرده فقراء المهاجرين» قلنا: يا رسول الله! صفْهم لنا. قال: «شعث الرؤوس، دنس الثياب؛ الذين لا ينكحون المنعَّمات، ولا تُفتح لهم السدد، الذين يعطون ما عليهم، ولا يُعْطَوْن ما لهم»(١) السدد ـ هنا ـ: الأبواب.

وروى مسلم عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «قمتُ على باب الجنة، فإذا عامة من دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجَدّ محبوسون، إلا أصحاب النار فقد أُمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامّة من دخلها النساء»(٢) الجد: المال.

وروى الحاكم، وصححه الذهبي، عن عبد الله بن الشِّخِّير، قال: قال رسول الله ﷺ: «أقلُّوا الدخول على الأغنياء؛ فإنه قَمِنٌ ألا تزدروا نعم الله عز وجل»(٣).

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر بن العاص، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً»(٤).

وروى الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله»(٥).

١٩٥/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نشبع كل الشبع

---

(١) معجم الطبراني (٢/ ١٠٠).
(٢) مسلم (٤/ ٢٠٩٦).
(٣) المستدرك (٤/ ٣١٢).
(٤) مسلم (٤/ ٢٢٨٥).
(٥) سنن الترمذي (٤/ ٦).

من الطعام في دار الدنيا، وذلك لأنَّ الله تعالى مدح البكَّائين من خشية الله تعالى، ولا يبكي خالصاً إلا من لم يملأ معدته من الطعام. فلا تملأ يا أخي! معدتك من الطعام الحلال؛ لتبكي، وتقرب من ربك في صلاتك وغيرها مع الخائفين، ولا تشبع تُحْرَم.

وهذا العهد قلَّ من يعمل به الآن من غالب الناس، بل ربما أكل أحدهم الشهوات، وشبع من الحرام، ومن انهمك في أكل الشبهات قسا قلبه، فلا يكاد قلبه يبكي عند سماع موعظة، وتراه قد باع القربَ من ربه بشهوة بطنه.

والصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يبكون لأدنى موعظة، فقد روى العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ فقال: وَعَظنا رسول الله ﷺ موعظة، وجلتْ منها القلوب، وذرفتْ منها العيون... إلخ، الحديث.

كانوا إذا سمعوا آية عذاب في حق الكفار بكوا حتى تخضلَّ لحاهم، وكأن النار لم تخلق إلا لهم، وكانوا إذا فاتتهم المواكبُ الإلهية في الأسحار ليلة بكوا كثيراً، وكان أحد السلف الصالح إذا فاتته صلاةُ الجماعة عزّوه، وقبل التعازي على فوات أجر صلاة الجماعة.

فمن لم يتأثر على فوات صلاة جماعة، ولا على قيام ليلة، ولا على ذكر، ولا على خير أخروي فاته، وتأثر على فوات دنيا، أو مال، أو جاه، أو متاع، فلا قيمة له عند الله تعالى؛ لأنه تأثر على أمر حقير، لا يعدل جزءاً من جناحِ بعوضة، ومن استعظم ما استحقره الله تعالى، فلا قيمة له عنده، والقاعدة تقول: إذا أردت أن تعرف مالك عند الله، فانظر مالله عندك.

وقد بكى السلفُ الصالح الدم حين نفدت الدموع من خوف الخاتمة، وخوف القطيعة، وخوف المكر بهم، والاستدراج، وأنت يا أخي! كأنك أَخَذْتَ من الله تعالى أماناً بأنه لا يمكر بك، وكل ذلك من تلبيس إبليس، وقد قال تعالى في حق: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٧٠/ ٢٣] وفي

حق الذين: ﴿فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج: ٧٠/ ٢٤ـ٢٥] وفي حق: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [المعارج؛ ٧٠/ ٢٦] وفي حق الذين هم من عذاب ربهم مشفقون: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ﴾ [المعارج: ٧٠/ ٢٨].

فتأمّل يا أخي! إذا كان أهلُ هذه الصفات لم يؤمّنهم الله تعالى من عذابه، فكيف من كان بالضد من ذلك كأمثالنا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فَجُعْ يا أخي! ليكون من شأنك البكاء عند سماع المواعظ، خوفاً من ربك، والله يتولى هداك.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «سبعةٌ يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه» فذكر منهم: «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[1].

وروى الطبراني عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترى أعيُنهم النار عين حرست في سبيل الله، وعين بكتْ من خشية الله، وعينٌ غضّت عن مَحَارِمِ الله»[2].

وروى الترمذي، وقال: حديث صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلجُ النارَ رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبنُ في الضرع، ولا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم»[3].

١٩٦/ ٥ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نتعاطى الأسباب التي تُذكِّرنا بالموت، وتُقصِّر أملنا؛ كمطالعة الكتب المذكِّرة بالآخرة، وزيارة القبور؛ امتثالاً لقوله ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات»[4] يعني: الموت.

---

(١) مسلم (٢/ ٧١٥).

(٢) معجم الطبراني (١٩/ ٤١٦).

(٣) سنن الترمذي (٣/ ٣٨٠).

(٤) المصدر السابق.

ومن ذكر الموت حيي قلبه، ومن نسي الموت مات قلبه، وذلك لأنَّ من لازم ذكر الموت: قصر الأمل، والمبادرةَ إلى العمل، فمثل هذا وإن طال عمره فعمله حسن إن شاء الله تعالى، وذلك الذي نسي الموت، ومات قلبه، طال أمله، وقل عمله.

فمن أعظم نعم الله تعالى على العبد: أن يقصر أمله، ويطول عمره، ويحسن عمله، وحاله حال القائل:

لا تظنـوا المـوت مـوتـاً إنـه لحيـاة هـي غـايـات المنـى
لا تَـرُعْكُـم فجـأة المـوت فمـا هـي إلا نقلـة مـن هـاهنـا

وطَلَبُ الأكابر من ربهم أن يمدَّ في آجالهم لتكثر أعمالهم الصالحة، لا لحظّ نفوسهم. وليزيد هدي الأمة بهم، فهم الدعاةُ إلى الهدي النبوي، فمن باب الشفقة يتمنّون طول الأجل، كما وقع ذلك لبعض الأنبياء، فقد قال لجبريل عليه السلام: ألا تراجع ربك في التأخير؟ قال: جفَّ القلم بما هو كائن. وإنما قال ذلك شفقة على قومه.

ونظيره قوله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، فأستغفر ربي في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة».

فقد فسّره الجنيد رحمه الله تعالى بقوله: إن المراد به أنه اطّلع على ما تقع فيه أمته من المعاصي بعده، فكان يستغفرُ الله تعالى لهم لا له؛ لأنه ﷺ لا ذنب عليه. فقال له قائل: فما المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩/١٧] فقال: المراد به ذنب أمته، وإنما أضيف إليه لأنه هو المشرِّع لتحريمه، فكأنه قيل له: استغفر لأهل الذنب الذي حرَّمته شريعتك.

روى الطبراني بإسناد حسن عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مات رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فجعل أصحابُ رسول الله ﷺ يثنون

عليه، ويذكرون من عبادته، ورسول الله ﷺ ساكت، فلما سكتوا قال رسول الله ﷺ: «هل كان يكثر ذكر الموت؟» قالوا: لا. قال: «فهل كان يَدَع كثيراً مما يشتهي؟» قالوا: لا. قال: «ما بلغ صاحبُكم كثيراً مما تذهبون إليه»[(١)].

وروى الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وصححه الذهبي، عن طارق ابن عبد الله المحاربي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا طارقُ استعدَّ للموت قبل نزول الموت»[(٢)].

وروى الحاكم، وصححه الذهبي، عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول ربكم تبارك وتعالى: يا بن آدم! تفرَّغ لعبادتي أملأ قلبك غنىً، وأملأ يديك رزقاً. يا بن آدم! لا تباعد مني فأملأ قلبك فقراً؛ وأملأ يديك شغلاً»[(٣)].

والمقصود من «تفرغ لعبادتي» أي: اعمل من الأمور الدنيوية التي أبحتها لك، وانو بها مرضاتي، أكتبها لك عبادة، فلو سعى على عياله، ولو خدم الناس من خلال عمله الوظيفي ابتغاء مرضاة الله، فهو متفرغ لعبادة الله.

وروى الحاكم، وصححه الذهبي، عن سعد بن أبي وقاص قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أوصني وأوجز. فقال له النبي ﷺ: «عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع؛ فإنه الفقر الحاضر، وصلِّ صلاتك وأنت مودِّع، وإياك وما يُعْتَذر منه»[(٤)].

٦/١٩٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نخاف من سطوات ربنا، وغضبه علينا ليلاً ونهاراً، ولا نأمن مكر الله علينا في ساعة من ليل أو نهار.

---

(١) معجم الطبراني (٦/ ١٨٥).
(٢) المستدرك (٤/ ٣١٢).
(٣) المستدرك (٤/ ٣٢٦).
(٤) المصدر السابق.

واعلم يا أخي! أن أحداً لا يستغني عن الخوف، ولا يسقط عنه، ولو بلغ الغاية، ما دام في هذه الدار إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لعصمتهم، وأما ما عداهم فمن حقه الخوف حتى يضع قدمه في الجنة؛ لأن الخوف من المقامات المستْصحبة بعد الموت بخلاف التوبة، والتقوى، فإنه خاصٌّ بالحياة مدَّة التكليف.

واعلم أن سببَ عدم خوفنا من الله: الظلمة المسيطرة على القلب من أكل الشهوات والشبهات، ولا تزول تلك الظلمة إلا بمصاحبة من أشرقت قلوبهم، وكثر خوفهم.

واعلم أنَّ الإنسان كلما قرب من الله تعالى استعظمه، وخاف منه، وكلما بَعُد وحجب، فبالعكس.

ونظير ذلك في الدنيا أصحاب حضرات الملوك والرؤساء، فترى عندهم من الخوف منهم، ومن سطوتهم ما ليس عند البعيدين عن حضرته، وربما شتم البعيدون ملوكهم ورؤساءهم، بخلاف من كانوا من أهل حضراتهم.

وقد كان السلفُ الصالح على قدم الخوف من الله تعالى حتى ماتوا؛ لعلوِّ مقامهم، وقربهم من ربهم، وخَلَفهم أقوامٌ ليس عندهم من الخوف إلا الاسم؛ فإن أعمالهم تُكذِّب أقوالهم. وقد كان الحسنُ البصري رحمه الله تعالى، وهو من كبار التابعين، يقول لتلامذته: والله! لقد أدركنا أقواماً لو رأوكم، لقالوا: هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب.

ورأى شخص في المنام مالك بن دينار في الجنة، فأتاه يبشِّره بذلك، فقال له مالك: أما وجد إبليس أحداً يسخر به غيري وغيرك؟!.

وكانت السحابة إذا مرت عليه، وهو يملي الحديث يسكت، ويرتعد، ويقول: اصبروا حتى تمرَّ؛ فإني أخاف أن تكون فيها حجارة ترجمنا بها.

وسألوه مرة أن يخرج معهم إلى الاستسقاء، فقال: بالله عليكم اتركوني؛ فإني أخاف ألا تُسْقَوا بسببي.

وطلب جماعة من سيِّدي عبد العزيز الديريني كرامةً، وقالوا: مرادنا شيء يقوِّي يقيننا، واعتقادنا فيك حتى نأخذ عنك، فقال: يا أولادي! وهل ثَمَّ كرامةٌ من الله لعبد العزيز أعظم من أن يمسك به الأرض، ولم يخسفها به، وقد استحق الخسف به من سنين؟! فقال له شخص: إن الخسفَ لا يكون إلا للكفار، وأنتم من المؤمنين، فقال: قد خسف الله تعالى بشخص لبس حلّة وتبختر فيها، كما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجِّلٌ جُمَّته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»(١)، وكم لعبد العزيز من ذنب أعظمُ من التبختر؟!.

وكان معروف الكرخي إذا استيقظ من منامه يمسح على وجهه بيده ويقول: الحمد لله الذي لم يغيِّر صورتي لسوء أدبي.

وأحوال السلف الصالح في الخوف كثيرة مشهورة، فطالعْ يا أخي! في مناقبهم، وإياك والاقتداء بمن ليس عنده خوف، فيلبِّسَ عليك، فتأمن مكر الله تعالى.

ولكن إذا خفته في الدنيا أمَّنك يوم القيامة، فهو القائل: وعزتي وجلالي! لا أجمع على عبديَ خوفين ولا أَمْنين. فمن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، ومن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة.

وتأمل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ١٩/ ٨٥] فالمتقون هم الخائفون في الدنيا، والمقدمون على امتثال الأوامر، واجتناب المناهي كيف يحشرون إلى الرحمن الذي يعطي الرحمة. والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ٣/ ١٧٥] والذي يخاف الله وعذابَه في الدنيا في ظل العرش يوم القيامة، آمن حيث يفزع الناس.

---

(١) بخاري (٧/ ١٨٣).

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «سبعة يظلّهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه» وذكر منهم «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله» وقد مرَّ.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «قال رجلٌ لم يعمل خيراً قطّ: فإذا مات فحرِّقوه، واذْروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله! لئن قدر الله عليه ليعذِّبنه عذاباً لا يعذِّبه أحداً من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلتَ؟ قال: من خشيتك، وأنت أعلم، فغفر له»[(١)].

١٩٨/ ٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن يكون رجاؤنا وظنُّنا في الله تعالى حسناً بطريقه الشرعي؛ بأن نأتي بجميع المأمورات الشرعية، ثم نرجوَ فضْل ربِّنا، ونعوّل على فضله لا على تلك الأعمال، فإنه لو آخذنا بما في طاعاتنا من سوء الأدب معه لعذَّبنا، وهذا الرجاءُ والظنُّ بالله تعالى متعيّن على الإنسان في كل نفس.

والمؤمن يحتاج إلى عينين، عين ينظر بها إلى حضرة الانتقام، فيخاف من الله تعالى، وعين ينظر بها إلى حضرة الرحمة والمغفرة، فيرجو فضل الله تعالى ورحمته، فالعينان في آن واحد.

روى الترمذي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ حُسْنَ الظن بالله من حسن عبادة الله»[(٢)].

وروى أيضاً، وقال: حديث حسن صحيح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي»[(٣)].

---

(١) بخاري (٩/١٧٧).
(٢) سنن الترمذي (٥/٢٤١).
(٣) سنن الترمذي (٥/٢٣٨).

وروى الترمذي وحسّنه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي. يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا بن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[١]
قراب: ملء.

* * *

(١) سنن الترمذي (٥/٢٠٨).

# كتاب: المرض والطب

١٩٩/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نميل إلى الضَّعف، ونبادر عند نزول البلاء علينا إلى سؤال العفو والعافية، ولا نتجلَّد إلا بما نعلم من أنفسنا بالقرائن من القدرة على الصبر عليه.

وعليك بالبحث عند نزول البلاء عن الحكمة منه: هل هو رَفْع درجات، أو عقوباتٌ، أو مكفِّراتٌ، فإنه لا يكاد يخرج عن هذه الثلاث. ولكلٍّ منها علامة. فعلامة كونه رفع درجات: أن يقع مع انشراح، وانفساح الصدر، والرضا، وعلامة العقوبة أن يقع مع الألم، والسخط، والاشمئزاز، وعلامة المكفّرات أن يقع مع الصبر، وعدم السخط.

فملْ يا أخي! إلى الضعف الذي هو أساسك، وسداك، ولحمتك، واسأل الله تعالى العافية والعفو.

روى الترمذي، وحسَّنه، عن أنس بن مالك: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! أي الدعاء أفضل؟ قال: «سَلْ ربك العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة». ثم أتاه في اليوم الثاني فقال: يا رسول الله! أي الدعاء أفضل؟ فقال له مثل ذلك، ثم أتاه يوم الثالث، فقال له مثلَ ذلك، قال: «فإذا أُعطيتَ العافية في الدنيا، وأُعطيتها في الآخرة، فقد أفلحت»[١].

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ١٩٥).

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمتُ أيَّ ليلة ليلةُ القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»[1].

٢٠٠/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نكثر من زيارة أهل البلاء؛ بقصد كثرة حمدنا لله، وشكرنا له؛ الذي عافانا منه، أي: من ذلك البلاء كما نرى صاحبه، فنشكر الله تعالى على ما رزقنا من العافية، ونُحْدِث عند ذكر كل مرض شكراً لله عز وجل؛ الذي عافانا من ذلك البلاء، مع استحقاقنا لأضعافه.

ثم إن الصالحين والعلماء والعاملين يزداد عليهم البلاء والامتحان؛ لكيلا يغفلوا عن الله لحظة واحدة؛ فإن الغفلة عن الله عند العلماء، العاملين، والصالحين من أعظم الذنوب التي يقع الإنسان فيها. ولو أنَّ عبداً من عباد الله عز وجل عبد الله تعالى مدة الدنيا كلِّها بعبادة الثقلين ما أدى شكر معافاته من مرض واحد من الأمراض.

وإذا علمت هذا كله، فإني ذاكر لك جملة من الأمراض التي عافاك الله منها منشورةً على أعضاء البدن من الرأس إلى الرجلين؛ لتتذكر ما أنعم الله به عليك من العافية صباحاً ومساءً، وتشكر الله تعالى على ذلك.

فكم من مبتلى بالصداع لا يفتر عنه ساعة! وكم من مبتلى بالشقيقة لا تدعه يستلذ بالنوم! وكم من مبتلى بارتفاع ضغط الدّم! وكم من مبتلى بالماء الأزرق والأبيض في العينين حتى يكاد أن يعمى بصره! وكم من مبتلى بالصرع! وكم من مبتلى بتخثر الدم في الرأس! وكم من مبتلى بانفصام الشخصية، والاكتئاب والماليخوليا! وكم من مبتلى برعشة الرأس ليلاً ونهاراً! وكم من مبتلى بالتشنج! وكم ممن مبتلى بالاسترخاء! وكم ممن

---

(١) المصدر السابق.

مبتلى بالنزلات! وكم ممن مبتلى بالسكر! وكم ممن مبتلى بالسرطان! وكم ممن مبتلى بفقر الدم!.

وكم ممن مبتلى بالفيروسات الجديدة! وكم ممن مبتلى بالتلون في دمه! وكم ممن مبتلى بالأرق! وكم ممن مبتلى بأمراض الأذن! وكم ممن مبتلى بالحنجرة، وبتخرب الحبال الصوتية! وكم ممن مبتلى بدوار الرأس! وكم ممن مبتلى بحساسية الأنف الشديدة، وسيلانه، ورعاف الدم! وكم ممن مبتلى بأمراض الرئة المتنوعة! وكم ممن مبتلى بشرب الدخان! وكم ممن مبتلى بشرب الخمر! وكم ممن مبتلى بشرب المخدِّر! وكم ممن مبتلى بمرض نقص المناعة المكتسب! وكم ممن مبتلى بأمراض المثانة! وكم ممن مبتلى بأمراض المعدة من قُرحة وغيرها! وكم ممن مبتلى بأمراض الأمعاء والقولون وغيرها! وكم ممن مبتلى بأمراض تصلُّب الشرايين! وكم ممن مبتلى بهبوط ضغط الدم! وكم ممن مبتلى بالاستسقاء! وكم ممن مبتلى بالكبد وأمراضه! وكم ممن مبتلى بأدواء العظام المتعددة!.

وكم ممن مبتلى بالإسهال المتواتر، والزحير الدائم! وكم ممن مبتلى بالفشل الكلوي! وكم ممن مبتلى بأمراض الحصيات في الكلى والمرارة والمثانة والمسالك البولية! وكم ممن مبتلى بحرقة البول وحصره وتعسّره أو إدراره! وكم ممن مبتلى في مقعدته، فطلع فيها خرّاجات أو بواسير أو نواصير أو شقاق، حتى صار يحس ليلاً ونهاراً كأن دبره يشرح بسكين! وكم ممن تورّمت أنثياه، فلا يقدر يجلس على خلاء لوضوء ولا غيره، ولا يجد لذة الجماع جملة واحدة! وكم ممن مبتلى ضَعُف عن إتيان الزوجة مرة واحدة، فلا يقدر يجامعها!.

وكم ممن تعارضت عنده الأمراض، فكل دواء ينفع هذا يضر هذا، حتى صار يتمنى الموت فلا يُجاب! وكم ممن ابتلي برمي الدم والقيح على الدوام، حتى إنه يحس بقواه نفدت كلها، فهو ميت في صورة حي. وكم ممن ابتلي

بألم المفاصل حتى تورَّمت وتعقَّدت؛ حتى صار لا يستلذ بأكل ولا منام! وكم ممن ابتلي بعرق النسا، وبأوجاع الوركين والركبتين! وكم ممن ابتلي بوجع الظهر! وكم ممن ابتلي بعموده الفقري! وكم ممن ابتلي بالبرص والبهق!.

وكم ممن ابتلي بقتل قتيل، أو الزنى بامرأة، أو بسرقة، فأودع السجون، وأمر بإقامة الحدّ عليه! وكم ممن طعن، وضُرِب، وعُرِّضَ جسمه للصعقات الكهربائية، وكسرت عظام يديه ورجليه! وكم ممن شرب لبناً مسموماً، أو أكل طعاماً مسموماً، فذاب لحمه! وكم ممن مصاب استنشق غازات سامةً فمات لتوِّه! وكم ممن خسفت به الأرض، ودفن تحت الأنقاض من جراء هزة أرضية، فبقي يُعذَّب حتى مات! وكم ممن احترق في الجو أو في الأبنية العليا، فلم يقدر على النجاة! وكم ممن غريق جرفته السيول والفيضانات، فمات، فما قدر أحد على إنقاذه.

وإنما ذكرتُ لك هذه الأمور لتشكر الله تعالى على عدم ابتلائنا بها، ونسأله تعالى ألا يبتلينا بها في المستقبل إن شاء الله تعالى لالتجائنا إليه.

فاعلم ذلك، وإياك أن تستبعد وقوعك فيما يقتضي هذه العقوبات والأمراض؛ فإن غاية أصحابها أنهم وقعوا في حرام أو مكروه، وكم وقعت يا أخي في ذلك، وإياك أن تستبعد وقوعك وإن لم تقع، فأنت معرَّض للعقوبات والأمراض، وأسبابها ما دمت في هذه الدار.

فالعاقل من خاف، وسأل الله تعالى العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة.

وكان الخواص رحمه الله تعالى يستحضر جميع هذه الأمراض كلها كلما يقوم من النوم، وإذا أراد النوم وكان يقول عن المتبولي رحمه الله: ينبغي ألا يكتفي أمثالنا بالشكر باللسان في هذا الزمان؛ لكثرة معاصينا، وعدم إخلاصنا، وإنما ينبغي أن يكون شكرنا بالفعل كقيام الليل، وصوم الهواجر، وكفّ النفس عن جميع الشهوات.

روى الترمذي عن عمر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من رأى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضَّلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، إلا عوفي من ذلك البلاء كائناً ما كان عاش»[1].

ولكن يقول ذلك في نفسه، ولا يُسمع صاحب البلاء، كما ذكره محمد ابن علي بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين.

وروى الترمذي وحسّنه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى مبتلىً فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً لم يصبه ذلك البلاء»[2].

٢٠١/ ٣ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نصبر على مصائب الزمان، وإن لم نصبر صبرنا على عدم الصبر، فإنه ابتلاء أيضاً؛ لما فيه من إظهار المروق من تحت الأقدار، ويحتاج مثل هذا الصابر إلى عينين: عين ينظر بها إلى تقدير الضجر عليه، فيصبر تحت الأقدار، وعين ينظر بها إلى الأمر بالصبر، فيتصبر. هذه صورة الصبر على عدم الصبر.

وكذلك نأمر بالصبر والتصبر جميعَ إخواننا إذا ابتُلوا بشيء في أنفسهم، أو أموالهم، ونخبرهم بما جاء من الأحاديث في فضلِ البلاء والمرض، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى مربٍّ ضرورةً؛ ليعلِّمه أدبَ المرض، ويخبره بأنه ما مرض عضو من أعضاء البدن الظاهرة والباطنة إلا باستعماله في غير ما أمر به إلا أن يكون معصوماً، فمن عرف ذلك، ووجعه عضو فليفتشْ نفسه؛ فإنه لا بد أن يكون فعَل به غير ما أمر به. فليعزمْ على التوبة النصوح، فهي أقرب إلى شفاء ذلك العضو.

وقد أغفل هذا خلقٌ كثير، فلم ينتبهوا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ١٥٧).
(٢) المصدر السابق.

﴿مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٢/ ٣٠] فدامت أمراضهم، أو طال زمنها.

فكل عضو عليه زكاة، فإن أخرجها صاحبها منه، فقد أخرج ما فيه من الخبث والمرض، وإن لم يخرجها فلا بُدَّ له قبل دخوله الجنة من التطهير، إما بالعفو عنه من باب رحمة الامتنان، وإما بالتوبة والاستغفار، وإما بالعذاب بالنار.

قال الشعراني: طلب مني شخص من العميان حاجة بمقدوري القيام بها، أو بمقدور غيري، فلم أصنع إليه لا بنفسي ولا بغيري، فآخذني الله تعالى بذلك، وابتليت بداءٍ في جفني عينيَّ، فصارا ينضحان قيحاً وصديداً مدة سبعة أشهر، حتى أجمعت الحكماء على أنهما تلفتا، وذهب ضوؤهما، وما بقي ينفع فيهما دواء، فألهمني الله تعالى بتذكّر ذلك الأعمى، فتبتُ، واستغفرت، فخفَّ الألم من ذلك اليوم حتى تعجب الحكماء، وقالوا: هذا أمر ربَّاني ما للخلق فيه عمل!.

وكذلك القولُ في الأذن، إذا قال لك شخص: اسمع لي حاجتي، أو السورة التي أحفظها، وكذلك القول في الرجلين، إذا قال لك إنسان امشِ معي خطوة اقضِ حاجتي، وكذلك القول في الفرج إذا حصل به فاحشة، ونحو ذلك، فلا تطمع في معافاتك من البلاء، وأنت تستعملُ أعضاءك في غير ما خلقت له أبداً بحسب مقامك. والعارفون ذوو مقامات عند الله، ربما يؤاخذون على ذنوب لم يؤاخَذْ بها غيرهم.

وقد نظر عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ إلى السماء، فحصل له في قلبه قساوة، فحكى ذلك لأمه، فقالت: يا ولدي! لعلك نظرتَ إلى السماء على غير وجه الاعتبار!.

ونظر بعضُ المريدين إلى أمرد، فاسودَّ وجهه حتى استغفر له الجنيد، فزال سواده! وكم نظر غيره إلى مثل ذلك فلم يسودَّ له وجه!.

فاحفظ جوارحك إن أردت سلامتها من العاهات، واعلم أنه ورد في صحيح مسلم حديث: «الطهور شطر الإيمان»، وفيه كلمة: «والصبر ضياء» ومعنى كونه ضياءً: أنّ صاحبه يحصل له نور في قلبه بالمرض، فيدرك الحق والباطل، وأما من لم يصبر فهو في ظلمة يقعُ في كل محظور.

روى مسلم عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن. إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سرَّاء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاء صبر، فكان خيراً له»(١).

وروى الترمذي، وحسَّنه، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد اللهُ بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة»(٢).

وروى الترمذي، وحسّنه، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»(٣).

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله! أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل؛ يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلْباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رِقَّةٌ ابتُلي على قدر دينه، فما يبرحُ البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»(٤).

٢٠٢/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نتداوى بذكر اسم

---

(١) مسلم (٤/ ٢٢٩٥).
(٢) سنن الترمذي (٣/ ٢٧).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

الله عز وجل على موضع المرض والوجع، ولا ندعو طبيباً إلا إذا لم يزل المرض بذكر اسم الله تعالى. والعلّة في عدم زوال المرض بذكر اسم الله تعالى: ضعف عقيدة المسمِّي لله عز وجل، فلو قوي يقينُه لاهتزَّ الجبل العظيم عند ذكر اسمه سبحانه وتعالى، فإن الله تعالى يعامل العبد بقدر ما عنده من تعظيمه.

وقال رجل لذي النون المصري: يا سيدي! علِّمني اسم الله الأعظم، فقال له: أرني اسمه الأصغر حتى أعلمك الأكبر. ثم قال للسائل: اعلم يا أخي! أن أسماء الله كلها عظيمة، فاصدقْ، واطلبْ بها ما شئت، يحصل.

قلت: كأن ذا النون أدرك من السائل أنه يطلب معرفة اسم الله الأعظم ليعظِّمه في قلبه دون غيره من الأسماء، فنبَّه إلى مثل ذلك.

واعلم أنه قد يكون الإنسانُ مجابَ الدعوة، ويكون في مدة المرض بقية فلا يجاب، فما أثَّرت الرقى، وعجّلت الشفاء إلا في حق من انتهت مدة مرضه. كما أنَّ العقاقير (الأدوية) كذلك ما أثَّرت في حصول شفاء امرىء مريض إلا إذا انتهت مدة المرض، ولذلك يستعمل تلك العقاقير أو الرّقى شخص، فلا يحصل له بها شفاء، وذلك لكون مدة المرض ما انتهت، ثم يجيء إنسانٌ انتهت مدةُ مرضه، فيستعملها فيبرأ، فيقول: ما رأيتُ أسرعَ في شفاء المرض الفلاني من استعمال الشيء الفلاني، وإنما السر فيه ما ذكرنا من انتهاء المدة، فكانت الرّقى والعقاقير مخفّفةً للمرض لا غير، إما بالخاصية، وإما بغير ذلك.

فلا تطلب التداوي بالطبيب إلا بعد أن لا يحصل الشفاء بالرقية، وتعدم الصبر، وهناك تحتاجُ إلى الطبيب ضرورة، بشرط أن يكون من المسلمين الحاذقين؛ لأن له مدخلاً في الشفاء بتوجُّهه إلى الله تعالى في شفاء من يداويه، ولا هكذا غير المسلم، فلا يصلح أن يكون شافعاً لنا عنده تعالى.

وهذا الأمر قد كثر في الناس، فيدعون المسلم الحاذق، ويلتفتون إلى

غيره، فلا يليق بعاقل أن يجعل واسطة في الشفاء بينه وبين الله تعالى شخصاً، قد غضب الله عليه، إما عاجلاً وإما آجلاً بالنظر إلى الخاتمة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ٦٠/ ١].

فأخبر أن عدوَّ الله عدوٌّ للمسلم أيضاً، فهو قد عادى الله بأن جعل له ندّاً، ومحال أن يفي للإنسان الذي يؤمن بالله وحده، فأكَّد عداوته للمسلم بقوله: ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الممتحنة: ٦٠/ ١].

روى البخاري، ومسلم، وغيرهما عن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألَّمَ من جسدك، وقل: باسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بالله، وقدرته؛ من شر ما أجد، وأحاذر»[(١)]، وفي رواية لمالك: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» قال عثمان: ففعلتُ ذلك، فأذهب اللهُ ماكان بي، فلم أزل آمر بها أهلي، وغيرَهم.

وروى أبو داود عن أبي الدرداء قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من اشتكى منكم شيئاً، أو اشتكاه أخ له، فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدَّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، فاجعلْ رحمتك في الأرض، اغفرْ لنا حوبنا وخطايانا، أنت ربُّ الطيبين، أنزلْ رحمةً من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ»[(٢)].

وروى أيضاً عن خارجة بن الصلت عن عمِّه أنه مرَّ على قوم، عندهم رجل مجنون، موثق بالحديد، فرقاه بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية، كلما ختمها جمع بزاقه، ثم تفل، فكأنما نشط من عقال، فأعطوه شيئاً (مئة

---

(١) مسلم (٤/ ١٧٢٨).
(٢) سنن أبي داود (٤/ ١٢).

شاة) فأتى النبي ﷺ، فأخبره فقال: «هل قلت غير هذا»؟ قلت: لا، قال: «خُذْها، فلعمري لمن أكل برقية باطل، لقد أكلت برقيةٍ حق»[1].

٢٠٣/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نعودَ المرضى، ونسألهم الدعاء، امتثالاً لقوله ﷺ: «عودوا المرضى»، ولا نعودهم لعلّة أخرى من طلب ثواب، أو مكافأة، فإنه ليس للعبد شيء حتى يطالب به الحق، ولا يرى أنه كافأ أحداً عاده، ولو تردَّد هو إليه مرات عدة، اللهم إلا أن يطلب الثواب من باب الفضل والمنة؛ لعلمه تعالى بأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، أو يرى أنه كافأه صورةً لا حقيقة، فله ذلك، لكن في طلب الثواب دقيقة، وهو أنه تعالى شرط في كونه لا يضيع أجر عبده أن يحسن عمله، وأي عبد يدَّعي أنه أحسن عمله حتى يطلب الثواب. فهضْمُ العبد نفسه بيني يدي الله عز وجل واجب. وفي الحضور عند المريض من غير شرطِ العملُ بحديث: «إذا دخلتم على مريضٍ فنفِّسوا له في الأجل؛ فإنه أطيب لنفسه».

فالشارعُ طَلَب منا الحضور إلى المريض من غير شرط، وأمرنا بالتنفيس عنه، كقولنا له: أنت طيب بخير وعافية، لا تخفْ، ولكنْ لا تغفلْ عن التوبة والاستغفار؛ فإن الله تعالى يقبل توبتك الآن.

قال الخوَّاصُ رحمه الله تعالى: لا ينبغي لمن يعودُ مريضاً أن يكون متلطِّخاً بذنب من الذنوب الظاهرة والباطنة، فإن دعاء العصاة محجوب عن الإجابة، بل الذي ينبغي له أن يكون على طهارة ظاهرة وباطنة.

فعد يا أخي! إخوانك امتثالاً لأمر الشارع، ولا تطلب منهم أن يكافئوك إذا مرضت بل افرحْ إذا لم يعدك أحد، فإن تلك الضعفة ربما تكون هي القاضية، ولا أحد يكافئهم عنك، والله غفور رحيم.

وإذا كنت عالماً، أو ذا وجاهة دينية، فإياك أن تتكبر عن عيادة أحد من المسلمين، بل عُد المسلمين كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، محترفهم

---

(١) سنن أبي داود (١٢/٤)

ورئيسهم، لكن بنيّة صالحة؛ بحيث لا ترى لنفسك بذلك فضلاً على أحدٍ ممن عُدْتهم من فقراء المسلمين، فتنظر إلى ضخامتك في عيون الناس، وحقارة ذلك الفقير، فإن رأيت لنفسك فضلاً على وجه الكبْر أثمت، وضللت عن السُّنة ضلالاً مبيناً.

روى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، وعاد أخاه المسلم مُحتسباً بوعدٍ من جهنم مسيرة سبعين خريفاً»[(١)] والخريف: العام.

وروى أبو داود عن عليّ قال: ما من رجل يعودُ مريضاً ممسياً، إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، وكان له خريفٌ في الجنة، ومن أتاه مصبحاً خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسي، وكان له خريف في الجنة.

وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من عاد مريضاً لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرار: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله من ذلك المرض»[(٢)].

٢٠٤/ ٦ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: إذا كتبنا وصية في المرض أن نعدِّل فيها، ولا نضارّ بأحد من الورثة، ولا نوصي بدفننا في مكان معيَّن، وندع ذلك لله تعالى، فإنه قد سبق في علم الله أنَّ كل ميت يدفن في المكان الذي ذُرّ على نطفته منه يوم قُدِّر وجوده.

ومن الأمور المكروهة: عمل المدافن، وتخصيصها، فالمؤمن ليس له مع الله اختيار في حال حياته، فكيف يكون له معه اختيار بعد الموت؟! وعَمَلُ المدافن من شهوات النفوس. أما الوصية بدعاء الناس إلى صلاة

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ١٨٥).

(٢) المصدر السابق.

الجنازة، فلا بأس للمسلم أن يوصي إخوانه أن يدعو إخوانهم في جنازته بقصد تكثير الشافعين لكثرة ذنوبه، لا لعلة أخرى نفسانية. ولا بأس أن يوصي بالصلاة عليه في مسجد واسع.

روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما حقُّ امرىء مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»[1].

ومعنى قوله: «ما حق امرىء مسلم...» إلخ. أي: ليس له أن يبيتَ ليلتين أو ثلاثاً إلا ووصيته مكتوبة بما له وبما عليه.

وهذا الأمر قليلٌ فاعله، فيستحي أصحاب المريض أن يقولوا له: أوصِ خوفاً عليه من الفزع، وليس على بال المريض موت. والنصح من الإيمان، وشيء أمر به الشارع؛ الذي هو أرحم بالإنسان من أمه، لا عذر في تركه لأحدٍ مراعاةً لخاطره، وكم اشتغلت ذممُ أموات بتركهم الوصية، وحُبسوا عن مقامهم الكريم حتى توفَّى عنهم ديونُهم، وربما شحّت الورثة بذلك المال الذي على ميتهم، فلم يوفوا عنه، فيصير محبوساً في البرزخ إلى يوم القيامة، فالله ورسوله أحق بالطاعة من ذلك المريض الذي يخاف عليه الموت.

وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يتصدَّق المرء في حياته بدرهم خير له من أن يتصدق بمئةٍ عند موته»[2].

وروى أبو يعلى بإسناد حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجل فقال: يا رسول الله! مات فلان، قال: أليس

---

(١) بخاري (٤/ ٣).
(٢) سنن أبي داود (٣/ ١١٣).

كان معنا آنفاً؟ قالوا: بلى، قال: سبحان الله كأنها أخذةٌ على غضب. المحروم من حرم وصيته»[1].

وروى أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل والمرأةَ بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت، فيضارّان في الوصية، فتجب لهما النار»[2].

وروى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الإضرار في الوصية من الكبائر»[3].

* * *

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الترغيب والترهيب (٤/ ٣٢٧).
(٣) سنن أبي داود (٣/ ١١٣).

# كتاب الجنائز

٢٠٥/ ٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: إذا دخلنا على من حضره الموت أن نُحبِّبه في لقاء الله تعالى، ونقول له: الفرحُ في قرب القدوم على أرحم الراحمين، الذي هو أرحم بك من والدتك، ونقول له: هذا مصير الأوَّلين والآخرين، ما ترى من الله إلا ما يَسُرُّك، فإذا صغى لقولنا، ومات على ذلك، أحب تعجيل اللقاء ضرورةً، فأحبّ الله لقاءه، ونقول له: ألك على أحد حق، أو لأحدٍ عليك حق لنعرض له بالعفو عن جميع الناس ليعفو الله تعالى عنه؟.

وإذا رأينا أسارير جبهته اصفرَّت، ونارت، فذلك علامةُ السعادة، وإذا رأيناه قد علا وجهه قَتَرٌ، وسواد، وزرقة، فذلك علامة الشقاء، فإن غلب على ظننا قبول شفاعتنا فيه شفعنا فيه، ومكثنا عنده. وإن لم يلق الله تعالى في قلبنا أنه يقبل شفاعتنا فيه، فارقناه مع السكوت، وردّ الأمر فيه إلى الله تعالى وما ينطق به المحتضر فلا عبرة له، ولا يؤخذ منه شيء، ويجب حَمْلُه على الأكمل.

روى البخاري ومسلم عن عبادة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من أحبَّ لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قالت عائشة أو بعضُ أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: «ليس ذاك، ولكنّ المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيءٌ أحبَّ إليه مما أمامه، فأحبّ لقاء الله وأحب الله لقاءه. وإنَّ الكافر إذا حُضِر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيءٌ أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله، وكره الله لقاءه»[1].

---

(١) بخاري (٨/ ١٣٢).

٢٠٦/ ٨ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: إذا مات لنا ميت أن نُكثر من حمد الله، ومن قول: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ امتثالاً لأمر الشارع في ذلك. فعلم أنه لا ينبغي لعالم أو صالح أن يقول: وا ولداه! ونحوَ ذلك من الألفاظ؛ التي لو جلس يقولها إلى أن تقوم الساعة لا يكتب له بها حسنة، ولا يُخفَّف عنه ما في قلبه من النار التي يحسُّ بها والد الميت، أو أمه فيه، كأن جسده قد حُشِي جمراً. فاتبع يا أخي! السنة المحمدية في كل قول وفعل، والله يتولى هداك.

روى مسلم عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجُرْني في مصيبتي، وأخلف لي خيراً منها، إلا أَجَرَه الله في مصيبته، وأخلف له خيراً منها»(١) قالت: فلما توفّي أبو سلمة قلتُ كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيراً منه: رسول الله ﷺ.

وروى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شقّ بصرُه (أي: لا يرتد إليه طرفه) فأغمضه ثم قال: «إن الروحَ إذا قُبض تبعه البصر» فضجَّ ناسٌ من أهله، فقال: «لا تدْعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون» ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفْه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونوِّر له فيه»(٢).

٢٠٧/ ٩ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نُرغِّب إخواننا في تغسيل الموتى، وتكفينهم، وفي حفرهم القبور، ونعلِّمهم كيفية ذلك على حسب ما ورد في السنّة، ونكتم على الميت ما نراه عليه من السوء.

---

(١) مسلم (٢/ ٦٣٣).

(٢) المصدر السابق.

وهذا العهدُ ينبغي لكل مسلم أن يتعلَّمه مبادرةً لاغتنام الأجر، وستراً للميت، فإذا لم يكن أحد من المسلمين يعرف يغسل، فإن الميت يتأخر تشييعه ودفنه، وفي ذلك فساد رائحته، وهَتْك ستره.

ثم الذي ينبغي لأغنياء المسلمين إذا مات في حيِّهم فقير؛ أن يكفنوه احتساباً لوجه الله تعالى، ويحفروا له قبره بأنفسهم، أو بالكراء.

روى الطبراني عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «من غسَّل ميتاً فستره ستره الله من الذنوب، ومن كفَّنه كساه الله من السندس»[(١)].

وروى الطبراني عن أبي رافع، ورجاله رجال الصحيح، قال: قال رسول الله ﷺ: «من غسَّل ميتاً فكتم عليه، غُفر له أربعين كبيرة، ومن حفر لأخيه قبراً حتى يُجِنَّه، فكأنما أسكنه مسكناً مرة حتى يبعث»[(٢)].

٢٠٨/ ١٠ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نُشيِّع موتى المسلمين، ونحضر دفنهم، ولا نرجع من غير حضور الدفن؛ إلا لأمر أهمّ منه شرعاً؛ امتثالاً لأمر الشارع، وقياماً بواجب حق أخينا المسلم في الصلاة عليه، وحضور دفنه، وقياماً بواجب حقّ أهله، ومراعاة لخواطرهم؛ فإنه مطلوب.

وقد سُئِل الحسن البصري عمن يحضر الجنازة مراعاة لخاطر أهلها، هل يقدح ذلك في الإخلاص؟ فقال: لا، كلا الأمرين مطلوب.

ويتعين على من يشيع الجنازة آداب المشي معها من: عدم اللغو فيها، وذكر أمور الدنيا؛ فإن ذكر الدنيا في ذلك الموضع ماله موضع. وكثرة الكلام اللغو معها يميت القلب، وإذا مات القلب في طريق الجنازة شفعوا في الميت بقلوب ميّتةٍ، فلا يُستجاب لهم، فأخطأ من لغا في طريق الجنازة في حق نفسه وفي حق الميت.

---

(١) معجم الطبراني (٨/ ٢٨١).

(٢) معجم الطبراني (١/ ٣١٥).

وقد كان السلف الصالح لا يتكلمون في الجنازة إلا بما ورد، وكان الغريب لا يعرف مَن هو قريب الميت حتى يعزِّيه لغلبة الحزن على الحاضرين كلهم.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: إذا علم من الماشين مع الجنازة أنهم لا يتركون اللغو في الجنازة، ويشتغلون بأحوال الدنيا، فينبغي أن نأمرهم بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فإن ذلك أفضل من تركه.

ولا ينبغي لفقيهٍ أن ينكر ذلك إلا بنص أو إجماع؛ فإن مع المسلمين الإذن العام من الشارع بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ كلّ وقتٍ شاؤوا.

وياللعجب من عمى قلب من ينكر مثل هذا! أي: قول المؤمنين لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ في طريق الجنازة، وهو يرى المنكرات تُباع في الأسواق، فلا ينكر على بائعها ولا مبتاعها.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من خرج مع جنازة من بيتها، وصلّى عليها، ثم تبعها حتى تُدفن كان له قيراطان من أجر، كل قيراط مثلُ أحد، ومن صلى عليها ثم رجع، كان له من الأجر مثلُ أحد»(1).

وروى مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن صلى على جنازة فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان، والقيراط مثل أحد»(2).

٢٠٩/ ١١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نرغِّب إخواننا في أن يدعوا معارفهم إلى حضور جنازة من مات لهم، وفي تعزية أهل الميت طلباً لحصول كثرة الأجر للميت، وللمصلين عليه، وللمعزين لأهله.

---

(١) مسلم (٢/ ٦٥٤).

(٢) المصدر السابق.

واعلم يا أخي! أن الله تعالى ما نَدَبنا للصلاة على الميت إلا وهو يريد منا قبول شفاعتنا فيه، فله الفضل، والثناء الحسن.

وقال الخوّاص رحمه الله تعالى: لا ينبغي لفقيهٍ أن يبادرَ إلى الإمامة على جنازة، إلا إن كان يعلم من نفسه أنه ليس عليه ذنبٌ. فالإمام شافع، وشرط الشافع في غيره أن يكون مغفوراً له، فإن قدَّموه، وعزموا عليه تقدَّم، وهو مستحٍ من الله خجلان، وصلَّى بالناس.

روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجلٍ مسلمٍ يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً، لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفَّعهم الله فيه»[١] فكان ابن عباس يؤخِّر الجنازة حتى يبلغ المصلون أربعين.

وروى أيضاً عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «ما من ميت يصلي عليه أمةٌ من المسلمين يبلغون مئة، كلهم يشفعون له، إلا شُفِّعوا فيه»[٢].

وروى أبو داود عن مالك بن هبيرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت، فيصلي عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب» أي: وجبت له الجنة.

وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، قال: «من عزَّى مصاباً فله مثل أجره»[٣].

وروى الترمذي عن أبي برزة قال: قال رسول الله ﷺ: «من عزَّى ثكلى كُسي برداً في الجنة»[٤].

* * *

---

(١) مسلم (٢/ ٦٥٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) سنن الترمذي (٢/ ٢٦٨).

(٤) المصدر السابق.

# كتاب اقتناء الكلاب

٢١٠/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نقتني كلباً إلا لصيد، أو ماشية، أو حراسة دارنا من اللصوص، ونحو ذلك من الأغراض الصحيحة.

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «من اقتنى كلباً ليس بكلب ماشية، أو ضارية، نقص كل يوم من عمله قيراطان»(١). معنى ضارية: الكلب المعلَّم الصيد، المعتاد له.

وفي رواية لمسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «من اتخذ كلباً إلا كلب زرع، أو غنم، أو صيد، ينقص من أجره كل يوم قيراط»(٢).

وروى أبو داود عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تدخل الملائكةُ بيتاً فيه صورة، ولا كلب، ولا جنب»(٣).

* * *

---

(١) بخاري (٧/ ١١٢).
(٢) مسلم (٣/ ١٢٠٢).
(٣) سنن أبي داود (٤/ ٧٣).

# كتاب المسافرين

٢١١/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نسافر سفراً قصيراً، فَضْلاً عن الطويل إلا مع رجلين فأكثر. ومن فوائد ذلك: ما إذا عرض لنا عارضٌ من مرض أو حادث. فواحد يجلس عندنا، وواحد يبلغ الناس خبرنا، أو يأتينا بما احتجنا إليه لذلك العارض.

وما نهانا الشارع ﷺ عن فعل شيء قطّ إلا لحكمة بالغة، وفي كلام الناس: خذ الرفيق قبل الطريق.

روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب»[1]. ومعنى الشيطان: العاصي، كقوله تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ٦/ ١١٢] معناه: عصاة الإنس والجن.

٢١٢/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نمكِّن امرأةً من حلائلنا تسافر وحدها بغير محرم، أو نسوة ثقات، وكذلك لا نمكِّنها وحدها تخرج لزيارة في جادة قليلة الناس، أو فيها من يخشى منه من الفسَّاق إلا مع محرم.

وهذا العهد يخلُّ به كثير من المغفَّلين، ومثل الحلائل الأولاد المُرْد،

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٣٦).

فلا نمكّنهم قطُّ من الخروج لمواضع النزهات إلا مع من يُوثَق به، لا سيّما إن كانوا جميلي الصورة.

روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم»[1] الأب، أو الابن، أو الأخ، أو الزوج، أو ذو محرم منها.

* * *

---

(١) مسلم (٢/٩٧٧).

# كتاب: حب الدنيا وكراهية الموت

٢١٣/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نمكِّن محبة الدنيا من قلوبنا، بحيث نغفل بها عن عبادة ربنا المشروعة، ولا نكاثر بها أهلها، ولا ننافس أحداً عليها، سواء أكانت مالاً، أو وظيفة، أو رياسة، أو طعاماً، أو غير ذلك من سائر شهواتها، سدّاً لباب مَيْل نفوسنا إلى أهويتها.

ثم إذا فتح الله علينا فتوح العارفين إن شاء الله تعالى ـ وقد فعل بنا ذلك، ولله الحمد ـ فمن الأدب أن نمسك الدنيا بأسرها، ولا نترك منها شيئاً إلا عند العجز عنه، ونقلب الشهوة المذمومة إلا الشهوة الممدوحة، من غير حجابٍ عن الله تعالى، ولا غفلةٍ عن عبادته.

قال تعالى مادحاً للكمل: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢٤/٣٧] فأخبر أنهم مع قيامهم في الأسباب؛ التي يحجب بها غيرهم، لا يغفلون عن ذكر الله تعالى؛ لأن الدنيا خرجت من قلوبهم، وصارت في أيديهم لا غير.

وما ذمّ الله تعالى الدنيا إلا إذا كان حبُّها بحكم الطبع، ويبخل العبد بها عن المحتاجين، وأما إذا وسَّع بها على المساكين، وستر بها نفسه، وكفّها بها عن سؤال الناس، فنعمت الدنيا حينئذ، وبئس رَمْيها، ولذلك ما ذمَّ الله تعالى ذات الدنيا، وإنما ذمَّ الميلَ إليها فقط، إذ لو كانت مذمومةً لذاتها لم نُؤمر بمسكها في حال من الأحوال.

ومراد كل من ذمّ الدنيا من الشارع ﷺ ومن غيره من صالحي المؤمنين: الدنيا الزائدة على الحاجة، أما ما يحتاج إليه، فليس من الدنيا في شيء، بل

هو مطلوب، إذ النكتة في ذم الدنيا إنما هو الاشتغال بها عن عبادة الله عز وجل لا غير، فمن عصمه الله، وحفظه من الوقوع فيما يلهي عنه تعالى، فلا حرج عليه؛ ولذلك طلب أيوب ـ عليه السلام ـ الدنيا وطلب سليمان ـ عليه السلام ـ الدنيا، ومعلوم أنهما معصومان من طلب ما يشغلهما عن الله تعالى.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: كل شيء شغلك عن الله لحظة واحدة، فهو مشؤوم عليك في الدنيا والآخرة..

وروى الطبراني عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أُشْرِب قلبُه حبَّ الدنيا التاط منها بثلاث: شقاءٍ لا ينفد عَناه، وحِرْصٍ لا يبلغ غناه، وأملٍ لا يبلغ منتهاه، فالدنيا طالبةٌ ومطلوبة، فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذه، ومن طلب الآخرةَ طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه»[1].

٢١٤/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتمنى الموت إلا إن خِفْنا على أنفسنا من فتنةٍ في ديننا في هذا الزمان؛ الذي يرى الإنسان دينه في كل يوم ينقص عن اليوم الذي قبله. وقد أخذت الأمور كلها يا أخي في النقص، وصار دين المؤمن ينقص كلَّ يوم عن الحال الذي قبله، وصار يتصعَّب على الإنسان القبض على دينه، كما يتصعب عليه القبض على جمرة في كفه ليلاً ونهاراً. فكما ضعف عن دوام القبض على الجمرة، كذلك ضعف عن دوام القبض على الدين على حدٍّ سواء. فلا يموت الإنسان يوم يموت إلا على أنقص الأحوال.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وقد مررتُ في سنة سبع وأربعين وتسعمئة على شيخ قد طعن في السنّ، وهو نائم تحت قنطرة الخليج الحاكمي بمصر أيام الصيف، فسلّمت عليه، فردَّ عليَّ السلام، ثم قال لي: ما اسمك؟ قلت له: عبد الوهّاب، فقال لي: سنين عديدة، ومقصودي لو

---

(١) معجم الطبراني (١٠/ ١٦٣).

رأيتك، اجلس. فجلستُ عنده، فصافحني، وقبض على يدي، فكدتُ أصيح من عصرها. فقال لي: ما تقول في هذه القوة؟ فقلت: قوة شديدة. فقال: هذه من لقيمات الحلال التي أكلناها في حال الصبا، فلولا تلك الخميرة لكان جسمنا اليوم كالنخالة من حيث المكاسب، وعدم تورع الناس.

ثم قال لي: يا ولدي! عمري الآن مئة وثلاث وأربعون سنة، والله! لقد تغيَّرت الناسُ، ونقصت أديانهم وأماناتهم في هذه الثلاث سنين الأخيرة أكثر مما نقصت أديانهم في المئة والأربعين سنة، قد صار الآن أخوك كأنه ما هو أخوك، وصاحبك كأن ما هو صاحبك، بل ابنك كأنه ما هو ولدك ولا أنت أبوه. وانحلَّت القلوب، وتباعدت عن بعضها بعضاً، وتراكمت البلايا، ونزلت على الخلائق مع قلة الصبر حتى كثر سخطهم على مقدورات ربهم، ونقصت بذلك أديانهم، وصار الموت اليومَ تحفة لكل مؤمن، كما ورد، فلا يطلب المعيشة في هذا الزمان إلا من حجب عن نقصه. فقبَّلتُ يده، وانصرفت.

فيا أخي! نزِّل كراهية تمني الموت على كلِّ من كان في خير، وعدم الكراهة على كل من كان في شرٍّ، ولا تطلق الأمر، والله يتولَّى هداك.

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنينَّ أحدُكم الموتَ لِضُرٍّ نزل به، فإن كان لا بُدَّ متمنّياً، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيراً لي»[(١)].

وروى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنى أحدُكم الموت، ولا يَدْعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدُكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمنَ عُمُرُه إلا خيراً»[(٢)].

* * *

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٦٤).

(٢) المصدر السابق.

# كتاب: الدفن وزيارة القبور

٢١٥/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نسرع بالجنازة تعجيلاً للدفن، وإكراماً للميت، ومسارعةً لنعيم البرزخ، بناءً على ما نعتقد من فضل الله تعالى، ومغفرته، ورحمته للميت.

روى البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحةً فخيرٌ تقدمونها، وإن يك سوى ذلك فشرٌ تضعونه عن رقابكم»(١).

وروى أبو داود عن عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه: أنه كان في جنازة عثمان بن أبي العاص، وكنا نمشي مشياً خفيفاً، فلحقنا أبو بكرة، فرفع سوطه، فقال: لقد رأيتُنا ونحن مع رسول الله ﷺ نرمُل رملاً(٢).

٢١٦/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن ندعو للميت، ونكثر الثناء عليه؛ خوفاً من الوقوع في غيبته تصريحاً أو تعريضاً، فالتصريح ذكره بما يكره، والتعريض مثل قول القائل إذا سمع أحداً يذكر الميت بسوء: أريحونا من غيبة الناس، كل شاة بعرقوبها، ونحو ذلك، فأين هذا اللفظ من قول القائل: رحم الله فلاناً، ما كان أحسن معاملته! وما كان أحسن خُلُقه! ونحو ذلك. وفي التورية مندوحة عن الكذب، فإنه لا بدَّ في أفعل التفضيل من وجود من يفضل عليه.

---

(١) بخاري (٢/ ١٠٣).
(٢) سنن أبي داود (٣/ ٢٠٥).

روى أبو داود عن عثمان بن عفان، قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: «استغفروا لأخيكم وسَلُوا له التثبيت؛ فإنه الآن يُسْأَل»[1].

وروى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: مرُّوا على رسول الله ﷺ بجنازة، فأثنوا عليها خيراً، فقال: «وجبَت» ثم مروا بأخرى، فأثنوا عليها شرّاً، فقال: «وجبت»، ثم قال: «إن بعضكم على بعض شهداء»[2].

وروى البخاري عن أنس قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرّاً، فقال: «وجبت» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبتْ له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبتْ له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»[3].

زاد في رواية: قال عمر رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «أيما مسلم شهد له أربعةٌ بخير، أدخله الله الجنة» فقلنا: وثلاثة؟ قال: «وثلاثة» فقلنا: واثنان؟ قال: «واثنان» ثم لم نسأله عن الواحد[4].

٢١٧/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نُرغِّب إخواننا من الرجال في زيارة قبور أمواتهم كل قليل، وذلك لنُجازَى على ذلك، فلا ينسانا أهلُنا من الزيارة إذا متنا، ولا نترك ذلك إلا من عُذْر شرعي.

والإقلال من الزيارة خير من الإكثار فيها؛ خوفاً من زوال الاعتبار بها، كما هو شأن من يغسل الموتى، ويحملهم، ويحفر لهم؛ فإنك لا تكاد تجدُ عنده اعتباراً بذلك أبداً؛ لكثرة مخالطتهم لهم.

وكذلك إذا سكن الإنسان في المقابر يذهب اعتباره، بخلاف ما إذا كان

(١) سنن أبي داود (٣/ ٢١٥).
(٢) المصدر السابق.
(٣) بخاري (٢/ ١١٦).
(٤) المصدر السابق.

بعيدَ العهد برؤية القبور، وأشرف عليها، فإنه يجدُ في نفسه الاعتبار والاتعاظ، ويتذكر أحوال الموتى، وما ندموا عليه.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: إياكم أن تتخذوا لكم في القبور مساكن ومراحيض، فإن ذلك يؤدي إلى مكث الناس هناك، فيذهب اعتبارهم بالأموات. والمراحيض ربما سَرَتْ إلى الأموات فأضرَّت بحالهم.

روى أبو داود عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها؛ فإن في زيارتها تذكرة»(١).

وفي رواية له عن أبي هريرة: «فزوروا القبور؛ فإنها تذكِّر بالموت»(٢).

٢١٨/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نكثر من الاستعداد لأهوال يوم القيامة بالأعمال الصالحة، وذلك بأن نفعل جميع ما أُمرنا به على التمام، ونجتنب جميع ما نُهينا عنه على التمام من غير اعتمادٍ عليه، دون الله تعالى، وكذلك نستعدُّ لها بالتوبة من كل خلل وقعنا فيه، فإنَّ كل من أخلَّ بشيء من التكاليف، فمن لازمه: مقاساة الأهوال والشدائد يوم القيامة، إلا إن شمله العفو والغفران، ومن بذل وسعه في مرضاة الله تعالى، فهو من الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقَّاهم الملائكةُ، وتقول لهم: هذا يومكم الذي كنتم توعدون.

ومن آثر الدعة والراحة، فلم يجاهد نفسه، ولم يحملها على القيام بالتكاليف الشرعية، ولم يبذل من أجل إقامتها جهده وعرقه، خاض في العرق يوم القيامة إلى أكعابه فما فوقها، حتى يلجمه العرق إلجاماً.

ومن أطعم الفقراء والمساكين، وسقاهم لله تعالى فإنه لا يحسُّ بجوع ولا عطش، إلا بقدر ما فرَّط في هذا الشأن، وهو قادرٌ عليه في الدنيا.

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٢١٨).

(٢) المصدر السابق.

ومن استقام في حياته على الشريعة المطهّرة ولم يَزِلَّ عنها في أعماله في الدنيا، وكلما زلَّ أحدث توبة نصوحاً، مشى يوم القيامة على الصراط كالبرق الخاطف، وأما إذا زلَّ عنها في الدنيا، ولم يتب من زلاته، أو تاب توبة الكذابين، وهي الندم والاستغفار بدون إقلاع عن الذنب والمعصية، زَلِق على الصراط، فإما أن يتعلَّق بالكلاليب حتى تدركه الشفاعة، وإما أن يسقط في النار فيمكث فيها ما شاء الله حتى تدركه الشفاعة، لا سيما إذا زنى، أو شرب الخمر، أو ترك الصلاة، أو لم يطعم المساكين بخلاً وشحّاً، أو كان يخوضُ مع الخائضين فيما حرَّم الله تعالى من أعراض المؤمنين.

ومن كان ينهض سريعاً إلى الطاعة، ولا يتباطأ فيها في الدنيا، وُقي، وحفظ مما يشاكلها، ويشابهها يوم القيامة، كما ورد في الحديث: «من أطعم لله أطعمه الله، ومن سقى لله سقاه الله، ومن كسا لله كساه الله».

وما من هولٍ من أهوال يوم القيامة إلا وقد جعل الشارعُ ﷺ له عملاً مبروراً؛ إذا عمله العبدُ نجا من ذلك الهول.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: حُبِّب لي أن أذكر حديثَ مواقف القيامة من رواية علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، فإنه يُنبِّه على أمهات الأهوال، لم أجده في شيء من الأصول التي اطلعتُ عليها في كتب المحدثين، ولكن عليه لامعة كلام النبوة، وجدتُه في كتاب الشيخ محمد بن علي الحاتمي رحمه الله تعالى، قال: حدثني يونس بن يحيى الهاشمي العباسي من لفظه وأنا أسمع، قال: أنبأنا محمد بن عمر الأرموي، قال: أنبأنا محمد بن علي المعروف بابن الخياط، قال: قرىء على محمود بن عمر العكبري وأنا أسمع، قيل له: حدثكم أبو بكر محمد بن حسين النقاش، قال: نعم، قال: أنبأنا مسلمة بن صالح، قال: أنبأنا القاسم بن الحكم بن سلام الطويل، عن غياث بن المسيب، عن عبد الرحمن بن غنم، وزيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود، قال:

كنتُ جالساً عند علي بن أبي طالب، وعنده عبد الله بن عباس، وعدة من أصحاب النبي ﷺ، فقال علي رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ:

«إن في القيامة لخمسين موقفاً، فأول موقف إذا خرج الناس من قبورهم، يقومون على أبواب قبورهم ألف سنةٍ حفاة عراة جياعاً عطاشاً، فمن خرج من قبره مؤمناً بربه، مؤمناً بنبيه، مؤمناً بجنته وناره، مؤمناً بالبعث والقيامة، مؤمناً بالقضاء خيره وشره، مُصدِّقاً بما جاء به محمد ﷺ من عند ربه نجا، وفاز، وسعد، وغنم، ومن شكَّ في شيء من هذا، بقي في جوعه وعطشه، وغمّه، وكربه ألف سنة حتى يقضي الله فيه بما يشاء.

ثم يساقون من ذلك المقام إلى المحشر، فيقفون على أرجلهم ألف عام في سرادقات النيران، وفي حر الشمس، والنار عن أيمانهم وعن شمائلهم، والنار من بين أيديهم ومن خلفهم، والشمس من فوق رؤوسهم، ولا ظل إلا ظل العرش، فمن لقي اللهَ تعالى شاهداً له بالإخلاص، مُقراً بنبيِّه محمد ﷺ، بريئاً من الشرك، ومن السحر، ومن إهراق دماء المسلمين، ناصحاً لله ولرسوله، محبّاً لمن أطاع الله ورسوله، مبغضاً لمن عصى الله ورسوله، استظل تحت ظلِّ عرش الرحمن، ونجا من غمه، ومن حاد عن ذلك، ووقع في شيء من هذه الذنوب، ولو بكلمة واحدة، أو تغيَّر قلبه، وشكَّ في شيء من دينه، بقي في الحشر والعذاب والهمِّ ألف سنة، حتى يقضي الله فيه بما يشاء.

ثم تُساق الخلقُ إلى النور والظلمة، فيقيمون في تلك الظلمة ألف عام، فمن لقي الله تبارك وتعالى لم يشرك به شيئاً، ولم يدخل في قلبه شيء من النفاق، ولم يَشُكَّ في شيء من أمر دينه، وأعطى الحق من نفسه، وقال الحق، وأنصف الناسَ من نفسه، وأطاع الله تعالى في السر والعلانية، ورضي بقضاء الله، وقنع بما أعطاه الله، خرج من الظلمة إلى النور في مقدار طرفة عين، مُبَيضاً وجهه، وقد نجا من الهموم كلها، ومن خالف في شيء

منها بقي في الهم والغمِّ ألف سنة، ثم خرج منها مُسوداً وجهه، وهو في مشيئة الله يفعل فيه ما يشاء.

ثم يُساق الخلق إلى سرادقات الحساب، وهي عشر سرادقات، فيقفون في كل سرادق منها ألف سنة، فَيُسأل العبدُ في أول سرادق منها عن المحارم، فإن لم يكن وقع في شيء منها، جاز إلى السرادق الثاني، فَيُسأل عن الأهواء، فإن كان لم يقعْ في شيء منها جاز إلى السرادق الثالث، فَيُسأل عن عقوق الوالدين، فإن لم يكن عاقاً جاز إلى السرادق الرابع، فَيُسأل عن حقوق من فوَّض اللهُ عز وجل إليه حقوقهم، وأمورهم، وعن تعليمهم القرآن، وأمور دينهم وتأديبهم، فإن كان قد فعل ذلك جاز إلى السُّرادق الخامس، فيُسأل عما ملكت يمينه، فإن كان محسناً لهم جاز إلى السرادق السادس، فَيُسأل عن حقوق قرابته، فإن كان قد أدَّى حقوقهم جاز إلى السرادق السابع، فَيُسأل عن صِلة الرحم، فإن كان وصولاً لرحمه جاز إلى السرادق الثامن، فَيُسأل عن الحسد، فإن لم يكن حاسداً جاز إلى السرادق التاسع، فيُسأل عن المكر، فإن لم يكن مكر بأحد من المسلمين جاز إلى السرادق العاشر، فَيُسأل عن الخديعة، فإن لم يكن خدع أحداً نجا، ونزل في ظل عرش الله عز وجل، قارّةً عينه، فرحاً قلبُه، ضاحكاً فوه.

وإن كان قد وقع في شيء من هذه الخصال، ولم يتبْ بقي في كل موقف منها ألف عام جائعاً، عطشان، حزيناً، مغموماً، مهموماً، لا تنفعه شفاعة شافع.

ثم يحشرون إلى أخذ كتبهم بأيمانهم وشمائلهم، فيحبسون عند ذلك في خمسة عشر موقفاً، كل موقف منها ألف سنة، فيُسألون في أول موقف منها عن الصدقات، وما فرض الله عليهم في أموالهم، فمن أدَّاها كاملة، جاز إلى الموقف الثاني، فَيُسأل عن قول الحق، والعفو عن الناس، فمن عفا عفا الله عنه، وجاز إلى الموقف الثالث، فَيُسأل عن الأمر بالمعروف، فإن كان قد

أمر بالمعروف، جاز إلى الموقف الرابع، فَيُسأل عن النهي عن المنكر، فإن كان ناهياً عن المنكر، جاز إلى الموقف الخامس، فَيُسأل عن حُسْن الخلق، فإن كان حسن الخلق جاز إلى الموقف السادس، فَيُسأل عن الحب في الله، والبغض في الله، فإن كان محبّاً لله، ومُبْغِضاً في الله، جاز إلى الموقف السابع، فَيُسأل عن المال الحرام، فإن لم يكن أخذ شيئاً منه جاز إلى الموقف الثامن، فَيُسأل عن شرب شيء من الخمر، فإن لم يكن شرب من الخمر شيئاً، جاز إلى الموقف التاسع، فَيُسأل عن الفروج الحرام، فإن لم يكن أتاها جاز إلى الموقف العاشر، فَيُسأل عن قول الزور، فإن لم يكن قاله جاز إلى الموقف الحادي عشر، فَيُسأل عن الأيمان الكاذبة، فإن لم يكن حلفها، جاز إلى الموقف الثاني عشر، فَيُسأل عن أكل الربا، فإن لم يكن أكله، جاز إلى الموقف الثالث عشر، فَيُسأل عن قَذْف المحصنات، فإن لم يكن قذف المحصنات، ولا افترى على أحد، جاز إلى الموقف الرابع عشر، فَيُسأل عن شهادة الزور، فإن لم يكن شهدها، جاز إلى الموقف الخامس عشر، فَيُسأل عن البهتان، فإن لم يكن بهت مسلماً، مَرّ فنزل تحت لواء الحمد، وأُعطي كتابه بيمينه، ونجا من الغمِّ وهوله، وحُوسِب حساباً يسيراً، وإن كان قد وقع في شيء من هذه الذنوب، ثم خرج من الدنيا غير تائب، مكث في كل موقف من هذه الخمسة عشر ألفَ سنة في الغم، والهم، والحزن، والجوع، والعطش، حتى يقضي الله عز وجل فيه بما شاء، ثم يقام الناس في قراءة كتبهم ألف عام، فإن كان سخياً، قد قدَّم ماله ليوم فقره، وفاقته، قرأ كتابه، وهون عليه قراءته، وكُسِي من ثياب الجنة، وتُوِّج من تيجان الجنة، وأُقْعِد تحت ظل العرش آمناً مطمئناً، وإن كان بخيلاً، لم يُقدِّم ماله ليوم معاده، وفقره، وفاقته، أُعطي كتابه بشماله، ويقطع له من مقطعات النيران، ويقام على رؤوس الخلائق ألف عام في الجوع، والعطش، والعري، والهم، والغم، والحزن، والفضيحة حتى يقضي الله فيه بما يشاء.

ثم يُحشر الناسُ إلى الميزان، فيقومون عند الميزان ألف عام، فمن

رجح ميزانه بحسناته فاز ونجا في طرفة عين، ومن خفَّ ميزانه بحسناته، وثقلت سيئاته، حُبِس عند الميزان ألف عام في الهم، والغم، والحزن، والعذاب، والعطش، والجوع، حتى يقضي الله فيه بما يشاء.

ثم تُدعى الخلائق إلى الموقف بين يدي الله عز وجل في اثني عشر موقفاً، كل موقف منها مقدار ألف عام، فَيُسأل في أول موقف عن عتق الرقاب التي وَجَبَتْ عليه، فإن كان قد أعتق رقبة، أعتق الله رقبته من النار، وجاز إلى الموقف الثاني، فَيُسأل عن القرآن، وحقه، وقراءته، فإن جاء بذلك تاماً جاز إلى الموقف الثالث، فَيُسأل عن الجهاد، فإن كان جاهد في سبيل الله محتسباً، جاز إلى الموقف الرابع، فَيُسأل عن الغيبة، فإن لم يكن اغتاب أحداً، جاز إلى الموقف الخامس، فَيُسأل عن النميمة، فإن لم يكن نمّاماً، جاز إلى الموقف السادس، فَيُسأل عن الكذب، فإن لم يكن كذَّاباً، جاز إلى الموقف السابع، فَيُسأل عن الإخلاص في طَلَب العلم، فإن كان طلب العلم خالصاً، وأخلص فيه، وعمل به جاز إلى الموقف الثامن، فَيُسأل عن العجب، فإن لم يكن مُعْجَباً بنفسه في دينه، ودنياه، ولا في شيء من عمله، جاز إلى الموقف التاسع، فَيُسأل عن التكبّر، فإن لم يكن تكبّر على أحد، جاز إلى الموقف العاشر، فَيُسأل عن القنوط من رحمة الله، فإن لم يكن قنط من رحمة الله، جاز إلى الموقف الحادي عشر، فَيُسأل عن الأمن من مكر الله، فإن لم يَكن أمن مكر الله، جاز إلى الموقف الثاني عشر، فَيُسأل عن حق جاره، فإن كان أدَّى حق جاره، أُقيم بين يدي الله تعالى قريرةً عينه، فرحاً قلبه، مُبيضّاً وجهه، كاسياً، ضاحكاً، مستبشراً، فيرحِّب به ربُّه، ويُبشِّره برضاه عنه، فيفرح عند ذلك فرحاً لا يعلمه أحد إلا الله، وإن كان لم يأتِ واحدة منهن تامّةً، ومات غير تائب، حُبِس عند كل موقف ألف عام حتى يقضي الله فيه بما يشاء.

ثم يُؤمر بالخلائق إلى الصراط، فينتهون إلى الصراط، وقد ضُرِبت عليه الجسورُ على جهنم أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، وقد غابت الجسورُ

في جهنم مقدار أربعين ألف عام، ولَهَب جهنم بجانبها يلتهب، وعليها حسكٌ، وكلاليب، وخطاطيف، وهي تسعةُ جسور، يُحْشَر العبادُ كلهم عليها، وعلى كل جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف سنة، ألف سنة صعوداً، وألف عام استواءً، وألف عام هبوطاً، وذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٨٩/ ١٤] يعني: على أهل تلك الجسور، وملائكة يرصدون الخلق فيها، فَيُسأل العبدُ عن الإيمان الخالص بالله تعالى، فإن جاء به مخلصاً لا شكَّ فيه ولا زيغ، جاز إلى الجسر الثاني، فَيُسأل عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز إلى الجسر الثالث، فَيُسأل عن الزكاة، فإن جاء بها تامة جاز إلى الجسر الرابع، فَيُسأل عن الصيام، فإن جاء به تاماً جاز إلى الجسر الخامس، فَيُسأل عن حجّة الإسلام، فإن جاء بها تامة، جاز إلى الجسر السادس، فَيُسأل عن الطهر من الحدث، فإن جاء به تاماً، جاز إلى الجسر السابع، فَيُسأل عن المظالم، فإن كان لم يظلمْ أحداً جاز إلى الجنة، وإن كان قصَّر في واحدة منهن، حُبِس على كل جسر منها ألف سنة حتى يقضي الله فيه بما يشاء».

ففتِّشْ يا أخي! نفسَك: فإن كنت وقعتَ في شيء من هذه الذنوب التي ذكرتْ في المواقف المذكورة، فقد سمعتَ ما تُجازى به، وإن لم تكن وقعتَ في شيء منها، أو وقعتَ وقبل الله توبتك، لم تُقاسِ شيئاً من تلك الأهوال حتى تدخل الجنة برحمة الله تعالى، ولكن من أين لَكَ أن تعرفَ أن الله تعالى قبل توبتك؟ فوالله! لقد خُلِقنا لأمرٍ عظيم تذهلُ فيه عقول العقلاء، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

قال سيدي علي الخواص رحمه الله: كلُّ الخلق تحت المشيئة، ويُخاف عليهم دخول النار ما عدا الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام.

وقد درج الأكابر كلُّهم على قَدم الخوف مع عملهم بالشريعة على الكمال، فكيف يليق بغيرهم عدم الخوف؟! ولكن إبليس للخلق بالمرصاد،

فربما طمع العصاة في جانب العفو والمغفرة حتى تراكمت عليهم الذنوب مع عدم التوبة حتى أتلف عليهم دينهم، وكان ذلك من جملة مكر إبليس بهم. فالعاقلُ من عمل وخاف من الله عز وجل أن يدخله النار بذنوبه؛ التي شملتها طاعاته، فضلاً عن معاصيه.

* * *

# القسم الثاني

## قسم المنهيات

لنشرعْ بعون الله في قسم المناهي، وهي أقل من قسم المأمورات؛ لأن الأصل في الوجود: الطاعة، اللهم إلا أن يجعل الأمر بالشيء نهي عن ضده، فتكون بذلك أكثر من المأمورات. إذا علمتَ هذا فأقول وبالله التوفيق:

# كتاب: النهي عن البدع المذمومة

٢١٩/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتديَّن بفعل شيء من البدع المذمومة؛ التي لا يشهد لها ظاهر كتاب ولا سُنَّة، وأن نجتنبَ العمل بكل رأي لم يظهر لنا وجهُ موافقته للكتاب والسنة، إلا إن أُجمِعَ عليه.

ويحتاجُ من يريد العمل بهذا العهد إلى التبحُّر في معرفة الأحاديث والآثار، والإحاطة بجميع أدلة المذاهب المستعملة، حتى لا يكاد يعزُب عنه من أدلتهم إلا النادر، ولعله يخرجُ عن التقليد في أكثر الأحكام، وأما من لم يبلغ هذه المرتبة، فعليه تقليدُ مذهب معيَّن، وإلا وقع في الضلال.

فكل من لم يبلغ مرتبة التبحُّر في علوم الشريعة، ومعرفة أدلَّة المذاهب، فمن لازمه: الوقوع في التديُّن بالآراء التي لا يكاد يشهد لها كتاب ولا سنة.

فتحَرَّ يا أخي في علوم الشريعة، وأعطِ الجدَّ من نفسك في المطالعة، وإلا فراجع أدلة أحد المذاهب، وتمكَّن منها، ولا تتعصَّب لها، وإذا اضطررت إلى تقليد مذهب آخر، والأخذ بأدلّته، فلا حَرَجَ عليك، فجميعُ المذاهب مجموع الشريعة المطهَّرة، وكذلك إذا ترجَّح عندك قول إمام آخر، فأخذت بدليله، فلا حرج عليك، فقد يكون قولُ إمامك في هذه المسألة من طريق الرأي، وقول الإمام الآخر من طريق الأحاديث الصحيحة الثابتة، فإذا

وقفتَ مع مذهبك، فيفوتك العمل بالأحاديث الصحيحة فتخطىء طريق السنّة.

وحذارِ من التعصُّب، وأن تقول: لولا أنَّ لرأي إمامي دليلاً ما قال به، فهو جحودٌ وقصور، مع أن إمامك نفسه قد تبرَّأ من العمل بالرأي، ونهى غيره عن اتباعه عليه.

ومحل العمل برأي الإمام وتقليده فيما لا مستند لقوله إذا لم يكن هناك دليل يخالفه، فعلى المتبع لرأي إمامه حينئذ أن يقول: لولا أنه رأى لقوله دليلاً ما قاله.

أما إذا اطلعنا على دليل، فلنا تقديم العمل به على كلام المجتهد إذا كان مثلنا من أهل النظر الصحيح، ويحملُ ذلك الإمام على أنه لم يظفرْ بذلك الدليل، ولو ظفر به لعمل به.

وكلمة الأخذ بالكتاب والسنة كلمة لها شروطها، فإذا توفرت الشروط فنعم، وإذا لم تتوفر الشروط فكلمة حقّ أُريد بها باطل، فإنه يحتاج من يريد التقيد بالعمل بالكتاب والسنة، وتجنّب العمل بالرأي إلى التبحّر في علم العربية، وعلم المعاني، والبيان، والتبحّر في لغة العرب حتى يعرف مواطن طرق الاستنباط، ويعرف أقوال العرب، ومجازاتها، واستعاراتها، ومعرفة ما يقبل التأويل من الأدلة، وما لا يقبلها.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وقد منَّ الله تعالى عليَّ بالاطلاع على أدلة مذاهب الأئمة الأربعة وغيرها، وعرفت مستند أقوالهم في جميع أبواب الفقه، فما من قولٍ من أقوالهم إلا ورأيته مستنداً إلى دليل إما آية، وإما إلى حديث، وإما إلى أثر، وإما إلى قياس صحيح على أصل صحيح، وصارتْ مذاهب الأئمة الأربعة بحمد الله الآن عندي كأنها منسوجةٌ من الشريعة المطهرة، سداها ولحمتها، كما يعرف ذلك من طالع كتابي «مختصر السنن الكبرى» للبيهقي.

وكل من لم يطّلع على أدلة المذاهب فلا يعرف يميز مسائل الرأي من النص، وربما وقع في العقائد الزائغة، وعمل بالمذاهب الباطلة، إلا أن يحكم التقيد بمذهب مُحرَّر.

وكان الإمام الجنيد رحمه الله تعالى يقول: لا يكمل الرجلُ عندنا في طريق أهل الله عز وجل حتى يكون إماماً في الفقه، والحديث، والتصوّف، ويُحقِّق هذه العلوم على أهلها.

فإياك أن تعملَ برأي رأيته مخالفاً لما صحَّ في الأحاديث، وتقول: هذا مذهبُ إمامي؛ فإن الأئمة كلهم قد تبرؤوا من أقوالهم إذا خالفتْ صريح السنة، وأنت مقلِّد لأحدهم بلا شك، فما لك لا تقلِّدهم في هذا القول، وتعمل بالدليل، كما تقول بقول إمامك لاحتمال أن يكون له دليل لم تطلع أنت عليه، وذلك حتى لا تعطِّل العمل بواحدٍ منهما.

ثم إن المراد بالرأي: المذمومُ حيث أُطلق في كلام أهل السنة ألا يوافق قواعد الشريعة وأدلَّتها، فإن ذلك لا يقول به عاقل، ويلزم منه: ردّ جميع أقوال المجتهدين التي لم تصرِّح بها الشريعة، ولا قائل بذلك.

روى البيهقي في باب: القضاء من السنن الكبرى؛ أن الرأي المذموم حيث أطلق فهو كل ما لا يكون مشبّهاً بأصل، قال: وعلى ذلك يحمل كل ما ورد في ذمِّ الرأي.

وكل الأئمة المجتهدين متبرئون من القول بالرأي في دين الله، كابن عباس، وعطاء، وتبعهما على ذلك الإمام مالك بن أنس، فكانوا يقولون: كلُّ أحدٍ مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ.

وكان الإمام أبو حنيفة رحمه الله يقول: حرام على من لا يعرف دليلي أن يفتي بكلامي.

وكان إذا أفتى أحداً بفتوى يقول: هذا رأي أبي حنيفة، وهو أحسنُ

ما قدرنا عليه، فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب.

وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: إذا صح الحديثُ فهو مذهبي.

وكان يقول: إذا رأيتم كلامي يخالفُ كلامَ رسول الله ﷺ، فاعملوا بكلام رسول الله ﷺ، واضربوا بكلامي الحائط.

وقال للمزني حين قلَّده في مسألة: لا تقلِّدني يا أبا إبراهيم في كل ما أقول، وانظر لنفسك فإنه دين.

وكان يقول في المسألة إذا رأى دليلها ضعيفاً: لو صح الحديثُ لقلنا به، وكان أحبّ إلينا من القياس.

وفي رواية: إذا ثبت عن النبي ﷺ - بأبي هو وأمّي - شيء لم يحلَّ لنا تركه، ولا حجّة لأحد معه.

وفي رواية: لا حجة لأحدٍ مع قول رسول الله ﷺ وإن كثروا، لا في قياس، ولا في شيء، فإن الله تعالى لم يجعل لأحدٍ معه كلاماً، وجعل قوله يقطع كل قول.

أما الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - فحاله معلوم في اتباع السُّنَّة، حتى إنه اختفى أيامَ المحنة ثلاثة أيام، ثم خرج، فقيل له: إنهم الآن يطلبونك، فقال: إن رسول الله ﷺ لم يمكثْ في الغار حين اختفى من الكفار أكثر من ثلاث. وبلغنا أنه لم يدوّن له في الفقه كلاماً قطّ خوفاً أن يخالف رأيه كلام الشارع ﷺ. وكان يقول: أوَ لأحد كلام مع الله ورسوله؟! وجميع مذهبه مُلفَّقٌ من صدور أصحابه. وكان يقول: لا يكاد أحد ينظر في كتب الرأي إلا وفي قلبه دغل. وكان يقول: إذا رأيتم في بلدٍ صاحب حديث لا يدري صحيحه من سقيمه، وهناك صاحب رأي، فاسألوا من صاحب الحديث ولا تسألوا من صاحب الرأي، وكان يقول: لا تُقلِّدوا في دينكم، فإنه قبيح على من أُعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها، ويمشي في الظلام،

ولعله يشير به إلى العقل الذي جعله الله آلةً يميز بها بين الأمور، ويستبصر بها في دينه، وكان يقول: لا تقلِّدوني، ولا تقلِّدوا مالكاً، ولا الأوزاعي، ولا النخعي، ولا غيرهم، وخذوا الأحكام من حيث أخذوا.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وهو محمول على من كان فيه قوة النظر، وإلا فقد صرَّح العلماء بأن التقليد أولى لضعيف النظر.

روى أبو داود عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظةُ مُوَدِّع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع، والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[١].

وروى الإمام أحمد عن جابر قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[٢].

وروى البخاري ومسلم وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو ردٌّ»[٣].

٢٢٠/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بتأخير

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١).
(٢) مسند أحمد بشرح البنا (٢/ ١٩٣).
(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١).

الأوامر الشرعية، بل نبادر لفعلها، ولا نستأذن في ذلك أحداً؛ لعلمنا بأن الأوامر الشرعية لا تُتَّخذ حبالةً للاستدراج، بخلاف الأمور المستنبطة، فربما دخلها الاستدراجُ، فلا نفعل شيئاً منها إلا بعد التوجُّه إلى رسول الله ﷺ بفعل ما أذن للأئمة أن يسنّوه في عموم قوله ﷺ: «من سنَّ سُنَّة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»، ونتمهل حتى يُلقي الله في قلبنا إذنه ﷺ لنا ورضاه بذلك الفعل مثلاً، وإن عَمَلَنا به أحب إليه ﷺ من ترك العمل، وذلك لأنَّ البدعة ولو استحسنت، قد لا يرضاها الله ورسوله ﷺ، ومن تعدّى أحدٌ الشريعة، وعمل بما ابتدع فقد أخلَّ بجانب كبير من صرح السنة المحمدية؛ لأن الله تعالى أنزل الشريعة على أعلى غاياتها، فما ترك إلا ما علم أن خواصَّ عباده لا يقدرون على المداومة عليه، وجعل لكلِّ مأمور شرعي وقتاً، فإذا زاد العبد على ذلك أخذ ذلك المُزَاد وقت غيره من باقي المأمورات، ولم يَبْقَ له وقت يفعله فيه، فمثل هذا زاد بدعة وترك سنة.

وأيضاً فإن الله تعالى ما ضمن المساعدة والمعونة إلا للعامل بما شرعه تعالى، أو شرعه رسول الله ﷺ عن إذنه لا غير، وأما ما شرعه غيره فلم يضمنْ للعامل به المعونة.

فقف يا أخي عن العمل بكل شيء لم تُصرِّح الشريعة بحكمه، ولم تجمع العلماء عليه، ولا تتعدَّ، فإن الله لا يؤاخذك إلا بما صرّحت به الشريعة، كما أنه لا يُؤاخذ الصحابة إلا بما صرح به القرآن والسنة.

وقدِّر يا أخي نفسك أنك في زمن الصحابة، وقبل وجود جميع المذاهب، هل كان الحق تعالى يؤاخذك إلا بمخالفة ما صرَّحت به؟! فالعلم الشرعي يُطلب لِيُعمل به على سبيل الإخلاص، لا لِيُجادَل به، ولا ليكون حرفة لأمر المعاش.

وقد كان العلماء فيما مضى سُرُجاً يُستضاء بهم في البلاد، فصاروا ظلمة إلا من رحم الله تعالى، وقد كانوا نجوماً يُهتدى بهم في ظلمات الجهل،

فصاروا الآن حيرةً إلا ما ندر، يأتون إلى من لم تطبْ لقمتهم، فيجلسون على فرشهم، ويأكلون من طعامهم، ثم بعد ذلك يرتقون المنابر يعظون الناس، ويذكِّرونهم، ويدرِّسون العلم والحديث، ويقولون: قال رسول الله ﷺ، وما كان هكذا من يحمل العلم.

ومتى كان العالم ينشرح صدره لذكره بالعلم والصلاح عند أهل الحل والعقد وعند الأكابر، فهو مراءٍ، ومن علامة الرياء: أن يخطر في باله أنه خير من العامَّة لأجل حَمْله العلم، ومن كان هذا خلقَه مات قلبه، فإن العلم لا يحيي قلبَ صاحبه إلا إن أخلص فيه، وذلك أي اعتقاد أنه خير من العامة استدبار للقرب من الله عز وجل، وإقبال على الدنيا، وفي الإقبال على الدنيا إماتة القلب، وفي الإقبال على الله عز وجل، واستدبار الدنيا: حياة القلب، وقلوب الكفار ميتة بإعراضها عن الله عز وجل، وتكبرها عن قربه، واستدبارها عنه.

ومتى كان العالم كلما ازداد علماً ازداد جدالاً، ورغبة في الدنيا، وتقرّباً من أهل الدنيا، وازدادت غيرته على القرب منهم، كما يتغاير النساء على الرجال، كان ذلك حظَّه من علمه، وليس له في الآخرة نصيب.

ومتى كان العالمُ لا يبالي بالناس رفعوه أو وضعوه، مدحوه أو ذمّوه، ومتى كانت مراقبته لله تعالى آخذة في الازدياد، كان ذلك علامة على إقباله على الله تعالى، ودخوله حضرة الإحسان، وهي أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فالعالم إذا لم يكن عالماً بعلمه فاجتنبه، واحذرْ من مجالسته خوفاً أن يفتنك بزخرفة لسانه، ومدحه للعلم وأهله من غير عمل به. وكيف يكون العالم عالماً وهو ينام وقت الغنائم، ووقت فتح الخزائن، ووقت نشر العلوم بالأسحار.

والعالم لا يفرح بعلمه إلا بعد مجاوزة الصراط، وعندئذ يعلمُ حقيقة

علمه هل هو حجة له أو عليه، فعلم بلا عمل حجة على صاحبه، فعليك أن تطلبَ العلم للعمل، وأكثر الناس قد غلطوا في ذلك فترى علمهم كالجبال، وعملهم كالهباء.

ومن العلماء من يمنِّي نفسه، ويقول: إن الله تعالى لم يجعل العلمَ في صدور العلماء إلا لأنه يحبُّهم، ومحال أن يعذِّب الله من أَحَبَّ. وما درى قائلُ هذا أن النبي ﷺ قال لربيعة بن كعب الأسلمي حين سأله مرافقته في الجنة: «أَعِنّي على نفسك بكثرة السّجود». وما درى قائل هذا قول رسول الله ﷺ في حديث الثلاثة الذين تسعر بهم جهنم وعدَّ منهم: العالم الذي لم يعمل بعلمه على سبيل الإخلاص في الشريعة، فكذلك القول الآن. فالوقوف على حدِّ ما ورد أحب إليه مما ابتدع، وإن استحسن إلا إن أجمع عليه. ومن عمل بشيء من الأوامر الشرعية غافلاً عن شهود المشرِّع، فما أدَّى الأدب معه حقَّه؛ لأنه ما شرعه لك إلا لتحضر معه فيه.

روى الطبراني عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تحت ظل السماء من إله يُعبد من دون الله أعظم من هوى مُتّبع»[(١)].

وروى أحمد عن غضيف بن الحارث رضي الله عنه قال: بعث إليَّ عبد الملك بن مروان فقال: يا أبا أسماء! إنا قد أجمعنا الناس على أمرين. قال: وما هما؟ قال: رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة، والقَصص بعد الصبح والعصر. فقال: أما إنهما أمثل بدعتكم عندي، ولستُ مجيبكَ إلى شيء منهما. قال: لِمَ؟ قال: لأنَّ النبي ﷺ: «ما أحدث قومٌ بدعةً إلا رفع مثلها من السنة. فتمسُّكٌ بسنة خير من إحداث بدعة»[(٢)].

* * *

---

(١) معجم الطبراني (٨/ ١٠٣).

(٢) مسند أحمد بشرح البنا (١/ ١٩٤).

# كتاب: النهي عن الرياء في العلم

٢٢١/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نجيب سائلاً سألنا عن مسألة في العلم إلا إن علمنا من أنفسنا ومن السائل الإخلاص، فإن لم نعلم ذلك تربَّصنا بالجواب حتى نجد إخلاصاً؛ لأنَّ الخوضَ في العلم بلا إخلاص معصية، وبتقدير إخلاصنا في العلم دون السائل، فلا نساعده عليه. وطريقنا إذا علمنا من أنفسنا الرياء في العلم أن نجاهد أنفسنا على التخلّص من الرياء فيه، والإعجاب به، ونأمر بذلك إخواننا، ثم نُعلِّمهم بعد ذلك.

وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول: من علامة الرياء في طلب العلم: أنه يخطر في باله أنه خير من العوامِّ لأجل العلم، ومن فعل ذلك مات قلبه، فإن العلم لا يُحيي قلبَ صاحبه إلا إن أخلص فيه، وذلك أنه إذا تكبر به صار وجهه للدنيا وظهره للقرب من الله عز وجل.

فعلامة الإخلاص: أن يعمل بالعلم، ثم يدعو إليه، ويرى من نفسه التقصير، قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: يهتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل.

وكان رحمه الله تعالى يقول: اطلبوا العلمَ للعمل؛ فإن أكثر الناس قد غلطوا في ذلك، فصار علمهم كالجبال، وعملهم كالهباء.

وكان رحمه الله تعالى يقول: كيف يكون طالب العلم عاملاً به وهو ينام وقت الغنائم، ووقت فتح الخزائن، ووقت نشر العلوم والمواهب في الأسحار، لا يتهجد من الليل ساعة؟!.

وكان المُزَنيّ رحمه الله تعالى يقول: من علامة المرائي بعلمه: أن يرغِّب الناس في العلم ليقرؤوا عليه، ثم إذا شاوره أحد في القراءة على غيره لا يُرغِّبه كل ذلك الترغيب.

وكان الشعبي يقول: من عقل الرجل: ألا يطلب الزيادة من العلم إلا إذا عمل بما علم فيتعلم العلم كي يعمل به.

وقال أيضاً: لو أن عبداً تعلَّم العلم كله، ثم عبد الله تعالى حتى يصير كالسارية، ثم لم يفتشْ على ما يدخل جوفه أحلال هو أم حرام ما تقبلَ الله منه.

وكان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول: قال لي مالك ـ رحمه الله ـ يا محمد! اجعل علمك ملحاً، وأدبك دقيقاً.

وقال أبو عصمة: بتُّ ليلة عند الإمام أحمد أطلب الحديث، فوضع لي إناءً فيه ماء للتهجد، فجاء إلى صلاة الصبح، فوجد الإناء بحاله، فقال لي: لماذا جئت؟ فقلت: جئتُ أطلب الحديث، فقال لي: كيف أعلِّمك الحديثَ وليس لك تهجُّد في الليل؟! اذهبْ لحال سبيلك.

ومن علامة تمكُّن العلم من القلب: توزُّع صاحبه عن أكل الحرام والشبهات، ومتى أكل العالم الحرام والمشبوه رتع في النار، فإن العلم لا يزال يدعو صاحبه إلى الورع، ويدعوه إلى ألا يشبع من الحلال، فكيف بمن يشبع من الحرام، ويتخذ العلم شبكة يصطاد بها الدنيا؟!.

إن العلماء أفضل الناس بعد النبيين، ومعظّمون في ملكوت السموات والأرض، ولن يُهانوا إلا إذا أهانوا أنفسهم، وإن إهانتهم لنفوسهم، احترافهم بعلمهم، واصطيادهم به الدنيا لغرقهم في شهوة بطونهم وفروجهم. وإن حالهم كحال شجر الحنظل، كلما ازداد ريّاً بالماء ازداد مرارةً. والعالم لو تعلَّم العلم كلَّه، وعَبد الله تعالى حتى صار كالسارية، أو

كالشّنِّ البالي، ثم لم يفتش على ما يدخل جوفه أحلال هو أم حرام، ما تقبَّل الله ُمنه.

وفي الخلاصة: الإخلاصُ في العلم سببٌ لانتفاع العالم والمتعلِّم، وينبغي للعالم أن يكون له خبيئة من العمل الصالح فيما بينه وبين الله عز وجل، ولا يعتمد على العلم فقط، فإنه قليل الجدوى في الآخرة.

روى الترمذي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «من تعلَّم علماً لغير الله، أو أراد به غير الله، فليتبوَّأ مقعده من النار»[(١)].

قلت وتوجيه ذلك: أن العلم علمان: علم نافع، وعلم غير نافع، فالعلم النافع هو المقصود في هذه الحياة، وهو قسمان: علم تعلّمه فرض عين، وهو العلم الشرعي؛ الذي يدعو إلى معرفة الله، وتوحيده، وأوامره، ونواهيه؛ من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأدائها على أكمل وجه، وعلم تعلّمه فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، والثواب للفاعلين، وإن تركوه أثموا جميعاً، وهو العلم الكوني؛ الذي تقوم الحياة الدنيا بشتى مناحيها، كعلم الطب، والهندسة، والصيدلة، والفيزياء، والكيمياء، والجيولوجيا، والرياضيات، والعلوم التجريبية والتطبيقية، وعلوم الحرف والمهن والصنائع وغيرها، ومطلوب من المؤمن أن يحسن النية فيه، ويبتغي به وجه الله تعالى، ونفع عباد الله عز وجل حتى يُثاب عليه.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يُقْضَى يوم القيامة عليه رجل استُشهد، فأُتي به فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما علمتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدت. قال: كذبتَ. ولكنك قاتلتَ لأنْ يقالَ جريء فقد قيل، ثم أُمِر به، فَسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار.

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ١٤١).

ورجل تعلَّم العلم، وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرَّفه نِعَمه، فعرفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلم، وعلَّمته، وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبتَ، ولكنك تعلمتَ العلم ليقال عالِم، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء، فقد قيل. ثم أُمر به، فسُحب على وجهه حتى أُلقِيَ في النار.

ورجل وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأُتي به فعرَّفه نِعَمه، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبتَ ولكنك فعلت ليقال هو جواد: فقد قيل: ثم أمر به، فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»[1].

* * *

(١) مسلم (٣/ ١٥١٤).

# كتاب: النهي عن الإساءة في الصلاة

٢٢٢/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نعبث بشيء من جوارحنا في الصلاة، كمسح الحصى، والغبار عن الجبهة، والعبث بالثياب، وغير ذلك؛ فإن من مثل بين يدي الله تعالى ينبغي أن تسكن جوارحه، ويخشع قلبه أدباً مع الله تعالى، ومن لم يخشعْ قلبه كثرت حركات جوارحه، والجن والشياطين من سمتهم كثرة الحركة، كما هو شأن لهب النار الذي خُلِقُوا منه، والمصلي وإن كان مِن أصله قليل الحركة، يصير ذا حركة بحكم سرقة الطبع من الشياطين، فوطِّنْ نفسَكَ على قلة الحركة في الصلاة؛ لكي يعظم ثواب صلاتك، وإلا فكثرة الحركات المتتاليات في الصلاة مُذْنٍ من بُطْلانها.

روى الترمذي، وقال: حديث صحيح، عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى؛ فإن الرحمة تواجهه»(١).

وروى الترمذي، وقال: حديث صحيح، عن معيقيب قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن مسح الحصى في الصلاة فقال: «إن كنت لا بدَّ فاعلاً فمرّةً واحدة»(٢).

---

(١) سنن الترمذي (١/ ٢٣٥).

(٢) المصدر السابق.

٢٢٣/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ ألا نمر قطُّ بين يدي مصلٍّ خوفاً أن نكتب بذلك في ديوان الشياطين لتجرّئنا على حضرة الله تعالى التي تخيّلها المصلي في ذهنه، كما أشار إليه خبر: «إن أحدكم إذا قام إلى الصلاة فإنما يستقبل ربه والملك عن يمينه»(١) وفي رواية: «فإن الله عز وجلّ بين أيديكم في صلاتكم»(٢).

وروى البخاري ومسلم عن أبي جُهَيم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يَعلمُ المارُّ بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه»(٣).

٢٢٤/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك الصلاة، أو بإخراجها عن وقتها إذا اشتد مرضُنا، فَضْلاً عن أوقات الصحة، بل نصلي بحسب استطاعتنا في الطهارة، وفعل الأركان، ولا ننتقل إلى مرتبة سُفْلى إلا بعد عجزنا عن العليا.

وهذا العهدُ يقع في خيانته كثير من أكابر الناس، فَضْلاً عن غيرهم، فيترك يقين ما عنده لظنٍّ ما عند الناس، فيقولون له: صلِّ جالساً فإنك ضعيف، فيطاوعهم في ذلك، وهو يعلمُ من نفسه القدرة على الوقوف حتى لا يسفِّه كلامهم، والحق أحق أن يُتّبع.

فليراع العبدُ ربَّه، ويبذل استطاعته حتى لا يترك منها بقية، وليحذَرْ من تلبيس النَّفْس عليها بميلها إلى الكسل والرخص؛ فإنهم قالوا: إن بذل الإنسان استطاعته في التقوى أشدُّ من تقواه حق تقاته، وذلك أن تقوى الله حق تقاته: أن يعلم العبد أن تقواه من الله تعالى، ولولا أنه قوّاه على ذلك

---

(١) الترغيب والترهيب (١/ ٢٠٠).
(٢) المصدر السابق.
(٣) بخاري (١٠/ ١٢٨).

ما قدر أن يتّقي، وأما تقوى الله بحسب الاستطاعة، فهو أن يبذل قوّته في التقوى، بحيث لا يبقى من قدرته بقيّةٌ قط، وهذا عزيز، فإنه لا بُدَّ أن النفس تخلّي من قوّتها بقيّةً تتنفّس بها، ولا يخرج عن ذلك إلا الأكابر.

وغالب الناس يظن أن تقوى الله حق تقاته أشدّ وأشقّ، وليس الأمر كذلك. ولا تصلْ يا أخي إلى معرفة تمييز حظّ النفس مما هو لله تعالى إلا بعد اللقي بمرشد يخرجك من حضرات التلبيس، والله غفور رحيم.

روى أحمد ومسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[1] والمراد بالرجل هنا: المؤمن. ومعنى الحديث: بين الرجل منكم أيها المؤمنون وبين الكافر ترك الصلاة.

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الصلاة متعمّداً فقد برئت منه ذمّةُ الله، وذمة رسوله»[2].

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «من ترك الصلاة كفر»[3].

وروى الترمذي عن عبد الله بن شقيق قال: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.

٢٢٥/ ٤ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نناجي قط الحق تعالى في صلاة أو قراءةٍ حال النعاس، وذلك أن من الأدب في خطاب الأكابر أن يكون بكل عضو، وذلك لا يكون إلا مع حضور القلب، وحضور القلب لا يكون إلا مع اليقظة، فمن خاطب الحق تعالى حال النعاس، واشتغالِ القلب بغير الله، فقد أساء الأدب.

---

(١) مسلم (١/ ٨٨).
(٢) الطبراني (١٢/ ١٩٦).
(٣) الطبراني (٩/ ١٩٠).

والأدب مع الله تعالى في العبادة يُوصِل إلى دخول حضرة الإحسان، ومن دخل حضرةَ الإحسان كان مع النبيين، والصدِّيقين، والشهداء، والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقاً.

والأدب مع الله تعالى إذا حضر أوان النعاس: أن ينام العبد.

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نعس أحدُكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعسٌ لا يدري لعله يستغفر فيسبّ نفسه»[(١)].

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا نعس أحدُكم في الصلاة فلينمْ حتى يعلم ما يقرأ»[(٢)].

٢٢٦/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بفوات حضورنا في وقت التنزلات الإلهية، فينبغي الاستعداد لحضورها بتقليل الأكل، والنوم على طهارة ونحو ذلك؛ مما يطرد الشيطان عنا؛ فإن الشيطان لا يفارق من ينام على شبع أو حدث، فكلما أراد العبدُ أن يقوم يوسوس له فينوِّمه.

والموكب الإلهي بالليل يبدأ من أول الثلث الآخر كل ليلة إلا ليلة القدر، وليلة الجمعة، فإنه يبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، فينبغي لطالب الخيرات ألا يغفل عن ربه في هذه الأوقات، إما بصلاة، وإما بذكر، وإما مجلس علم، وإما غير ذلك من المراقبة لله تعالى.

قلت:وقد أعرض اللاهون عن المواكب الإلهية، واستبدلوها بمجالس شيطانية في ليالي الجمع وغيرها. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فلا يكادون ينامون إلا مع طلوع فجر يوم الجمعة، وينامون عند صلاة فجر

---

(١) بخاري (١/ ٦١).

(٢) المصدر السابق.

يوم الجمعة، وربما فاتتهم صلاة الجمعة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ذُكِر عند رسول الله ﷺ رجلٌ نام ليلة حتى أصبح قال: «ذاك رجلٌ بال الشيطان في أذنيه» وقال: «في أذنه»[1].

قال النووي: اختلفوا في معناه، فقال ابن قتيبة: معناه أفسده، وقال غيره: هو استعارة، وإشارة إلى انقياده للشيطان، وتحكُّمه فيه، وقيل: استخفَّ به، واحتقره، واستعلى عليه. يقال لمن استخف بإنسان، وخدعه: بال في أذنه.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ: «يَعْقِدُ الشيطانُ على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام، بكل عقدة: يضرب عليك ليلاً طويلاً، فإذا استيقظ فذكر الله انحلَّت عقدة، وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان، فإذا صلى انحلَّت العقد، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس، كسلان»[2].

قال النووي: قيل: هو مجاز، كنى به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل.

* * *

(١) مسلم (١/٥٣٧).
(٢) مسلم (١/٥٣٨).

# كتاب: النهي عن المماراة في العلم

٢٢٧/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نماري في العلم قط، ولا نكتمه عن أحد علمنا منه الإخلاص فيه، ولو أنكر في المستقبل تعليمنا له، وهذا من علامة إخلاص المعلِّم للعلم: ألا يلتفت إلى اعتراف الناس بتعليمه، أو كفرانِهم به. وكل من تكدَّر ممن تركه من طلبته، وقرأ على غيره فهو مراءٍ، ما شمَّ للإخلاص رائحة.

قال النووي رحمه الله: اعلم أنَّ من أهم ما يؤمر به المعلِّم ألا يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره.

قال: وهذه مصيبةٌ يُبتلى بها جهلةُ المعلِّمين لغباوتهم، وفساد نيتهم، وهو من الدلائل الصريحة على عدم إرادتهم بالتعليم وجهَ الله الكريم.

واعلم يا أخي! أن حكمة النهي عن المماراة في العلم هو للاستهانة به، فيجلس العالمان يتكلمان بالعلم، ولا يقصدان العمل، وقلوبهم غافلة عن العمل بالكليّة، ويشكِّك كل واحد منهما الآخر فيما يفهمه، ويدخل عليه الشبهة، ولا يُعلِّمه بالجواب، وإلا فلو شكّكه، ثم أجابه، وعلَّمه الجواب لما نُهي عنه، بل هو مطلوب؛ لأن فيه امتحاناً للطالب ليختبر به علمه وجهله.

وكثيراً ما يكون طالب العلم جازماً بحكم فهمه من الآية أو الحديث،

فيجلس مع بعض المجادلين، فيدخل عليه التشكيك، ثم يلتهي عنه بأمر، فيصير ذلك الطالب متردداً فيما كان جازماً به، وليس ذلك من شأن أهل الإيمان الصادق. والله أعلم.

روى الترمذي، وحسَّنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سُئِل عن علم عَلِمَه، ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»(١).

وروى الترمذي عن كعب بن مالك قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماريَ به السفهاء، ويصرف به وجوهَ الناس إليه، أدخله الله النار»(٢).

٢٢٨/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهوَّر في رواية الحديث، بل نتثبت في كل حديث نرويه عن رسول الله ﷺ، ولا نرويه عنه إلا إن كان لنا به رواية صحيحة.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: أكثر ما يقع في خيانة هذا العهد: المتصوِّفة؛ الذين لا قدم لهم في الطريق، فربما رووا عن رسول الله ﷺ ما ليس من كلامه لعدم ذوقهم، وعدم فرقانهم بين كلام النبوَّة وكلام غيرها، ولو أنهم كانوا من العارفين لعرفوا كلام النبوَّة، وميَّزوه عن غيره.

فتعلَّم يا أخي! علمَ الحديث لتخرج من الوقوع في الكذب على رسول الله ﷺ ولو بغير قصد، والله تعالى أعلم.

روى الأئمة مرفوعاً: «من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النار»(٣) قال الجلال السيوطي: إنه متواتر.

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ١٣٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) مسلم (١/ ١٠).

٢٢٩/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نغترّ بحفظ العلم الذي يُطلب منا العمل به من غير عمل، كما عليه غالبُ الناس اليوم. وما هكذا كان السلفُ الصالح رضي الله عنهم، فقد بلغنا أنهم كانوا يستغفرون من كل مسألة لم يعملوا بها، ويَعُدُّون ذلك ذنباً، ومن كان هذا مشهدَه ذهب عنه الاغترار بالعلم.

ثم اعلم يا أخي! أنّ من الناس مَن رزق العمل بما علم، ومنهم من رزق العلم من غير عمل، ومنهم من رزق العمل بغير علم، ومنهم من ليس له علم ولا عمل.

فالواجب على كل من لم يعمل بعلمه: كثرة الاستغفار، والتوبة، والإكثار من تعليم العلم للناس لعلَّهم يعملون به، فيكون ذلك في صحائف من علَّمهم، حيث فاته العملُ بالعلم، ثم يستغفر من ذلك، فربما لا يكون عملُ الناس بعلم العالم يَجْبُرُ خللَ تركه هو العمل بما علم.

واعلم أن العالم لا يرزق الكمال إلا إذا ترقّى إلى مرتبة الإحسان، ولا يرتقي إليها إلا بالخروج من رعونات النفس، وتلبيساتها، ومن دَعْوى العلم أيضاً. فعندها يدخل حضرة الإحسان، ومهما كان عاملاً بعلمه عندئذ، فإنه يتنصَّل من الدعوى ليدوم له العمل بالعلم، ويرى أن الله تفضَّل عليه حين استعمل جوارحه في خدمته، ويخافُ من الله أن ينزعَ عنه ذلك، ويهبه لغيره، فهو دائمُ الكتمان والحمد للمنعم المتفضِّل عليه. ومن لم يُرْزَق هذا فمن لازمه: قلة العمل، وكثرة الدعوى.

روى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يستجاب لها»[١].

---

(١) مسلم (٤/٢٠٨٨).

وروى البخاري ومسلم عن أسامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه أهل النار فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[1].

٢٣٠/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا ندَّعي العلم إلا لغرض شرعي، ولا نقول أبداً: نحن من أعلم الناس، لا بلساننا، ولا بقلبنا، ومن أين لنا ذلك؟!.

واعلم أنه لم يزلْ في كل عصر علماء حاملون للعلم، لا يجيء العلماء المشهورون من طلبتهم، وعليك أن تعلم أن في بلدك من هو أعلم منك فَضْلاً عن الدولة التي أنت فيها.

وإذا وقع منك دعوى العلم، ولو في وقت غيظٍ فبادرْ إلى التوبة والاستغفار فوراً خوفاً من نُزول المقت عليك من الله عز وجل، وهذه مصيبةٌ لا يُبتلى بها أحد وهو عاقل أبداً؛ فإنه ما من علم طالع العبد فيه، وأحاط ببعضه علماً إلا وسبقه إليه وإلى وضعه علماء، ربما لا يصلح أن يكون المدَّعي من طلبتهم.

قال شيخُ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى: اجتمع يوماً في مجلس الحسن البصري رحمه الله تعالى خمسمئة محبرة، تكتب عنه العلم، فحصل له بعضُ عجب في نفسه، فقال: لا تسألوني في هذا المجلس عن علم من العلوم إلا أخبرتكم به، فقام إليه صبيٌّ أمرد ضعيف، يتوكأ على عصا، فقال: يا سيدي! قد سمعنا قولك، فهل للبعوضة أمعاء؟ فتغيَّر لونُ الحسن، واصفرَّ، ثم حُمِل من ذلك المجلس مغشياً عليه، فمات بعد ثلاثة أيام.

---

(١) بخاري (٤/ ١٤٧).

فدعوى العلم لا تزولُ من العالم إلا إذا دخل حضرة الإحسان، فرأى أن جميعَ ما يعلمه الخلق جميعاً لا يجيء نقطة من البحر المحيط، كما هو منقول عن الخضر عليه السلام حين التقى بموسى عليه السلام عند مجمع البحرين. وأن جميع ما يعلمه أمانة أودعها الحقُّ عنده، وعارية قابلة للاسترداد، فلا يسوّغ له أن يدَّعيها لنفسه أبداً حياءً من الله تعالى، فالناس يرونه عالماً في عيونهم، وهو يرى نفسه جاهلاً، وهناك يأمن من أن يدَّعي لنفسه حالاً أو مقالاً سراً أو جهراً، فالخضر قال لموسى: أنا أعلم أهل الأرض يا موسى، ما علمي وعلمك في علم الله إلا كما نقر هذا العصفور من هذا البحر.

والمراد بالعلم: معلوم الله لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٨٥] فلو كان المراد به العلم القائم بالذات لم يصح وصفه بالقلة. ومعلوم الله: هو العلم الذي يبثّه في قلوب عباده، وهو غير علمه الأزليّ الخاص به؛ لأن علم الخلق وإن كان من جملة علم الله، ففيه رائحة الحدوث من حيث إضافته إلى الخلق.

قال الشعراني رحمه الله: وإنما أوَّلنا لك يا أخي الحديث؛ لأن الخضر عليه السلام عالم بالله، ومعلومٌ عنده أن علم الله تعالى لا يوصف بنقصٍ ما، ولا بد لمنقار العصفور من بللٍ يكون عليه، فلو جعلنا المراد بعلم الله القائمَ بالذات، لما صح وصفه بالنقص، على قدر ما أخذ العصفور، ولا قائل بذلك.

٢٣١/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نجادل في علم من العلوم الشرعية، إلا بقصد نصرة الدين بشرط الإخلاص والحضور مع الله تعالى، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى أستاذ متضلِّع من علوم الشريعة، قد اطّلع على جميع أدلة المذاهب المستعملة والمندرسة، وسلك طريق القوم في درجات الإخلاص.

واعلم يا أخي: أن من قلَّد إمام مذهب من الأئمة الأربعة، لا ينبغي له أن يسمِّي مقلدي الأئمة الآخرين خصوماً، فإن حُسْن الأدب في اللفظ من أخلاق العلماء العاملين.

وقد سمعتُ الأستاذ الفاضل الشيخ محمد هشام البرهاني حفظه الله تعالى يحدث عن شيخنا الشيخ عبد الوهاب الحافظ رحمه الله تعالى: أنه كان في مجلسه، فقال الأستاذ هشام: ردّنا على الإمام الشافعي رحمه الله بكذا وكذا، فقال له رحمه الله تعالى: لا تقلْ ردُّنا، وقل: جوابنا، فأرشده إلى حُسْن الأدب في اللفظ.

وقد أشار الشعراني رحمه الله تعالى: إلى أن مذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم مجتمعة هي سُنَّة رسول الله ﷺ، فلا يسوّغ لأحد أن يردَّ على إمام من الأئمة، قال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ٤٢/ ١٣] فأمر الله تعالى بإقامة الدين لا بإضجاعه بالتكبر على أئمته.

وهذا الأمر قد فشا في طلبة العلم في هذه الأيام، فترى كلَّ إنسان يدحضُ حجة مذهب الآخرين، حتى لا يكاد يبقي له متمسكاً بكتاب ولا سنة، وذلك من أقبح الخصال، وإنما كان اللائق بهم الجواب عن الأئمة إما بعدم اطلاعهم على ذلك الدليل الذي ظفر به الرادُّ عليهم، وإلا بأن لذلك المجتهد منزعاً في الاستنباط من وجوه قواعد العربية خَفِي على أمثالنا.

لما دخل الإمام الشافعي بغداد، وزار قبرَ الإمام أبي حنيفة ـ رحمهما الله تعالى ـ حضرته صلاة الصبح، فترك القنُوت، مع أنه يقول به، فقيل له في ذلك، فقال: استحييتُ من الإمام أن أقنتَ بحضرته وهو لا يقول به. فرضي الله تعالى عن أهل الأدب. هذا في باب الآداب والسنن، أما الواجب والحرام، فإذا قام عند المجتهد دليل فيه، فليس له أن يتركه أدباً مع مَنْ يخالفه.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: روى الطبراني مرفوعاً: «إن الشريعة جاءت على ثلاثمئة وستين طريقة» فلا ينبغي لأحدٍ أن يردَّ على من يجادله إلا إن نظر في هذه الطرق كلها، ولم يجدْ كلام خصمه يوافق طريقة واحدة منها، وما ذكر الشارع ذلك إلا سدّاً لباب الجدال بغير علم تقوية للدين؛ فإن النزاع يُوهنه، ويُضْعِفه.

ولا يقوم الدينُ إلا بالاتفاق عليه لا بالاختلاف فيه، ثم لا يصحُّ للعلماء اتفاق إلا إن خرجوا عن رِقّ الشهوات النفسانية، وما لم يخرجوا فلا يصحّ لهم ارتباط قلوبهم مع بعضهم بعضاً أبداً. فأنصار الدين حقيقة هم الذين خرجوا من حظوظهم النفسانية إلى حقائقهم الروحية؛ فإن الحقائق الروحانية لا شهوة لها إلى شيء من الحظوظ النفسانية أبداً، فنصرتها للدين خالصةٌ من الشوائب. اللهم إلا أن يقومَ لنا صاحبُ بدعة لا يشهد لها كتاب ولا سُنَّة، فلنا إدحاضُ حجته نصرة لله ورسوله وللمسلمين ولا ندخل عندئذ تحت قوله ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخَصِم»(١) والألد: هو شديد المخاصمة، والخَصِم: هو الذي يحج من يخاصمه، ويدحض حجّته. فإن المذموم هو الخصومة بالباطل في رفع حق، أو إثبات باطل.

* * *

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٥٤).

# كتاب: النهي عن إيذاء المسلمين

٢٣٢/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نفعل شيئاً قطّ يؤذي المسلمين حسّاً ومعنى، فأما الأذى الحسّيّ فكالبول أو التغوّط على جوانب بيوت الخلاء، أو يبول في طريق الناس، أو يلقي نخامته دون تغييبها، أو لا يحرر نزول البول أو الغائط في طاقة الخلاء، أو بالوعته، فكما ينبغي له أن يخفي عن الناس رؤيته حال قضاء الحاجة، فكذلك ينبغي له أن يخفي ما خرج من بوله وغائطه، ولا يطلع أحداً عليه.

وأما الأذى المعنوي، فكأن يُدْخِل على العامّة الشُّبَه؛ بأن يذكر لهم العقائد الزائغة، والأقوال الفاسدة التي يردُّها ظاهرُ الشريعة كطرح أمور لا ينبغي للعامة الخوض فيها من شرح المتشابه في القرآن، فتتسارع نفوس العوام إلى الخوض فيها، فيقعون في المحاذير، وكان الأولى له أن يدعهم واعتقادهم، وهذا كثير في هذه الأزمان. فعلى العالم أن يشفقَ على المسلمين أن يدخلوا النار، ولا ينبههم إلى أمور تترتَّب عليها مفاسد في عقائدهم، ومن آذاهم فقد استحقَّ اللعن والطرد من رحمة الله تعالى.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا اللّعّانَيْنِ» قالوا: وما اللّعّانان يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلّى في طريق الناس، أو في ظلّهم»[1].

---

(١) مسلم (١/ ٢٢٦).

واللعن الوارد في السنة يختلفُ باختلاف الأثر المترتب عليه خفّةً، وثقلاً، وقبحاً، فلكل فعلٍ قبيح لعن يناسبه، فلعن من فعل فعل قوم لوط غير لعن من بال في طريق الناس وظلّهم، فللكفار لعن، ولمرتكب الكبيرة لعن، ولمرتكب الصغيرة لعن، ولمرتكب المكروه لعن.

* * *

# كتاب: النهي عن ترك آداب السُّنَّة

٢٣٣/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك شيء من آداب السنة المحمدية، كما يفعله كثيرٌ من المسلمين فيترك أحدُهم السنة، ويقول: الأمر سهل. وإذا كان في قوله هذا يشعر بالاستهانة بتركها رغبة عنها، وتثاقلاً منها، فتلك درجة قريبة من الكفر إلا أن يتوب، ويستغفر حالاً؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٥٩/ ٧].

وأما إذا لم يلاحظ في الترك الاستهانة والرغبة عنها، فلا حرج، لكن عليه أن يحدِّث نفسه دائماً بفعل السنة، فإن لكل مأمور شرعي درجة في الجنة، لا تُنال تلك الدرجة إلا به، وكذلك القولُ في أهوال يوم القيامة، لا يلحق العبدَ هولٌ منها إلا بفعله منهياً عنه في دار الدنيا، فلكلِّ منهي كرب يلحقُ صاحبه هناك.

ومن أحكم فعل المأمورات، وترك المنهيات لا يلحقه هناك غم، ولا هم، ولا حزن، ومن أخلّ بشيء من ذلك لحقه الكرب، والهم بقدر ما أخلّ.

ثم من أخلَّ بآداب الشريعة استهانةً بها، تدنّى إلى فِعْل المكروهات، ثم إلى فعل الحرام.

فمن فعل ما يخلُّ بالمروءة، وداوم على ذلك، كأن يكلم أحداً وهو يقضي الحاجة في الخلاء، أو يخرج صوتاً بحضرة الناس، أو يخرج ريحاً في المسجد، أو لا يستر شخصه عند البراز، أو يتكلم بكلام الفساق والأراذل

مما يستحي أرباب المروءة أن ينطقوا به، ونحو ذلك، فلا ترجو له خيراً.

روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يخرج الرجلان يضربان الغائط، كاشفَيْنِ عن عورتيهما، يتحدّثان؛ فإن الله عز وجل يمقُت على ذلك»[1].

وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ومن أتى الغائط فليستتر، فإن لم يجد إلا أن يجمع كثيباً من رملٍ فليستدبره؛ فإن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم، مَن فعل فقد أحسن، ومن لا فلا حرج»[2].

٢٣٤/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك المبادرة إلى غسل الجنابة، بحيث يدخل وقت الصلاة ونحن لم نتطهر منها، وكذلك القولُ في الحدث الأصغر والأكبر، لا سيَّما إن كان عصى به، كأن قبَّل أجنبية، أو باشر حائضاً، فينبغي المبادرة إلى الطهارة من ذلك كما نبادر بالتوبة. بل أوجب بعضُهم المبادرة فوراً إلى الغسل من الجنابة التي عصى بها. وربما أخَّر الإنسان الغسل، أو غسل النجاسة عن بدنه، حتى دخل وقت الصلاة، فتفوته صلاة الجماعة.

ويقاس على النجاسة الحسية: النجاسة المعنوية، كسوء الظن بأحد المسلمين، أو حسد، أو غلّ، أو حقد، أو عجب، أو كبر، أو رياء، ونحو ذلك من المعاصي الباطنة، فعليه متى تلبَّس بها، أو بواحد منها أن يبادر إلى الاغتسال المعنوي، وهي: التوبة، والاستغفار؛ فإن الإبقاء على هذه النجاسات في القلب يميت القلب، ويدفع بصاحبه إلى النار.

وأجمعت الأمة على وجوب الخلوص من النجاسات الباطنة، وعدّوها من الكبائر، والتخلص منها مقدَّم على التخلص من النجاسات الحسية.

---

(١) سنن أبي داود (١/ ٤).

(٢) سنن أبي داود (١/ ٩).

وإذا ورد أن عامة عذاب القبر من البول، وهو نجاسة حسية ظاهرة، فالنجاسات الباطنة أولى بالتنزه عنها؛ لأن القلبَ محلٌّ نظر الرب، وكما لا تصحُّ صلاةُ أحدنا، وفي ظاهر جسده لمعة، لم يصبها الماء، أو نجاسة لا يُعْفَى عنها، فكذلك القولُ في نجاسة الأخلاق الرديَّة.

وما جعل الشرع الطهارة على الأعضاء الظاهرة إلا ليتنبَّه المكلَّف على الأخذ في طهارة محل نظر الله من باب أولى كلما تطهر، فإن حضرة القرب محرَّم دخولُها على من كان عليه نجاسة ظاهرة أو باطنة.

وقد أغفل هذا غالب الناس اليوم، فترى أحدهم يأكل حراماً، ويستغيب الناس، ويقع في أعراضهم، ويقع في النميمة، وغير ذلك، ويحرصُ على غسل الأعضاء الظاهرة حتى يصل إلى درجة الوسواس؛ لغلبة نظره إلى ظاهره دون باطنه.

روى البخاري وأبو داود وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ رسول الله ﷺ على قبرين، فقال: «إنهما يعذَّبان وما يعذَّبان في كبير. أما هذا فكان لا يستنزه من البول، وأما هذا فكان يمشي بالنميمة» ثم دعا بعسيب رطب، فشقَّه باثنين، ثم غرس على هذا واحداً، وعلى هذا واحداً، وقال: «لعله يخفِّف عنهما ما لم ييبسا»(١).

وفي رواية: «يستتر» مكان «يستنزه».

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٢).

* * *

(١) سنن أبي داود (٦/١).
(٢) مسلم (١٩٨٧/٤).

# كتاب: النهي عن خروج النساء إلا بانضباط شرعي

٢٣٥/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بخروج نسائنا للأسواق، والزيارات، والأعراس التي لا انضباط فيها على القوانين الشرعية والدعوات التي يقع فيها اختلاط الرجال بالنساء.

وقد كثرت خيانةُ هذا العهد من غالب الناس، فكلُّ موضع طلبته امرأة أحدهم، أذن لها مع عدم التفتيش على الحاجة التي خرجت لها، هل هي من الأمور التي ندب الشارع لها، أو كرهها. ولا يخفى ما في ذلك من المفاسد، وهو منافٍ لغيرة أهل الإيمان، وربما كان أحدُنا مسنّاً قد طعن في السن، أو قبيح المنظر، وزوجته شابة حسناء، فترجع من ذلك السوق، أو تلك الزيارة وهي لا تشتهي أن تنظر إلى زوجها، ولا أن يقبِّلها، أو يجامعها، وهذا أقل ما يحصلُ من مفاسد الخروج. وقد أدركت امرأة ديّنة مصلية هذا، فقالت: إني أكره الخروج إلى السوق، فقيل لها: لماذا؟ فقالت: لأني أنظرُ إلى الأشكال الحسنة، فتميل إليها نفسي، فأرجع لا أقدرُ أنظر في وجه زوجي، قالت: وقد دخلتُ مرة أحد الأسواق، فرأيت شاباً فأخذ بمجامع قلبي، فرجعتُ، فوالله ما رأيت زوجي في عيني إلا كالقطرب (ذكر الغيلان) أو كالعفريت.

وكما أن الرجل إذا رأى المرأة الحسناء مالت إليها نفسه، فكذلك المرأة

إذا رأت الشابَّ الأمرد الجميل تروحُ نفسها إليه بديهة، قالت: ورأيت مرة إنساناً من النافذة، وزوجي عندي، وصرتُ أنظر إلى حُسْن شكل ذلك الإنسان، وحُسْن لحيته، ووجهه، وعيونه، وأنظر إلى زوجي، وإلى تشعيث شعر رأسه، وكبر أسنانه، وأنفه، وخشونة جلده، وملبسه، وفظاظته، وتغيُّر رائحته، وقبح كلامه، فما كنتُ إلا فتنت بذلك الإنسان. قالت: ثم إني تبتُ إلى الله تعالى عن الخروج مطلقاً، لا لزيارة، ولا لغيرها، فصار زوجي في عيني كالعروس، فعلمتُ بذلك صدقَ توبتي.

قلت: وقد ابتُلينا في زماننا هذا بالتلفزيون؛ فإن المرأة تفتتن بما يعرض فيه، وإن الرجل يفتتن أيضاً، وما على الرجل والمرأة في البيت والسوق إلا أن يتقيا الله تعالى، ويراقباه، ويسألاه أن يزهدهما فيه حتى يلقيا الله تعالى بالتوبة.

فالمرأة المتدينةُ تعلمُ الضرورة التي تلجئها إلى الخروج، فإن وجدت فلتخرجْ في غاية الاحتشام، ولتعدْ سريعاً بعد انقضاء الضرورة إلى بيتها، والمرأة غير المتدينة من النساء المتبرجات فإن كان زوجها يحكم عليها فله منعها، وإن كانت تحكم عليه، فهو تحت حكمها، كما هو شأن من استرقتهم شهواتُ النساء، فلا يقدر أحدهم على مخالفة زوجته أبداً.

فامنع يا أخي زوجتك من الخروج غير الضروري ما استطعت؛ لتكون راضية بك، لا التفات لها إلى غيرك.

روى الطبراني عن أسماء قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من كان يؤمن منكن بالله واليوم الآخر فلا ترفعْ رأسها حتى نرفع رؤوسنا»(١) أن يرين عورات الرجال لقصر أزُرهم.

فإذا كُنَّ منهيات عن رفع رؤوسهن قبل أن يرفع الرجال رؤوسهم حتى

---

(١) معجم الطبراني (٢٤/ ٩٧).

لا تبدو لهنّ عوراتهم، فمن باب أولى لا يحلُّ لها أن تخرج، وترى الرجال، وتختلط بهم. وكن النساء ينصرفن إلى بيوتهن قبل أن يقومَ الرجال.

٢/٢٣٦ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نقرب من الحائض حتى تطهر. ومنع بعضُ العلماء من الاستمتاع بما بين السرّة والركبة؛ لأنه حمى الفرج، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ويسمى هذا: تحريم الوسائل خوف الوقوع في المقاصد، كتحريم قليل النبيذ وإن لم يسكر، وكتحريم قبلة الشاب للصائم خوفاً أن تدعوه إلى الوطء، ونحو ذلك.

ومعلوم أن من يقول بهذا القول لا يدور مع علة التحريم؛ لأنه لو دار معها لقال بالإباحة عند فقدها. والقول قول المرأة في انقطاع حيضها ونفاسها إن وثق بصدقها.

وقد وقع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كانت تحته امرأة تكره الرجال، فكانت تتعلَّل بالحيض، فقالت له مرةً: إني حائضٌ، فكذَّبها، ثم أتاها، فوجدها صادقة، فقال: أفّ، ثم تركها.

ثم لا يخفى أن تحريمَ وطء الحائض تحريم شفقة خوفاً على المجامع أن يحصلَ له ضرر مباشر، كالأَكَلَةِ.

روى أبو داود عن ميمونة أن رسول الله ﷺ كان يباشر المرأة من نسائه وهي حائض إذا كان عليها إزار إلى أنصاف الفخذين أو الركبتين، فتحتجز به.

وروى أيضاً عن عكرمة، عن بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا أراد من الحائض شيئاً، ألقى على فرجها ثوباً.

وروى أيضاً عن عمارة بن غراب أن عمةً له حدثته أنها سألت عائشة قالت: إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها إلا فراش واحد، قالت: أخبرك

بما صنع رسول الله ﷺ: دخل فمضى إلى مسجده، قال أبو داود ـ تعني: مسجد بيته ـ فلم ينصرف حتى غلبتني عيني، وأوجعه البرد فقال: «ادني مني» فقلت: إني حائض، فقال: «وإن. اكشفي عن فخذيك» فكشفت فخذي، فوضع خده وصدره على فخذي، وحنيت عليه حتى دفىء ونام[1].

* * *

(١) سنن أبي داود (١/ ٦٩).

# كتاب: النهي عن الخروج من المسجد بعد الأذان

٢٣٧/ ١ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نخرج من المسجد بعد الأذان إلا إن كنا نخرج لنرجع قبل أن تقام الصلاة، أو ندرك الصلاة في مسجد آخر تساوي جماعته جماعة مسجد الأذان، وكذلك لا نمكِّن أحداً من إخواننا المنقادين لنا أن يخرج من المسجد كذلك إلا بعذر شرعي. ويقاس بصلاة الجماعة المذكورة الخروج بعد بدء مجلس الذكر، أو العلم، أو مجلس مناقشة الشيخ للتلاميذ إذا كان منعقداً لفضِّ المنازعات، وتخليص حقوقهم من بعضهم، بل ربما يكون بعض هذه المذكورات في حق بعض الناس أكثر أجراً من صلاة الجماعة التي نهينا عن الخروج من المسجد لأجلها.

ويحتاج من يريدُ العمل بهذا إلى مربٍّ يعرِّفه مقادير العبادات وتفاوتها، وما هو الأولى منها بالتقديم منها على غيرها، ومن لم يفعل ذلك فمن لازمه: الإخلال بتقديم ما هو الأحق بالتقديم.

بل من الناس مَن يقدِّم شهوات بطنه وفرجه على عبادة ربه، ويخرج من المسجد يفارق صلاة الجماعة وغيرها، ولا يبالي.

روى أبو داود عن أبي الشعثاء قال: كُنَّا مع أبي هريرة في المسجد،

فخرج رجل حين أذَّن المؤذن للعصر، فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عَصَى أبا القاسم عليه الصلاة والسلام[1].

وروى الطبراني في الأوسط، ورواته محتجٌّ بهم في الصحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسمع النداءَ في مسجدي هذا، ثم يخرج منه إلا لحاجة، ثم لا يرجع إليه إلا منافق»[2].

☆ ☆ ☆

(١) سنن أبي داود (١/ ١٤٧).
(٢) الترغيب والترهيب (١/ ١٨٩).

# كتاب: النهي عن المراءاة في العبادة

٢٣٨/ ١ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نرائي في عبادتنا أحداً من الخلق خَوْفاً من مقت الله عز وجل، سواء كان الرياء مصاحباً للعمل، أو متأخراً عنه، كأن يحب أحدنا ـ والعياذ بالله تعالى ـ ظهور أثر الطاعة عليه، من نور الوجه، وَحُسْن السمت في المستقبل، أو ظهور أثر السجود في جبهته، أو كثرة المصلين في جنازته لغير غرض صحيح، أو يميل إلى قول الناس له إذا مرَّ عليهم وعلى وجهه نور: ما شاء الله، ونحو ذلك، فإن ذلك كلّه يرجعُ إلى الرياء ولو لم يصاحب العبادة.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: كنت جالساً مرة عند سيدي عليّ الخواص وهو يضفر الخوص، فمرَّ بنا شخص يخفقُ النور على وجهه من أثر قيام الليل، فقلت: يا سيدي انظر إلى هذا النور العظيم الذي على وجه هذا الرجل، فرفع الشيخ رأسه فقال: اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت، إنك على ما تشاء قدير. فقلت له: لم ذا؟ فقال: يا ولدي إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعل نورَه في قلبه، ليعرفَ ما يأتي وما يذر من الحسن والقبيح، وجعل وجهه كآحاد الناس، وإذا أراد الله بعبدٍ سوءاً نقل النورَ الذي في قلبه على وجهه، وأخلى باطنه من النور، وجعله مُظلماً ليقع في كل فاحشة وفي كل رذيلة، ويقول له الناس مع ذلك: ما شاء الله لما يرونه من النور الذي على وجهه، مع أن قلبه خراب مظلم. فقلت له: يا سيدي أما يجمع الله تعالى لأحد بين النورين؟ فقال: يمكن، ولكن قد أمرنا الله تعالى بالستر لأعمالنا

في هذه الدار، فلا يظهر لنا كمال إلا في محلٍ يُقتدى بنا فيه فقلت له: حصول النور على وجه العبد لا يجيء بالتفعُّل، فقال: صحيح ولكن لا يظهر عليه شيء قط إلا مع ميل سبق منه، ولولا ميله ما ظهر فقلت له: فيحتاج الإنسانُ إلى ميزان دقيق؟ فقال: نعم، وهو كذلك، فربما ظهر كمال العبد بميل خفي لا يشعر به، فليفتش العبدُ نفسه.

فعلم أن الله تعالى ما طلب منا إلا أن نعبده خالصاً لوجهه، لا نشرك بعبادته أحداً من خلقه حتى أنفسِنا إلا بقدر نسبة العمل إلينا لأجل التكليف، فيا خسارة من يرائي بعلمه في هذه الدار! ويا ندامته يوم القيامة! فإنه ليس مع الخلق الذين راءاهم شيءٌ يعطونه له يوم القيامة في نظير مراءاتهم، ولا هو عبد الله تعالى خالصاً حتى يثيبه على عبادته، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١٨/ ١١٠].

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: من شرط العمل الصالح أنه لا يرى به نفسه على أحدٍ من خَلْق الله تعالى، فمتى رأى له به فَضْلاً على أحد، خرج عن كونه صالحاً، إلا إن قصد بذلك الشكر.

ثم لا يخفى على كل عاقل أن العبد لا يستحقُّ قط على خدمة سيده شيئاً؛ لأن خدمة السيد واجبة على عبده شرعاً، لكونها وظيفة الرِّقِّ، وكلُّ عبد لا يرى المنةَ لسيده عليه في إذنه له في الوقوف بين يديه فَضْلاً عن إعطائه الثواب الجزيل، فهو أعمى القلب في العبيد، فإنه لو طرده مثل غيره، ومنعه الوقوف بين يديه لهلك مع الهالكين.

والرياء يدخل في الفضائل الزائدة على الفرائض، أما الفرائض فلا يدخلها رياء إلا من حيث تحسينها بإظهار الخشوع فيها، والفرقُ بينهما أن العبد في فعل الفرائض عبد اضطرار، وفي النوافل عبد اختيار، فكأنه يقول في نفسه: قد فعلتُ ما كلَّفني الله تعالى به وزدتُ عليه، ولو شئتُ لم أفعله، فلذلك يغلبُ عليه شهود فضله على أخيه بفعل ذلك بخلافه في الفرائض،

ولذلك أمر العبد أن يقول في سجود التلاوة: سجد وجهي للذي خلقه، وصوَّره، وشق سمعه وبصره بحوله وقوَّته، بخلاف الفرائض لا يقول فيها: بحوله وقوَّته؛ لأنه لا يرى نفسه بها على غيره غالباً.

ويحتاجُ من يريد العملَ بهذا العهد إلى مربٍّ يفني اختياره في اختيار مولاه، ويوصله إلى القرب من ربه عز وجل، ومن لم يسلك هذا السبيل فمن لازمه: شهود العمل لنفسه، وحبّ المحمدة به عند الناس، وحب الشهرة بالصلاح شاء أم أبى.

والذي لا يسلك هذا الطريق لا يصلح له دخول حضرة الإحسان التي يعبد الله فيها كأنه يراه أبداً، ولو أنه دخل حضرة الإحسان لشهد الله تعالى هو الفاعل لجميع أعماله خلقاً وإيجاداً، وما بقي له إلا وجه إسناد الفعل إليه مجازاً؛ لأجل قيامه بالحدود والتكاليف لا غير.

والمرائي بعمله يكذبه الله وملائكته، وتمقته القلوب، قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٦١/ ٣] فمن راءى الناس بأعماله فهو مجنون.

روى أحمد عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه، ينادي منادٍ: من كان أشرك في عمل عمله لله تبارك وتعالى أحداً، فيطلبْ ثوابه من عند غير الله عز وجل، فإن الله عز وجل أغنى الشركاء عن الشرك»(١).

وروى أحمد، ورجاله رجال الصحيح، عن ابن الأدرع قال: كنتُ أحرس النبي ﷺ ذات ليلة، فخرج لبعض حاجته، قال: فرآني، فأخذ بيدي، فانطلقنا، فمررنا على رجل يصلي يجهرُ بالقرآن، فقال النبي ﷺ: «عسى أن

---

(١) مسند أحمد بشرح البنا (١٩/ ٢٢١).

يكون مرائياً» قال: قلت: يا رسول الله! يصلي يجهر بالقرآن؟! قال: فرفض يدي، ثم قال: «إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة» أي: بالغلبة، والقهر، والقوة، وإظهار الصلاح، وإنما ينال بالعجز، والإخلاص، والالتجاء إلى الله عز وجل.

قال: ثم خرج ذات ليلة وأنا أحرسه لبعض حاجته، فأخذ بيدي، فمررنا على رجل يصلي بالقرآن. قال: فقلت: عسى أن يكون مرائياً. فقال النبي ﷺ: «كلا إنه أوَّاب» قال: فنظرتُ، فإذا هو عبد الله ذو البجادين.

إنما قال ذلك رسول الله ﷺ لأن ابن الأدرع ظنّ أن هذا مثلُ ذاك، فنفى النبي ﷺ ظنه بقوله: «إنه أوَّاب» أي: كثير الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة، والإخلاص في العمل.

فلا ينبغي لمسلم أن يسيء الظن بعباد الله، ويتَّهمهم بالرياء، وعليه أن يزنَ نفسه ويتهمها بالرياء إن نظرت إلى الخلق في العمل الصالح، والرسول ﷺ يخبر عن الناس بما يوحى إليه، فليس للمؤمن أن يسيء الظن بأحد من المسلمين.

* * *

# كتاب: النهي عن إيذاء المساجد

٢٣٩/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نعظم المساجد، ونحترمها، وننزِّهها عن القاذورات الحسية والمعنوية، وكما أن الشارع أمر بتجنيبها رائحة الثوم، والبصل، والروائح الكريهة، فكذلك ينبغي أن ننزهها عن الغيبة، والنميمة، والنظر إلى ما لا يحلُّ إجلالاً وتعظيماً لبيوت الله عز وجل، وهو كنهي الصائم عن الغيبة في رمضان، مع أنها حرام في رمضان وغيره.

وقد ورد النهي عن تقذير المساجد بالأمور المحسوسة كالبصاق وغيره، فكذلك تقذيرها بالأمور المعنوية قياساً على الحسّيّة.

وتعظيم بيت الله فرعٌ عن تعظيم ربّ البيت، ومن الاستهانة ببيت الله: أن يدوس الإنسان بنعله في المسجد في مكان وطء الجباه، وبخاصة إذا كان ممن يتزيّا بزيٍّ أهل العلم.

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ رأى نخامةً في قبلة المسجد، فتغيَّظ على أهل المسجد، وقال: «إنَّ الله قِبَلَ أحدكم إذا كان في صلاته، فلا يبزقَنَّ» أو قال: «لا يتنخَّعنَّ» ثم نزل فحتَّها بيده(١).

* * *

---

(١) فتح الباري (٣/ ٦٥).

# كتاب: النهي عن إتيان مكروهات الصلاة

٢٤٠/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بصلاة الجماعة، ونصلي فرادى إلا لعذر شرعي؛ امتثالاً لأمر الله عز وجل بالأصالة لا طلباً للثواب الوارد في ذلك، وهذا الأصلُ يسري معك في سائر العبادات، فيقصد بفعلها امتثال أمر الله عز وجل بذلك لا غير، فعلم أن من قصر نظره في عباداته على الثواب فهو دنيء الهمة، خارج عن أدب العبودية.

ولا ينبغي لجار المسجد أن يترك صلاة الجماعة في المسجد، ويصلي في بيته ولو جماعةً؛ إلا لعذر من مرض مَنَعه من الخروج إلى الناس، فيصلي مع زوجته أو ابنته في البيت.

واعلم أنه لا يتهاون أحد قطُّ بعبادة ندب الشرع إليها إلا وعنده بقايا من النفاق.

ومن الناس من يتذرع بأن في الوقت متسعاً، وغاب عن ذهنهم أن رسول الله ﷺ حين سُئِل أي الأعمال أفضل، فقال: «الصلاة لأول وقتها».

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ فَقَد ناساً في بعض الصلوات فقال: «لقد هممتُ أن آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أخالفَ إلى رجال يتخلَّفون عنها، فآمرَ بهم، فيحرّقوا عليهم بحزم الحطب بيوتَهم، ولو علم أحدهم أنه يجد عظماً سميناً لشهدها»[١] يعني: صلاة العشاء.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ أعمى، فقال: يا رسول الله! إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد. فسأل رسول الله ﷺ أن يرخِّص له، فيصلي في بيته، فرخَّص له، فلما ولَّى دعاه،

---

(١) مسلم (١/ ٤٥١).

فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» فقال: نعم. قال: «فأجبْ»[1].

٢٤١/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك الاستعداد للعصر خوف الفوات، ولو كان من عادتنا المواظبة على الاستعداد لجميع الصلوات، فنجعل للعصر مزيد اختصاص؛ لأجل ما ورد من تحذير الشارع ﷺ من تركها زيادة على غيرها، وهي الصلاةُ الوسطى، فلم يأتِ لنا في فوات غيرها مثل ما أتانا في فواتها.

روى البخاري عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «الذي تفوته صلاةُ العصر كأنما وُتِر أهله وماله» أي: أصيب بأهله وماله.

وروى البخاري عن بريدة: أن النبي ﷺ قال: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عملُه»[2].

يعني: من تركها متكاسلاً، وخرّج الوعيد مخرج الزَّجر الشديد، وظاهره غير مراد. والحبط في الآية غير الحبط في الحديث.

قال ابن حجر نقلاً عن شرح الترمذي: الحبط على قسمين: حبط إسقاط، وهو إحباط الكفر للإيمان وجميع الحسنات، وحبط موازنة، وهو إحباط المعاصي للانتفاع بالحسنات عند رجحانها عليها إلى أن تحصل النجاة، فيرجع إليه جزاء حسناته.

٢٤٢/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نؤم قوماً وهم لنا كارهون، لا سيّما إن كرهونا بحق، فينبغي للإمام أن يتفقّد نفسه، ويتوب إلى الله من كل ذنب لو اطلع عليه المأمومون لم يصلُّوا خلفه، أو يكرهون الصلاة خلفه. ومن لم يتبْ من الذنوب، وبقي مصرّاً عليها، فقد يندرجُ تحت الحديث.

ويُطلب من الإمام أن يكون ذا سياسة وكياسة، يسوسُ الناس تارة بماله،

---

(١) مسلم (١/ ٤٥١).

(٢) فتح الباري (٢/ ٢٥).

وتارة بقوله، وتارة بإطعامهم الطعام، وتارة بقضاء حوائجهم، وتارة بشكرهم في المجالس. وعلى الإمام ألا يتعاطى أسباب كراهة الناس ما استطاع.

روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «ثلاثة لا يقبلُ الله منهم صلاة: من تقدم قوماً وهم له كارهون. . » الحديث[(١)].

٢٤٣/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نقف في الصف المؤخَّر، ونترك الصفَّ المقدَّم: إلا لعذر صحيح شرعي، والوقوف في الصف الأول لكل بالغ عاقل البلوغ المشهور، والعقل المشهور؛ الذي بنيت عليه أحكام التكليف، ويميز به الحسن من القبيح.

روى أحمد، ومسلم، واللفظ له، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وإياكم وهَيْشات الأسواق»[(٢)] ارتفاع الأصوات، واللغط، والمنازعات. فجعل ﷺ الأمر بالوقوف في الصف الأول لكاملي السن والعقل، ثم الذين يلونهم في صغر السنّ، وخفّة العقل.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها، وشرّها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرّها أولها»[(٣)].

٢٤٤/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بالوقوع في مسابقة الإمام في الركوع والسجود والرفع منهما، وألا نتساهل بترك إتمام الركوع والسجود، والاعتدال فيهما.

أما المسابقة فأي فائدة فيها في أثناء الصلاة، والمأموم مرتبط معه إلى

---

(١) سنن أبي داود (١/ ١٦٢).

(٢) مسلم (١/ ٣٢٣).

(٣) مسلم (١/ ٣٢٦).

السلام. وأما ترك الإتمام فقد أُمِرنا بالائتساء برسول الله ﷺ، سواء كنا أئمة، أو مأمومين، أو منفردين، لكن الزيادة في التطويل على الذكر الواجب والمندوب، فلا يليق بالإمام أن يطيل زيادة على الذكر الوارد فيه، وإنما يليق بالمنفرد. والمأموم تابع لإمامه. وقد ثبت أنه ﷺ نصَّ على أن تكون القراءة في الركعة الثانية دون الأولى.

وفي حديث عائشة: وكانت صلاته بعدُ إلى التخفيف، والحكمة في التخفيف كون النفس تزهق من طول الوقوف بين يدي الله عز وجل عجزاً، أو مع الغفلة، إذ لا يقدر كل أحد على مراعاة كونه بين يدي الله عز وجل على الدوام من غير أن يتخلَّل ذلك شهود الكون، فالاعتدال خير من التطويل.

وجاء في رواية: كان إذا جلس بين السجدتين، كأنما جلس على الرّضف يعني: الحجارة المحماة، فلا نقرة كنقرة الغراب، ولا إطالة بحيث ينسى نفسه، وخير الأمور أوساطها، وعلى المسلم أن يدور مع سائر الأحاديث الواردة في شأن الصلاة فيعمل بأحاديث الإطالة إذا كان منفرداً، ويعمل بأحاديث القصد إذا كان إماماً. وفي سائر الأحوال يطمئن في الركوع وفي الرفع منه، وفي السجود وفي الرفع منه.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوِّل الله رأسه رأس حمار»[1].

وروى مسلم عن عثمان بن أبي العاص قال: آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ: «إذا أممت قوماً فأخفَّ بهم الصلاة»[2].

٦/٢٤٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك الحضور مع الله تعالى في صلاتنا، وجميع طاعاتنا، ولا بالخشوع فيها؛ لأن

---

(١) مسلم (١/ ٣٢٠).

(٢) مسلم (١/ ٣٤٢).

روح كل عبادة هو الحضور والخشوع فيها. وما أمرنا الله تعالى بفعل طاعة إلا لنشهده تعالى فيها، وكلُّ عبادة لا تجمعُ العبد بقلبه على الله تعالى، فهي عيادة لا عبادة، فلا أجر فيها. ومن قال: إن الخشوع في الصلاة لا يضر تركه، فقد أخطأ طريق الكمال.

وتحصيل الخشوع إنما يكون في الاقتصاد في المطعم، والمشرب، والمنام، والاقتصاد في الكلام، وترك الآثام، وكل ذلك مما يرقِّق القلب، ويجلبُ الخشوع. والصلاة لا تكون ناهية صاحبها عن الفحشاء والمنكر؛ إلا إذا صاحبها الخشوع، والخشوع يذكِّر بالله عز وجل، ومتى ذكر العبد ربه في الصلاة، واستصحب شهوده خارج الصلاة، نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر.

روى الترمذي عن الفضل بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة مثنى مثنى، تشهّدٌ في كل ركعتين، وتخشعٌ، وتضرعٌ، وتَمَسْكُنٌ، وتَقْنَع يديك، يقول: ترفعهما إلى ربك مستقبلاً ببطونهما وجهك، وتقول: يا رب، يا رب، ومن لم يفعل ذلك فهو كذا وكذا»[1] أي: فهو خداج، أي: ناقصة الأجر والفضل.

٧/٢٤٦ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتكلم والإمام يخطب إلا لضرورة، ونجعل كلام الخطيب في حقِّنا، لا في حقِّ غيرنا؛ لئلا يفوتنا ثمرة الحضور لسماع الواعظ، كما عليه غالب الناس، فيأخذ كل كلام وعظه به الخطيب في حقّ غيره، وينسى نفسه، ولا يأخذ من الخطيب كلمة في حق نفسه، فيحرم فائدة الاستماع والحضور والضرورة التي تبيح لنا الكلام، أي: بالإشارة إذا رأينا إنساناً يشوِّش علينا وعلى الحاضرين، فنقوم بإسكاته بالإشارة إليه: أنصت، من غير لفظ؛ لئلا تلغو جمعتنا.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أبي هريرة رضي الله

---

(١) سنن الترمذي (٢٣٨/١).

عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال يوم الجمعة والإمام يخطب: أنصت، فقد لغا»[1].

٢٤٧/ ٨ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نقر أحداً من المسلمين من أصحابنا على تأخُّره عن حضور الجمعة حتى يصعد الإمام، بل نأمره أن يحضر قبل صعوده ليكتب في ديوان الملائكة؛ الذين يسجلون المهجّرين إلى الجمعة.

روى الطبراني عن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «احضروا الجمعة، وادنوا من الإمام؛ فإنَّ الرجلَ ليكون له المنزلةُ في الجنة، فيتأخَّر عن الجمعة، فيؤخرُ عنها»[2].

٢٤٨/ ٩ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نقر أحداً من المسلمين من معارفنا على تركه الجمعة، بل ننهاه، ونزجره رحمة به خوفاً أن يطبع الله على قلبه، فلا يَدخُلُه بعد ذلك خيرٌ حتى يموت. ومتى علمنا أن أحداً ترك حضور الجمعة بغير عذر، وسكتنا عليه، فقد خُنَّا الله ورسوله، وارتكبنا إثماً عظيماً. ذلك أن كل من استهان بارتكاب غيره المعاصي، فهو دليل على استهانته هو بارتكاب المعاصي في نفسه، ومن استعظم وقوع نفسه فيها، استعظم وقوعها من غيره. والقاعدة أغلبية.

روى الترمذي، وحسنه، عن أبي الجعد الضّمري، قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً بها، طبع الله على قلبه»[3].

* * *

(١) سنن الترمذي (٢/ ١٢).
(٢) الطبراني (٧/ ٢٠٦).
(٣) سنن الترمذي (٢/ ٦).

# كتاب: النهي عن التواكل والكسب الحرام

٢٤٩/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتوكل التوكّل العام، ونقعد عن الكسب، ثم نسأل الناس، مدَّعين أننا متفرغون لطلب العلم، فهذا يسمى تواكلاً لا توكّلاً. واعلم أن المروءة من الإيمان، ولا مروءة لمن يسأل الناس وهو قادر على الكسب. وإياك إذا احتجت، وسألت الناس؛ أن تسألهم تكثراً، واسأله تعالى الشيء وقت الحاجة لذلك الشيء.

روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ قال: «لا تزال المسألة بأحدكم، حتى يلقى الله وليس في وجهه مُزعةُ لحم»[(١)].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لأن يغدوَ أحدُكم فيحطبَ على ظهره، فيتصدقَ به، ويستغنيَ به من الناس، خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك؛ فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول»[(٢)].

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه»[(٣)].

٢٥٠/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نأخذ من أحد

---

(١) مسلم (٢/ ٧٢٠).
(٢) المصدر السابق.
(٣) مسلم (٢/ ٧٣٠).

مالاً، ولا نأكل له طعاماً إلا إن علمنا طيب نفسه بلا علَّة، ولا نية فاسدة تتبعه على ذلك؛ من حب محمدة، أو شهرة تكره، ونحو ذلك، ونعرف طيب نفسه وعدم طيبها، فإذا كان في المال علَّة، أو في الطعام علة، رددناه عليه؛ لأنه لا بركة فيه.

روى مسلم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بطيب نفس بُورِكَ له فيه، ومَنْ أخذه بإشراف نفس لم يُبارَكْ له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليدُ العليا خير من اليد السفلى»[1].

٢٥١/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نسأل أحداً، ونقسم عليه بوجه الله إجلالاً لله عز وجل، إلا أن يكون ذلك لضرورة شرعية، وكذلك لا نبخل بشيء قط سألنا فيه أحدٌ بوجه الله.

فالدُّنيا مهما عظمت لا تساوي عند الله جناحَ بعوضة، فينبغي أن يتخلَّق المؤمنُ بخلُق الله، حتى لا تساوي الدنيا عنده جناح بعوضة، وعندها لا يبخل بشيء سُئِله.

روى الطبراني عن أبي عبيد، مولى رفاعة بن رافع؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من سُئِل بوجه الله؛ فمنع سائله»[2].

٢٥٢/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نرد شيئاً جاءنا من غير سؤال، ولا استشراف نفس، ولا نُبالي أن يجرح مقامنا عند الناس، فما دام الشيء جاء من الله، فليصرف فيما أمر الله تعالى، فخذْ من الله، وأعْطِ لله.

---

(١) مسلم (٢/ ٧١٦).

(٢) الطبراني (٢٢/ ٣٧٧).

روى أحمد، ورواته محتجّ بهم في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من آتاه الله شيئاً من هذا المال من غير أن يسأله، فليقبله، فإنما هو رزق ساقه الله إليه»[1].

وروى أحمد عن خالد بن عدي الجهني، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من بَلَغَه معروفٌ عن أخيه من غير مسألة، ولا إشراف نفس، فليقبله، ولا يردّه؛ فإنما هو رزقٌ ساقه الله عز وجل إليه»[2].

٢٥٣/ ٥ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نردَّ قريباً سألنا شيئاً ونحن في غنىً عنه، ولا نتعدى قطُّ بصدقاتنا إلى الأجانب، ونترك قريبنا الفقير، أو نتعدَّى بالحسنة جارنا الفقير إلى الأبعد، ولو فقيراً، فضلاً عن أن يكون غنياً.

وهذا العهدُ يقع في خيانته كثيرٌ من الناس، فيسألهم قريبهم حاجة، أو مالاً، فلا يعطونهم شيئاً، ويسألهم شخص لا قرابة بينهم وبينه فيعطونهُ، ولعل العلَّة في ذلك أن القريب يأخذ ولا يشكر أصلاً، أو يشكر ولا يبالغ في الشكر، بخلاف الأجنبي فإنه إذا أخذ من أحد شيئاً يشكر صاحبه في المجالس، ويبالغ في الثناء عليه، والنفس من شأنها أنها تحبُّ ذلك.

ويحتاج من يريد التمسك بهذا العهد إلى مربٍّ ناصح، يسلك به في الطريق حتى يوقفه على حضرة الإخلاص، ويصير يستلذُّ بالعطية لمن يكتم، أشد من لذَّته لمن يعترف بها، ويشكر.

فبان أنَّ من تعدَّى قريبه بالعطاء، والهدايا، والصدقات إلى الأجانب من غير عذر شرعي، فهو مراءٍ خالص. وكذلك من تعدَّى جاره إلى الأباعد.

روى أحمد عن سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه قال: قال

---

(١) مسند أحمد بشرح البنا (٩/ ١٢٠).

(٢) المصدر السابق.

رسول الله ﷺ: «الصدقةُ على المسكين صدقة، وعلى ذي القرابة اثنتان: صلة، وصدقة»[1].

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء، فهكذا، وهكذا» يقول: فبين يديك، وعن يمينك، وعن شمالك[2].

* * *

(١) مسند أحمد بشرح البنا (٩/ ١٩٢).
(٢) مسلم (٢/ ٦٩٢).

# كتاب: النهي عن الصوم غير الشرعي

٢٥٤/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نخص الجمعة، أو السبت، أو الأحد بالصوم؛ لما روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يصمْ أحدُكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله بيوم أو بعده».

وروى أيضاً عن جويرية بنت الحارث أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة، وهي صائمة، فقال: «أَصُمْتِ أمس؟» قالت: لا. قال: «تريدين أن تصومي غداً؟» قالت: لا، قال: «فأفطري»(١).

وروى أبو داود عن عبد الله بن بسر عن أخته أن النبي ﷺ قال: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افتُرِضَ عليكم، وإن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنبة، أو عود شجرة فليمضغه»(٢) فإن صام يوماً قبله أو يوماً بعده، فلا بأس.

٢٥٥/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نصوم في السفر، إلا إن سهل علينا من غير مشقَّة؛ عملاً برخصة الله تعالى ورسوله ﷺ، وميلاً إلى الضعف، والله تعالى يحبُّ أن تُؤتى رُخَصُه، كما يحب أن تؤتى عزائمه، فمتى كان في السفر مشاق، فعلى الصَّائم أن يُسارع إلى الفطر، وما شدَّد أحد على نفسه، وخالف الشارع، إلا أخلَّ بمأمورات أخرى؛ فإن الله تعالى أعلم

---

(١) سنن أبي داود (٢/ ٣٢١).
(٢) مسلم (٢/ ٦٩٢).

بما يتحمل عبده المداومة عليه، ولو علم منهم القدرة على أكثر مما شرع لزاد عليهم في التشريع، فلا أكمل ممن يقف على حدِّ ما أمره به الشارع. والعبدُ في حال فعله برخصة الشارع يُسمَّى مُتَّبعاً، وفي التشديد على نفسه يُسمَّى مبتدعاً، ومعلوم أن الاتباع أولى من الابتداع.

روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ كُراع الغميم، فصام الناس. ثم دعا بقدح من ماء، فرفعه حتى نظر الناس إليه، ثم شرب، فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام، فقال: «أولئك العصاة، أولئك العصاة»(١).

وفي رواية لمسلم فقيل له: إن الناس قد شق عليهم الصيام، وإنما ينظرون فيما فعلتَ. فدعا بقدح من ماء بعد العصر(٢).

وكان عمر بن عبد العزيز، وقتادة، ومجاهد إذا سُئِلوا عن الصوم والإفطار في السفر أيهما أفضل؟ يقولون: أفضلهما: أيسرهما.

* * *

---

(١) مسلم (٢/ ٧٨٥).

(٢) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن التهاون في المنهيات الشرعية

٢٥٦/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون قطّ في الوقوع فيما نهانا الشارع عنه، ولو رأينا أكابر العلماء يقعون فيه، وذلك كالغيبة، والنميمة، والحسد، والكبر، والغل، والحقد، وسوء الظن بالمسلمين، ونحوِ ذلك، في رمضان وغيره، بل نراعي ترك وقوع ذلك منا في رمضان أشدّ من مراعاتنا له في غيره، عملاً بتأكيد الشارع ﷺ علينا في ترك ذلك في رمضان، ولا يجوز لنا الاغترار بمن رأيناه يقع في ذلك من أكابر الناس؛ لأن الاغترار لا يكون إلا فيما لم يردْ لنا فيه عن الشارع. أما ما ورد فيه ذلك فاغترارنا بمن وقع فيه ضلالٌ مبين، بل الذي يجبُ علينا التباعد عن الوقوع في ذلك أشدّ من العلماء والصالحين لنقص مقامنا عنهم، فربما سامحهم الحق تعالى دوننا لمحبته لهم.

وأكثر من يقع في خيانة هذا العهد: مَنْ في قلبه شيء من النفاق، تراه يقع في الغيبة، والنميمة، ويشتم الناس في رمضان، ويقول: هذا أمر لا يقدر العلماء يتحرَّزون عنه فضلاً عن مثلي، ولعمري هذا كلام لا يقع ممن يخاف الله عز وجل، وهو حجة في قلَّة الدين.

ويحتاجُ من يريد العمل بهذا العهد إلى مرشد ناصحٍ، يرشده إلى سدِّ مجاري الشيطان التي يدخل منها إلى قلب العبد، فيوسوس له بالسَّيئات، والشيطان بالمرصاد للعبد.

ومن حفظ صومه من الخرق بغيبة، أو نميمة حفظ من الشيطان إلى رمضان الآتي.

ثم من أعون الشيء لإبليس عن العبد كثرة الأكل في العشاء والسحور؛ فإن العبد إذا شبع شبعت جوارحه، وأجابت إبليس إلى كل ما دعاها إليه من المعاصي.

وقد كان السلف الصالح يخرجون من صيام رمضان يكاشفون الناس بما في سرائرهم من كثرة نور العبادات، وتوالي الطاعات. فراسة مؤمن ينظر بنور الله.

روى الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، وأقرّه الذهبي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيامُ من الأكل والشرب، وإنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابَّك أحد، أو جهل عليك، فقل: إني صائم»[1].

٢٥٧/ ٢ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتخلَّق بالفظاظة، وعدم الشفقة، والرحمة على أحد من المسلمين، وسائر الخلق، بل نكون رُحماء بخلق الله، كلهم بطريقه الشرعي، إدخالاً لعدم الأذى عليهم، كما نحب أن يُفْعَل بنا ذلك، فإن من لا يرحم لا يُرحَم. فنحِدّ الشفرة لذبح ما شرع لنا ذبحه، أو قتله من الحيوانات المؤذية، ولا نمثل بشيء منها قط.

روى مسلم وغيره عن شداد بن أوس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب الإحسانَ على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[2].

---

(١) المستدرك (١/ ٤٣٠).
(٢) مسلم (٣/ ١٥٤٨).

وروى أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غَرَضاً».

وروى أيضاً عن ابن عمر أنه مرّ بنفر قد نصبوا دجاجة يترامونها فلما رأوه تفرقوا عنها فقال: من فعل هذا؟ إن رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا.

* * *

# كتاب: النهي عن التهاون بترك الحج

٢٥٨/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك حجّ الفرض مع الاستطاعة، ولو خِفْنا أن يفوتنا ما نحن فيه من أعمال ووظائف، ولو فاتتنا الدنيا بحذافيرها، فإذا قضينا حجة الإسلام، فلنا ترك حج التطوع إذا خِفْنا ما ذكر؛ لأن تحصيل ما به قوام معايشنا من الوظائف المذكورة أولى من حج التطوُّع، مع الحاجة إذا رجعنا إلى أوطاننا. فالمسارعة إلى القيام بأداء ما أوجب الله تعالى على العبد مطلوبة، وفيها رضا الله سبحانه وتعالى.

وهذا الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، لما أمر بالاختتان بادر إليه، واختتن بالقدوم، ولم ينتظر الموسى، فقيل له: يا خليل الله! هلا طلبت الموسى؟ فقال: إن تأخير أمر الله شديد.

فعظِّم أوامرَ ربك تبارك وتعالى، ولو فاتتك الدنيا في جَنْب طاعة الله تشعر بها كفوات ذرَّة من التراب، وفوات ذرَّة من طاعة الله تعالى، أصعب عليك من فوات الدنيا بحذافيرها لو كانت في يدك.

روى البيهقي عن عبد الرحمن بن سابط، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «من لم تحبسه حاجةٌ ظاهرة، أو مرض حابس، أو سلطان جائر، ولم يحج، فليمت إن شاء يهودياً، وإن شاء نصرانياً»[١].

---

(١) الترغيب والترهيب (٢/ ٢١١).

٢/٢٥٩ ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نمكِّن عيالنا المخدَّرات من الخروج لحجة التطوُّع، بخلاف حجة الفرض، وذلك لضعفهن عن تحمل مشقة الطريق، ولكونهن عورة، أو لغير ذلك من الأمور الواقعة للحجاج.

روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع: «هذه الحجة ثم ظهور الحصر»، وفي لفظ: «إنما هذه الحجة ثم الزمن ظهور الحصر» قال: فكن كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش، وسودة بنت زمعة رضي الله عنهما، وكانتا تقولان: والله لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من النبي ﷺ: «هذه ثم ظهور الحصر»[١].

* * *

(١) مسند أ- (١١/١٧).

# كتاب: النهي عن ترك الجهاد

٢٦٠/ ١ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك تعلم آلات الجهاد، كالرمي، والمصارعة، والمدافعة، ونحو ذلك، ثم لا نتركها بعد التعلُّم، حتى ينفكّ إدماننا، وهذا العهدُ قليلٌ من الناس من يعتني به اكتفاء بالجيش، ويقول: إذا دخل العدو بلادنا، فالجيش يكفي. فكلُّ ذلك جبن، وكسل، ويبس طباع. وكذلك من الأدب: ألا نتهاون بترك تعلم السباحة؛ لاحتمال أن يضطرنا عدو عند شاطىء، فيهلكنا، ولو أننا كنا نعرف السباحة لربما تخلَّصنا منه، فترك تعلم السباحة نقص في الإنسان.

روى مسلم عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «من علم الرمي، ثم تركه، فليس منا، أو قد عصى»(١).

٢٦١/ ٢ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نفر من جماعة اجتمعنا معهم على أمرٍ فيه إقامة للدين كمجلس علم، أو أمر بمعروف نعين عليه، أو إزالة منكر، أو مجلس ذكر لله، إلا لضرورة شرعية، لا سيما إن كان الناس يقتدون بنا إقبالاً وإدباراً، والله تعالى يحبُّ كل من نصر شريعة نبيه ﷺ، وأعان من يريد إقامة شعائرها. ولا يتخلف عن نصرة الشريعة مع القدرة إلا من في قلبه نفاق. وقد وَرَدَ الترهيب من الفرار من الزحف، فقسنا عليه الفرار من كل خيرٍ فيه حياة الدين.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) مسلم (٣/ ١٥٢٣).

قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل: يا رسول الله! وما هنَّ؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[١].

٢٦٢/ ٣ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نغُلَّ من شيء دخل يدنا على اسم الفقراء والمساكين، كمال الزكوات، والصدقات، ولا نخصَّ النساء والأولاد بشيء زائد على الفقراء، حتى لا نكون متميزين عنهم. فإن الله يكره العبد المتميز عن أخيه، ولا يقدر على هذا العمل إلا من فطم نفسه عن محبة الدنيا، ومن لم يفطمها فمن لازمه غالباً: تخصيص نفسه عن إخوانه سراً وجهراً.

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كان على ثَقَل النبي ﷺ رجل يقال له كركرة، فمات، فقال رسول الله ﷺ: «هو في النار»[٢] فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءةً قد غَلَّها.

الغلول: ما يأخذه أحدُ الغزاة من الغنيمة مختصَّاً به، ولا يحضره إلى أمير الجيش ليقسمه على الغزاة، سواء قلَّ أو كثر، وسواء كان الآخذ أميرَ الجيش، أو أحدهم.

٢٦٣/ ٤ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نغفل عن تحديث أنفسنا بالغزو في سبيل الله؛ لِنُكْتَب إن شاء الله من جملة أنصار دين الله، فإن من لا يحدِّث نفسه بالجهاد ليس له اسمٌ في ديوان أنصار الله، وأنصار رسوله، وإن كان له اسم من حيثيّةٍ أخرى كالاشتغال بالعلم ونحوه؛ مما يؤول لنصرة الدين أيضاً.

---

(١) مسلم (١/ ٩٢).

(٢) فتح الباري (٦/ ١٤١).

والكامل من كان قائماً بنصرة الدين من سائر الجهات التي تنصب بها القوّة، إلا أن يبعد عليه ذلك، فيعذر.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يَغْزُ، ولم يُحدِّثْ به نفسه، مات على شعبة من نفاق»[1].

وروى أيضاً عن سهل بن حنيف أن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»[2].

* * *

---

(١) مسلم (٣/١٥١٧).

(٢) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن التهاون بقراءة القرآن والذكر

٢٦٤/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بعدم تلاوة القرآن في كل يوم ولو خمسة أحزاب؛ خوفاً من نسيانه.

وهذا العهد يقع في خيانته كثير من طلبة العلم الصوفية، فيشتغلون بالعلم، وقراءة الأوراد، ويهجرون تلاوة القرآن حتى يمتنع حِفْظُهم له، وربما نسوه، ويزعمون أنَّ ما هم فيه أفضل، فعلم أنه يجب تعاهد القرآن، وقراءته بالتدبر؛ لأنه قوت القلوب.

وقياساً على القرآن يجب تعاهد كتب الفقه الشرعية وآلاتها كل قليل؛ خوفاً أن تُنسى؛ إذ هي كأنها تفسير للكتاب والسنة، وتبيين لما أبهم وأجمل فيهما، وإن لم يلحقْ في التعظيم بالقرآن.

وقد وقع لسيدي أبي المواهب الشاذلي رحمه الله تعالى أنه اشتغل بالأوراد، وهجر القرآن، فرأى رسول الله ﷺ في المنام، وقال: تترك تلاوة كتاب الله لأجل وُرَيْداتك! فكان الشيخ بعد ذلك يقرأ كل يوم خمسة أحزاب بتدبُّر إلى أن مات.

روى أبو داود عن سعد بن عبادة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه؛ إلا لقي الله عز وجل يوم القيامة أجذم»[1]. قال

---

(١) سنن أبي داود (٢/ ٧٥).

الخطابي: الأجذم هو المقطوع اليد، ومعناه: أنه يلقى الله خاليَ اليدين من الخير.

٢٦٥/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نغفل عن الإكثار من ذكر الله عز وجل ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهراً؛ إجلالاً لله تعالى، وعبوديةً له. والمراد بذكر الله تعالى: شهودنا ليلاً ونهاراً أننا بين يديه وهو يرانا، ويرى أفعالنا، وأقوالنا، وخواطرنا، أما الذكر اللفظي فإنما هو وسيلةٌ إلى حصول هذا الذكر.

ويحتاج هذا العهد إلى مربٍّ ناصح مُرْشِد، ومن لم يظفر به، فمن لازمه: الغفلة عن الله تعالى، ولا يذكره إلا عند الحاجة لا غير، فإذا أعطاه حاجته نسي ذكره، ومن شكَّ فليجرِّب.

روى الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس يتحسَّر أهلُ الجنة إلا على ساعة مرتْ بهم لم يذكروا الله فيها»[1].

٢٦٦/ ٣ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نجلس مجلساً، ولا نقوم منه، ولا ننام، ولا نقوم إلا ونذكر الله تعالى، ونُصلِّي على النبي ﷺ، وإن وَقَع منّا مخالفة لذلك استغفرنا الله تعالى سبعين مرة.

وهذا العهدُ وإن كان داخلاً في العهد الذي قبله، لكنه خاصٌّ بتغير الأحوال، كما أشرنا إلى ذلك، وذلك آكد من الذكر المطلق.

روى الترمذي وحسّنه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما جلس قومٌ مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلُّوا على نبيهم، إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذَّبهم، وإن شاء غفر لهم»[2].

٢٦٧/ ٤ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نستبطىء الإجابة

---

(١) معجم الطبراني (٢٠/ ٩٤).
(٢) سنن الترمذي (٥/ ١٢٩).

من الله تعالى، ولا نقول: دعونا فلم يُسْتَجَبْ لنا؛ لأن في ذلك سوء ظنٍّ بربِّنا.

وقد بلغنا أن داود عليه السلام استبطأ إجابة دعائه على من ظلمه، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود! إنما أبطىء إجابة دعائك؛ لأعاملك بنظير ذلك إذا ظلمت أحداً، ودعا عليك.

وقول العبد: دعوت الحق فلم يستجبْ لي، قولة قلة حياء وقلة أدب، وكذب من حيث لا يشعر؛ فإن الإجابة في الحقيقة من الله هي قوله تعالى للعبد: لبيك، إذا قال: يا الله! وهذا لا بد منه لكل داع، فليس المراد بالإجابة قضاء الحاجة. ثم إن العبدَ يقول: يا رب افعلْ لي كذا، فيقول الله تعالى له: نعم، لكن في الوقت الذي هو أولى لك، إما في وقت آخر في الدنيا أو في الآخرة. فالدعاء مجابٌ بقوله: لبيك على الدوام. وكذلك قضاء الحاجة مجاب على الدوام. وما ورد أحد الحضرة الإلهية ورجع بلا قضاء حاجة قط؛ لأنها حضرة أكرم الأكرمين.

فتعلَّم آداب الدعاء من معلِّم، وتعلَّم التفويض إلى الله تعالى في الدعاء، كأن تقول: اللهم أعطني كذا، وادفعْ عني كذا، إن كان لي في ذلك خير ومصلحة، وسبق ذلك في علمك. والكلام في غير المضطر، أما المضطر فيجاب لوقته.

ثم إنَّ العبدَ الذي لم يضطر إذا فوّض إلى الله تعالى، فعل معه خير الأمرين، فإن أعطاه كان خيراً، وإن منعه كان خيراً.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل، ويقول: دعوتُ فلم يُسْتَجَبْ لي»(١).

٢٦٨/ ٥ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نرفع بصرنا إلى

---

(١) فتح الباري (١١/ ١١٨).

السماء حال دعائنا، بل نغمض بصرنا، وننظر إلى الأرض، وكذلك لا ندعو وقلبنا غافل؛ فإن في ذلك من سوء الأدب ما لا يخفى.

واعلم أن الجهات كلها في حق الله واحدة، وإنما كان النبي ﷺ يقلّب وجهه في السماء؛ لأنها طريق لنزول الوحي المعهود، كما أنه تلفت في صلاته ينظر إلى العين الذي أرسله لينظر منه خبر القوم، فهو نظر إلى مخلوق، والتفات إلى مخلوق من جبريل وغيره. وقد مدح الله تعالى نبيه ليلة الإسراء بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ٥٣/١٧] يعني: ما جاوز حضرة الخطاب، وخطيئة داود عليه السلام كانت النظر إلى غير الله بغير إذن من الله. وأما رفع اليدين إلى السماء فإنهما آلةٌ يقبل بهما صدقات الحق تعالى؛ التي تصدق الحق بها إليه، ويضمهما إلى بعضهما كالمغترف بهما ماءً.

روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه في الدعاء، لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه[١].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لينتهينَّ أقوامٌ عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة إلى السماء، أو لتُخطَفنّ أبصارهم»[٢].

٢٦٩/٦ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا ندعو على أنفسنا، ولا على ولدنا، ولا على خادمنا، ولا على مالنا؛ فإن ذلك من سوء الخُلُق، وقد نهانا رسول الله ﷺ عن ذلك، وأمرنا أن ننظر إلى مجاري الأقدار الإلهية التي قدّرت على من دعونا عليه، وقد فعل ما دعونا عليه من أجله مما لا يلائم طبائعنا، وكثيراً ما يدعو الإنسان على من يحبه، فيستجيب

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ١٣١).
(٢) مسلم (١/ ٣٢١).

الله تعالى له فيه، فلا يهون عليه ذلك، فيريد أن يردَّ ذلك عنه، فلا يجيبه الحقُّ تعالى.

قال الخواص رحمه الله تعالى: إذا وجد أحدُكم في نفسه إقبالاً على الله تعالى، ورجا الإجابة، فليقل: اللهم لا تستجبْ لي قط دعاء على أحدٍ من المسلمين، لا في حق نفسي، ولا في حق غيري، ولا في حال غضب، ولا في حال رضا، فإن الله تعالى يفعل له ذلك.

ولما دعا رسول الله ﷺ على قريش بالهلاك، أنزل الله تعالى عليه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢١/١٠٧] عتاباً. فاستغفر الله تعالى، وصار يدعو لقومه بالهداية، ويقول إذا خالفوه إلى ما يضرهم: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير»[(١)].

وروى أبو داود عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم»[(٢)].

* * *

(١) مسلم (٢/ ٦٣٤).
(٢) سنن أبي داود (٢/٨٨).

# كتاب: الزهد في الدنيا والآداب

٢٧٠/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نجعلَ الدنيا في يدنا، ولا ندخل حبّها قلوبنا، كما كان عليه السلف الصالح.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى خلٍّ وفيٍّ ناصح، يُزَهِّده فيها، ويجعله يعمل على طريق اليقين، بحيث لا يبقى لنا اهتمام، ولا حرص على شيء منها بعد أن نقوم باتخاذ الأسباب، غير ساعين فيها، فإن رزق الله مقسوم لا يدنيه منك حرص حريص، ولا يرده عنك كراهية كاره.

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن لابن آدم ملء وادٍ مالاً لأحبَّ أن يكونَ إليه مثله، ولا يملأ نفس ابن آدم إلا التراب، والله يتوب على من تاب»(١).

٢٧١/ ٢ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بأكل الحرام والشبهات. ومن الشبهات أن نُطْعِم لأجل ما يعتقد فينا الناس من الصلاح والدين. ولا يخلو حالنا من أحد أمرين: إما أن نكون صالحين كما ظنوا، وإما أن نكون غير صالحين، وكلا الأمرين لا ينبغي لنا الأكل بسببه، اللهم إلا أن يخلص من أطعمنا، فيطعمنا لله تعالى لا لنية صلاح، ولا غيره، فهذا لا بأس بالأكل منه.

روى أبو داود في «المراسيل» عن القاسم بن مخيمرة رضي الله عنه قال:

---

(١) مسلم (٢/ ٧٢٥).

قال رسول الله ﷺ: «من اكتسب مالاً من مأثم، فوصل به رحمه، أو تصدَّق به، أو أنفقه في سبيل الله، جمع ذلك كله جميعاً، فقذف به في جهنم»[1].

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أَخَذ منه أمن الحلال أم من الحرام»[2].

وروى أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكسب عبدٌ مالاً من حرام، فينفق منه، فيبارك له فيه، ولا يتصدّق به فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار. إن الله عز وجل لا يمحو السيىء بالسيىء، ولكن يمحو السيىء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»[3].

٢٧٢/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نقرَّ أحداً من المسلمين على جباية الظلم؛ ولو علمنا أن ذلك الظلم قد استحكم في بلدنا. ثم إذا عجزنا، فيجب علينا أن نوصيه كلّ الوصية على المسلمين إذا قدرنا على ذلك، وإذا عجزنا فعلينا أن ننكر ذلك الشيء بقلوبنا، وهو أضعفُ الإيمان؛ فإن كثيراً من الضرائب توضع على رقاب الناس ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، وكل ما يؤخذ من الناس حرام سحت، يأكلون ناراً في بطونهم، وحجتهم فيه داحضة عند ربهم، وعليهم غضب، ولهم عذابٌ شديد.

روى أحمد عن عقبة بن عامر الجهني، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنةَ صاحبُ مكس»[4] يعني: العشار؛ وهو الذي يأخذ العشر على ما كان يأخذه أهل الجاهلية، أما إذا كان يعشّرهم على ما فرض الله فحسن جميل.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) بخاري (٣/ ٦٨).
(٣) مسند أحمد بشرح البنا (١٥/ ٣).
(٤) مسند أحمد بشرح البنا (١٨/ ٣).

وروى أحمد عن المقدام بن معد يكرب، قال: قال رسول الله ﷺ: «أفلحت يا قُدَيم إن لم تكن أميراً، ولا جابياً، ولا عريفاً»[1] لما في هذه الوظائف من المسؤولية والفتنة إذا لم يقم بحقها.

٢٧٣/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نغش أحداً من خلق الله تعالى، سواء استرشدنا في ذلك الأمر أم لا. وذلك لا يتمُّ لنا إلا إذا تركنا غشَّ أنفسنا في شيء من عباداتنا ومعاملاتنا، فإن من غش نفسه غشَّ غيره من باب أولى، ومن نصح نفسه نصح غيره. ولا يتم لنا ذلك إلا بمصاحبة الأمناء على دينهم المربِّين الناصحين.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من غشَّ فليس منا»[2].

٢٧٤/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نحتكر طعاماً للمسلمين؛ خوفاً من وقوعنا في محبة غلاء السعر ولو في سرائرنا، وهذا الأمر قلَّ من يتخلَّص منه، وعلى المسلم أن يحبَّ لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه، ولا يتمُّ له ذلك إلا بمصاحبة المتمكِّنين بمقام محبة المسلمين، ومن لم يكن كذلك أحب الخير لنفسه أكثر من المسلمين، ولو أدى ذلك إلى ضررهم.

روى مسلم عن معمر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «لا يحتكر إلا خاطىء»[3].

وروى أحمد عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «من احتكر طعاماً أربعين ليلة، فقد برىء من الله تعالى، وبرىء الله تعالى منه، وأيّما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع، فقد برئت منهم ذمة الله تعالى»[4].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) مسلم (١/ ٩٩).
(٣) مسلم (٣/ ١٢٢٨).
(٤) مسند أحمد بشرح البنا (١٥/ ٦٢).

وهذا الحديث في معرض الزجر والتنفير، وهو من الأحاديث التي ظاهرها غير مراد.

٦/٢٧٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نأكل من طعام من يتعامل بالربا؛ فإنه موبقةٌ من الموبقات، والمسلم عليه أن يجتنبه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، أما ما لا بد له منه؛ فإن الله لا يؤاخذه به إن شاء.

وقد صرنا إلى زمان لم يبق فيه أحد إلا ناله شيء من غبار الربا، وحالنا اليوم مع الأموال الربوية كحال إنسان يمشي في طريق كلها مزالق، والسماء تمطر، فلا بد أن يتحاشى المزالق ما استطاع، فإذا زلَّت قدمُه قام، وازداد حرصاً وانتباهاً.

قلت وكذلك نحن اليوم نتعامل بالأوراق النقدية التي تصدر من البنوك، والتي تختلط مواردها من الحلال والحرام، فالحلال الملوَّث بشيء من الحرام يصبح مشبوهاً.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل: يا رسول الله! وما هنَّ؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[١].

وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ليأتينَّ على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من بخاره» وفي رواية: «أصابه من غباره»[٢].

٧/٢٧٦ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نغصب من أحد

---

(١) مسلم (١/ ٩٢).

(٢) سنن أبي داود (٣/ ٢٤٤).

شيئاً، ولو سواكاً، أو خلالاً، أو شيئاً من سائر الحقوق خوفاً من وقوعنا في العقوبة، ويحتاجُ من يريد التخلُّق بهذا العهد إلى مربٍّ يسلك به إلى حضرات الإيمان بكلام رسول الله ﷺ حتى يصير ما توعَّده به كأنه رأي عين، ولا يبقى عنده تجبّر، ولا استهانة بحقّ أحدٍ من المخلوقين.

روى مسلم عن سعيد بن زيد قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً، فإنه يطوّقه يوم القيامة من سبع أرضين»[1].

قيل: إنه أراد أن يخسفَ الله به الأرض، فتصير البقعة المغصوبة في عنقه كالطوق، قاله البغوي.

ويؤيده ما في البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقِّه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»[2].

٢٧٧/ ٨ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نبني في هذه الدار بناءً فوق الحاجة، ولا نزخرف لنا داراً خوفاً من حب الإقامة في هذه الدار، ونسيان الدار الآخرة، كما جرّب ذلك، فلا يكاد فاعلُ ذلك يقدر على تحرير نيةٍ في ذلك أبداً، وما وضع ﷺ لبنةً على لبنةٍ، حتى إن درجة من درج الغرفة التي ينام فيها تزلزلت، فلم يأذن لأحد في إصلاحها، مع أنها زهقت من تحت رجله، فانفكَّت رِجْلُه، ومكث سبعة وعشرن يوماً لا يقدر على الخروج للناس، فوالله لقد خسر من اتخذ هذه الدار وطناً.

وفي حديث مسلم في بيان الإسلام والإيمان والإحسان: أن النبي ﷺ قال له جبريل: أخبرني عن أماراتها، يعني: الساعة. قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان».

---

(١) مسلم (٣/ ١٢٣١).
(٢) فتح الباري (٥/ ٨٠).

وروى أبو داود عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج فرأى قبَّةً مشرفة، فقال: «ما هذه؟» قال له أصحابه: هذه لفلان، رجل من الأنصار، قالت: فسكت، وحملها في نفسه، حتى إذا جاء صاحبُها رسول الله ﷺ يسلِّم عليه في الناس أعرض عنه، صَنَع ذلك مراراً، حتى عرف الرجلُ الغضبَ فيه والإعراضَ عنه، فشكا ذلك إلى أصحابه، فقال: والله! إني لأنكر رسول الله ﷺ! قالوا: خرج فرأى قبَّتك، قال: فرجع الرجلُ إلى قبته فهدمها، حتى سوَّاها بالأرض. فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم يرها، قال: «ما فعلت القبة؟» قالوا: شكا إلينا صاحبُها إعراضك عنه، فأخبرناه، فهدمها، فقال: «أما إنَّ كل بناءٍ وبالٌ على صاحبه إلا ما لا، إلا ما لا»[1] يعني: ما لا بد منه.

٢٧٨/ ٩ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نفرَّ من مواضع غضب الله عز وجل؛ التي جعل نفسه سبحانه وتعالى خصماً لنا فيها كعدم إعطاء الأجير أجرته، أو عدم إعطاء الذي ظُلم ظلامته، ونحوِ ذلك مما ورد.

فمن استهان بذلك استحقَّ إدخاله النار، ولو كان من المشهورين بالصلاح، فالمؤمن من فرَّ من مواطن الغضب».

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: قال الله تعالى: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطي بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً، فاستوفى منه، ولم يعطه أجره»[2].

* * *

(١) سنن أبي داود (٤/ ٣٦٠).
(٢) فتح الباري (٤/ ٣٥٣).

# كتاب: النهي عن الإكثار من الحلف بالله تعالى

٢٧٩/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نكثر الحلف بالله عز وجل على بيع، أو شراء، أو حكاية شيء من الوقائع المتعجَّب منها، ونحو ذلك؛ إجلالاً لله تعالى. وإن سبق لسانُنا إلى الحلف بالله تعالى في شيء من الأمور المذكورة، بادرنا إلى التوبة والاستغفار.

وهذا الأمر قد أغفله غالب الناس فأذلَّهم الله؛ فإنَّ مَنْ أَجَلَّ اللهَ أَجَلَّه.

ويحتاجُ من يريد العمل بهذا العهد إلى مربٍّ ناصح، يوقفه على حقيقة العظمة الإلهية؛ ليكتسب منها الإجلال والتعظيم لله عز وجل، فإنه ورد: «اطلبوا الرفيق قبل الطريق». وأوجب أهل الأدب والتعظيم على التائب التباعدَ عن إخوان السوء، والقربَ من إخوان الخير، وقالوا: إنَّ ذلك أعون له. فالعاقل من أتى البيوت من أبوابها.

وكم من أخلاق نبوية وصحابية وتابعية، صارت بين ظهر الناس ينظرونها، ولا يصح لأحد العمل بها لفقد إمام يمشي بهم في طريق الأدب مع الله تعالى، ولفَقْد من يطلب هذه الأخلاق، وبذلك اندرستْ بعضُ معالم الشَّريعة.

روى مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذابٌ أليم» قال أبو ذر: خابوا

وخسروا، مَن هم يا رسول الله؟ قال: «المُسْبِل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[1].

وروى أحمد عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ: «اليمين الكاذبة منفقة للسلعة، محققة للكسب»[2].

وروى أحمد وغيره والحاكم وصححه الذهبي عن عبد الله بن شبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن التجار هم الفجار» قال: قيل: يا رسول الله أوليس قد أحل الله البيع؟ قال: «بلى، ولكنهم يحدثون فيكذبون، ويحلفون ويأثمون»[3].

* * *

---

(١) مسلم (١/١٠٢).

(٢) مسند أحمد بشرح البنا (١٥/٢٠).

(٣) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن الخيانة

٢٨٠/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نخون شريكنا، ولا مَن استأمننا على شيء، لا بالفعل، ولا بالنية؛ فإن ذلك خسارة في الدنيا والآخرة. وعزم الشريك على تمييز نفسه على شريكه بشيء، ولو لم يفعل خيانة له، والبركة تُرْفَع بمجرد هذه النية، ولو لم يتخصّص بشيء، وإن وقع منه ذلك فعليه أن يستغفر الله تعالى حتى تعود البركة.

وكل من لا يعلم من نفسه القدرة على عدم وقوعها في المخاطر والخواطر المذكورة، فليتاجر لنفسه، ولا يشارك أحداً؛ فإن في ذلك ضرراً عليه وعلى شريكه بارتفاع البركة، شاء أم أبى.

وكذلك لو توكّلنا عن إنسان بشراء حاجة له، فلا يحقُّ لنا أن نضم إليها ربحاً خاصاً لنا لقبولنا الوكالة عنه، فإن أضفنا ربحاً كنّا خائنين للأمانة.

روى أبو داود عن أبي هريرة رفعه قال: «إن الله يقول: أنا ثالث الشريكين ما لم يخنْ أحدهما صاحبه، فإذا خانه خرجت من بينهما»[١].

* * *

(١) سنن أبي داود (٣/ ٢٥٦).

# كتاب: النهي عن التفريق بين الوالدة وولدها

٢٨١/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نفرق بين والدة وولدها، حتى من البهائم، والطيور، وسواء كان التفريق بالبيع أو غيره رحمة بخلق الله؛ فإن الوالدة والولد يتألم كل منهما بالفراق، ومن لا يرحم لا يرحم.

وقد اختلف العلماء في وقت تحريم التفريق، فقال بعضهم: يحرم التفريق بين الأم وولدها حتى يميز. وقال بعضهم: حتى يبلغ. ويقاس على ذلك بلوغ الحيوان من البهائم والطيور وغيرها وتمييزه، وأهل الخبرة يعرفون مواعيد ذلك.

روى الترمذي وحسّنه عن أبي أيوب قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من فرَّق بين والدة وولدها، فرَّق الله بينه وبين أحبَّته يوم القيامة»[1].

* * *

(١) سنن الترمذي (٣/ ٦٤).

# كتاب: النهي عن الاستدانة

٢٨٢/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نستدين شيئاً من أعزِّ أصحابنا إلا لضرورة شرعية، فلا نستدينُ شيئاً لشهوةٍ مأكل، أو ملبس، أو حج نفل مثلاً، أو توسُّع في نفقة عيال، أو ضيوف، أو بناء دار، أو شراء مزرعة، ونحو ذلك مما لا ضرورة إليه. أما الاستدانة لكارثة، أو حاجة ضرورية، ونوينا الوفاء، ولم نجد، وفى الله عنا.

وهذا العهد يتعين العملُ به على من اشتهر بكرمٍ في هذا الزمان، ويجبُ عليه سدُّ بابه.

ثم من يريد العمل بهذا العهد لا بُدَّ له من أستاذٍ يدربه، ويسلِّكه حتى يخرجه عن حكم الطبع الذي عليه، بحيث يراعي أوامر ربه في الإنفاق، حتى لو جاءه عزيز أخرج له كسرة، وبصلة، ولا يستحي من ذلك، ومن لم يفعل كما ذكرنا فمن لازمه: الدَّيْن، وإطعام الناس رياءً وسمعة، ولولا شدة الدَّين في الدنيا والآخرة ما شدد الشارع فيه.

روى أحمد عن عبد الرحمن بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ قال: «يدعو الله بصاحب الدَّين يوم القيامة حتى يوقَف بين يديه، فيقال: يا بن آدم فيم أخذت هذا الدين؟ وفيم ضيعت حقوق الناس؟ فيقول: يا رب إنك تعلم أني أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم ألبس ولم أضيع، ولكني أتى على يدي إما حرق وإما سرق وإما وضيعة. فيقول الله عز وجل صدق عبدي أنا أحق من قضى عنك اليوم، فيدعو الله بشيء، فيضعه في كفة ميزانه، فترجح حسناته على سيئاته، فيدخله الجنة بفضل رحمته»[1].

---

(١) مسند أحمد بشرح البنا (١٥/ ٩٤).

وكذلك لا نمطل أحداً له علينا دَيْنٌ، بل نبيع له جميع ثيابنا وأمتعتنا ما عدا ستر العورة، وما لا بُدَّ منه من آلات الطهارة؛ لأن السلامة مقدَّمة على الغنيمة، ولا يجوز لنا بحال أن نستهينَ بالدَّين، ونغلِّب حبَّ الدنيا على عقولنا.

وعلينا أن نتصور عرصات القيامة بين أعيننا على الدوام حتى نتخلص من الحقوق والتبعات في الدنيا، قبل أن يبدو لنا ما لم نكن نحتسب.

روى الحاكم وصححه الذهبي، عن محمد بن جحش قال: كان رسول الله ﷺ قاعداً حيث توضع الجنائز، فرفع رأسه قِبَلَ السماء، ثم خفض بصره، فوضع يده على جبهته، فقال: «سبحان الله، سبحان الله، ما أنزل الله من التشديد» قال: فعرفنا وسكتنا، حتى إذا كان الغد سألتُ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! ما التشديد الذي نزل؟ قال: «في الدَّيْن، والذي نفس محمد بيده! لو قتل رجلٌ في سبيل الله ثم عاش وعليه دين، ما دخل الجنة حتى يقضي دينه»[(١)].

وروى الحاكم، وصححه الذهبي، عن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله مع الدائن حتى يقضي دينه، ما لم يكن فيما يكرهه الله»[(٢)].

وروى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أعوذ بالله من الكفر والدَّيْن» فقال رجل: يا رسول الله أيعدل الدَّيْن بالكفر؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»[(٣)].

وروى أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من أخذ أموال

(١) المستدرك (٢/ ٢٥).
(٢) المستدرك (٢/ ٢٣).
(٣) مسند أحمد بشرح البنا (١٥/ ٨٧).

الناس يريد أداءها أداها الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله عز وجل»[1].

وروى أحمد عن عمرو بن الشريد عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليُّ الواجد ظلم، يُحِلُّ عرضه وعقوبته»[2] أي: مطل الواجد الذي هو قادر على وفاء دينه يحلُّ عرضه، أي: يبيح للناس أن يذكروه بسوء المعاملة، ليحذره الناس، وأما عقوبته فهي حَبْسُه.

* * *

(١) المصدر السابق.

(٢) مسند أحمد بشرح البنا (١٥/١٠١).

# كتاب: النهي عن إطلاق البصر إلى شيء من زينة الدنيا

٢٨٣/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نطلق بصرنا إلى شيء من زينة الدنيا، سواء الصور الجميلة، والثياب الفاخرة في الأسواق والبيوت. وفي الحديث: «كانت خطيئة أخي داود عليه السلام النظر» أي سبب النظر، وذلك أنه رفع رأسه بغير نيّة صالحة تقدَّمت؛ إذ الأكابر مكلفون بألا يقع منهم حركة ولا سكون إلا بعد تحرير نية صالحة، وإذا نظر أحدُهم إلى شيء مثلاً مع غفلة، أو سهو، عوقِب على ذلك، وسمّى ذلك خطيئة إذ الأنبياء معصومون من كل ذنب، وللحق تعالى أن يؤاخذهم على كل حركة وقعتْ على غير حضور مع الحق، وشهودٍ له. وإياك أن تظن أن داود عليه السلام نظر إلى امرأة أجنبية، ولو فجأة، فإن ذلك لم يقعْ منه لعصمته.

ومن الأولياء من ينظر إلى جميع ما خُلِق من التراب بعين التراب، فيراه في جميع تطوراته تراباً، وهو مشهد الشعراني رحمه الله تعالى، وما زاد على التراب فإنما هي خلع يخلعها الحق تعالى على عباده عارية مستردّة.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى من يسدُّ مجاري الشيطان من البدن، وعندها يصحُّ للعبد العمل به، حيث يُصان القلب من النظر إلى شيء من الدنيا؛ إلا أن يتلقّى الأوامر بالنظر إلى الدنيا، من الشارع ﷺ.

روى مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة، فأمرني أن أصرفَ بصري[1].

* * *

(١) مسلم (٣/١٦٩٩).

# كتاب: النهي عن الاختلاء بأجنبية

٢٨٤/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نختلي قطّ بأجنبية يُخاف منها الفتنة، ولو كنا من أصلح الصالحين.

وهذا العهدُ يخلُّ به كثير من الذين يدَّعون التَّصوف، فيأخذون العهد على المرأة، ويلقنونها الذكر، ثم يصيرون يدخلون عليها في غيبة زوجها، أو تدخل عليهم بغير محرم، وهذا من المنكر الصريح، ومن قال منهم: نحن بحمد الله محفوظون من مثل ذلك، فنقول له: لا يخلو حالك من أمرين: إما أن يكون قلبك ساذجاً لا حَذَر عندك من الوقوع في محظور، أو حاذقاً تدرك الأمور. فإن كنت ساذجاً عمل عليك إبليس الحيلة، كما عمل على أبيك آدم، حين حلف له إنه لمن الناصحين. وإن كنت حاذقاً تدرك الشيطنة، فأنت من حزب إبليس، فوقوعك في الفواحش من أقرب ما يكون.

فتحريم الشريعة عام في حق جميع الناس، ومن ادعى شيئاً يخرجه عن ذلك العموم كذَّبناه؛ فإن الله سبحانه وتعالى لا يحرِّم شيئاً على لسان نبيه ﷺ وَيُسِرُّ إلى أحد من أتباعه شيئاً يخالف شرع نبيه ﷺ أبداً، فاعلمْ ذلك، واحذرْ مما حذَّرك الله تعالى منه.

فإياك والخلوة بأجنبية، ثم إياك وإن دخلتْ عليك على غفلة فازجرها حتى تأتي بامرأة معها أو محرم.

روى البخاري ومسلم عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم

والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحَمْوَ؟ فقال: «الحَمْوُ الموت»[(١)].

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا يخلونّ رجل بامرأة إلا مع ذي محرم»[(٢)].

وروى الطبراني عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأةً لا تحل له»[(٣)].

فانظر يا أخي في هذه الأحاديث، وإطلاقه فيها لفظ المرأة والنساء؛ فإنه يشمل من يخاف منها الفتنة، ومن لا يخاف، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) بخاري (٧/٤٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) معجم الطبراني (٢٠/ ٢١٢).

# كتاب: النهي عن تعاطي أسباب ارتكاب الحلائل الذنوب

٢٨٥/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتعاطى أسباب ارتكاب حلائلنا الذنوب، كأن نقلِّل عنها النكاح حتى يطمح بصرها إلى غيرنا، أو نقتِّر عليها النفقة مع قدرتنا على توسعتها، أو نتزوَّج عليها، ونحو ذلك لغير غرض شرعي، أو بغير سياسة ترضيها، ونحو ذلك. فإن غاية النكاح أن يكون واجباً أو مستحباً. وإذا تعارض عندنا واجب ومحرَّم، قدَّمنا ترك المحرَّم، عملاً بقاعدة: «درء المفاسد مُقدَّم على جلب المصالح».

وهذا العهد يقع في خيانته كثير من الناس، فيتزوج أحدُهم على زوجته من غير حاجة ضرورية، أو يخالفها في أهويتها المباحة، حتى تتعاطى أسباب مخالفة أهويته كذلك، فيسخط عليها، ويقول لها: حرام عليكِ أن تُسخطي زوجك، وينسى ما فعله هو معها.

ويحتاج العاملُ بهذا العهد إلى نور قلب، وكثرة سياسة؛ فإن صورة أخلاق المرأة صورة نفس الرجل؛ لأنها مخلوقة منه، فعوجها من عوجه، واستقامتها من استقامته.

وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول: إني لأقعُ في مخالفة، فأعرف أثر ذلك في خُلُق زوجتي وخادمي.

وكأن الحق تعالى يقول لعيال العبد وأصحابه: أطيعوا عبدي

ما أطاعني، واعصوه ما عصاني. وهذه قاعدة أكثرية لا كلِّيّة، فربما كان العبد مستقيماً مع الله تعالى فيبتليه بمخالفة زوجته وغيرها؛ اختباراً له لينظر تعالى صبره.

فعلم أنه لا ينبغي للرجل المبادرة إلى إلحاق الإثم بالزوجة بسخطه عليها إلا إن سار معها سيرة حسنة، وفتّش أخلاقه معها كلها.

وورد في إسخاط المرأة زوجها ومخالفته؛ ما رواه البخاري في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا دعا الرجلُ امرأته إلى فراشه فأبتْ أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح».

وروى أيضاً عنه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع»[1].

وكذلك لا يحل لها أن تخرج من بيته إلا بإذنه.

روى أحمد عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه، قاتلكِ الله، فإنما هو عندك دخيلٌ، يوشك أن يفارقك إلينا»[2].

وروى أحمد عن معاوية بن حيدة قال: قلت: يا رسول الله! نساؤنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «حرثك ائت حرثك أنى شئت، غير ألا تضرب الوجه، ولا تُقبِّح، ولا تهجر إلا في البيت، وأطعم إذا طعمت، واكسُ إذا اكتسيت، كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض، إلا بما حل عليها»؟![3].

وعلى الزوج إذا عدَّد لضرورة شرعية: ألا يرجح إحداهما على الأخرى في نوم، أو نفقة، أو بشاشة، أو نحو ذلك؛ فإن الشارعَ ﷺ ما سامح إلا في

---

(١) بخاري (٧/ ٣٩).

(٢) مسند أحمد بشرح البنا (١٦/ ٢٢٩).

(٣) المصدر السابق.

ميل القلب فقط، وأما ما زاد على ذلك فلم يسامحنا فيه، إلا في حال غيبة الأخرى، فله أن يزيدَ في البشاشة لكل من اختلى معها على الأخرى مداواةً لها، وما نهى الشارع إلا عن ترجيح إحداهما بحضرة الأخرى لا غير. ويحتاجُ الزوج إلى سياسة عظيمة حتى لا تُلحِقَ إحدى الضَّرَّتين بترجيحه لضرَّتها إساءة، والله عليم حكيم.

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا كانت عند رجل امرأتان فلم يعدلْ بينهما، جاء يوم القيامة وشقه ساقط»[(١)].

وروى أبو داود عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل، ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»[(٢)] يعني: القلب.

* * *

(١) سنن الترمذي (٢/ ٣٠٤).
(٢) سنن أبي داود (٢/ ٢٤٢).

# كتاب: النهي عن ترك الكسب

٢٨٦/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نشتغل بشيء من العبادات، ونترك الكسب؛ بحيث نضيع عيالنا وأنفسنا، ونحتاج كلنا إلى سؤال الناس.

وهذا العهدُ يقع في خيانته كثير من طلبة العلم، فيحتاج من يريد العمل به إلى مرشد يرشده إلى معرفة مراتب العبادات، وما هو الأولى منها ليقدمه على غير الأولى؛ لأن عمر الإنسان أعزّ من الدنيا وما فيها، وهو قصير، فوجب أن يبدأ العبدُ بالأهم فالمهم ليكون الأعز، وتقديم الكسب واجب مقدَّم على الاشتغال بالعلم وغيره بأي طريق كان الكسب بعد أن يكون حلالاً طيباً، فإذا حصل الإنسان قوته اجتمع فكره.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: لا تشاورْ من ليس في بيته دقيق، أي: لأنه مشتَّت البال، فعلم أن حياة الأبدان مقدَّمة على حياة الأرواح، والقوت بالعلم؛ لأن حياة الروح فرع عن حياة الجسم، من حيث إنه محل لظهور أفعال التكليف، وإقامة شعائر الدين.

روى أبو داود والنسائي والحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيِّع من يقوت»[(١)] وعند الحاكم: «من يعول».

وروى ابن حبان في صحيحه عن الحسن عن نبي الله ﷺ قال: «إن الله سائلٌ كلَّ راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيَّع، حتى يسأل الرجلَ عن أهل بيته»[(٢)].

* * *

---

(١) الترغيب والترهيب (٣/ ٦٥).

(٢) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن تسمية الأولاد بأسماء غير شرعية

٢٨٧/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نسمي أولادنا بالأسماء التي نهى عنها رسول الله ﷺ، وأخبر أن الله تعالى يكرهها، وإن وقع أننا سمّينا أحداً بها غيّرناها اقتداءً برسول الله ﷺ.

وهذا العهد يخلُّ بالعمل به أكثر الناس. وما نهى الشارع عنه إلا لإثمٍ يترتب عليه. فمن أدبنا معه ﷺ أن نجتنب ما نهانا عنه، سواءٌ اطّلعنا على علته أم لم نطّلع؛ إذ هو معصوم من أن يغشَّ أمته.

روى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم»(١).

وروى أيضاً عن أبي وهب الجُشَمي قال: قال رسول الله ﷺ: «تسمّوا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمن، وأصدقها: حارثٌ، وهمّام، وأقبحها: حربٌ، ومرّة»(٢).

وكان رسول الله ﷺ يغيِّر الأسماء القبيحة، فقد روى أبو داود عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ غيّر اسم عاصية وقال: «أنت جميلة»(٣).

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٨٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

وكان رسول الله ﷺ يحبُّ التفاؤل، فهَمّ أن ينهى عن أسماء كـ يعلى، وبركة، وأفلح، ويسار، ونافع، ثم سكت عنها.

روى مسلم عن جابر قال: أراد النبي أن ينهى عن أن يُسمَّى بيعلى، وببركة، وبأفلح، وبيسار، وبنافع، وبنحو ذلك، ثم رأيته سكت بعدُ عنها، فلم يقلْ شيئاً ثم قبضَ رسول الله ﷺ ولم ينه عن ذلك. ثم أراد عمر أن ينهى عن ذلك ثم تركه[1].

وروى أيضاً عن زينب بنت أم سلمة قالت: كان اسمي (برَّة) فسماني رسول الله ﷺ زينب[2].

وقد جاء في رواية أبي داود عنها رضي الله عنها موضّحة العلة في النهي حين سميت برَّة، قال النبي ﷺ: «لا تزكّوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم»[3].

وينبغي التحفُّظ من التسمِّي بأسماء الله تعالى، إلا ما أطلقه الشارع على المخلوقين مثل لفظ: مؤمن، ورشيد، ومتكبر، وعليم، وعدل، وعلي، وكريم، وولي، وجامع، ووارث، ونحو ذلك.

* * *

---

(١) مسلم (٣/١٦٨٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) سنن أبي داود (٤/٢٨٨).

# كتاب: النهي عن إنكار النسب

٢٨٨/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا ننكر انتسابنا إلى أبينا، أو أمِّنا؛ إذا رفع الله قدرنا في الدنيا ولو كان من أراذل الناس. أو ننفي كون أمنا أماً لنا، أو كون أبينا أباً لنا، ونسكت عن انتسابنا إلى غيرهما، ونحو ذلك.

وهذا العهد يخلُّ بالعمل به كثير ممن يريد أن يترأس بين الناس؛ الذين لا يعرفون أصله.

روى مسلم عن سعد وأبي بكرة: سمعا النبي ﷺ يقول: «من ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام»[1].

* * *

---

(١) مسلم (١/ ٨٠).

# كتاب: النهي عن خروج المرأة متعطرة

٢٨٩/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نمكّن زوجتنا من خروجها للطريق متعطِّرة متزيِّنة بما يميل النفوس الغويَّة إليها؛ حفظاً لدينها ودين من تمرُّ عليه.

وهذا العهدُ يقع في خيانته كثير من نساء العلماء والصالحين، فضلاً عن غيرهم، فيغلبُ عليهم حُكمْ الطبع النفسي، ويستحيون من عيالهم أن يمنعوهن من ذلك.

ومعلوم أن الحياء الشرعي لا يكون إلا في ترك المذمومات، وأما ترك المأمورات فإنما ذلك قلَّة دين. وإذا كان الشارعُ قد نهى أن يخرجن النساء متزينات إلى المساجد؛ فلأن ينهين عن التزيُّن لخروجهن عموماً بالأولى.

روى أبو داود عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن وهنَّ تفلاتٌ»(١).

والمرأة إذا عزمت الخروج إلى المسجد اليوم تعصفُ منها رائحة الطيب، هو عينه الذي أحدثته نساء بني إسرائيل فمنعن.

روى أبو داود عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المسجد، كما مُنِعه نساء بني إسرائيل. قال يحيى

---

(١) سنن أبي داود (١/ ١٥٥).

الراوي لراوية عائشة عمرة: أمنعه نساء بني إسرائيل؟ قالت: نعم[١].

روى أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «كل عين زانية» والمرأة إذا استعطرت فمرَّت بالمجلس كذا وكذا» يعني زانية[٢].

* * *

(١) المصدر السابق.

(٢) الترغيب والترهيب (٣/ ٨٤).

# كتاب: النهي عن إفشاء السر

٢٩٠/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نفشي سراً لصاحب، ولا لزوجة، ولا لأحد من المسلمين إلا لعذر شرعي.

واعلم يا أخي أنه لا يشترط في كونه سرّاً أن يوصينا صاحبنا على عدم إفشائه، بل يكون سراً بالقرائن، كما إذا كان يحدثنا ويلتفتُ يميناً وشمالاً، فنعلم بالقرائن أنه يريد منا الكتمان.

وهذا العهد قد كثرت خيانته من غالب الناس، حتى صار لا يسلم من خيانته إلا القليل، وذلك لكثرة انحلال القلوب، وعدم ارتباطها ببعضها، فمن أفشى سرَّه، وطلب من الناس كتمانه فهو أحمق.

وقد أنشد الشافعي رضي الله عنه:

إذا المرء أفضى سرَّه بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن سرِّ نفسه ... فصدر الذي أودعته السر أضيق

فانظر من تودعه سرَّك، فإن رأيته ينقل عن الناس ما يسمعه منهم، فاعلم أنه لا يكتم لك سراً. ومن كتم سرَّه كانت الخيرة في يده، ومن نمَّ لك نمَّ عليك، ومن نقل إليك نقل عنك، فاكتم يا أخي سرَّك، والله يتولى هداك.

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من أشر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرَّها»[1].

---

(١) مسلم (٢/ ١٠٦٠).

وروى أيضاً عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها» أي: إن من أعظم خيانة الأمانة، والرجل: أي خيانة الرجل.

وروى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هل منكم من إذا أتى أهله أغلق بابه، وأرخى ستره، ثم يخرج فيتحدث فيقول: فعلت بأهلي كذا، وفعلت بأهلي كذا؟» فسكتوا. فأقبل على النساء فقال: «هل منكن من تُحَدِّث؟» فجثت (جلست) فتاةٌ كَعَاب (التي نتأ ثديها) على إحدى ركبتيها، وتطاولت ليراها رسول الله ﷺ، ويسمع كلامها، فقالت: إي والله! إنهم ليحدِّثون وإنهن ليحدِّثن. فقال: «هل تدرون ما مَثَل من فعل ذلك؟! إن مثل من فعل ذلك مَثَلُ شيطان وشيطانة، لقي أحدهما صاحبه بالسكة، قضى حاجته منها، والناس ينظرون إليه» ثم قال: «ألا لا يفضينَّ رجل إلى رجل، ولا امرأة إلى امرأة إلا إلى ولد أو والد... الحديث»[(١)].

ومعنى ألا ليفضين: نوم الرجل مع الرجل في لحاف واحد، ليس بينهما حائل يمنع مباشرة جسد أحدهما بالآخر، وكذلك المرأة مع المرأة؛ لما في ذلك من المفاسد.

وروى أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «السباع حرام» وهو الفخارُ بكثرة الجماع[(٢)].

* * *

---

(١) مسند أحمد بشرح البنا (١٦/ ٢٢٢).
(٢) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن لبس الثياب بمقاصد غير شرعية

٢٩١/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نلبس الثياب عجباً، وزهواً، واختيالاً، وننوي بلبسنا ستر عوراتنا، وإظهار نعم الله تعالى علينا، ويتعيَّن لذلك فعل السنَّة، والوقوف عندها على كل من علم من نفسه أن الناس يقتدون به ببادي الرأي، ولا يسألونه هل ذلك سُنَّة أم لا؟ وكذلك القول في كل فعل وقول. أما من لا يقتدى به فالأمر في حقّه أخفّ.

ثم من الأدب في هذا الزمان للعبد ألا يأكل طعاماً إلا ويستغفر الله منه، ولا يلبس شيئاً إلا ويستغفر الله منه؛ لغلبة الشبهات والحرام، وقلَّة من يتورَّع من الناس.

ثم ينبغي للمرء أن يلبس لباساً وسطاً بين الوضيع وبين الرفيع، فلبس الرفيع يبعث على الزهو والخيلاء، ولبس الوضيع يجلب حديث الناس على لابسه، وخير الأمور أوساطها. وإذا اختلفت أزياء الناس في هذا الزمان فالمنهي عنه موجود في سائر الأزياء، «والله تعالى لا ينظر إلى من جر ثوبه خيلاء»[(١)]. أي: لا ينظر إليه بعين الرحمة؛ لأنه تكبر على عباد الله بمظهره، وكان ذا كبر في نفسه.

كما إن الله تعالى لا ينظر إلى المعجب بنفسه، ولو لم يجر ثوبه.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينما رجلٌ

---

(١) مسلم (٣/ ١٦٥٣).

يمشي قد أعجبته جُمّته وبرداه؛ إذ خسف به الأرض، فهو يتجلجلُ في الأرض حتى تقوم الساعة»[١].

٢٩٢/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نكسو عيالنا من الثياب التي تصف البشرة، ولا نقرّها أن تشتري لنفسها ذلك؛ مبالغة في سترها عن عيون الأجانب؛ الذين يدخلون الدار من الرجال الأجانب، والنساء، والأجانب غير المحارم، والنساء لا ينبغي أن يرين من المرأة إلا ما يرى الرجل من الرجل. فربما نظر الأجانب إلى جسمها من تحت الثياب الرقيقة، كما تنظره من وراء الزجاج الصافي، وما أمرنا الله تعالى إلا بما لا ترى البشرة من تحته. نعم إذا لبست الرقاق لزوجها فقط جاز.

فينبغي للزوج إذا رأى زوجته تحبُّ لبس ذلك أن يمدَّ لها بساطاً في فضل ستر المرأة بدنها من العيون، لا سيما العورة، ويبين لها أنه لا ينبغي لها النظر إلى عورة نفسها، ولو في خلوةٍ إلا لحاجة، لكن غالب النساء يجهل ما ذكرنا، ثم بعد ذلك يأمرها بعدم لبس الرقيق، ولعلها لا تخالف زوجها.

روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها: أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ، وقال: «يا أسماء! إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا» وأشار إلى وجهه وكفّيه[٢]. قلت:الاستشهاد هنا بالحديث في معرض النهي عن لبس الرقاق فقط.

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات، عاريات، مميلات، مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٦٢).

(٣) مسلم (٤/ ٢١٩٢).

٣/٢٩٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نقرَّ أحداً من المتهورين في دينهم على لبس الحرير، والجلوس عليه، ولا على التحلّي بالذهب. ويحتاج من يزيل منكرات مثل هؤلاء إلى سياسة تامة، وزهد تامٍّ، وعفّةٍ عما بأيديهم من سحت الدنيا. وأما من لا سياسة عنده، ولا زهد، ولا عفة، فلو نهاهم، وأنكر عليهم لا يصغون إلى إنكاره، بل يزدرونه، ويضحكون عليه.

وهذا العهد قد كثرت خيانته من غالب الناس، فيسكتون عن الإنكار على لبس الظلمة الحرير، أو ينكرون عليهم مع طمعهم فيما بأيديهم، وقبولهم هداياهم، وترددُّهم إليهم لأجل ذلك، أو ينكرون عليهم بلا سياسة، فينبغي أن يقوم الواعظ بالاختبار، ثم يأمر بالسياسة، والرفق، واللين.

روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنما يلبس الحرير من لا خلاق له»[١].

وروى مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[٢].

وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه، فطرحه، وقال: «يعمدُ أحدُكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده»[٣]. . . الحديث.

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: أنه نهى عن خاتم الذهب.

* * *

---

(١) مسلم (٣/ ١٦٤١).
(٢) مسلم (٣/ ١٦٤٦).
(٣) مسلم (٣/ ١٦٥٥).

# كتاب: النهي عن التشبه بالنساء

٢٩٤/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نقرَّ أحداً من أهل السخرية يتشبَّه بالنساء، ولا نحضر لهم مجلساً، إلا إذا كان يسمع الموعظة والنصح، ويترك ذلك؛ لأن أمثال أولئك لا ينضبطون على الأمور المباحة، وإنما يتعدّون الحدود لأجل إضحاك الناس، ومن ذلك إلباس النساء لباس الرجال في الأفراح فهو حرام، لا يفعله، ولا يقرّه مَن له مروءة أهل الإيمان.

روى أبو داود عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ لعن المخنَّثين من الرجال، والمترجِّلات من النساء، وقال: «أخرجوهم من بيوتكم، وأخرجوا فلاناً وفلاناً»[1] يعني: المخنثين.

* * *

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٨٣).

# كتاب: النهي عن الزينة المحرمة

١/٢٩٥ ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نقرَّ أحداً من النساء على وصل شعرها، أو وشم بدنها، أو تحفيف وجهها، يعني: أخذ شعره، أو تقويم أسنانها، وتثقيب أذنها وأنفها، ويتعين على الرجال تبليغ النساء، وإلا فمن يعلِّم المرأة أمر دينها؟!.

وقد كثرت خيانةُ هذا العهد من طلاب العلم وغيرهم، فينظر أحدهم زوجته وهي تصبح وتمسي وهي جنب، فلا يأمرها ولا ينهاها، وينظرها تترك الصلاة، أو تتساهل فيها فلا ينهاها، وينظرها تأخذ شعر خدودها فلا ينهاها، وربما كانت قابلة للتعليم والتفقه في دينها فلا يتعب خاطره فيها.

فعلى الزوج أن يبلِّغ العلم لزوجه، فإن لم يفعل سأله الله تعالى عن ترك ذلك يوم القيامة، قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». فوصل الشعر بالشعر حرام، وقد منع رسول الله ﷺ ذلك.

روى مسلم عن أسماء بنت أبي بكر قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إنَّ لي ابنةً عُرَيِّساً، أصابتها حصبةٌ، فتمرَّق شعرها (تساقط) أفأصله. فقال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة»[١].

وفي رواية لها رضي الله عنها: أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: إني زوَّجت ابنتي، فتمرَّق شعر رأسها، وزوجها يستحسنها، أفأصل يا رسول الله؟ فنهاها[٢].

---

(١) مسلم (٣/١٦٧٦).

(٢) المصدر السابق.

وروى مسلم عن عائشة أن امرأة من الأنصار زوَّجت ابنةً لها، فاشتكت فتساقط شعرها، فأتت النبي ﷺ فقالت: إن زوجها يريدها، أفأصل شعرها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لُعن الواصلات»[1].

وروى البخاري عن أسماء أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني أنكحت ابنتي، ثم أصابها شكوى، فتمزَّق رأسها، وزوجها يستحثني بها، أفأصل رأسها، فسبَّ رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة[2].

قلت: فإذا كان رسول الله ﷺ نهى عن استعمال شعر الآدمي من قبل آدمي آخر لضرورة، وهي تزين المرأة، ولعن الواصلة والمستوصلة، وحرَّم فعلٍ ذلك ضرورة حياة الآدمي الآخر، وزينة المرأة في شعرها، ويتوقف رضا الخاطب عن خطيبته، والزوج عن زوجته على هذه الزينة أفلا يكون استعمال جزء آخر من أجزاء بني آدم، وعضو من أعضائه الداخلية مع احتياج صاحب الجسم إليه حراماً بالأولى؟.

إن نقل الأعضاء من جسم إلى جسم آخر أعظم من استعمال شعر ذكر أو أنثى من قبل آخر، فتأمَّل؟! وكذلك تفليج الأسنان، فقد لعن رسول الله ﷺ المتفلجات للحسن، والفلج: انفراج ما بين الأسنان، وبخاصة الثنيتين، والتفلّج: أن يفرِّج بين المتلاصقين بالمبرد ونحوه. كانت تصنعه المرأة التي تكون أسنانها متلاصقة لتصير متفلّجة، وقد كانت تفعله الكبيرة توهم أنها صغيرة وقد ورد النهي عن ذلك لما فيه من تغيير الخلقة الأصلية. وتقويم الأسنان اليوم فيه تغيير للخلقة الأصلية، فهل يدخل تحت المتفلجات في الحسن؟ تأمَّل؟!.

* * *

---

(١) المصدر السابق.

(٢) فتح الباري (١٠/٣٠٩).

# كتاب: النهي عن ترك آداب الطعام والشراب

١/٢٩٦ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك التسمية على الطعام والشراب، ولا ندع أطفالنا يتركون ذلك، بل نتعاهدهم كل يوم بقولنا للطفل إذا جلس للأكل: قل بسم الله الرحمن الرحيم؛ حتى يصير ذلك عادة له لا ينساها. وفي القرآن العظيم ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ٦/ ١٢١] والعبرة بعموم اللفظ عند المحققين لا بخصوص السبب، فمن تهاون بتركها جرَّه ذلك إلى كثرة انتهاك محارم الله تعالى.

روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أكل أحدُكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوَّله، فليقل: بسم الله أوله وآخره»(١).

وروى أيضاً عن أمية بن مخشي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ جالساً ورجل يأكل فلم يسمِّ، حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلى فيه قال: بسم الله أوله وآخره، فضحك النبي ﷺ، ثم قال: «ما زال الشيطانُ يأكل معه، فلما ذكر اسم الله عز وجل استقاء ما في بطنه»(٢).

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٣٤٧).

(٢) المصدر السابق.

وروى مسلم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يستحلُّ الطعام ألا يذكر اسم الله عليه»[1].

٢٩٧/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نقرَّ أهلنا وغيرهم على استعمال الفضة أو الذهب، سواءٌ كان ملعقة أو ظرف فنجان، أو صحناً، أو شوكة، أو مكحلة فضة، أو مرود مكحلة فضة، أو دلّة قهوة ذهباً، أو قلماً ذهباً، أو فضة للكتابة، أو ساعة ذهب، أو فضة؛ لعموم الأحاديث الواردة في ذلك؛ لأن الآنية هي كل ما نَقَل شيئاً من محلٍّ إلى محلٍّ.

وهذا العهد يخلُّ بترك العمل به خلق كثير فيرون نساءهم، وهم يستعملون ما ذكر، ولا ينهونهم عن ذلك؛ كل ذلك لعدم غيرتهم على الشريعة المطهرة. وعلى المسلم أن يعتني بما اعتنى به الشارع ﷺ، ولا يتهاون به، والله أعلم.

روى مسلم عن أم سلمة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنّم»[2].

٢٩٨/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نهمل أولادنا الصغار بتقريرهم على الأكل والشرب باليد الشمال مثلاً، أو بتقريرهم على النفخ في الإناء، ونحو ذلك مما ورد في آداب الأكل والشرب.

وهذا العهد يخلُّ به غالبُ الناس، فلا يلتفتون إلى أولادهم بتعليمهم الآداب الشرعية حتى يبلغوا الحلم وهم على ذلك، كل ذلك لعدم غيرتهم على الشريعة المطهرة، فلا يزال الناس ينقصون من العمل بآدابها، حتى تصير مجهولة؛ لعدم مشاهدة من يعمل بها.

روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا يأكلنَّ أحدٌ منكم

---

(١) مسلم (٣/ ١٥٩٧).
(٢) مسلم (٣/ ١٦٣٤).

بشماله، ولا يشربنَّ بها؛ فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بها»[١].

٢٩٩/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نمنع أصحابنا وأولادنا وعيالنا من الشِّبع، ومن التوسُّع في المآكل والمشارب تشرُّهاً وبطراً.

وهذا العهد قد أخلَّ بالعمل به غالبُ الناس، وهذا دليلٌ على قلَّة الورع في الكسب؛ لأن الإنسان لو تورَّع التورُّع المشروع لم يجد شيئاً يشبع منه، ولا وسَّع به على نفسه فضلاً أن يوسِّع على غيره، وفي الشبع من الحلال مفاسد كثيرة، فكيف الشبع من الشبهات والحرام؟! أقلَّ ما فيها أن الإنسان إذا أكل وشبع جاعت جوارحه، فلا تشبع إلا إن وقعتْ في المعاصي المشاكلة لذلك الأكل في الحل والحرمة، خفةً وثقلاً. فإذا كان الأكلُ حراماً نشأ منه أعمال حرام، وإذا كان خلاف الأولى نشأ منه ارتكاب خلاف الأولى. ومن قال إن الأعمال تنشأ على غير مشاكلة الأكل فليس عنده تحقيق، قال الخوّاص رحمه الله تعالى:

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: أطبْ مطعمك، ولا عليك ألا تصوم النهار، ولا تقوم الليل.

فالأكل من الشبهات مؤثر في الأعمال. ومن مفاسد الأكل الكثير أيضاً: ثقل الأعضاء عن القيام بالطاعات في الليل والنهار.

روى مسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «الكافر يأكلُ في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معى واحد»[٢].

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «طعامُ الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة»[٣].

---

(١) مسلم (٣/ ١٥٩٩).
(٢) مسلم (٣/ ١٦٣٠).
(٣) المصدر السابق.

٥/٣٠٠ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتخلَّف عن الإجابة إلى الولائم إلا بعذر شرعي، ومتى تخلَّفنا ترفُّهاً، وضخامةً، واحتقاراً للداعي فقد عصينا رسول الله ﷺ.

وهذا العهد يخلُّ بخيانته وتركه كثيرٌ من الذين يضخِّمون نفوسهم بغير حق، فتراهم لا يحضرون الولائم إلا إذا كانت على مستوىً رفيع، وما دروا أن إدخال السرور على أهل الدعوة إدخال للسرور على رسول الله ﷺ، وفي إجابتهم للدعوة إقامة سُنَّة النبي ﷺ.

ومع أنَّ شر الطعام الوليمَة لكون الأغنياء يحضرونها، ويُقْصَى عنها الفقراء؛ إلا أن إجابة الدعوة واجبة، ومن لم يجب الدعوة، فقد عصى الله ورسوله.

روى البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: شرُّ الطعام طعام الوليمة، يُدْعَى لها الأغنياء، ويُترك المساكين، ومن لم يأتِ الدعوة فقد عصى الله ورسوله[١].

وروى أبو داود عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا أحدكم أخاه فليجب، عرساً كان، أو نحوه»[٢].

* * *

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٣٤٠).
(٢) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن تعاطي ما يؤذي الملائكة

٣٠١/ ١ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتعاطى شيئاً يؤذي الملائكة الكرام الكاتبين، ويقرِّب منّا الشيطان.

وهذا العهدُ لا يقوم به إلا مَن نوَّر الله تعالى قلبه، ولطَّف حجابه حتى يصير مؤمناً بحضور الملائكة وإن لم يرهم.

فقد كان ثابت البناني ـ رحمه الله تعالى ـ يتحادث كثيراً مع الملكين الكاتبين من غير أن يراهما، ويُسلِّم عليهما صباحاً ومساءً، فيقول لملائكة النهار أو ملائكة الليل إذا نزلوا: السلام على الملكين الكريمين الكاتبين الحافظين، اكتبا بسم الله الرحمن الرحيم، قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن الجنة، حق، وأن النار حق، وأن الصراط حق، وأن الميزان حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. اللهم إني وهذا اليوم، أو هذه الليلة خلْقان من خلقك، فلا تبتلني فيه، أو فيها، إلا بالتي هي أحسن، ولا تزيِّن لي فيه، أو فيها، جراءة على محارمك ولا ارتكاباً لمعصيتك، ولا استخفافاً بحق ما افترضته عليَّ. اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شرّ كل دابة أنت آخذٌ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم. اللهم إني أعوذُ بك في هذا اليوم من الزيغ والزلل، ومن البلاء والبلوى، ومن شر شماتة الأعداء، ومن الظلم، ومن دعوة المظلوم، ومن شرّ كتاب قد سبق. اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همي، ولا مبلغ

علمي، ولا مصيبتي في ديني، ولا تسلِّط عليَّ بذنوبي من لا يرحمني، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

والملائكة تتأذى بما يتأذى به بنو آدم، ومما يتأذى منه بنو آدم: رؤيتهم العورات، وشمّهم القاذورات، فلا ينبغي لمؤمن أن يكشف عورته خالياً، حياء من الله، ومن الملائكة.

وكان الإمام البخاري يُقلِّل أكله حتى انتهى إلى الاكتفاء في اليوم بتمرة، أو لوزة، فقيل له في ذلك، فقال: حياءً من الملكين حتى لا يكثر تردُّدي إلى الخلاء، ويشمون من أجلي الرائحة الكريهة!.

وإذا نام الرجل ولم يغسل يديه وفمه، فإنه يقرِّب من نفسه الشيطان، ويُبْعد الملائكة الكرام.

روى الترمذي، وحسَّنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من بات وفي يده غَمْرٌ، فأصابه شيء، فلا يلومنَّ إلا نفسه»[1] الغمر: زهومة الطعام.

وروى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان حسَّاسٌ لحَّاس، فاحذروه على أنفسكم، من بات وفي يده ريح غمر، فأصابه شيء، فلا يلومنَّ إلا نفسه»[2].

* * *

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ١٩١).
(٢) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن اللعن

٣٠٢/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: الا نلعن الراشي، والمرتشي، والساعي بينهما، إلا إن كان مختاراً، وقبل الرشوة لنفسه، فإن أُكْرِه على أخذها لغيره، فلا ينبغي لنا لعنه، كما أننا إذا لعنَّاه لا نلعنه إلا بحكم العموم دون الخصوص لجهلنا بعاقبة أمره، فقد يتوب الله عليه قبل موته.

وحقيقة الرشوة ما يأخذه القاضي ليحكم بحق، أو يمتنع من ظلم. وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٥/ ٤٤] المراد به كفر دون الكفر الذي يخرج به الشخص من دين الإسلام.

ويحتاج من يريد ينكر على قاضٍ للتأكد من كونه مختاراً في أخذ الرشوة لغيره أو لنفسه، وذلك بكثرة مخالطته، فلا تكفي الإشاعة بأخذ الرشوة لكثرة تساهل الناس في هذا الزمان في ذمِّهم القضاة من غير أن يشاهدوا منهم أخذ الرشوة، أو حكمهم بغير الحق. وربما أشاع الناس عن قاضٍ أنه يأخذ الرشوة، قياساً على من رأوه أخذها.

ففتشْ يا أخي! على من يأخذ الرشوة مختاراً، ثم العنه بلعنة الله، ولعنة رسول الله ﷺ، وصُنْ لسانك عن التجريح في القضاة إلا بطريق شرعي تقدر على إثباته، وإن اضطررت إلى تزكية قاضٍ فزكِّه، ووَرِّ في ألفاظ التزكية حسب طاقتك، كما يفعله علماؤنا الآن، والله يتولى هداك.

روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال: لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي[١].

* * *

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٣٠٠).

# كتاب: النهي عن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١/٣٠٣ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك الإنكار على من رأيناه ظلم أخاه المسلم، وكنا قادرين على الإنكار عليه بلساننا، فننكر عليه، وننصر المظلوم.

ويحتاج العاملُ بهذا العهد إلى سياسة تامّة، وإلا نسبه الناس إلى غرض مع ذلك المظلوم، فيصير خصماً للظالم، ويخرج عن كونه ميزان عدالةٍ بين الخصمين، فيحتاج الأمرإلى شخص ثالث يصلح بين الظالم والمظلوم.

ثم إذا رأى نفسَ الظالم ثائرةً، فليصبر عليه حتى تخمد نارها، وذلك ليصغي إلى وعظه له؛ فإن العبد إذا غضب ركبته نفسه هي وزوجها أبو مرّة، فيصيران راكبين عليه، فلا يتكلم فيه إلا شيطان.

ومن علامة ركوب الشيطان للخصم: أنك تراه يتكلم بالكلام القبيح الذي ليس من عادته النطق به، فإذا رأيت ذلك منه، فاصبرْ على جوابه حتى ينزل الشيطان من على ظهره، فإن أجبته قبل ذلك ضحك عليك الشيطان حين تظنُّ أن الذي يكلمك هو أخوك.

ويجب على من يصلح بين الناس إذا رأى نفس المظلوم ثابَتْ، ونفس الظالم خمدت، أن يتربص ساعة حتى تخمد نار نفسه، فربما لا يرضيه من الظالم أكثر من حقه. ومن سلك هذا المسلك مع الخصمين وطاوعاه استغنيا عن المحاكم.

واعلم أن من أقبح الصفات فيمن ينتسب إلى الدين خصامهم بين الناس، وتمزيقهم أعراض بعضهم بعضاً، وإن ادَّعوا أنهم تحت تربية مربٍّ كذبوا، والمربي منهم براء إلا أن يتوبوا، وأقبح من كل قبيح: خصام الظالم أو المظلوم لأستاذه إذا لم يطاوعه على غرضه الفاسد.

روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي! إني حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرَّماً، فلا تظالموا. .»[1] الحديث.

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة»[2].

٣٠٤/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا ندخل على ظالم إلا لضرورة شرعية، بشرط أن نعلم من نفوسنا عدم تصديقه، وعدم معاونته على باطل.

وهذا العهد يقعُ في خيانته كثير من الناس؛ الذين يدنون من الظلمة، ويقدِّمون لهم الهدايا، ويأكلون من طعامهم، فتراهم يخوضون مع الظالم، ويُصدِّقونه على مقالاته على أولئك المظلومين، فمن أراد السلامة من تصديقهم، أو من سكوته على ذلك، ومن معاونتهم، فليستعفف عن قبول دعواتهم، والأكل من طعامهم، والدخول عليهم، وإلا فمن لازمه: معاونتهم، وتصديقهم.

فإن وجدتَ نفسَك أهلاً للشفاعة عند الظلمة، وأنه لا يلحقك إثم بدخولك فادخل، واشفع، وإلا فَتُبْ عن الدخول، والله يتولَّى هُداك.

روى الإمام أحمد عن بريدة الأسلمي: أن نبي الله ﷺ قال: «لا تقولوا

---

(١) مسلم (٤/ ١٩٩٥).

(٢) المصدر السابق.

للمنافق يا سيدنا، فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل»[١].

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن»[٢].

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون بعدي. فمن غشي أبوابهم فصدَّقهم في كذبهم، وأعانهم على ظُلْمهم فليس مني، ولست منه، ولا يرد عليَّ الحوض، ومن غشي أبوابهم، أو لم يَغْشَ، فلم يصدقهم في كذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني، وأنا منه، وسيرد عليَّ الحوض... » الحديث[٣].

وروى أيضاً، وقال: حديث صحيح، عن كعب بن عجرة قال: قال النبي ﷺ: «اسمعوا هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراء، فمن دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بواردٍ عليَّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم، ولم يعنهم على ظلمهم، ولم يصدّقهم بكذبهم، فهو مني وأنا منه، وهو واردٌ عليّ الحوض»[٤].

٣/٣٠٥ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نبادر لمساعدة خَصْم على خصمه، وإعانته، إلا بعد تصبُّر وتمهُّل في ذلك، فربما يكون ظالماً، وهو يصيحُ أنه مظلوم.

وقد رأى الشعراني بعينه امرأة قبضتْ على خصيتي زوجها، وسحبته إلى الأرض، فصار فوقها وهي تحته، وهي تصيح وتقول: يا مسلمين ارفعوه

---

(١) مسند أحمد (٥/٣٤٦).

(٢) سنن الترمذي (٣/٣٥٨).

(٣) الترغيب والترهيب (٣/١٩١).

(٤) سنن الترمذي (٣/٣٥٨).

عني قتلني، فصار الناسُ يضربونه بالعصيِّ على ظهره، ومقعدته حتى أثخنوه، وهو يقول لهم: قولوا لها تطلقني، وهم لا يدرون بالحكاية، فما عرفوا الحكاية حتى كادوا يهلكوه، وهم يظنون أنهم في قربة إلى الله تعالى بنصرتهم المظلوم على الظالم.

وكذلك لا نبادر قط للشفاعة في إنسان ادَّعى أنه مظلوم حتى نفحص حكايته، فربما يكون وقع في حدٍّ من حدود الله عز وجل، فنقع في نهي الشارع عن الشفاعة في الحدود.

ويحتاج من يريد العملَ بهذا العهد إلى فراسة تامة، وإلا وقع في النهي وهو لا يشعر، كما يقع في ذلك السُّذَّج من الأفاضل والأماثل.

روى أبو داود عن عبد الله بن عمر، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من حالتْ شفاعتُه دون حَدٍّ من حدود الله، فقد ضادَّ الله، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزلْ في سخط الله حتى ينزع عنه، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرجَ مما قال»[(١)].

وروى أيضاً عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «ومن أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله عز وجل»[(٢)].

٣٠٦/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نرضي الحكام وغيرهم بما نعرف أنه يخالف شرع الله، ونحذر إخواننا المتردِّدين إليهم من ذلك أشدّ التحذير.

وهذا العهدُ لا يعمل به إلا من زهد فيما بأيديهم، وأما الراغب فيما عندهم، فبعيدٌ منه أن يقع منه ما يغيظهم عليه، وكيف يقدر شخص أن يخالفَ من ينعم عليه بالمأكل والملبس، هذا يكاد يكون خروجاً عن الطبع.

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٣٠٥).
(٢) المصدر السابق.

فالحاكم مشهود والله خير مشهود، والغالب على من لا يشهد بالعين أو بالقلب عدم مراعاة مرضاته، ومن هنا حرَّم الله أكل مال اليتيم تحريماً مغلَّظاً؛ لكون اليتيم لا والي له إلا الله تعالى، وماله والدٌ يراعى لأجله، والله تعالى غير مشهود؛ فلذلك أكل غالب الناس مال اليتيم بغير حق.

فأقصر عن الدخول على الحكام ما دمت محباً للمنازل والمراتب عندهم، فإن من لازمك والحال هذه أن ترضيهم بما يسخط الله تعالى.

روى الطبراني بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه، وأسخط عليه من أرضاه في سخطه، ومن أرضى الله في سخط الناس، رضي الله عنه، وأرضى عنه من أسخط في رضاه حتى يزيِّنه، ويزيِّن قوله وعمله في عينه»[(١)].

وروى الحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أرضى سلطاناً بما يسخط ربَّه خرج من دِيْن الله»[(٢)].

٣٠٧/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نؤذي أحداً من خلق الله تعالى بضرب، أو هجر، أو كلام، أو نحو ذلك إلا بأمر شرعي. وقد عدُّوا الإضرار بالناس من الأمور التي تُقارِب الكفر، وأنشدوا في ذلك:

كنْ كيف شئتَ فإن اللهَ ذو كرم ... وما عليك إذا أذنبتَ من باس
إلا اثنتين فلا تقربهما أبداً ... الشرك بالله والإضرار بالناس

وإيضاح ذلك: أن حقوق الآدميين مبنيَّة على المشاحة من أصحابها إذا نوقشوا الحساب يوم القيامة، ولا يخرج عن حكم هذه المناقشة إلا أفراد

---

(١) معجم الطبراني (١١/ ٢١٤).
(٢) الترغيب والترهيب (٣/ ٢٠٠).

الناس، والجمّ الغفير كلهم يُناقَشُون، ويحصي الله تعالى عليهم مثاقيلَ الذَّرِّ لعدم مناقشتهم نفوسهم في دار الدنيا، وتركها هَمَلاً كالبهائم السارحة؛ بخلاف الأفراد الذين ناقشوا نفوسهم في حقوق الله تعالى، وحقوق عباده، لا يناقَشون في الآخرة؛ لأنهم قَضوا ما عليهم في الدنيا. وإن وقعت مناقشة فإنما هي في أمور يسيرة خفيتْ عليهم ففرَّطوا فيها، والله أعلم.

واعلم أن من أشد الناس مناقشة ومشاححة لخصمه يوم القيامة: العلماء الذين لا يعملون بعلمهم، فإياك أن تؤذي أحداً منهم، فإنك لا تقدر على أن ترضيه في الدار الآخرة أبداً؛ لكثرة إفلاسه وفقره من الأعمال الصالحة؛ فإن المسامحة معدودة من صدقات العبد، والصدقة لا تكون إلا على ظهر غنى، ومن كان فقيراً شحَّ ضرورة، ولو أنه أعطى أحداً شيئاً تبعته نفسه قهراً عليه.

فإياك وغيبة كل فاسق في دار الدنيا إلا بشرطه بل قال بعضهم في معنى: «لا غيبة في فاسق» أي: احفظوا لسانكم في حقه، ولا تغتابوه، فجعل لفظة (لا) ناهية.

فإياك يا أخي! أن تستغيب فاسقاً، أن تؤذيه، أو تشقّ عليه، أو تستعمل أجيرك، أو خادمك في أمر يعجزان عنه، وقد نصحتك.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: ووالله! إني لأعرفُ من بعض الحساد الذين تمكَّن فيهم البغضاء والحسد، أنه لو عرض عليه بعضُ أعدائه يوم القيامة جميعَ أعماله الصالحة ليأخذوا ثوابها في نظير غيبةٍ واحدة فيه ما رضي بها. فكيف حال من لا تحصى غيبته في الناس؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

روى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إخوانكم خَوَلكم (خدمكم) جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت

يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[1].

وروى الطبراني عن أم سلمة قالت: دعا النبي ﷺ وصيفة له، فأبطأت عليه، فقال: «لولا مخافةُ القود يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك»[2].

٦/٣٠٨ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مداهنةً للناس، وطلباً لمرضاتهم الفاسدة؛ فإن أمر الله تعالى وأمر رسول الله ﷺ أحق بالمراعاة والتقديم.

وهذا العهد لا يقوم به إلا من تربَّى على يد مربٍّ أوصله إلى حضرة الإحسان، فشاهد أفعال الله تعالى، وتصاريفه، وتيقَّن أن ليس بيد مخلوق ضر ولا نفع إلا إن شاء الله تعالى.

ومعلوم أن من راعى أمر الله تعالى، وقدَّمه على أمر عباده، لا بد أن ينصره الله تعالى على ذلك الظالم الذي يخالف المعروف، ويفعل المنكر، قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٢٢/ ٤٠].

وقد مضى الأئمة والعلماء القوَّامون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأظلمت الدنيا لفقدهم وكانت أنفاسهم تحميهم من الظلمة حين كان الدين في زيادة، فلما أخذ الدين في النقص ضعفت قلوبُ العلماء، وعجزت عن إزالة المنكرات لكثرتها، وقلَّة من يساعد عليها، ولو أن العلماء الذين كانوا يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر في الزمن الماضي، عاشوا إلى اليوم لكانوا مثلنا في عدم الإنكار، ولكن سبقونا بالزمان.

فقد كان سفيان الثوري رجمه الله تعالى يخرج إلى السوق فيأمر

---

(١) إرشاد الساري (١/ ١١٦).

(٢) معجم الطبراني (٢٣/ ٣٧٦).

بالمعروف، وينهى عن المنكر، فما مات حتى صار يرى المنكر فلا ينكره! فقيل له في ذلك فقال: كان قد انفتح في الإسلام ثلمة، فأردنا أن نسدها فانفتح في الإسلام ذروة، وانهدمت من أركانه أركان. ثم صار يبول الدم إلى أن مات من القهر.

وكان سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعي رحمه الله تعالى يعظ السلطان أيوب وولده السلطان الصالح، وينهاهما عن المنكر، فيقبِّلان يده، ويقولان له: جزاك الله عنا خيراً. وبلغه مرةً أن غالب الأمراء الأكابر إلى الآن (زمانه) في الرق لم تعتقهم ساداتهم، فقال: كيف يحكم هؤلاء بين الناس! فطلع إلى السلطان، وقال: كل من لم يأتنا بعتاقته بعناه، ووضعنا ثمنه في بيت المال. فباع منهم جماعة، ونادى عليهم في الديوان، ثم أعتقهم السلطان، فاجتمعوا على قتله، وجاؤوا بالسلاح، ووقفوا على بابه، فخرج إليهم، فوقع السلاح من أيديهم هيبةً منه، فقال له ابنه: الحمد لله الذي لم يقتلوك، فقال: والدك أحقر أن يُقْتَل في إقامة دين الله تعالى.

وقد كان الشيخ شمس الدين الدمياطي، الواعظ بالأزهر، يحطُّ على السلطان الغوري على كرسي الوعظ في الجامع الأزهر، فبلغه ذلك، فأرسل وراءه بنيّة أن يبطش به، فطلع له القلعة، وقال له: السلام عليك أيها السلطان، فلم يرد الغوري عليه، فقال: ردُّ السلام واجب عليك، ومن ترك الواجب فسق، فردَّ السلطان السلام.

ثم قال له: بلغنا أنك تحطُّ علينا في المجالس من جهة ترك الجهاد وغيره، وليس عندنا الآنَ مراكب. فقال: عمّر لك مراكب، أو استأجرها، وجاهد، فقام على السلطان الحجة، ثم قال له: يا مولانا السلطان! ما جزاء مَن نقلك من الكفر إلى الإسلام، ثم من الرق إلى الحرية، ومن الجندي إلى الأمير، ومن الأمير إلى السلطان؟ إلا الشكر؟! فقال: الحمد لله.

ثم قال له: وعن قريب تموت، وينزلونك في حفرة، ويغرزون أنفك في

التراب، ثم تصير تراباً، ثم تُبعَث، ثم تحاسب، وتدَّعي عليك جميع رعيتك في مصر والشام وقراهما بما أخذته وأنت وعمالك منهم ظلماً، وتصير تحت أَسرهم.

فاصفرَّ وجهُ السلطان، وارتعد، فسلَّم الشيخ، وخرج، فلما صحا السلطان، قال: هاتوا الشيخ، فأتوا به، فقال: ما حاجتكم؟ فقالوا: رسم السلطان لك بعشرة آلاف دينار. فقال الشيخ للسلطان: ردَّها إلى من ظلمتهم فيها. ولكن إن كان مولانا السلطان يحتاجُ إلى مال أقرضته، فإني رجل تاجر كثير المال، فقام له السلطانُ، وشيَّعه، وعظَّمه.

قال المتبولي رحمه الله تعالى: تغيير المنكرات بالقول خاصٌّ بالعلماء، وباليد خاصٌّ بالولاة، وبالقلب خاصٌّ بأولياء الله تعالى، وعمدة التغيير في كل عصر إنما هو على العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين رحمة الله عليهم أجمعين، وأما من كان مظنة ولاية، فإنما يقع منهم تغيير بقلوبهم في نادر من الزمان، وذلك أن يتوجَّه أحدهم بقلبه إلى الله تعالى في إزالة المنكر من ذلك المكان، فيزول بقدرة الله عز وجل هذه صورة تغييرهم المنكر بقلوبهم.

وأما قوله ﷺ في الحديث: «وذلك أضعف الإيمان» فلا ينافي ما ذكرنا، فإن الإيمان يضعف من جهتين: إحداهما مذمومة والأخرى محمودة. فأما المذمومة، فالمراد بها: ضعف اليقين والشك، وأما المحمودة: فالمراد بها رقة الحجاب؛ إذ الإيمان لا يكون إلا من خلف حجاب، فكلما ترقى العبدُ إلى مقام الإحسان؛ الذي هو مقام حضرة الشهود، وضَعُفَ حجابُ الإيمان ورقَّ، قوي مقام الشهود، ومن قوي مقام شهوده على مقام إيمانه فليس بمذموم، فنسأل الله تعالى أن يلطف بنا وبعلمائنا في هذا الزمان، ويخرجنا منه على التوحيد، إنه سميع قريب، مجيب، آمين.

روى الترمذي، وحسَّنه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن

النبي ﷺ قال: «إنَّ من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»(١).

وروى أبو داود عن جرير قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يكون في قوم يُعْمَلُ فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيِّروا عليه، فلا يغيِّروا، إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا»(٢).

واعلم أن الأمر بالمعروف يسقط عند خوف القتل، أو الضرب الشديد، أو الحبس الطويل، والله أعلم.

* * *

(١) سنن الترمذي (٣/ ٣١٨).
(٢) سنن ابي داود (٤/ ١٢٢).

# كتاب: النهي عن تتبع عيوب الناس

٣٠٩/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نطلق أبصارنا في عيوب الناس، ولا نسأل قط عن تحقيق ما سمعناه في حقهم من التهم، ونحفظ أسماعنا وأبصارنا عن مثل ذلك. فمن شقَّ جيب الناس شقوا جيوبه. ومن كان عليه دين قديم قضاه لا محالة.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: والله! لقد أدركنا أقواماً كانت عيوبهم مستورة، فبحثوا عن عيوب الناس، فأظهر الله عيوبهم، ورأينا أقواماً ليستْ لهم عيوب، فبحثوا عن عيوب الناس، فأحدث الله لهم عيوباً.

قال: ولقد عايرت مرة رجلاً بذنب، فلحقني ذلك الذنب بعد خمس عشرة سنة.

وهذا العهد قلَّ العملُ به في غالب الناس، فلم يزل الواحد منهم يتجسس على معرفة عيوب الناس، ونقائصهم ثم غاية أمره احتقار الناس، وازدراؤهم، ومخالفةُ أمر الشارع ﷺ في قوله: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره».

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: من إكرام الله، وإكرام رسول الله ﷺ: إكرامُ جميع المسلمين.

روى الترمذي، وحسَّنه، عن ابن عمر قال: صَعِد رسول الله ﷺ المنبر، فنادى بصوت رفيع قال: «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يُفضِ الإيمانُ إلى

قلبه! لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيِّروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورةَ أخيه المسلم تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته يفضحْه ولو في جوف رحله»[1].

ونظر ابن عمر يوماً إلى البيت، أو إلى الكعبة، فقال: ما أعظمك، وأعظمَ حرمتك! والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك.

* * *

(١) سنن الترمذي (٣/ ٢٥٥).

# كتاب: النهي عن الاغترار بحلم الله تعالى وعفوه

٣١٠/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نغتر بإهمال الحق لنا، وحلمه علينا؛ إذا وقعنا في شيء من معاصيه سراً أو جهراً، تعظيماً لأمر الله عز وجل.

ومحلُّ الصدق في تعظيم الله عز وجل: أن نتأثر، ونندم إذا وقعنا في المعصية سراً، مثلما نتأثر ونندم إذا وقعنا فيها جهراً، أو شاعت عنا بين الخاصِّ والعامِّ.

ومتى زاد قُبحُ المعصية الواقعة جهراً على وقوعنا فيها سرًّاً، فنحن لم نبلغْ في تعظيم حرمات الله تعالى حدَّها المشروع لنا؛ من أنه تعالى أحق أن يُستحيا منه.

واعلم يا أخي أنَّ كلَّ مَنِ احتجب حال عصيانه عن غيره، فليس بمحسن في سيره، بل هو إلى المقت أقرب. لكن من رحمة الله بنا حصول الندم منا إذا وقعنا في المعصية، مع علمنا بأن جميع ما قدَّره الله تعالى علينا كائن لا محالة، مع أن المقدّر لا يقع إلا مع حجاب عن شهود أن الحق تعالى يرى ذلك العاصي. ولا يمكن أن العبد يعصي على الكشف والشهود بأن الحق يراه أبداً، ولو قدّر أنه شهد ذلك، فلا بد أن يشهدَ أن الحق تعالى غير راضٍ عنه في تلك المعصية.

ولا تصل يا أخي إلى حضرة الاستحياء من الله تعالى إلا إن سلكت على يد مربّ، وأوصلك إلى حضرة الإحسان.

ثم إنك يا أخي تستصحب هذا الشهود على الدوام، وما دمتَ لم تدخلْ حضرة الإحسان، فلا تستبعدْ يا أخي! وقوعك في أكبر المعاصي، فضلاً عن صغارها، ومن هنا عصمت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لعكوف قلوبهم على الدوام في حضرة الإحسان، فلم يُتصوَّر منهم ذنب ولو صغيراً. وجميع ما وقع من بعضِ الأنبياء إنما هو صورةُ ذنب، وليس هو ذنب حقيقةً، وإنما هو مباح ليعلِّم قومه كيف يفعلون إذا وقعوا في الذنوب، وكيف يتوبون. بل قال بعضهم: إن النبي يُثاب على فعل المباح، والمكروه ثواب الواجب من حيث تبيينه الجواز لذلك الأمر في الجملة. ومن قال في الأنبياء خلافَ ذلك، فعليه الخروج من ذلك بين يدي الله عز وجل.

فإذا أردتَ عدم الوقوع في انتهاك الحرمات إما لتحفظ من الوقوع، وإما لتعرف كيف التنصل من ذلك الذنب، فاسلك على يد مربٍّ، والله تعالى يتولى هداك.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم عليه»(١).

وروى ابن ماجه، ورواته ثقات، عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لأعلمنَّ أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بأعمالٍ أمثالِ جبال تهامة بيضاء، فيجعلها اللهُ هباءً منثوراً» قال ثوبان: يا رسول الله! صِفْهم لنا، حلّهم لنا، لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قومٌ إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»(٢).

* * *

---

(١) مسلم (٤/ ٢١١٤).

(٢) الترغيب والترهيب (٣/ ٢٤٢).

# كتاب: النهي عن ارتكاب المخالفات الشرعية

٣١١/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتوانى في تربية الأولاد وتأديبهم إذا احتاجوا لذلك، وبخاصة من قبل المؤدبين والمربين إذا ولوا تربية الأطفال، ولا نميز بين شريف ووضيع، ولا ينبغي مراعاة الولد في ترك التأديب بالعصا ونحوها، ولا يخفى أن تأديب الطفل بالضرب لا يكون إلا بعد عدم سماع الكلام؛ كما أن الكلام لا يكون إلا بعد سماعه بالإشارة، فالضرب ثالث مرتبة.

روى أبو داود عن عبد الله بن عمروٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»[1].

٣١٢/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نصحبَ من يشرب مسكراً كالخمر، والنبيذ، والحشيش، أو يبيع ذلك، أو يشتريه، أو يعصره، أو يحمله، أو يأكل ثمنه، وذلك هروباً من صحبة من لعنه الله تعالى، أو لعنه الأئمة رضي الله عنهم؛ إيثاراً لجناب الله عز وجل، اللهم إلا أن تكون صحبتهم نقصد بها تمهيد بساط التوبة لهم، فهذا متعين، كما عليه الدعاة إلى الله تعالى، فإنهم لا يبعدون عن مستقيم ولا أعوج؛ فإن المستقيم لا يجوز هجره، والأعوج محتاج إلى من يقوِّم عوجه.

وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام حين أنفت نفسُه من مخالطة عصاة بني إسرائيل؛ إيثاراً لجناب الله عز وجل: يا داود! المستقيم

---

(١) سنن أبي داود (١/ ١٣٣).

لا يحتـاجُ إليك، والأعوج قد أنفتْ نفسك من مخالطته، وتقويم عوجه، فلماذا أُرْسِلْتَ؟ فتنبه داود عليه السلام لسرٍّ حكمة إرساله، وصار يجالس العصاة ليلاً ونهاراً، ويسارقهم بالمواعظ.

وقد أغفل هذا الأمر خلقٌ كثير ممن تصدوا للوعظ والإرشاد، فبعدوا عن خلطة المعوجِّين من الظلمة، فحرموا بركة هدايتهم، ولو أنهم قربوا منهم مع العفة عما بأيديهم من الدنيا، وسارقوهم بالمواعظ؛ لربما أثرت فيهم مواعظهم. فإذا كان الواعظ يجدُ في نفسه القدرة على وعظ الظلمة، ومناصحتهم، ولا ينساق في هواهم، ويبتغي بذلك وجه الله تعالى، وينظر إلى العصاة على أنهم مرضى وأسرى بيد الشيطان، وقد أعدَّه اللهم لهم، وإلا فليبتعد خوفاً من أن تزلَّ قدمُه في مهاوي الشر ودركاته، ويلحقه لعنات الله النازلة على من لعن الشارع.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضةٌ بعد»[(١)].

٣/٣١٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتعاطى من شهوات الأكل والشرب إلا بقدر الحاجة، خوفاً من انتشار جوارحنا لفعل المعاصي، لا سيما الفرج، لا سيما بحليلة الجار، ومن غاب زوجها، من حيثُ إن الله تعالى هو خليفة الغائب، وهو الحارسُ لهم، فمن تعرَّض لهم بسوء كان خصمه الله، ومن كان خصمه الله أكبَّه في النار على وجهه ومقته، وأزال عنه النعم، كما هو مشاهَد في الزناة، ومن شكَّ فليجرِّب.

وهذا العهد قد كثرت خيانتُه من كثير من الناس، حتى وقع أن جماعة

---

(١) مسلم (١/ ٧٧).

من أكابر الناس اجتمعوا في مجلس، فقال شخصٌ منهم: من سلم منكم من الزنى فليحلف لنا بالله تعالى أنه ما زنى، فما تجرأ أحد منهم على الحلف، واعترفوا جميعاً بأنهم وقعوا في ذلك في شبابهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وأصل ذلك كله تعاطي ما يثير الشهوة مع تقدير الله عز وجل.

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى مربٍّ يروِّض نفسه على يديه شيئاً فشيئاً حتى يترك الشهوات المكروهة كلها، ويصير أكثر أوقاته مراقباً لله عز وجل، ومشاهداً بقلبه لأهل حضرة الله من أنبياء، وملائكة، وعارفين، وهناك يسرق من طباعهم الحسنة. وأما من أكل الشهوات، وخالط أهل الغفلة المطرودين عن حضرة الله تعالى، وطلب السلامة من الزنى، فقد رام المحال. وقد فسد جماعةٌ من كثرة أكل الشهوات، وخلطة من لا يصلح، وخسروا الدنيا والآخرة.

فإياك يا أخي! من الشبع ولو كنت شيخاً، فإنه لولا أن الشيخ يقع في الزنى ما قال النبي ﷺ: «إن الله يبغض الشيخ الزاني» فلولا وجوده لما وجد لغضب الحق نفاذ.

واعلم يا أخي! أننا لا نعلم ذنباً ينشأ من أكل الشهوات بعد الكفر والقتل أقبح من الزنى؛ فإن الله تعالى قال فيه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٤/ ٢٢] فنسأل الله تعالى من فضله أن يحفظنا منه، وإخواننا، وجميع العارفين.

روى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..» الحديث.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: معناه أنه لا يزني وهو مؤمن بأن الله يراه، إذ لو كان يؤمن بذلك حال الزنى ما زنى، فلا بُدَّ من حجاب للزاني عن شهود إيمانه بأن الله يراه حتى يقع، وليس المراد نفي إيمانه بالله، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ونحو ذلك، فافهمْ، والله أعلم.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنى، ويشرب الخمر، وتكثر النساء، وتقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة قيمٌ واحد»(١).

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم (قال أبو معاوية، الراوي عن الأعمش: ولا ينظر إليهم) ولهم عذاب أليم: شيخٌ زان، ومِلك كذاب، وعائل مستكبر»(٢).

وروى أحمد بإسناد حسن عن ميمونة زوج النبي ﷺ، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال أمتي بخير ما لم يفشُ فيهم ولد الزنى، فإذا فشا فيهم ولد الزنى، فيوشك أن يعمَّهم الله بعقاب»(٣).

وروى أحمد، ورواته ثقات، عن المقداد بن الأسود، قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره»(٤).

وروى أحمد ومسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلن رجلٌ بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان»(٥).

وروى أحمد، والبخاري، ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلجوا على المُغيبات؛ فإن الشيطان يجري من

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٣٣٣).
(٢) مسلم (١/ ١٠٢).
(٣) مسند أحمد بشرح البنا (١٦/ ٧٥).
(٤) المصدر السابق.
(٥) مسند أحمد بشرح البنا (٥/ ٨٣).

أحدكم مجرى الدم» قلنا: ومنك يا رسول الله؟ قال: «ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم»[1].

٣١٤/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نحذر مما حذَّرنا الله منه، ولو كنَّا على قدم صالحي زماننا، فلا نستبعد وقوعنا في أعظم الكبائر، كاللواط في آدمي، أو بهيمة، أو شرب خمرة، أو حشيش، أو نحو ذلك؛ فإن طينة الآدمية واحدة، والجائز وقوعه من أفسق الفاسقين جائز وقوعه من أصلح الصالحين، وما خرج عن هذه الطينة سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لعصمتهم، وبعض الكُمَّل لحفظهم.

وهذا العهدُ يقع في خيانته كثير من طلاب العلم، وأهل الذكر، فيظنون بأنفسهم الحفظ، وأن مثلهم لا يقع في مثل ما ذكرناه، فما يمضي عليهم زمان إلا وقد وقعوا فيما حذَّرهم الله منه، فالعاقل من خاف مما خوَّفه الله منه.

روى الطبراني عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «وإذا كثر اللوطية رفع الله عز وجل يده عن الخلق، فلا يبالي في أيِّ وادٍ هلكوا»[2].

وروى الحاكم، وصححه الذهبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به، ومن وجدتموه يأتي بهيمة فاقتلوه، واقتلوا البهيمة معه»[3].

وروى الهيثمي في المجمع عن واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله ﷺ: «سحاق النساء بينهن زنى» رجاله ثقات.

والسحاق: هو مباشرة فرج امرأة فرج امرأة أخرى بقصد التلذُّذ.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) معجم الطبراني (٢/ ١٨٤).
(٣) المستدرك (٤/ ٣٥٥).

٣١٥/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نشمتَ قط بقتل عدوٍّ من المسلمين، لا سيما إن قتل بغير حق.

وهذا العهدُ يقع في خيانته كثير من الناس، فيفرحون إذا قتل عدوهم من المسلمين، ومن وقع له ذلك لا بد أن يقع في مثل ذلك، ويشمت فيه الناس كذلك.

وقد جرّب أنه ما سعى أحد في قتل عدو، إلا وألقى الله تعالى عليه الهم والغمَّ، حتى إنه لا يتهنَّى بعدة بأكل ولا نوم حتى يموت بعده بقليل، ولولا أن الغمَّ ملازم للقاتل ما قال تعالى ممتنّاً على موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [طه: ٢٠/ ٤٠] مع أن تلك النفس التي قتلها موسى كانت كافرة، أي: نجيناك من الغمّ الذي جعلناه على كل قاتل.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وقد رأينا جماعة من ملوك الجراكسة سعوا في قتل عدوهم، فقتلوا كلهم بعده بقليل. فإياك يا أخي أن تسعى في قتل نفس، أو تشمت في قتلها، والله غفور رحيم.

روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «لَزَوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»[(١)].

وروى أيضاً عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لو أنَّ أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبَّهم الله في النار»[(٢)].

٣١٦/ ٦ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نحضر قتل إنسان، أو ضربه، أو معاقبته ظلماً، ولو كنا غير راضين، هروباً من السؤال عنه يوم القيامة.

---

(١) سنن الترمذي (٢/ ٤٢٧).
(٢) المصدر السابق.

وهذا العهد يتعين العمل به على حملة العلم، والقرآن، ونحوهم من المؤمنين، فلا ينبغي لأحدٍ منهم أن يحضر مع الأطفال مواطن الظلم، أو يخرج من بيته حتى ينظر من شنق، ومن قتل.

روى الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقفنَّ أحدُكم موقفاً يقتل فيه رجل ظلماً، فإن اللعنة تنزل على مَن حضر حين لم يدفعوا عنه. ولا يقفنّ أحد منكم موقفاً يُضْرَب فيه أحدٌ ظلماً، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه»(١).

وروى الطبراني عن أبي أمامة قال: قال النبي ﷺ: «من جرّد ظهر امرىء مسلم بغير حق، لقي الله وهو عليه غضبان»(٢).

٣١٧/ ٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بارتكاب شيء من صغائر الذنوب، فضلاً عن كبائرها، ولا بارتكاب شيء من مكروهاتها، حتى خلافِ الأولى منها، ولا نصرُّ على ذنب، بل نتوبُ منه على الفور، وذلك لأن ارتكاب المعاصي وما قاربها مع الإصرار يظلم به القلب حتى يصير لا يحنُّ إلى فعل شيء فيه خير.

وتتفاوت الناس في مقدار ظلمة القلب، فربما أن بعض الناس لا يحسُّ بظلمة القلب إلا عند ارتكاب الكبائر دون الصغائر، وربما أن بعضهم لا يحسُّ بظلمة القلب إلا عند ارتكاب الصغائر دون المكروهات. وربما أن بعضهم لا يحسُّ بظلمة القلب إلا عند ارتكاب المكروهات دون خلاف الأولى، ولكل مقام رجال.

فكلما صفا القلب كلما ظهر فيه الظلمة، وأدركها بصر صاحبها كالحبر على الورق، وكلما تكدَّر القلب خفي فيه الظلمة، ولم يدركها بصر

(١) معجم الطبراني (١١/٣٠٨).
(٢) معجم الطبراني (٨/١١٦).

صاحبها، كالحبر على الفحم.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى مربٍّ يسدُّ عليه منافذ الشيطان، ويشغله بالطاعات المتوالية، حتى تتراكم عليه الأنوار، ويخلص من سائر الذنوب، ويدخل حضرة الإحسان، فهناك لا يتهاون بذنب، ولو خلاف الأولى، فضْلاً عن المكروهات، فضلاً عن الصغائر، فضلاً عن الكبائر.

واعلم أنه لا تتم التوبة إلا بهجر إخوان السوء؛ لئلا يزلزلوا توبته بمشاهدته لمعاصيهم. وأمر التائب بمخالطة أهل الطاعات ليشهد طاعاتهم، وينقل نفسه من المعاصي، والطباع تسرق من الجليس الأفعال التي يشاهدها منه من خير وشر، ولو على طول مدة، فينتقل جميع ما في ذلك الجليس لك يا أخي!.

روى الترمذي، وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب، ونزع، واستغفر، صقل منها، وإن زاد زادت حتى يغلَّف بها قلبُه، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ٨٣/ ١٤]»[1].

* * *

(١) الترغيب والترهيب (٤/ ٩٢).

# كتاب: النهي عن عقوق الوالدين وقطيعة الرحم

١/٣١٨ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بمخالفة أمور والدينا، ولو مباحة، فنفعلها لهما لأنها واجبة أو مندوبة، ونجتنب كل ما يكرهونه كأنه حرام أو مكروه؛ وذلك لأن الشارع ﷺ لم يذكر للعقوق ضابطاً يُرْجَع إليه، وإنما ذكر أننا لا نخالفهم فيما يطلبونه منا.

ويحتاج العامل بهذا العهد إلى مربٍّ يعرِّفه مقام الوالدين عند الله تعالى. وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لا يأكل مع والدته قطُّ في إناء واحد خوفاً أن يسبقَ بصرها إلى لحمة، أو رطبة، أو زبيبة، أو عنبة، أو أي نوع من أنواع الفواكه الأخرى، فيأكلها، وهو لا يشعر، ومربي الروح كمربي الجسد.

روى البخاري ومسلم والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أبي بكرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أحدثكم بأكبر الكبائر؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» قال: وجلس، وكان متكئاً، قال: «وشهادة الزور، أو قول الزوز» فما زال رسول الله ﷺ يقولها: حتى قلنا: ليته سكت[١].

وروى أبو داود عن أبي أسيد الساعدي: أن رجلاً من بني سلمة قال: يا رسول الله! هل بقي من بر أبويّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم

---

(١) سنن الترمذي (٢٠٨/٣).

الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»[1].

وروى الترمذي، وقال: حديث صحيح، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب، أو احفظه»[2].

وروى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»[3].

٣١٩/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بعدم صلة الرحم، بل نصلها ولو قَطعت؛ طلباً لمرضاة الله عز وجل، ومصلحة لنفوسنا من حيث الأجر العظيم لمن يصل رحمه التي قطعته. وكذلك لا نرافق قاطع رحم، ولا نجالسه.

وهذا العهد لا يقوم به إلا من سلك على يد مربٍّ، وخرج عن رعونات النفوس، وصار يعامل الناس في خَلْقه امتثالاً لأمره، لا لعلّة أخرى، وأما من لم يسلك، فمن لازمه غالباً: قطع رحمه إذا قطعته، ولا يصلها إلا إن وصلته. وتلك إنما هي متاجر، ليست من أخلاق كُمَّل المؤمنين، فاسلك يا أخي! على يد مربٍّ ناصح؛ ليوصلك إلى مقام الصدق في معاملة الله، والله يتولى هداك.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٣٣٦).
(٢) سنن الترمذي (٣/ ٢٠٨).
(٣) المصدر السابق.

بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟! قالت: بلى، قال: فذاك لكِ»[1].

وروى مسلم عن جبير بن مطعم: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»[2].

وروى مسلم عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرَّه أن يُبسط عليه رزقه، أو ينسأ في أثره، فليصلْ رحمه»[3].

* * *

(١) مسلم (٤/ ١٩٨١).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن التهاون بحق الجار

٣٢٠/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بحقِّ الجار، ولو كان من أعدى عدوٍّ لنا، بل نخالف نفوسنا، ونقهرها على الإحسان إلى ذلك الجار العدو.

واعلم أنه مما يخفى على كثير من الناس تأدية حق الجار من الملائكة الكرام الكاتبين، وكذلك حق الله عز وجل، فإنه تعالى أقرب إلينا من الجار، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٥٦/ ٨٥].

وجُمّاع تأدية حقّ الله تعالى فعلُ ما أمر، واجتناب ما نهى، وجماع حق الملائكة الكرام الكاتبين: عدم عصيان الله تعالى، وعدم الروائح الكريهة، والكلام القبيح، وغير ذلك من سائر أخلاق الشياطين، فكما أن الشياطين تنفرُ من أخلاق الملائكة، كذلك الملائكة تنفر من أخلاق الشياطين. ومن تأكيد حق الجار: عدم غيبته، وافتقاده في الحفلات، وفي سائر المواسم، ومن حقه أيضاً كسوة أولاده كلما تعرّوا إن كانوا فقراء، ومن حقه تقديم الطعام لهم إذا جاعوا، ومن حقه دفع الأذى عنه، واحتمال الأذى منه. ومن حقه أيضاً القيام له إذا مر علينا، والاهتمام بكل ما يهمه من خوفٍ على نفس، أو مال، أو ولد، أو صاحب، ونحو ذلك، وبالجملة فمن عمل ببعض الآداب جرَّه ذلك إلى فعل البعض الآخر، والله عليم حكيم.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. . الحديث»[1].

وروى البخاري ومسلم عن أبي شريح العدوي قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»[2].

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله! إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً»[3].

* * *

---

(١) بخاري (٨/ ١٢).
(٢) المصدر السابق.
(٣) بخاري (٨/ ١٢).

# كتاب: النهي عن ترك آداب الضيافة

٣٢١/ ١ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: إذا زرنا إخواننا في الريف ألا نضيق عليهم، بل نرجع من عند المضيف بسرعة، فإن عزم علينا بالإقامة، وأكّد بتنا عنده عملاً بقوله، ثم استأذنّاه من بكرة النهار على الرجوع من عنده، فإن عزم، وأكّد بتنا عنده كذلك، لكن بشرط أن يغلب على ظنِّنا الإخلاص، وعدم التجمل.

فإن لمسنا منه رياءً، وحبَّ تجمُّل فارقناه، ولو قهراً عليه، لا سيما إن كان مشهوراً بالكرم في بلده، والخَلْق يبيتون عنده كثيراً، فإن هذا الزمان لا يحتمل أن أحداً يظهر فيه بالكرم في بلده، ويكثر عليه الوارد، ويصير يطعم الناس بطيبة نفس أبداً، إنما هي أمور نفسانية، وآخر الأمر يغلق بابه، ويتوارى عن الناس.

وهذا العهدُ يقعُ في خيانته كثير ممن ينتسب إلى أهل الفضل، فيزورون أحبابهم وأصحابهم بعيالهم، ويمكثون عندهم أياماً، فرحم الله من زار وخفَّف، وعمل بكلام الشرع في ذلك. فعلم أنه ينبغي للمتورِّع إذا سافر إلى بلاد الريف مثلاً ألا يبيت في دار من اشتهر بالكرم رحمة به، وإن كان ولا بد؛ فليحمل عنه بأن يجلب معه بعض ما يخفِّف عنه، ويكافئه على طعامه، ولو بتقدمة ثوبٍ. وقد مضى أهلُ المروءات الذين كانوا يعاملون الله تعالى، وبقي من يطلبُ العوض من الناس في كل معروف أسداه إليهم، فاعرفْ زمانك يا أخي، والله تعالى يتولَّى هُداك.

روى البخاري ومسلم عن أبي شريح العدوي قال: قال رسول الله ﷺ:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرمْ ضيفه جائزته» قال: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام؛ فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه. . . الحديث»[1].

وروى مسلم عن أبي شريح الحديث، وفيه: «ولا يحل لرجل مسلم أن يقيمَ عند أخيه حتى يُؤْثِمه» قالوا: يا رسول الله! وكيف يؤثمه؟ قال: «يقيم عنده، ولا شيء له يقريه به»[2].

٣٢٢/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نحتقر ما نقدِّمه للضيف، ولا نحتقر ما قدِّم إلينا إذا كنا ضيوفاً، ولو كسرة يابسة، أو تمرة واحدة لا سيَّما في هذا الزمان الذي قلَّ فيه الحلال، حتى إنه لا يكاد يوجد شيء منه في يد الورعين فضلاً عن آحاد الناس، ولم يكلِّفنا الله أن نضيف الناس بالحرام والشبهات، وإنما أمرنا أن نضيفهم بالحلال.

زار الحسن البصري عمر بن عبد العزيز أيام خلافته، فأخرج له عمر نصف رغيف، ونصف خيارة، وقال له: كُلْ يا حسن، فإن هذا زمان لا يحتمل الحلال فيه الإسراف.

وقال ميمون بن مهران: زرتُ الحسنَ البصري، فدققت الباب، فخرجت لي جارية، فقالت: من تكون؟ فقلت لها: ميمون. قالت: كاتب عمر بن عبد العزيز؟ فقلت لها: نعم. قالت: وما حياتك يا شقي إلى هذا الزمان الخبيث؟! ثم استأذنت الحسن، فأذن لي، فدخلتُ عليه، فأخرج لي كسرة، وشقة بطيخ، وذكر لي زيارته لعمر بن عبد العزيز، وتقديمه له الكسرة والخيارة.

فإذا كان هذا حالُ الخلفاء أمراءِ المؤمنين في المئة الأولى، فما ظنك

---

(١) المصدر السابق.
(٢) مسلم (٣/ ١٣٥٣).

يا أخي بالنصف الثاني من القرن العاشر صاحب العجائب والغرائب في عدم توزُّع أحدٍ من أهله ذلك التورّع؟.

وأقول: فما ظنك يا أخي! بالنصف الأول من القرن الخامس عشر في عدم تورّع أحد من أهله ذلك التورع. فأطعم يا أخي لله تعالى بشرط الحلِّ ما قدرت وما استطعت، فإنك مسؤول عن كل لقمة تطعمها لضيوفك من أين اكتسبتها؟.

روى أحمد، والطبراني، وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله أنه دخل عليه نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ، فقدَّم إليهم خبزاً وخلاًّ، فقال: كُلوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم الإدام الخلُّ» إنه هلاك بالرجل أن يدخل عليه النفر من إخوانه، فيحتقر ما في بيته أن يقدِّمه إليهم، وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قُدّم إليهم[1].

* * *

(١) مسند أحمد بشرح البنا (١٩/ ٦٠).

# كتاب: النهي عن البخل وعدم قبول الهدية

٢٣٣/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نبخل، ولا نشحّ على أحد من المسلمين إذا سألنا شيئاً، ونحن في غنية عنه، بل نعطيه له تخلُّقاً بأخلاق رسول الله ﷺ والأئمة بعده.

وهذا العهد لا يعملُ به إلا مَن خلص من محبة الدنيا وشهواتها، وإلا فمن لازمه: البخل، والشح، كما عليه كثير من الناس من طلبة علم وفقه، وغيرهم ممن لم يسلكوا على أيدي المربِّين الواصلين.

وإيضاح ذلك: أن أصل الإنسان فقيرٌ بالذات، وما فتح عينه في هذه الدار إلا وهو فقير، ليس له ثياب، ولا له متاع، فكان من شأنه أن يأخذ ولا يعطي إلى أن يموت، فلما ذمَّ الله تعالى البخل والشح، أنف أهلُ الله عز وجل أن يقفوا في مقام يذمُّهم الله تعالى فيه، فلذلك طلبوا أن يزيلَ أمراضهم، ويبطل موانعهم حتى يدخلوا حضرات الجود والكرم، فمنهم من ظفر بشيخ ناصح أوصله إلى ذلك المقام، ومنهم من لم يظفر.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: محال أن يقدر أحد على تقريب أحدٍ من الله عز وجل ومعه علاقة دنيوية؛ إذ جميع من تقرَّب إلى الله عز وجل مطهرون من محبة الدنيا وشهواتها؛ لأنهم أنبياء، وأولياء، وملائكة، ولا أحد من هؤلاء يحب الدنيا لغرض فاسد، وإنما يحبها لله عز وجل بالإجماع.

وقال رحمه الله تعالى: فيما يفيده المتأمّل في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ

بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ قَالَ هِيَ عَصَايَ . . . ﴾ [طه: ٢٠/ ١٧ـ١٨]، يقال لمريد الله تعالى: وما تلك بيمينك أيها المريد؟ فيقول: هي دنياي أنفق منها على نفسي، وأهلي، وإخواني، فيقال له: ألقها، فيلقيها، فيجدها حية تسعى في هلاك قابضها، فيأخذ حذره منها، فإذا حذر منها يقال له: خذها، ولا تخفْ، فكما ألقاها أولاً بإذن حال بدايته، فكذلك أخذها بإذن حال نهايته، وهذا الأخذ الثاني متعيّن على كلِّ داع إلى الله تعالى، فلا ينبغي له أن يحتاج إلى إنسان، فإن كل من احتاج إلى إنسان هان في عينه؛ لأنه حينئذ يصير معدوداً من عائلته، فيقل نفع ذلك الداعي.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: يجب على الداعي أن يكون كريماً، حمَّالاً للأذى، وإلا لم يفلح له تلميذ.

فعلم أن الدنيا إذا خرجت من قلب مريد لا يتصور وقوعه في البخل المذموم أبداً بعد ذلك، وإنما يمنع بالحكمة، كما يعطي بالحكمة، تخلُّقاً بأخلاق الله تعالى؛ فإنه تعالى سمَّى نفسه المانع، ولم يسمِّ نفسه بخيلاً.

فلا ينبغي لمسلم أن يعطي أحداً شيئاً طلبه منه حتى ينظر حاله، وماذا هو عازم عليه، وعلى إنفاقه فيه، ثم يعطيه بعد ذلك. فإياك يا أخي أن تسيء الظن بأحد من الأفاضل إذا سألته شيئاً، ولم يعطه لك؛ فإنه لم يمنعك عن بخل، إنما هو أدب المنع، فاسلكْ على يد مربٍّ يعلمك أدب المنع وأدب العطاء، والله يتولى هداك.

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدعو بهؤلاء الدعوات: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات»(١).

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٨٠).

قال: «واتقوا الشحّ؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلّوا محارمهم»[1].

الشح: البخل والحرص. أو الشحّ: الحرص على ما ليس عندك، والبخل: الشحّ بما عندك.

٣٢٤/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نهب أحداً شيئاً، ونرجع فيه، أو نندم على عطيته بقلوبنا.

وهذا العهدُ يقع في خيانته كثيرٌ من المتهوِّرين؛ الذين يعاملون غير الله تعالى، فيعطي أحدهم شيئاً، ثم لما يرى منه خللاً في حقه، يندم على إعطاء ذلك له، وربما يسترجعه منه، لا سيَّما إن كان في أمله أن الناس يشكرونه على ذلك، فلم يشكره أحد، ولا مدحه على ذلك.

فمن الأدب إذا أعطانا أحدٌ شيئاً نعلم بالقرائن أنه يستحلي في نفسه اطلاع الناس عليه ألا نقبله منه؛ لأنه كالعبث بالنسبة لنفسه هو، فلا نحن كافيناه بشيء، ولا مدحناه على عطائه، ولا أحد من الناس أعطاه شيئاً عنّا، ولا الحقّ تعالى أثابه على ذلك. ولا ينبغي له قبول شيء إلا إن رأى المنفعة فيه للمعطي في الدنيا والآخرة، فإن قبل شيئاً من أحد يعلم منه عدم الإخلاص في عطيته، كتب في ديوان الغاشِّين للأمة المحمدية، وفي الحديث: «من غشَّنا فليس منا».

وكان الخوّاص رحمه الله تعالى إذا علم من إنسان أنه ما أعطاه إلا لعلة فاسدة، لا يقبل منه شيئاً. فإذا قال له: يا سيدي! أنا خاطري بذلك طيِّب، يقول له: أنا خاطري بذلك ما هو طيب.

وكان يقول: من علامة عدم الإخلاص في العطيّة: أن يتعدى جاره، أو

---

(١) مسلم (٤/ ١٩٩٦).

قريبه الأحوج منَّا، ويعطينا. فإذا قبلنا منه ذلك، فقد أعنَّاه على مخالفة السُّنَّة، فإنها أمرته أن يبدأ بالقريب، أو الجار الفقير.

ولا يصح العمل بهذا العهد إلا لمن تربَّى على يد المربِّين الواصلين، وخلص من محبة الدنيا، وصار يتصرف بحسب المصالح الشرعية لنفسه وللمعطي. وأما محب الدنيا فبعيد أن يشمَّ من هذا المقام رائحة، إنما هو يلُفُّ كل شيء أعطيه، ولو علم أن المعطي تعدى جاره الفقير أو قريبه الفقير.

ولنعلم أن ردَّ الهدية جائز لما روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «وايم الله لا أقبل بعد يومي هذا من أحد هدية إلا أن يكون مهاجراً قرشياً أو أنصارياً أو دوسياً أو ثقفياً».

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «العائد في هبته كالكلب يقيء، ثم يعود في قيئه»[1].

وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «العائد في هبته كالعائد في قيئه»[2] وقال قتادة: ولا نعلم القيء إلا حراماً.

وروى النهي عن استرجاع الهبة أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «لا يحلُّ لرجلٍ أن يعطي عطية، أو يهب هبة، فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده»[3].

٣٢٥/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نقبل هدية ممن شفعنا فيه عند ظالم، بل نردّها عليه جزماً، فإن علمنا كسر خاطره بذلك قبلناها، وفرَّقناها على محاويج المسلمين، ولا نذوق منها شيئاً إن كانت

---

(١) بخاري (٣/ ١٩٦).
(٢) سنن أبي داود (٣/ ٢٩١).
(٣) المصدر السابق.

طعاماً، ولا نلبسها إن كانت تلبس، ولا نشمّها إن كانت تُشمّ، ولا غير ذلك.

وهذا العهد قد كثرت خيانتُه من الطائفة الذين يشفعون في الناس عند أرباب المناصب، وهو جهل، وقلة دين.

وتأمّل لولا شفاعتك ما أتاك ذلك الذي طلب شفاعتك بشيء وكم سنةً له، وهو يسمع بك، فلا يعطيك شيئاً.

ثم من أقبح ما يقع فيه الشافع المحب للدنيا أنه إذا استحلى قبول الهدايا يصير يشفع لأجل ذلك، فيعدم الإخلاص، ويعدم الأجر في الآخرة من ثبوت الأقدام على الصراط، ونحو ذلك مما ورد، فلا يصير يقدر على نفسه يتجرَّد عن محبة العوض.

روى أبو داود عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من شفع لأخيه بشفاعة، فأهدى له هدية عليها، فقبلها، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الرِّبا»[1].

قال الشعراني رحمه الله تعالى: قوله: فأهدى له هدية عليها: يفهم أنه إذا كان على عادة المشفوع له الهدية قبل ذلك لصداقة، أو محبة، فلا حرج في قبولها؛ لأنه حينئذ لم يهد لأجل شفاعته فيه، والله أعلم.

* * *

(١) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن الأخلاق المذمومة

٣٢٦/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نخاصم أحداً، ولا نخاطبه بلفظ فيه فحش، ولا بذاء، تخلُّقاً بأخلاق رسول الله ﷺ فلم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ﷺ.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى صحبة من خرج من رعونات نفسه، وخرج من أودية الجفاء إلى حضرات الرحمة، والصفاء، والرفق بسائر خلق الله عز وجل على الوجه الشرعي.

فاسلك يا أخي على مربٍّ، وإلا فمن لازمك غالباً: الفحش، والبذاء، وقلّة الحياء، شئت أم أبيت.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «خياركم أحاسنكم أخلاقاً» ولم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً[1].

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن بلال بن الحارث المزني، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه»[2].

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٢٣٥).
(٢) سنن الترمذي (٣/ ٣٨٣).

وروى أبو داود عن حارثة بن وهب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنةَ الجوَّاظُ، ولا الجعظري»[1].

الجوّاظ: الكثير اللحم، الجافي، الغليظ، الضخم، المختال في مشيته، وقيل: الصيَّاح الشرِّير. والجعظري: العظيم، المستكبر في نفسه.

٣٢٧/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نسيء خُلقنا على أحد من خلق الله عز وجل بغير سبب شرعي؛ هروباً من أن نكتب في ديوان الأشرار، فنحرم بركة النصح لنا ولإخواننا؛ لأنهم ربما رأونا على فعل مذموم، فأرادوا أن ينصحونا، فيتذكروا سوء خُلُقنا فيسكتون علينا، ولو أنا كُنَّا مطهرين من سوء الخلق لقدموا على نصحنا.

وهذا العهد يتأكد العمل به على كل من طلب الدرجات العلى في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٣٢/ ٢٤] فما فرحوا بالإمامة إلا بعد صبرهم على مخالفة هوى نفوسهم المذمومة.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأصحابه يوماً: ماذا تصنعون بي إذا اعوججت؟ قالوا: نعلو هامتك بالسيف، ففرح، وقال: هكذا كونوا.

ويحتاج كل من يريد العملَ بهذا العهد إلى السلوك على يد أستاذ ناصح، يهذِّب أخلاقه؛ حتى لا يبقى عنده شيء من الجفاء والفحش، ويصير يحبُّ كل من نصحه، ويشكره سراً وجهراً، ولا يرى أنه قام له بجزاء.

ومن لم يسلك كما ذكرنا على يد الأستاذ المربي، فمن لازمه: الرعونات، وسوء الخُلُق؛ وخُبْث الطوية، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٥٣).

روى أحمد، ورواته رواة الصحيح، عن أبي ثعلبة الخشني، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحبَّكم إليَّ، وأقربكم مني في الآخرة محاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة مساويكم أخلاقاً، الثرثارون، المتفيهقون، المتشدِّقون»[1].

وروى أحمد عن جابر بن سمرة قال: كنتُ في مجلس فيه النبي ﷺ، وأبي سمرة جالس أمامي، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الفحش والتفحش ليسا من الإسلام، وإن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً»[2].

وروى أيضاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أثقل شيء في الميزان يوم القيامة: الخلق الحسن»[3].

٣٢٨/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نستعبد أحداً من إخواننا المسلمين، ولا نتميز عنهم إلا بما أذن لنا فيه الشارع ﷺ، فلا نمكِّن أحداً من إخواننا من القيام لنا إذا مررنا عليه.

وهذا العهد يقع في خيانته كثير من الناس إما لسذاجتهم، وإما لجهلهم بما أومأنا إليه، وإن قال هؤلاء: لا حَرَجَ علينا في استخدام المريد؛ لأنه مأمور بتعظيم شيخه، قلنا لهم: إنما التعظيم للأشياخ بعدم مخالفتهم لما يأمرونه به، وأما القيام لهم مع مخالفة إشاراتهم، فلا فائدة فيه. وأول من أحدث هذا القيام بين يدي الأشياخ مريدو العجم، فربما يقف المريد بين يدي أحدهم نحو الساعتين، لا يقولون له: اجلس، وكلُّ ذلك ليس من نظام الأشياخ، إنما هو من نظام الملوك، وأرباب الدولة، وفي الحديث: «لا تفعلوا كما يفعل الأعاجم، يقوم بعضها لبعض».

---

(١) مسند أحمد بشرح البنا (١٩/ ٧٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وقد أدركنا نحو مئة شيخ من أولياء مصر وقراها، فما رأينا بحمد الله أحداً منهم يمكّن مريده من القيام له، بل يظهرون له الكراهة هروباً من مزاحمة أوصاف الربوبية.

روى أبو داود والترمذي بسند حسن عن معاوية رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبَّ أن يَمْثُلَ له الرجال قياماً، فليتبوَّأ مقعده من النار»(١).

وروى الترمذي بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: لم يكن شخصٌ أحبّ إليهم من النبي ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك(٢).

٣٢٩/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بردِّ السلام من غير لفظ، بل نتلفظ به حتى نسمع من سلَّم علينا، إلا أن يكون بعيداً منا، فنردّ بالإشارة باليد، أو الرأس مع اللفظ.

وهذا العهدُ قد أخلَّ به معظمُ الناس، فلا تكاد تسمع من أحدهم لفظ السلام، وإنما يسلِّمون، ويردُّون بالإشارة بالرأس، بل بعضهم يركع جملة واحدة.

واعلم أن السلام أمان، فكأنَّ المسلِّم يؤمِّن أخاه بقوله: السلام عليك، ويؤمِّنه الآخر بقوله: وعليكم السلام.

وأصل مشروعية السلام إنما هو على الذين يخافون من بعضهم بعضاً، ويتسلَّطون على بعضهم بالقتل، وأخذ المال، وإفساد النساء، ونحو ذلك.

وكذلك السلام على رسول الله ﷺ معناه أنت في أمان منا يا رسول الله أن نخالف شريعتك، فيحصل عند رسول الله ﷺ طمأنينة القلب على ذلك

---

(١) التاج (٥/ ٢٥٥).
(٢) المصدر السابق.

الذي سلَّم عليه أن يقع في معصية الله عز وجل، وذلك لكمال وفور شفقته ﷺ على أمته، وكذلك يحصلُ للملوك والرؤساء ومن والاهم طمأنينة القلب بانقياد رعيتهم لهم، وعدم الخروج عليهم، وهذا أصل مشروعيته. وليس في التحية بخفض الرؤوس، وانحناء الظهور هذا المعنى.

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: إذا مررتَ على عدوك فسلِّم عليه، واجهرْ به جهراً قوياً، حتى إنك تكاد تشق قلبه بالصوت، لكن بشرط أن تعلم منه أنه يردُّ عليك السلام، فإن علمت أنه لا يرد عليك السلام لغلبة النفس عليه، فارحمه بعدم السلام؛ لئلا تعرِّضه للمعصية بعدم ردِّه السلام.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وهذا الذي اشترطه الأستاذ الخوّاص هو مذهبُ بعضهم، والراجح من مذهب الشافعي: استحباب السلام مطلقاً؛ لما روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يحلُّ لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فليلقه، فليسلِّم عليه، فإن ردَّ عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم» زاد أحمد: «وخرج المُسَلِّم من الهجرة»[1].

٣٣٠/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بإطلاق بصرنا في دار أحدٍ من إخواننا من خلل بابه، أو من نافذة تشرف عليه، وفاءً بحقه، ولو لم يتأثر هو بذلك.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: لا تقصِّرْ في حق أخيك اعتماداً على مروءته.

واعتبر يا أخي نساء المسلمين أخواتك أو بناتك، فلا تجلسْ على الشرفة بنية القراءة والنظر للناس، فلا يزال الشيطان بك حتى تصير تسارق المرأة المتبرجة بالنظر في الدور المقابلة لك، وربما سوَّل الشيطان للناظر

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٧٩).

النظر المحقق، ثم الابتسامة، ثم اللقاء، لا سمح الله. فإذا كنت جالساً ولا بدَّ فراقب الله تعالى.

وكذلك لا ينبغي التهاون بالنظر إلى امرأة الأخ في الله، فتخرج مسفرة وجهها عليه، ويقعد هو وأخوه وزوجته وزوجة أخيه زاعمين أن ذلك لا يقدح في الشريعة، ولو كانوا جميعاً من أهل الذكر. فطريقُ أهل الله محررة على الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٢٤/ ٣٠] وذلك لعدم العصمة؛ فإن النهيَ لا يقعُ في محل إلا مع صحة وقوع ذلك المحل فيه، ولو أنه كان معصوماً من الوقوع لما احتاج إلى نهي.

ومذهبُ المحققين من أهل الله، وغالبِ الأئمة مبنيٌّ على الاحتياط في الدين، وعدم التساهل فيه، وبخاصة الطبقة العالية منهم؛ لكونهم عمدة أهل الإسلام، فإذا فعلوا شيئاً تبعهم عوامُّ الناس على ذلك، حتى ولو كان الرجلُ مظنة ولاية يتبرك الناس بدعائه ورقيته، لا يحلّ له أن يضعَ يده على محل الوجع من الأجنبية، ولا أن ينظر في وجهها، وإذا أراد أن يرقيها فباللسان فقط؛ لأنه ليس بمعصوم.

ومهما سمعنا عن أفعال صادرة ممن ينتسب إلى أهل الذكر، ووضعناها في ميزان الشريعة، فنهى عنها، فلنا أن ننكر على من فعل ابتغاء وجه الله، وقدوتنا شرع الله، لا أعمال الناس، ولو ادعوا الولاية والمعرفة.

روى مسلم عن سهل بن سعد أن رجلاً اطَّلع من جحرٍ في باب رسول الله ﷺ، ومع رسول الله ﷺ مِدرىً يُرجِّل به رأسه، فقال له رسول الله ﷺ: «لو أعلم أنك تنظر طعنتُ به في عينك، إنما جعل الله الإذن من أجل البصر»[1].

وروى الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) مسلم (٣/ ١٦٩٨).

«من كشف ستراً، فأدخل بصره في البيت قبل أن يُؤْذَنَ له، فرأى عورةَ أهله، فقد أتى حدّاً لا يحلُّ له أن يأتيه، لو أنه حين أدخل بصره استقبله رجل، ففقأ عينه ما عيرت عليه، وإن مرَّ رجل على باب لا سِتْرَ له، غير مغلق، فنظر فلا خطيئة عليه، إنما الخطيئةُ على أهل البيت»[1]. والحديث سنده ضعيف، لكنه مؤيَّد بما قبله.

فتحريم النظر إذا لم يكن تقصير من أهل البيت، فإن قصَّروا كأن جلسوا في محل مكشوف، أو في بيت بدون باب وستر، فلا شيء على الناظر لتقصيرهم، والله أعلم، لكن يبقى عليه أن يغضَّ بصره.

٦/٣٣١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نستمع لحديث قوم وهم لنا كارهون، ولا تفتقر معرفتنا لكراهتهم إلى لفظ يقع منهم، بل تكفي القرينة التي طرقت قلوبنا منهم.

وهذا العهدُ يقعُ في خيانته كثير من الناس تهاوناً به، وهو دليلٌ على قلّة الدين، فإنه لولا عظمة ذلك الذنب ما نهى الله ورسوله عنه، ولا قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ٤٩/ ١٢] فإن من علامة تعظيم العبد لله تعالى تعظيمَ ما عظمه الله، واعتنى به تعالى بالنهي عنه.

فإياك يا أخي أن تتجسَّس على أخبار أحد من أعدائك، وما جرى له، بل أعرضْ عن أحواله جملة، أو اسأل عنها لتتوجَّع له، أو لتحمل همه، والله يتولى هداك.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرون منه، صُبَّ في أُذُنه الآنك يوم القيامة»[2] والآنك: الرصاص المذاب.

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ١٦٤).
(٢) فتح الباري (١٢/ ٣٥٩).

٣٣٢/ ٧ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك رياضة نفوسنا هروباً من وقوعها في سرعة الغضب بغير حقّ حمية جاهلية. فيتعيَّن على كل من ولاه الله ولاية يروِّض نفسه على يد شيخ ناصح؛ ليصير سداه ولحمته الحلم على رعيته، إلا في مواضع أمر الشارع فيها بعدم الحلم كإقامته الحدود الشرعية على أربابها، ونحو ذلك، فمن راض نفسه كما ذكرنا قلَّ غضبه على زوجته، وولده، وغلامه، وصاحبه، وصار لا يغضبُ إلا إذا انتهكت حرمات الله عز وجل لا غير.

وقد درجت الأئمة والصالحون على العمل على عدم الغضب جهدهم؛ فإن الغضب بئس الصفة، لا سيَّما في حق من كثر دعاؤه إلى الله تعالى، فإن حكم غضبه على تلامذته، حكم غضب راعي الغنم إذا غضب على غنمه من شدة شتاتهم، وتركهم في البرية للذئب والسبع، بعد أن كان تعب فيهم من حين كانوا يرضعون اللبن. وذلك معدود بيقين من سخافة العقل.

فاصحبْ من يخرجك من رعونات النفوس، ويلطف كثائفك حتى تكاد تلحق بالملائكة؛ لتصير تتحمَّل من رعيتك جميع الصفات المخالفة لأغراضك، ولا تتأثر، والله يتولى هداك.

روى أحمد والبخاري عن جارية بن قدامة السعدي أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! قل لي قولاً ينفعني، وأقللْ عليَّ لعلي أعيه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تغضب» فأعاد عليه مراراً، كل ذلك يقول: «لا تغضب»[1].

وروى أحمد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رجلٌ: يا رسول الله! أوصني، قال: «لا تغضب» قال: قال الرجل: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشرَّ كلَّه[2].

---

(١) مسند أحمد بشرح البنا (١٩/ ٨٠).

(٢) المصدر السابق.

وروى أحمد عن عطية السعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِق من النار، وإنما تُطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدُكم فليتوضأ»(١).

٣٣٣/ ٨ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نشاجر أحداً من المسلمين، ولا نهجره، ولا ندابره إلا بوجه شرعي.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى طول مجاهدة ليخرج من رعونات نفسه، ويدخل به إلى حضرة الصفاء، ومحبة كل من علم أنه يحب الله ورسوله. وقليل من الناس من يصبر على طول المجاهدة المذكورة.

وما نهانا الشارع عن هذه الأمور إلا شفقة علينا، ومحبة لنا؛ خوف أن ينزل علينا البلاء الذي لا مردَّ له، وتندرس معالم الشريعة بذلك. ولو لم يكن إلا أنَّ من ارتكب شيئاً من هذه الأمور لا يرفع له إلى السماء عمل، لكان فيه كفاية. فإن الشارع ألحق أعمالنا بأعمال الكفار في عدم رفعها ما دُمْنا متشاحنين.

وقد عمَّ هذا البلاءُ غالبَ الخلق، حتى بعض العلماء والمشايخ، وصار أحدهم لا يحب لأخيه خيراً، ويشمت به إذا نزلت به مصيبة. وصار أحدهم إذا قام أخوه يأمر بمعروف، يحمله على الرياء وحُبِّ السمعة حتى اضمحلّ غالبُ أركان الشريعة وقواعدها. ووالله! إنا قد استحققنا الخسفَ بنا لولا عفو الله وحلمه.

وإذا كان طلاب العلم والعامة؛ الذين غلبت عليه رعونات النفس يقبح عليهم مشاحنةُ مسلم، فكيف بالعلماء والمشايخ؟! ولكن سَبَب ذلك كلّه عدم سلوكهم الصحيح على من تطهّر من رعونات النفوس، ولو أنهم

(١) المصدر السابق.

سلكوها حق السلوك لأكرموا عباد الله بمحبتهم لله ولرسوله، وتحملوا أذاهم لله ورسوله، وكما قالوا في المثل: لعين نجازي ألف عين وتكرم.

فوالله! إن عظمة الله ورسوله خرجت من كل مشاحن، فعلم أن من الواجب على كل من يدَّعي أنه يحب الله ورسوله أن يعفو، وأن يصفح عن جميع هذه الأمة المحمدية، ولو فعلوا من الأذى معه ما فعلوا إكراماً لمن هم عبيده سبحانه وتعالى، ولمن هم من أمته ﷺ.

وقد ذكر الشعراني في «عهود البحر المورود» أن من الواجب على التلميذ إكرام أستاذه وموالاته، وأن من كره أحداً من جماعة أستاذه بغير طريق شرعي، فهو كاذب في دعواه صحة الأخذ عنه، وذلك دليل على تمكن المقت منه.

روى البخاري ومالك وأبو داود والنسائي عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»[(١)].

وروى أبو داود عن أبي أيوب الأنصاري: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام يلتقيان، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[(٢)].

وروى أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تُفتح أبواب الجنة كل يوم إثنين وخميس، فيغفر في ذلك اليومين لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا من بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا».

قال أبو داود: النبي ﷺ هجر بعض نسائه أربعين يوماً، وابن عمر هجر ابناً له إلى أن مات.

---

(١) سنن أبي داود (٤/٢٧٨).

(٢) المصدر السابق.

قال أبو داود: إذا كانت الهجرة لله فليس من هذا بشيء. وإن عمر بن عبد العزيز غطى وجهه عن رجل(١).

٣٣٤/ ٩ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بحصائد ألسنتنا، كقولنا في حال غضب على مسلم: يا كافر! يا قليل الدين! ونحو ذلك مع جهلنا بعاقبته.

وهذا العهد يقع في خيانته كثير من الناس حال غضبهم، اللهم إلا أن يكون القائل لذلك يقصد به كفر النعمة، أو الكفر الذي لا يخرج به المسلم عن دين الإسلام المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٥/ ٤٤] قال قتادة ومجاهد وغيرهما: هو كفر لا يخرج به المسلم عن الإسلام. ونظير ذلك قوله ﷺ: «المراء في القرآن كفر، يعني: التشكيك فيه. فيأتي المرائي لمن يفهم من القرآن أمراً يجزم به، فيدخل عليه الشبهة حتى يشككه فيه، ويخرجه عن الجزم به.

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أيما رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما»(٢).

وروى البخاري عن ثابت بن الضحاك عن النبي ﷺ قال: «ومن رمى مؤمناً بكفر، فهو كقتله»(٣).

٣٣٥/ ١٠ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نسبَّ آدميّاً، ولا بهيمة، ولا غيرهما من المخلوقات، ولا نلعنهما إلا بلعنة الله تعالى، كلعننا إبليس إذا وسوس لنا مثلاً، أو ذكر اسمه، وكلعن من عمل عمل قوم لوط، وغيَّر حدود الأرض، أو ذبح لغير الله، أو كان اللعن لغير معيَّن، كقولنا: لعن الله اليهود، ونحو ذلك.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) فتح الباري (١٠/ ٤٢٣).

(٣) المصدر السابق.

ويجب على كل مسلم أن يعوِّد لسانه الكلام الصدق والحسن، دون الكذب والقبيح.

وقد بلغنا أن عيسى عليه الصلاة والسلام مرَّ على خنزير فقال ما معناه: أنعم صباحاً، فقيل له في ذلك، فقال: إنما فعلت ذلك لأعوِّد لساني الكلام الحسن.

ويحتاج العاملُ بهذا العهد إلى رياضة تامة حتى يتخلَّق بالأخلاق الحسنة، وإلا فلا يشم من العمل بهذا العهد رائحة، والله غفور رحيم.

روى أبو داود عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنةُ إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لُعِن، فإن كان لذلك أهلاً، وإلا رجعت إلى قائلها»(١).

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»(٢).

وروى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك»(٣).

وروى الترمذي وحسّنه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللّعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»(٤).

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٧٧).
(٢) فتح الباري (١٠/ ٣٨١).
(٣) المصدر السابق.
(٤) سنن الترمذي (٣/ ٢٣٦).

وروى الترمذي وحسنه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً لعن الريح عند النبي ﷺ، قال: «لا تلعن الريح فإنها مأمورة، وإن من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه»[1].

٣٣٦/ ١١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نطلق ألسنتنا بألفاظ تفهم القذف لأحدٍ من المسلمين فضلاً عن القذف الصريح، وإن وقع أننا وقعنا في ذلك سلَّمنا نفوسنا للمقذوف يتصرف فيها كيف يشاء. ولا نتشفَّع عنده بأحدٍ من الأكابر، أو من أصحابه ليسامحنا بترك الحد.

وهذا العهد يخلُّ به كثير من الناس، فيقع أحدُهم في عرض أخيه المسلم بحسب إشاعة الناس؛ الذين لا يتورعون في منطق، ويقولون: فلان كلب، فلان فاسق، فلان لوطيّ، فلان يشرب الخمر، فلان زانٍ، فلان يحشش، فلان يحب فلانة، ونحو ذلك، ولا رأى فلاناً قط على فاحشة من هذه الفواحش، ولا أقيمت عند الحاكم بذلك بيّنة عادلة، وهذا كله من عدم خوف من وقع في ذلك على دينه.

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى صحبة مربٍّ ناصح، يعرِّفه بما يضره في الآخرة، وما يصلحه، ومن لم يصحب أهل الفضل فمن لازمه: عدم التورع عن الوقوع في أعراض المسلمين.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[2].

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم ﷺ: «من

---

(١) المصدر السابق.
(٢) مسلم (١/ ٩٢).

قذف مملوكه بالزنى، يُقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال»[1] أي: إلا أن يكون مملوكه مرتكب الفاحشة كما قال مالكه، فلا يُحدُّ في الآخرة.

٣٣٧/ ١٢ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نروِّع مسلماً، ولا نشير إليه بسلاح ونحوِه لا جادِّين ولا مازحين، ولا سيما الأطفال.

وهذا العهدُ يقع في خيانته كثيرٌ من الناس، ويقولون: إنما نلعب ونمزح، فيقال لهم: لا تلعبوا، ولا تمزحوا بشيء نهى الشارع عنه.

واعلم أن من أقبح الأمور: أن يخاصم الرجل أخاه، ثم يصير يخيفه بالشكوى لدى الحكام، وربما أرسل وراءه من يطلبه ليخيفه، وكان المخاف ضعيف القلب يفزع، ويهلع من ذكر اسم الحاكم، ولا عادة له بدخول أماكن الحكام، فيرى سلب ماله أهون عليه من المثول بين أيدي الحاكمين، فيصاب بشلل، أو فالج، أو سرطان، أو نحو ذلك.

فالزمْ يا أخي! حرمةَ المسلمين كما أمرك الشارع، ولا تتهاون، وتقول: أنا ألعب، وليس مقصودي شكوى حقيقة، ولكن أريد أن أؤدِّبه وأُعرِّفه من أنا، وهل أتمكن من تخويفه أم لا، فإنه سوء أدب عظيم، فإياك، ثم إياك من ذلك، والله يتولى هداك.

روى أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: حدَّثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه، فأخذه، ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ لمسلم أن يروِّع مسلماً»[2].

وروى أبو داود عن السائب بن يزيد عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ

---

(١) مسلم (٣/ ١٢٨٣).
(٢) سنن أبي داود (٤/ ٣٠١).

يقول: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لا لاعباً ولا جادّاً، ومن أخذ عصا أخيه فليردَّها»[1].

٣٣٨/ ١٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نسب الدهر الذي نحن فيه يعني الزمان، وأما سبّه بالمعنى الآخر فهو كفر صريح.

وهذا العهدُ يقع في خيانته كثير من العلماء والصالحين، فَضْلاً عن العوامِّ والفاسقين. فيقولون: هذا زمان السوء، هذا زمان الشؤم. وكأنهم يسبُّون أنفسهم، إذ الشر والخير إنما هما فعل المكلَّف لا فعل الزمان. وأنشدوا:

نســبُّ زمــانـنــا والعيــبُ فينــا ... ومــا لـزمــانـنـا عيــبٌ ســوانـا

وفي الحديث: «إذا قال ابن آدم: لعن الله الدنيا، قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه». فافهمْ، وأضف الشر والشؤم إلى المكلَّفين، فإنه صدق بخلاف الزمان.

ومن تأمل في نفسه وَجَد نفسه تحت حكم قضاء الله وقدره في كل ما يقع على يديه من المعاصي والشرور، فليس في يده دَفْعها عنه، ولا دَفْع جزائها عنه إذا وقعت. وكذلك جميع أفعال الظلمة وغيرهم، فأمسك الأصل، وتنزَّل في الفروع من غير غفلة عن مشاهدة الأصل؛ لئلا تشرك بالله تعالى شيئاً من خَلْقه على وجهٍ أنَّ لذلك الشيء أثراً في إيجاد الأفعال، وأضفِ الأفعال إلى الخلق من حيث الوجهُ الذي أضافه الحق تعالى إليهم بقوله: تفعلون، تعملون، تكسبون، ونحو ذلك.

وقد تقدّم قول الشيخ سالم أبي النجا الفوّي لأصحابه، وهو محتضر، وقد سألوه وصية موجزة يحفظونها عنه، فقال لهم: اعلموا يا إخواننا أن كل

(١) المصدر السابق.

ما في الوجود يقابلكم بشاكلة ما برز منكم من الأعمال الظاهرة والباطنة، فانظروا كيف تكونون .

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وهذا كلام في غاية النفاسة، فمن تأمله لم يضفْ إلى الزمان قطُّ، ولا إلى أهله شيئاً، إلا على وجه الإسناد؛ لأجل إقامة الحدود والتكاليف، كما أشار إليه حديث: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً ومتعلماً» فلولا أنه يصح نسبة الأمور إلى الدنيا، ما أخبر الشارع ﷺ أنها ملعونة، فتأمله، والله يتولى هداك.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: يسبُّ بنو آدم الدَّهر، وأنا الدَّهر، بيدي الليل والنهار»[1].

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تسموا العنب الكرم، ولا تقولوا: خيبة الدهر؛ فإن الله هو الدهر»[2].

* * *

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٦٥).
(٢) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن عثرات اللسان

٣٣٩/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نسارر أحداً قطُّ من إخواننا بنميمة إلا بطريق شرعي، كما إذا رأينا ظالماً قد عزم على أخذ مال أحدٍ بغير حق، أو حبسِه، أو ضرْبه، أو عزم على السعي على وظيفته، أو الزيادة في كراء بيته، أو عزم على أن يولِّيه عملاً لا يطيق القيام بحقه؛ فإن النميمة ما حُرِّمت إلا على وجه الإفساد، والله يعلم المفسد من المصلح.

وهذا العهدُ يقع في خيانته كثير من أهل هذا الزمان، ويقولون لمن نمُّوا له: لا تقل إني قلتُ لك. وصارت الإقامة بين أظهرهم من أخوف ما يكون.

وقد أجمعت الأمةُ على تحريم النميمة، وأنها من أعظم الذنوب عند الله عز وجل، فخذْ حِذرك يا أخي! من كل من نمَّ لك؛ فإنه ينمُّ عليك بيقين، وكن عالية العوالي في الحذر، وإلا وقعت، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

روى البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتّات»[1].

قال الحافظ: النمام: الذي يحضر القصة فينقلها، القتات: الذي يتسمع من حديث لا يعلم به، ثم ينقل ما سمعه.

قال الغزالي: ينبغي لمن حُملت إليه نميمة ألا يصدق من نمَّ له، ولا يظن بمن نمَّ عنه ما نقل عنه، ولا يبحث عن تحقيق ما ذكر له، وأن ينهاه ويقبِّح له فعله، وأن يبغضه إن لم ينزجر، وألا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فينم هو على النمام، فيصير نماماً، وهذا كله إذا لم يكن في النقل مصلحة شرعية، كما

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٣٨٧).

ذكر الشعراني رحمه الله، فإن كان فالنقل مستحب، أو واجب.

والنميمة من عذاب القبر، وفي الحديث: «يُعذَّبان، وما يُعذَّبان في كبيرة، وإنه لكبير، كان أحدهما لا يستتر من البول، وكان الآخر يمشي بالنميمة بين الناس»(١).

٣٤٠/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون في وقوعنا في غيبة فَضْلاً عن وقوعنا في البهتان. ولا نرى لنا أعمالاً مكفِّرة لذلك، كما عليه طائفة من المتهورين في أعراض الناس، بل لا نزال خائفين من وقوعنا في ذلك، وهذا دأبنا حتى نلقى الله عز وجل، ونَصدرَ عن الحساب، وهناك تظهر لنا الأعمال التي لنا هل تكفّر تلك الغيبة أم لا؛ فإن أعمالنا الصالحة عندنا تحتاج إلى مكفّرات أُخر؛ لما فيها من العلل والآفات، كما قيل:

ذنوبُك في الطَّاعات وهي كثيرةٌ إذا عُدّتْ تكفيك عن كل زلَّة

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: لا يقعنَّ أحدُكم في غيبة مسلم، ثم يقول ولو في نفسه: إن لي أعمالاً صالحة تكفِّر عني تلك الغيبة. فربما كان من اغتبناه، أو بهتناه لا يرضيه جميع أعمالنا يوم القيامة. وهذا الداءُ قد عمَّ غالبَ الخلق، وما سلم منه إلا القليل. وصار غالب الناس من وراء الواحد بوجهٍ، ومن قدَّامه بوجه. فالعاقل لا يتكدرُ من الغيبة فيه، بل ينبغي له الفرح؛ لأن الله تعالى يحكِّمه يوم القيامة في أعمال الذي اغتابه، فيأخذ منها ما شاء.

قال بعضُهم: الأعمال التي يعطيها المغتاب لقاء غيبته، هي التي أخلص لله تعالى فيها، أما الأعمال التي دخلها رياء أو سمعة، لا يصل إلى الآخرة منها مع صاحبها شيء حتى يرضي به الناس الذين اغتابهم.

---

(١) المصدر السابق.

وغالبُ إيمان الناس صار فيه ضعف، فلا ينهضُ بصاحبه إلى مقام اجتناب هذه الموبقات، ولو أن الإيمان كان قوياً لما وقع أحدٌ قطُّ فيما حرَّم الله، ومن هنا قلَّت معاصي كُمَّل المؤمنين، وكثرت معاصي غيرهم.

فالغيبةُ: ذِكْر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك في بدن الشخص، أو دينه، أو دنياه، أو نفسه، أو خَلْقه، أو خُلُقه، أو ماله، أو والده، أو ولده، أو زوجه، أو خادمه، أو ثوبه، أو حركته، أو طلاقته، أو عبوسته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته باللفظ، أو بالإشارة، والرَّمز.

روى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: عرضه، وماله، ودمه. التقوى ها هنا، بحسب امرىء من الشرّ أن يحتقر أخاه المسلم»(١).

وروى أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر: استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حقّ، ومن الكبائر السّبّتان بالسَّبّة»(٢).

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ للنبي ﷺ: حسبُك من صفية كذا وكذا (تعني: قصيرة) فقال: «لقد قلت كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لمزجته» قالت: وحكيتُ له إنساناً، فقال: «ما أحب أني حكيت إنساناً، وأن لي كذا وكذا».

٣/٣٤١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك وقوعنا في الكلام اللغو؛ خوفاً أن يجرَّ إلى مكروه أو حرام، ونعوِّد لساننا ألا يجيب عن الكلام إلا بعد تأمّل، وتَثبُّت.

وهذا العهد يقع في خيانته كثير من الحجاج إذا رجعوا من الحج، فيصير يحكي ما وقع له من غير أن يسأله الناس عنه وهو يهدر لهم.

---

(١) سنن الترمذي (٣/٢١٨).
(٢) سنن أبي داود (٤/٢٦٩).

وكذلك يقع في خيانته كثير من المَزورين؛ الذين يزورهم عليةُ القوم، فيفتحون على الزائرين باب الكلام الذي ليس لهم به حاجة، كقول أحدهم: كان فلان عندي البارحة، وزارني فلان بالأمس، وقدَّم لي هدية، وهذا دليلٌ على أن ذلك الشيخ دنياوي (دقّ المطرقة) لاستعزازه بالخلق، وربما أطال المزور الكلام على الزائر، فيقول الزائر، وهو في وسط الكلام: ادع لنا يا سيدي الشيخ، فيصير دعاء الشيخ خداجاً لكثرة ما وقع فيه الشيخ من اللغو والهذيان، فعلم أن من الأدب الكفّ عن مثل ذلك.

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى قال: قلت: يا رسول الله! أي الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»[1].

قال الخوّاص رحمه الله تعالى: وهذا من شرط كلِّ داع إلى الله عز وجل، فمن تصدر للدعوة، ولم يسلم الناس من لسانه ولا من يده، فهو كاذب؛ لأنه إذا لم يسلم له كمال مقام الإسلام، فكيف بمقام الإيمان؟! فكيف بمقام الإحسان الذي يدَّعيه؟!.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِن حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يَعْنيه»[2] أي: ما لا تدعو إليه ضرورة دينية، أو دنيوية.

وروى الترمذي، وحسَّنه، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبغضُ البليغ من الرجال؛ الذي يتخلَّل بلسانه كما تتخلَّل البقرة»[3].

* * *

---

(١) مسلم (١/ ٦٥).
(٢) فتح المبين (١٤٣).
(٣) سنن الترمذي (٤/ ٢١٩).

# كتاب: النهي عن الخصال المذمومة

٣٤٢/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نحسد أحداً من خلق الله، ولا نتمنى زوالَ ما أعطاه الله تعالى له من علم، أو جاه، أو كثرة اعتقاد بصلاحه، أو نحو ذلك من الأمور الدينية، أو الدنيوية، هروباً من رائحة الاعتراض على الله عز وجل، أو خوفاً من مقتنا، وطردنا، ولعننا، كما وقع لإبليس؛ فإن جميع ما وقع له كان أصله الحسد لآدم عليه السلام، كما صرحت به الآيات، والأحاديث، والأخبار. فمن حسد أحداً من العلماء والصالحين، فلا يستبعد أن يقع له كما وقع لإبليس.

ومن كلام سيدي علي بن وفا رحمه الله تعالى: كن لأولياء الله خادماً، إما لترحم، وإما لتغنم، وإما لتسلم. وإياك أن تكون لهم حاسداً؛ فإنه لا بد لك أن تُرجم، وتلعن، وتطرد، ولو على مر الأيام، وإن كان لك مؤلفات أو تلامذة عدمت النفع بهم.

وبالجملة فجميعُ ما يطلبه المسلم لإخوانه من خير أو شر، يجازيه الله تعالى بنظيره، وهذا ضابطه.

واعلم يا أخي! أنه لا يصحُّ لك العمل بهذا العهد إلا إن خرجتَ عن رعونات النفوس، وإلا فمن لازمك: الحسد، ولو كنت عاقلاً لطلبت من ربك أن يعطيكَ كما أعطى من حسدته، واسترحت من تعرُّضك للمقت.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وأنا أعطيك ميزاناً تعرف به الحسود من غيره، وهو أن كل من عجز عن تصوير دعوى شرعية عليك في الدنيا والآخرة، وهو مع ذلك يكرهك، فاعلم أن حسود لا يرضيه إلا زوال النعمة عنك، فاصحب المربي إن أردت العملَ بهذا العهد، والله تعالى يتولى هداك.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إياكم والظنَّ، فإن الظنَّ أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً»(١).

وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إياكم والحسد؛ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» أو قال: «العشب»(٢).

٣٤٣/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتكبر على أحد من المسلمين، ولا نفتخر عليه، ولا نعجب بشيء من أحوالنا الظاهرة والباطنة.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى مربٍّ ناصح يسلك به حتى يسدَّ عنه جميع المنافذ التي يدخل عليه منها الآفات. فمنفذ الكبر الذي يدخل على الإنسان منه الكبر، والعجب، والفخر، هو شهوده أن الفضائل التي تكبّر بها، أو افتخر بها له. فإذا تربَّى على يد مربٍّ أراه أن الفضائل كلها لله عز وجل يقيناً، ليس له منها شيء، وإنما هي عارية لله تعالى عند العبد، ولها مصارف شرعية يصرفها فيها، كإظهار التكبر على فعل ما أمره به إبليس، وإظهار الفخر على الظلمة، وإظهار العجب من أفعال الحق تعالى في حلمه على الإنسان، وكثرة إحسانه له مع كثرة مخالفته.

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٣٩٥).
(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٧٦).

واعلم أن تكبُّر العوام إنما هو بشهودهم النقص في أنفسهم، فيريدون أن يزيلوا ما في النفوس من احتقارهم لهم؛ ولذلك يقولون في المثل: لا تجد النفورة إلا عند الحمير العُرْج.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: قلَّ من يكون في جسمه نقص إلا وعنده تكبر، أي: لأجل العلة التي ذكرناها.

قال الخوَّاص رحمه الله تعالى: لا يصحُّ لأحد التكبر على الله تعالى أبداً، وإنما تكبَّر من تكبَّر على أمر الرسل عليهم الصلاة والسلام، فتكبروا عن أمر الرسل مع غفلتهم عن كون أوامر الرسل هي أوامر الله تعالى حقيقة؛ إذ الجناب الإلهي مُعظَّم عند سائر الملل.

ثم إنَّ صفات البشر، وإن كانت من الأصل لغير البشر، لكنها لما حُمِّلتْ فيه تشكَّلت بشاكلته، وصارت كأنها من أصل طينته، لا يمكن زوالها منه أبداً، وإنما الحق تعالى يُعطِّل استعمالها في عباده المخلصين.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ [الحشر: ٥٩/ ٩] فأخبر أن الشحَّ من لازم البشر، لكنه توقِّي العمل به فضلاً منه تعالى عليه. وقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ [الفلق: ١١٣/ ٥] وما قال: ومن شر أن يقوم بأحد حسد لي؛ لعلمه تعالى بأن الحسد في كل جسد من البشر من الأمم.

فحكم البشر حكم الطينة المعجونة من سائر الأجرام، والطعوم، والروائح، والنفاسة، والخبث، والخفة، والثقل، والجبن، والبخل، والشجاعة، والكرم، والروائح الطيبة والكريهة، وغير ذلك، فإذا فرّقت هذه الطينة بعد عجنها، حتى صارت روحاً واحداً أجزاءً صغاراً على أدقِّ ما يقضي به العقل، يحكم العقل بأن في كل جزء مجموع ما تفرق في غيره، ففي طينة البشر من صفات الشر ما لا يُحْصَى، ومن صفات الخير ما لا يُحصى، وفي الأكابر من الصفات الناقصة كما في الأصاغر، وعكسه،

لكن الصفات الناقصة خفية في الأكابر، والصفات الكاملة خفية في الأصاغر، وعكسه، هذا حكم جميع ولد آدم ما عدا الأنبياء؛ فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد طهر الله طينتهم بسابق العناية لا بعملٍ عملوه، ولا بخير قدَّموه، فطينتهم كلها خير لا شرَّ فيها، وأما غيرهم فهو باقٍ على أصل طينته، وما كان جبلِّيّاً في النشأة، فمحال أن يزول إلا بانعدام الذات، وما دامت العنايةُ تحف العبد، فالصفات الحسنة مستعملة في العبد، والسيئة معطلة، فيكون كالملك، فإذا تخلَّفت عنه العناية، قامت الصفات السيئة للاستعمال، وتعطلت الحسنة، فيكون الإنسان كالشيطان، يقول الناس عند رؤيته: نعوذ بالله من شر ما رأينا، ويتبرأ منه الخلق أجمعون.

روى أحمد عن عبد الله بن عمرو بأنَّ النبي ﷺ قال: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصَّغار، حتى يدخلوا سجناً في جهنم يقال له: بولس، فتعلوهم نار الأنيار، يسقون من طينة الخبال، عصارة أهل النار»(١).

وروى أحمد عن عبد الله بن عمرو، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخلُ الجنة إنسان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»(٢).

وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».

قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال. الكبر: بطر الحق، وغمط الناس»(٣).

بطر الحق: دفعه. وغمط الناس: احتقارهم، وازدراؤهم.

---

(١) مسند أحمد بشرح البنا (١٩/٢٢٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) مسلم (١/٩٢).

٣٤٤/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نعظِّم أحداً إلا تبعاً لتعظيم الشارع ﷺ، كما لا نقرّ أحداً على تعظيمه لنا، ولو كنا على القدم الذي نعلم من الناس أنهم يعظمونا لأجله خوفاً من مزاحمة أوصاف الربوبية.

ثم مرادنا بتعظيم الشارع لأحدنا حتى نعظّمه: أن توجدَ فيه الصفات الحميدة التي مدحها ﷺ فكل من وجدت فيه صفة منها عظّمناه، وقُمْنا بواجب حقه، وكل من لم تُوجد فيه أعرضنا عن تعظيمه؛ إلا أن يترتب على ذلك مصلحة لنا، أو للمسلمين، فعلم أنه لا ينبغي لنا تعظيم فاسق، ولا مبتدع بنحو قولنا له: يا سيدي، أو نحوها من كلمات التعظيم والتفخيم، إلا إن سبق لساننا بحكم عادتنا مع الناس السالمين من الفسق.

والفسق في الاصطلاح كشرب الخمر، والابتداع في الدين، ونحوهما مما توعَّد الشارعُ ﷺ عليه، ويجمع الفسق كلّه ارتكاب كبيرة، أو إصرار على صغيرة، أو مداومة ارتكاب المكروه، والإخلال بالسنن المشروعة.

ولا فرق بين المعاصي الظاهرة، وارتكاب المعاصي الباطنة كالحسد، والكبر، والحقد، ونحوها، فمن كان مرتكباً لشيء من هذه المعاصي، فلا ينبغي لأحدٍ أن يقول له: يا سيدي، ولا ينبغي له أن يقرَّ الناس على ذلك، وهو يعلم من نفسه الفسق بارتكاب ما لو أبداه للناس لفسّقوه، والله غفور رحيم.

روى أحمد عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه أن نبيَّ الله ﷺ قال: «لا تقولوا للمنافق: سيدنا؛ فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل»[١].

٣٤٥/ ٤ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بالوقوع في الكذب من غير تثبُّت، سواء كان قولاً، أو فعلاً ظاهراً أم باطناً، كأن

---

(١) مسند أحمد بشرح البنا (١٩/ ٢٣١).

يدَّعي أحدُنا مقام التقريب عند الله تعالى، وأنه محلّ أسراره، وأنه... وأنّه...

وهذا العهدُ قد كثرتْ خيانتهُ حتى من بعض المشايخ؛ الذين يدَّعون الوصول، فيقول أحدهم لصاحبه: إذا جاءك الشيطان فتوجَّه إليَّ، وقل: يا فلان! أدفعه عنك. مع أن نفسَ الشيخ ربما يكون ركبه إبليس ليلاً ونهاراً، لا يكاد ينزل عنه، بل بعضهم يقول لتلامذته: إذا جاء أحدكم منكر ونكير، أو زبانية جهنم، فليقل له: أنا من جماعة فلان، فإنهم يتركونك، ونحو ذلك من الهذيانات.

وقد استتر الأولياء، وتركوا تأديب مثل هؤلاء، لعلمهم بخروج الأشياء عن موضوعاتها، ووالله لا ينبغي للمسلم الآن أن يدَّعي مقام الإسلام التامّ المشار إليه بقوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» فإن غالبَ الناس إذا أنصفوا، يعلمون من أنفسهم أن المسلمين لم يسلموا من لسانهم، ولا من يدهم، فضلاً عن سوء الظن بهم، فليلزم المسلم الألفاظ التي لا تشعر بكمال؛ فإنها إلى الصدق أقرب.

وقد سُئِل ذو النون المصري رحمه الله تعالى عن الصدق في الطريق، فقال:

قد بقينا مذنبين حيارى نطلبُ الصِّدقَ ما إليه سبيل

فأين هذا من قول بعض أهل الزمان: هو القطب، ويمدح نفسه في ذلك على الملأ؟ وأين هذا من قول مالك بن دينار إذا أملى الحديث، فمرت به سحابة يقطع الحديث، ويقول: حتى تمر هذه السحابة؛ فإني أخاف أن يكون فيها حجارة ترجمنا بها.

وكان يقول: والله! لو حلف شخصٌ أنني ما أخاف الله ولا يوم الحساب، لقلت له: لا تكفِّر عن يمينك، صدقت فإن أفعالي تصدِّق ذلك.

وأين هذا أيضاً من قول معروف الكرخي رحمه الله: والله! إني لأنظرُ إلى أنفي في كل يوم كذا وكذا مرة، مخافة أن يكون قد اسودَّ من سوء ما أتعاطاه.

وكان كثيراً ما ينظر في المرآة إذا قام من النوم، وربما حسَّس على وجهه بيده، ويقول: أخاف أن يكون الله عز وجل قد حوَّل وجهي وجهَ خنزير.

وأين هذا أيضاً من قول الشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله تعالى لما طلبوا منه كرامة: والله! يا أولادي ما عندي الآن كرامة أكرمني الله بها أعظم من إمساكِ الأرض، ولم يخسفها بي حين أمشي عليها، ووالله! يا أولادي قد استحققنا الخسف بنا لولا عفو الله تعالى.

وأحوال السلف في خوفهم من الله تعالى كثيرة مشهورة، خلاف ما عليه بعض أهل هذا الزمان من حسن الظن بنفوسهم من غير طريق شرعي، ومعلوم أن من شأن كل عارف بالله أن ينظر للذي عليه، ولا ينظر للذي له.

وغالب المدَّعين في هذا الزمان وغيره لا بدّ أن يفتضحوا؛ لأن كل مدَّع مُمْتَحَن، فإياك والدعاوى الكاذبة حتى تجاوز الصراط، والله تعالى يتولى هداك، وهو يتولَّى الصَّالحين.

روى البخاري، ومسلم، وأبو داود وغيرهم عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[1].

وروى الترمذي، وحسَّنه، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «إذا كذب العبدُ تباعد عند الملكُ ميلاً من نتن ما جاء به»[2].

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٩٧).
(٢) سنن الترمذي (٣/ ٢٣٥).

وروى أحمد بإسناد جيد عن المغيرة بن شعبة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حدَّث بحديثٍ وهو يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين» وفي رواية: «فهو أحدُ الكذابين»[1].

٣٤٦/ ٥ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون باستهزائنا بأحدٍ من خَلْق الله عز وجل، وذلك بأن نأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه على وجه الاستهزاء، لا على وجه المداراة؛ لأن الله تعالى لم يؤاخذ المنافقين بقولهم للذين آمنوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٢/ ١٤] فقط، وإنما آخذهم بقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ١٤] ولذلك لما ردَّ الله عليهم لم يردَّ إلا استهزاءهم فقط، فقال: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ٢/ ١٥] فافهم، فإن هذا من لُباب التفسير.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى قلب يتعرَّف على قدر عظمة المؤمن، ومن هو المخاطب بالاستهزاء، ووالله لولا الجهل لكان الإنسان يستحق باستهزائه نحو دخول النار. فحذارِ أن تكون ذا وجهين، وذا لسانين.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «تجدون من شر الناس: ذا الوجهين؛ الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»[2].

* * *

---

(١) مسند أحمد بشرح البنا (١٩/ ٢٦٤).
(٢) مسلم (٤/ ٢٠١١).

# كتاب: النهي عن الحلف غير الشرعي

٣٤٧/ ١ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بالحلف بغير الله عز وجل، لا سيما بالأمانة، ولا بقول من الألفاظ التي نُهينا عنها، ويلزمها الفسقة، وعوام الناس.

وهذا العهد أكثر من يقع في خيانته من كان سيىء الخلق، فيجب على المسلم أن يروِّض نفسه، حتى إذا خاصم أحداً تجنَّب الحلف بمثل ذلك.

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»(١) زاد في رواية: «فمن كان حالفاً، فليحلفْ بالله، أو ليصمت».

وروى الحاكم، وسكت عنه الذهبي، عن بريدة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: أنا بريء من الإسلام، فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً فلن يرجعْ إلى الإسلام سالماً»(٢).

وروى الحاكم، وصححه الذهبي، عن بريدة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من حلف بالأمانة، وليس منا من خبَّب زوجة امرىء، ولا مملوكة»(٣) خبب: أفسد.

٣٤٨/ ٢ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نحلف قط يميناً كاذبة بالله عز وجل، ولو لم نقتطعْ بها مالاً لأحد إجلالاً لله تعالى.

---

(١) مسلم (٣/١٢٦٦).
(٢) المستدرك (٤/٢٩٨).
(٣) المصدر السابق.

وهذا العهد يخلُّ به كثيرٌ من الناس، ويحتاج من يريد التخلق به إلى مراقبة شديدة لله تعالى حتى لا يتجرّأ قط على الحلف بالله تعالى لا جاداً ولا مازحاً.

ونقل عن الشافعي رحمه الله تعالى أنه كان يقول: ما حلفت بالله لا جاداً ولا هازلاً، ولا لغواً.

ولكن هنا دقيقة، وهي: أن بعض المتورعين يتوجَّه عليه اليمين، وخصمه كاذب، فلا يرضى أن يحلف، ويُغرَّم المال بغير طيبة نفس، وهذا من الورع البارد، بل الذي ينبغي له: أن يحلف كما كان الصحابةُ يحلفون ليحرموا أخاهم من أكل الحرام والمال الحرام، ولو أنه كان حلف لأخذ حقه الحلال، وحرم أخاه من الإثم، إلا إن كان يبرىء ذمته مما أخذه منه بغير حق بطيب نفس.

روى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف على مال امرىء مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان»(١).

وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»(٢).

وحين سُئِل ﷺ عنها قال: «الذي يقتطع مال امرىء مسلم» يعني: بيمين هو فيها كاذب. قال المنذري: وإنما سُمِّيت اليمينُ الكاذبة غموساً؛ لأنها تغمس الحالف في الإثم في الدنيا، وفي النار في الآخرة.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اليمين على نية المستحلف»(٣).

* * *

---

(١) مسلم (١/ ١٢٣).
(٢) فتح الباري (١١/ ٤٧١).
(٣) مسلم (٣/ ١٢٧٤).

# كتاب: النهي عن السلوك السيء

٣٤٩/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نحتقر مسلماً ولو بلغ في الفسق ما بلغ لجهلنا بخاتمته، وإنما نأمره وننهاه من غيراحتقار، وربما يكون أحسن حالاً منا، فكيف نحتقر من نحن أسوأ حالاً منه؟!.

وإيضاح ذلك: أنَّ السبب الموجب لوقوعنا في احتقاره إنما هو حُسْن الظن بأنفسنا، وسوء الظن بغيرنا، والواجب العكس، كما قالوا: من حكمة العارف بالله: أن يوسِّع على الناس، ويضيق على نفسه، ويرى أن الله تعالى سامح الخلق، ويؤاخذه هو.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى مربٍّ يأخذ بيده ليعرفه بحكم العارفين، وإلا فمن لازمه أن يرى نفسه ناجياً وغيره هالكاً، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

روى الترمذي، وحسَّنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله. كل المسلم على المسلم حرام: عرضه، وماله، ودمه. التقوى هاهنا، بحسب امرىء من الشر أن يحتقر أخاه المسلم»[١].

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٢١٨).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الرجل هلك الناس، فهو أهلكهم»[1].

وهو بالنصب: أهلكَهم، أو بالرفع: أهلكُهم. وفسَّره الإمام مالك بما إذا قال ذلك معجباً بنفسه، مزدرياً لغيره، فهو أشد هلاكاً منهم؛ لأنه لا يدري سرَّ أمر الله في خَلْقه.

٢/٣٥٠ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نخلف وعداً وعدنا به أحداً من ذهاب إلى مكان كذا، أو عطية نعطيها، أو عملٍ نساعده عليه، ونحو ذلك، وكذلك لا نخون، ولا نغدر، ولا نظلم بشتم، أو ضرب، أو غيبة، ونحو ذلك.

وقد ورد أنَّ خُلْف الوعد أو العهد في حقِّ الخلق مذموم، فكيف بمن يعد الله تعالى أو يعاهده، ويخلف؟ نسأل الله تعالى اللطف.

ومن لم يسلك على يد مربٍّ، فهو معرَّض للوقوع في الخيانة والخلف في كل منهي عنه؛ لعدم الحماية له من الله تعالى؛ الذي دعا إلى الكينونة مع أهل الصدق، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ٩/ ١١٩].

روى أبو داود عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعتُ النبي ﷺ ببيع قبل أن يُبعث، وبقيتْ له بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئتُ فإذا هو في مكانه، فقال: «يا فتى! لقد شققتَ عليَّ أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك»[2].

وروى أبو داود عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال: «إذا وعد الرجل

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٢٤).
(٢) مسند أبي داود (٤/ ٢٩٩).

أخاه، ومن نيته أن يفي له فلم يفِ، ولم يجيء الميعاد، فلا إثم عليه»[1].

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آيةُ المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[2].

٣٥١/ ٣ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نقبل من أحد من الأشرار هدية، كالظلمة وأهل البدع، فضلاً عن غيرهم؛ لأن المرء مع من أحب، ولا نحب أن نحشر مع ظالم أو مبتدع. فإن من قبل هدية هؤلاء مال بقلبه إليهم ضرورة، إلا أن تحفّه العناية بمربٍّ يوقفه في حضرات التوحيد، حتى يصير يشهد الملك لله عز وجل وحده، ويتحقق به. فلا ينبغي لمسلم أن يقبل هدية من أحدٍ من الأشرار إلا لعذر شرعي مطلقاً، ولو كان ذلك القابل من أكابر الأولياء.

روى الطبراني وأبو داود بإسناد حسن عن أبي أمامة عن النبي ﷺ، قال: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[3].

٣٥٢/ ٤ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتعلم علم سحر، ولا كهانة، ولا تنجيم بالرمل والحصى، ونحو ذلك، ولا نصدِّق من يفعل ذلك.

واعلمْ أنه قد غلب على الجهَّال في هذا الزمان إتيان المنجمين؛ الذين يخبرون بالضائع، ويعملون بقولهم، وهذا كله جهل بالشرائع، فلا حول ولا قوة إلا بالله. قال الشافعي رحمه الله تعالى:

فوالله ما تدري الضواربُ بالحصى ... ولا زاجراتُ الطير ما الله صانع
فسلهنَّ هل يبدين غيباً مع الفتى ... يلاقي المنايا أو متى السيلُ واقع؟!

---

(١) المصدر السابق.
(٢) مسلم (١/ ٧٨).
(٣) معجم الطبراني (٨/ ١٧٧).

وإن أردت العمل بهذا العهد، فاسلكْ على يد مربٍّ حتى يخرجك عن حب الدنيا، وإلا فمن لازمك: ظلمةُ القلب، وتصديق الساحر، والكاهن، والمنجم، والله يتولى هداك.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» وعدَّ منهن السحر.

وروى مسلم عن صفية، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء، لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة»(١) العراف: الكاهن، وقيل: هو الساحر.

والمنهي عنه من علم النجوم: هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان.

ونقل الشعراني رحمه الله تعالى عن الإمام سنيد: أنه روى أن رسول الله ﷺ قال: «من عمل في فرقةٍ بين امرأة وزوجها كان في غضب الله تعالى، ولعنته في الدنيا والآخرة، وكان حقاً على الله أن يضربه بصخرة من نار جهنم، إلا أن يتوب»(٢).

٣٥٣/ ٥ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بفعل شيء فيه سوء أدب مع الله تعالى، كتصوير الحيوانات من الطيور والسباع في البيوت والأوراق وغيرها، حتى المسماة بخيال الظل؛ سدّاً لباب سوء الأدب مع الله تعالى، وطلباً لدخول الملائكة بيتنا بالرحمة، فإنها لا تدخل بيتاً فيه صورة، كما صح في الحديث.

وقال بعضُهم: المراد بالنهي إنما هو في الصور التي تُعبد من دون الله عز وجل، والجمهور على خلافه، فعلم أنه ينبغي لنا ألا نقرَّ عيالنا على عمل

---

(١) مسلم (٤/ ١٧٥١).
(٢) العهود (٣٦١).

التماثيل من الطعام وغيره للأطفال، ولا نمكِّن أولادنا من شراء الصور، ونحو ذلك؛ تعظيماً لحرمات الله، فمن عظَّم حرمات الله عظَّمه الله.

روى مسلم عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة: المصورون»(١).

وروى مسلم عن عبد الله بن عباس قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كل مصوِّرٍ في النار، يجعل له بكل صورة صوَّرها نفساً، فتعذبه في جهنم»(٢).

وروى مسلم عن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صور صورة في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ»(٣).

٦/٣٥٤ ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك نهي من يلعب من إخواننا بالنرد، وما ألحق به من الشطرنج، ونحوه.

وهذا العهد يخلُّ به كثير من الناس، وفي ذلك غش للاعب وللساكت على ترك النهي، ولولا قبحه ما نهى عنه رسول الله ﷺ، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه.

روى مسلم عن بريدة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من لعب بالنردشير، فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه»(٤).

قلت: وقد نُقِل الإجماعُ على تحريم النردشير (طاولة الزهر). وجمهور العلماء على حرمته. واختلفوا في اللعب بالشطرنج، فذهب جماعة من العلماء إلى تحريمه كالنرد، وكرهه الشافعي كراهة تنزيه، وأباحه سعيد بن

---

(١) مسلم (٣/ ١٦٧١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مسلم (٤/ ١٧٧٠).

جبير، والشعبي بشروط، منها: ألا تؤخر بسببه صلاة عن وقتها. ومنها: ألا يكون فيه قمار، ومنها: أن يحفظ لسانه حال اللعب عن الفحش، والخنا، ورديء الكلام. فمتى لعب به، وفعل شيئاً من ذلك كان ساقط المروءة، مردود الشهادة.

وقد استند من قال بإباحته إلى أنه يستعان به في أمور الحرب ومكائده. ويلحق بالنرد: الورق المنقش، وغيره من الأمور التي لا تجلب خيراً لفاعلها، والله غفور رحيم.

٣٥٥/ ٧ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نجالس الفسقة من الظلمة وغيرهم من المغتابين؛ الذين يقعون في أعراض الناس إلا لضرورة، أو مصلحة شرعية.

وهذا العهد قد كثرت خيانته من الخاص والعام، فصار الشيخ أو العالم يسمع الغيبة ولا ينكرها، وربما شارك أهل المجلس فيها، وربما كان هو البادىء بالغيبة، والناس في ذلك له تبع، كما يقع فيه الأقران.

فالعاقل من اعتزل الناس إلا لفائدة تحصل له أو لهم، كاستفادة علم، وتهذيب أخلاق، وتعليم طرق سياسة الناس من احتمال الأذى، ونحو ذلك.

روى البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يَعدَمك من صاحب المسك إما أن تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك، أو ثوبك، أوتجدُ منه ريحاً خبيثة»[١].

٣٥٦/ ٨ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نجلس وسط

---

(١) فتح الباري (٤/ ٢٥٨).

الحلقة في ذكر، أو علم، أو غير ذلك مما شرع له الاجتماع، وذلك هروباً من التمييز على إخواننا في المجلس.

روى أبو داود عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن من جلس وسط الحلقة.

٣٥٧/ ٩ـ وكذلك أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نجلس في موضع من قام لنا من مجلسه، سواء كان بأمرنا، أو لأجل حرمتنا عنده، أو لغير ذلك.

وهذا العهد يقع في خيانته كثير من الراغبين في الدنيا المعظمين لأهلها من المنتسبين إلى أهل العلم والفضل، فترى أحدهم يقوم من مجلسه في علم أوصلاة، ولو في مسجد النبي ﷺ، ويجلس ذلك الغني بماله مكانه، ويتخلف هو إلى وراء، ولا يفعل ذلك مع من كان مثله.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى مربٍّ يخرجه من محبة الدنيا، وتعظيم أهلها، ويحببه في الفقراء والمساكين، وفي تعظيمهم، وإكرامهم؛ فإن تعظيم أهل الدنيا مِن لازم من يحبها، وتعظيمَ أهل الله من لازِم من يحب الآخرة، وتعظيم الفريقين من لازم من يحب الله؛ لأن الغني والفقير كلاهما من أهل القرب من الله الجامع لاسمه المعطي والمانع، والمعز والمذل.

روى أبو داود عن ابن عمر قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقام له رجل من مجلسه، فذهب ليجلس فيه، فنهاه رسول الله ﷺ[(١)].

وروى مسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مقعده ثم يجلس فيه، ولكن تفسَّحوا، وتوسعوا»[(٢)].

٣٥٨/ ١٠ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نقعد قعدة

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٥٨).
(٢) مسلم (٤/ ١٧١٤).

المغضوب عليهم، لا بحضرة الناس، ولا وحدنا هروباً من التشبه بمن غضب الله عليه.

ويقع في خيانة هذا العهد كثير من أبناء الدنيا، لا سيما بحضرة من لا جاه لهم، وذلك من جملة الإخلال بالأدب مع الجليس. ولو أنه جلس عند فاسق ممن له جاه ومنزلة، ما جلس إلا متأدّباً مطرقاً كالجالس في الصلاة.

روى أبو داود عن الشريد بن سويد قال: مرّ بي رسول الله ﷺ وأنا جالس هكذا، وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري، واتكأت على ألية يدي، فقال: «أتقعد قعدةَ المغضوب عليهم؟!»(١).

٣٥٩/ ١١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بترك معاونة من قام من مجلسه، ورجع عن قرب، وأراد أن يجلس فيه لا سيما إن كان بسط مكانه سجادةً، أو وضع رداءه مكانه، ونحو ذلك.

وهذا المسألة خلاف من يرسل له سجادة يبسطها في مكانه قبل حضورهِ، فافهم، فإنه لا حقَّ له في الجلوس في ذلك المكان، وليس له أن يقيم من رفع السجادة، وجلس مكانها؛ لأن الشارع ما جعل الحق إلا لمن كان جالساً ثم قام، لا لمن أرسل سجادته قبله، مع أن في ذلك تحجيراً على الناس، فافهمْ.

روى أبو داود عن سهيل بن أبي صالح، قال: كنت عند أبي جالساً وعنده غلام، فقام، ثم رجع، فحدَّث أبي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا قام الرجل من مجلس، ثم رجع إليه فهو أحق به»(٢).

وروى أيضاً عن أبي الدرداء قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس وجلسنا

---

(١) سنن أبي داود (٤/٢٦٣).
(٢) المصدر السابق.

حوله فقام، فأراد الرجوع نزع نعليه، أو بعض ما يكون عليه، فيعرف ذلك أصحابه فيثبتون[١].

٣٦٠/ ١٢ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نجلس بين اثنين إلا إذا علمنا ولو بالقرائن رضاهما بذلك، لا سيما إن رأيناهما يتحدثان ويتسارران.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى حذق وفراسة، والله تعالى أعلم.

روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُجلَس بين رجلين إلا بإذنهما»[٢].

وروى أيضاً عنه رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يفرّق بين اثنين إلا بإذنهما»[٣].

* * *

(١) المصدر السابق.
(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٦٢).
(٣) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن ترك آداب الطريق

٣٦١/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نجلس على الطرقات إلا لضرورة شرعية، وكذا لا نقعد على شرفة إلا إذا قمنا بآداب الطريق.

وهذا العهد يقع في خيانته كثير من الناس.

روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «إياكم والجلوس في الطرقات» قالوا: يا رسول الله! ما لنا بدٌّ من مجالسنا نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقَّه» قالوا: وما حقُّه؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1].

* * *

(١) مسلم (٣/ ١٦٧٥).

# كتاب: النهي عن أذى النفس

٣٦٢/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نشفق على نفوسنا من تعاطي كل شيء يؤذيها في الدنيا والآخرة، فليس لنا أن ننامَ فوق سطح لا حظير له، أو نركب بحراً حال غلبة الخطر على راكبه، أو نطير كذلك.

والسرُّ في ذلك أن الروح أمة الله وعبده، والواجب علينا إكرامها من هذه الحيثية، لا من حيث حكم الطبع والجبن؛ فإن كل عارف يشهد نفسه كأنها غيره، وهي أمانةٌ عنده، كما يقول الإنسان: قالت لي نفسي كذا، أو قلت لها كذا، مع أنه واحد في نفسه.

روى أبو داود عن علي بن شيبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «من بات على ظهر بيت ليس له حجارٌ، فقد برئت منه الذِّمَّة»[1].

* * *

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٣١٠).

# كتاب: النهي عن ترك السنة النبوية

٣٦٣/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نعوّد أنفسنا بترك السُّنَّة في وقت من الأوقات، كالنوم على الوجه من غير ضرورة، كما يقع فيه كثير ممن يكثر النوم عبثاً، فيضجر من النوم على جانب، فينتقل إلى الجانب الآخر، وينتقل إلى الظهر ثم البطن، ولو أنه نام على جنبه الأيمن بقدر نوم الحاجة، لكان إذا استيقظ قام للوضوء والصلاة، ولم ينتقل لجانب آخر، فلا أكمل من السُّنَّة المحمدية أبداً.

وسمعت سيدي علياً الخواص ـ رحمه الله ـ يقول: من فوائد النوم على الجانب الأيمن: عدم الإسراف في النوم الزائد على الحاجة؛ لكون القلب متعلقاً في الجانب الأيسر، فيصير كأنه مستيقظ.

روى أبو داود عن يعيش بن طخفة الغفاري قال: مرَّ النبي ﷺ برجل مضطجع في المسجد من السحر على بطنه، فحرَّكه برجله، فقال: «إن هذه ضجعة يبغضها الله»[1].

* * *

(١) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن تعاطي أسباب كراهية الموت

٣٦٤/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتعاطى أسباب كراهيتنا للموت، من كثرة المعاصي، أو كثرة بناء الدور، وغرس البساتين، ونحو ذلك.

وهذا العهد قد وقع في خيانته كثير من الناس، حتى لا تكاد تجد أحداً مستعداً للموت، فيستحب للعبد تعاطي الأسباب التي يصير بها يحب لقاء الله عز وجل، ولا يتخذ هذه الدنيا وطناً، وإنما يتخذها جسراً يمرُّ عليه إلى الدار الأصلية الباقية.

ومعلوم أن القدوم على من يرجى خيره، وهو الله عز وجل، خير من المقام مع من لا يؤمن شره من النفس، والشيطان، وفسقة الناس. قال العارف المجذوب:

لا تظنوا الموتَ موتاً إنه ... لحياةٌ هي غاياتُ المنى
لا تَرُعْكم فجأةُ الموت فما ... هي إلا نقلة من هاهنا

وهذا في حقّ من جاهد نفسه حتى ماتت عن أهويتها، وجميع تصرفاتها، فغايةُ موته أنه انتقل من دار إلى دار، وأما من لم يجاهد نفسه، فلا بد له من علاج سكرات الموت، ومقاساة أهواله.

وفي الحديث: «من أراد أن ينظر إلى ميِّت يمشي على وجه الأرض، فلينظر إلى أبي بكر رضي الله عنه» لكونه كان قد جاهد نفسه بسيوف المجاهَدات، ومحق إرادتها واختياراتها بالتسليم للحق تعالى. فعلم أنه ما قاسى أحد شدة في طلوع روحه إلا لعدم مجاهدته نفسه المجاهدة المطلوبة منه بالنظر لمقامه هو، وقد أنشدوا في مجاهدة النفس:

فأوردتها ما الموت ليس ببعضه وأتعبتها كيما تكون مريحتي
ولـم يبـقَ هـولٌ دونهـا مـا ركبتـه وأشهد نفسي فيه غير زكيةِ

وبالجملة: من أراد العمل بهذا العهد السلوك على يد مربٍّ ناصحٍ يذكره بالموت على الدوام حتى يكون محباً للقاء الله تعالى، ومن لم يتربَّ فمن لازمه: محبة الإقامة في محل البعد، وكراهة النقلة منه.

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى: إنَّ الموت يصعب على المسلم ويخفّ بحسب علائقه في الدنيا، وما خرج على ذلك سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكُمَّل أتباعهم، فهم وإن حصل لهم صعوبة طلوع الروح، فإنما ذلك لطلبهم الإقامة في الدنيا من أجل هداية الخلق، ودلالتهم على الله تعالى؛ لما جعله الله فيهم من الشفقة، والرحمة، ومحبة الخيرات لسائر أممهم. فليس صعوبة طلوع أرواحهم لعلاقة دنيوية، وعلى ذلك حملوا قوله ﷺ وهو محتضر: «وا كرباه!» فإنه ﷺ لم يكن له علاقة دنيوية بإجماع، والله غفور رحيم.

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقلت: يا نبي الله! أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال: «ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشِّر برحمة الله ورضوانه وجنته أحبَّ لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بُشِّر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه»[١].

* * *

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٦٥).

# كتاب: النهي عن تعاطي أسباب الأذى للناس

٣٦٥/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتعاطى أسباب الأذى للناس في حياتنا، فنوقعهم في الإثم بسبِّنا بعد موتنا، ووقوعهم في غيبتنا. ولو أنا كنا تعاطينا أسباب الخير للناس لأثنوا علينا، ولم يقعوا في إثم غيبتنا.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وكان سيدي علي الخواص يقول: ربما يؤاخذ العبدُ إذا تعاطى أسباب الغيبة، ويكون حكمه حكم من قدر على إزالة منكر ولم يزله.

وسمعته مرة أخرى يقول: يجبُ على العبد أن يحفظَ على الناس أديانهم، ولا يفتح لهم باباً ينقص به دينهم.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى من يسدُّ عنه جميع الأبواب التي يأتيه منها النقص، كنقل غيبة الناس له، فإنهم لا يستغيبونه إلا بذكر النقائص التي ظهرتْ منه، ولو أنه حفظ نفسه من الوقوع في النقائص لما وجد عدوُّه شيئاً ينقصه به، ثم لو قدّر أنه نقصه بشيء كذَّبه الناس ورَدُّوا عنه.

فإذا سلكت يا أخي على مربٍّ، وإلا فمن لازمك تعاطي أسباب غيبة الناس لك، وعلى قاعدة قولهم: من سلك مسالك التهم فلا يلومنَّ من أساء به الظن، وأنه ينبغي لمن تعاطى أسباب غيبة الناس له ألا يرى له حقاً على من استغابه في الآخرة؛ لكونه كان هو السبب في وقوع الناس في الإثم، فإن كان ولا بد أن يؤاخذ من اغتابه، فليسامحه بالغيبة؛ ليكون ذلك بذلك.

قال الخوّاص رحمه الله: إياك أن تفهم من قاعدة: من سلك مسالك

التهم فلا يلومنّ من أساء به الظن: إباحة الغيبة له، فإن ذلك فَهْمُ مخطىء، بل التحريم باقٍ إلا أن يجاهر بما استغابه به، ونحو ذلك من الأمور التي أباح العلماء الغيبة بها.

فإياك يا أخي أن تذكر أحداً من الموتى بسوء، ولو تعاطى الميت أسباب النقص في حياته فكما عليه اللوم، فكذلك علينا اللوم، والله غفور رحيم، فتأمل في ذلك، وإياك والغلط.

روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات صاحبكم فدعوه، لا تقعوا فيه».

وروى أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اذكروا محاسن موتاكم، وكفُّوا عن مساويهم»[١].

* * *

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٧٥).

# كتاب: النهي عن النياحة ومنكرات الحداد

٣٦٦/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نمكّن أحداً من عيالنا وأولادنا وغيرهم ينوحُ على ميت، وينعيه بنعي الجاهلية، ولا نمكِّنه أن يلطم وجه نفسه لأجله، أو يخمشه، أو يشقّ الثوب، أو يحلق، أو غير ذلك مما يُشْعِر بالسخط على مقدور الله عز وجل، وعدم الرضا به.

وهذا العهد يتساهل بخيانته غالبُ الناس، مع علمهم بتحريم هذه الأفعال، فإياك يا أخي! والاعتراض على أحد من مقدورات الله تعالى.

روى مسلم عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الميت يعذَّب في قبره بما نيح عليه».

وروى مسلم عن عمر: قال رسول الله ﷺ: «المعوّل عليه يعذب»[١].

وروى مسلم عن أبي مالك الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأنساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة».

وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»[٢].

فعلم من هذا التشديد في أمر النياحة، والإيصاء في أمر النياحة، فإذا نيح على الميت بغير إذنه فلا عذاب عليه. ودمع العين مُسامَح به.

---

(١) مسلم (٢/ ٦٤٠).

(٢) المصدر السابق.

٣٦٧/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نمكّن امرأةً من نساء أهلنا، أو غيرهم أن تُحِدَّ على غير زوجها فوق ثلاثة أيام.

وهذا العهد يقعُ في خيانته كثير من نساء العلماء والصالحين، فضلاً عن غيرهم، فيجب على كل مسلم أن يزجر النساء عن مثل ذلك، ولو أن يهجرها في المضجع.

روى الشيخان وغيرهما عن زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنهما قالت: لما جاء نعي أبي سفيان رضي الله عنه من الشام، دعتْ أم حبيبة رضي الله عنها بصفرةٍ في اليوم الثالث، فمسحتْ عارضيها وذراعيها، وقالت: إني كنتُ عن هذا لَغنيّةً، لولا أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميّت فوق ثلاثٍ، إلا على زوج، فإنها تحدُّ عليه أربعة أشهر وعشراً»[١].

* * *

---

(١) فتح الباري (٣/ ١١٣).

# كتاب: التشديد في ولاية مال اليتيم

٣٦٨/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نلي مال اليتيم، خوفاً على أنفسنا أن نميلَ إلى الأكل منه بغير حق، فكيف بنا لو أكلناه؟!.

وهذا العهدُ يجبُ على كل من استبرأ لدينه وعرضه أن يعمل به.

وقد ظن جماعةٌ من الأكابر الثقة بأنفسهم، والخوف من الله تعالى، فولوا مال الأيتام، وأكلوها، وجادلوا الحكام، وقرابات اليتيم، وادَّعوا فيه حيلاً، وتلفاً، وأموراً لا حقيقة لها، فإذا كان الأكابر قد وقعوا مع علمهم ودينهم، فكيف بأمثالنا؟! فمن الحزم بُعدُنا عن أموال اليتامى جهدنا.

وكان المتبولي رحمه الله تعالى يقول: إياك أن تسندَ وصيتك إلى من رأيته كثير الجدال، وتقول: إنه يخلِّص مال اليتيم ممن هو عنده بكثرة جداله، فإنه لو خلَّصه ربما أكل بعد ذلك مال اليتيم، وجادل كل من أنكر عليه، ويدحض حجته.

وكان يقول: إياكم والقرب ممن يتخذ علمه سلاحاً يقاتل به الجاهلين بغير حق.

فإن طلبت يا أخي! أن تليَ مالَ اليتيم فاعرضْ على نفسك، فإن رأيتها تخاف الله، وتخشاه بالغيب، ولا تتجرأ على معصية حياءً من الله، أو خوفاً منه، فاقبلْ ولاية اليتيم، وإن علمت أنها تعصي ربها إذا خَلَتْ، فاعلمْ أنها لا تصلح أن تلي مال يتيم؛ إذ اليتيم وليه الله تعالى، والله تعالى غيبٌ غير

مشهود لنا في قلوبنا في أغلب أوقاتنا، والذي يشهده ويعصيه حال شهادته له، فربما مقت.

روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا ذر! إني أراك ضعيفاً، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي. لا تأمَّرَنَّ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنَّ مال يتيم»[1].

وفي حديث الكبائر: «وأكل مال اليتيم» فعده رسول الله ﷺ من الكبائر، ومصداقه في الكتاب العزيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٤/ ١٠].

* * *

(١) مسلم (٣/١٤٥٨).

# كتاب: النهي عن ارتكاب منكرات زيارة القبور

٣٦٩/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نمكِّن عيالنا من الخروج مع جنازة، ولا لزيارة قبور أولادهن، فضلاً عن أولاد غيرهن، إلا إذا رأينا من إحداهنَّ الجزع الشديد، ورجونا لها ذهابه مكَّنَّاها من الخروج مع ثقة.

وهذا العهد يقع في خيانته كثير من الناس، حتى العلماء والصالحين.

روى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمّه، فزوروها؛ فإنها تذكِّر الآخرة»(١).

قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم، لا يرون بزيارة القبور بأساً.

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن زوّارات القبور(٢).

قال الترمذي: وقد رأى بعضُ أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخِّص النبي ﷺ في زيارة القبور، فلمَّا رخَّص دخل في رخصته الرجال والنساء. وقال بعضُهم: إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن، وكثرة جزعهن.

---

(١) سنن الترمذي (٢/ ٢٥٩).

(٢) المصدر السابق.

وقد زارت السيدةُ عائشة رضي الله عنها قبرَ أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان قد توفّي بالحبشيّ، فحمل إلى مكة، فدفن فيها، فقالت: «والله! لو حضرتك ما دفنت إلا حيث متّ، ولو شهدتك ما زرتك»[1].

قال الحافظ المنذري رحمه الله: قد كان النبي ﷺ نهى عن زيارة القبور نهياً عاماً للرجال والنساء، ثم أذن للرجال في زيارتها، واستمر النهي في حق النساء، وقيل: كانت رخصةً عامةً، والله أعلم. والاحتياط في حق النساء ترك الزيارة، والله أعلم.

٣٧٠/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نمرَّ على قبور الظالمين، ولا على ديارهم غافلين عمَّا أصابهم، ونحن نجدُ طريقاً بعيدة عن قبورهم وديارهم؛ وذلك لأن قبورهم لا تخلو من نزول اللعنة عليها، أو الغضب، والمقت، فربما أصابنا نصيبٌ وافر من ذلك إذا مررنا على قبورهم.

أما العصاة المتلبسون بالمعاصي، المختالون في أنفسهم ذوو القلوب المشحونة بالخواطر الرديئة، وبالمكر بالمسلمين، فإذا مروا بقبور الظالمين استحقوا اللعنات كما استحقها أهل القبور الظلمة، واستحقوا الخسف بهم، ولكن الله تعالى يحلم عليهم. فالظلمُ لا يفارقهم في أنفسهم في أي موضع حلُّوا فيه ولو في المساجد.

وقد مرّ في عهد الكبر أن شخصاً في عهد رسول الله ﷺ بينما هو يمشي في زقاق أبي لهب؛ إذ نظر إلى عطفه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينما رجلٌ

---

(١) المصدر السابق.

يمشي قد أعجبته جُمَّته (من شعر الرأس ما سقط على المنكبين) وبرداه؛ إذ خُسِف به الأرض، فهو يتجلجلُ في الأرض إلى يوم القيامة»[١].

فليحذرْ من كان مضمراً لأحد من المسلمين سوءاً من وقوع العذاب به، ونزول الغضب، والمقت عليه، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ١٦/ ٤٥-٤٧] الآية.

فاصحبْ يا أخي من ينهضك حاله، ويدلك على الله مقاله؛ ليظهر لك صفاتك الخبيثة، فتطهَّر منها، وتصير ترى أنك قد استأهلت لأن يخسفَ بك لولا عفو الله، وتكون خائفاً على الدوام، والله يتولى هداك.

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر، فقال لنا رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا مساكنَ الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين؛ حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم» ثم زجر فأسرع حتى خلَّفها[٢].

وفي رواية عنه رضي الله عنهما: أن الناسَ نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر، أرض ثمود، فاستقوا من آبارها، وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يُهْرِيقوا ما استقوا، ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة[٣].

* * *

---

(١) مسلم (٣/ ١٦٥٣).

(٢) مسلم (٤/ ٢٢٨٦).

(٣) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن تعاطي أسباب عذاب القبر

٣٧١/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتعاطى أسبابَ عذاب القبر؛ كعدم الاستبراء من البول، والمشي بالنميمة، وسوءِ الظن بالمسلمين، وكأكل الحرام، وسائر ما يغضب الله عز وجل، وذلك لأن هذه المعاصي تحجبُ القلوب عن مشاهدة الأمور التي يجب الإيمانُ بها، وإذا حُجبت القلوب عن ذلك وقعت في الشك بالله تعالى فضلاً عن الشك في نبيِّها، وإذا وقعت في الشك جاءها العذاب من كل جانب، فالعاقلُ من ترك جميع ما يغضب الله تعالى قبل موته، والأخرقُ من وقع في المعاصي ولم يتب، وسأل الله أن يعيذَه من عذاب القبر.

قال الخوّاص: إنما كانت البهائمُ تسمعُ عذاب القبر؛ لأنها من عالم الكتمان، فكل من اتصف بمقام الكتمان من الأولياء سمع عذابَ القبر.

فاترك يا أخي! كلَّ ما يُغْضِبُ الله تعالى إن أردت ألا تُعذَّب في قبرك.

روى الترمذي، وحسّنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر الميت (أو قال: أحدكم) أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم يُنوَّر له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه؛ حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك.

وإن كان منافقاً قال: سمعتُ الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعُه، فلا يزال معذَّباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»(١).

وروى الترمذي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، إلا وقاه الله فتنة القبر»(٢).

وروى الطبراني عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إن الموتى ليعذَّبون في قبورهم، حتى إن البهائم لتسمعُ أصواتهم»(٣).

* * *

---

(١) سنن الترمذي (٢/٢٦٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) معجم الطبراني (١٠/ ٢٠٠).

# كتاب: النهي عن الجلوس على قبر مسلم

٣٧٢/ ١ـ أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نجلسَ على قبر مسلم، وأن ننهى الحفارين عن كسر عظام الميت، ونعلمهم بما ورد في ذلك من الوعيد، ونغضب لذلك أشد الغضب. قلت: ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل كثير من الحفارين يبيعون عظام الموتى وجماجمهم لطلاب الطب في هذا الزمان، وهو أمرٌ منهي عنه شرعاً، وعلى المسلم إذا رأى عظمة ميت أن يواريها الترابَ، ويدفنها.

ومن الأدب ألا يمشي بين القبور بنعليه فإنه مما يتأذى به أصحاب القبور.

روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يجلس أحدُكم على جمرة، فتحرق ثيابه حتى تخلصَ إلى جِلْده، خيرٌ له من أن يجلس على قبر»(١).

وروى أبو داود عن أبي مرثد الغنوي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجلسوا على القبور، ولا تُصَلُّوا إليها»(٢).

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٢١٧).
(٢) المصدر السابق.

وروى أبو داود عن بشير مولى رسول الله ﷺ قال: بينما أنا أماشي رسول الله ﷺ مرَّ بقبور المشركين، فقال: «لقد سبق هؤلاء خيراً كثيراً» ثلاثاً، ثم مر بقبور المسلمين فقال: «لقد أدرك هؤلاء خيراً كثيراً» وحانت من رسول الله ﷺ نظرةٌ، فإذا رجلٌ يمشي في القبور عليه نعلان، فقال: «يا صاحب السِّبتيَّتين! ويحك ألق سِبتِيَّتَيْكَ» فنظر الرجل، فلما عرف رسول الله ﷺ خلعهما، فرمى بهما»[١].

* * *

(١) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن ترك الأعمال الصالحة

٣٧٣/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نترك شيئاً من الأعمال الصَّالحة التي تدفع أهوالَ يوم القيامة من عرق، وعري، وجوع، وظمأ، وخوف، وسائر المفزعات.

فمن عرق في الدنيا في سبيل الله خفَّ عنه العرق يوم القيامة، ومن كسا لله في الدنيا كساه الله يوم القيامة، ومن أشبع لله في الدنيا لم يجعه الله يوم القيامة، ومن سقى لله في الدنيا لم يظمأ يوم القيامة، ومن خاف الله في الدنيا، وأمَّن الخائفين أمن من سائر المفزعات يوم القيامة.

ومن يعرق في ذكر الله يخف عنه العرق يوم القيامة، ومن يعرق في كسبه ويحتسبه عند الله يخف عنه يوم القيامة، فالذي يتحمل العرقَ في منى وعرفات وفي المشاعر، ويسقط منه العرق الكثير ويحتسبه عند الله يخف عنه عرق يوم القيامة.

روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يعرق الناسُ يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»[(١)].

روى الطبراني عن سودة بنت زمعة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يُبعث الناس حفاةً عراةً غرلاً، قد ألجمهم العرق، وبلغ

---

(١) البخاري (٨/١٣٨).

شحوم الآذان» فقلت: يبصر بعضُنا بعضاً! فقال: «شُغِل الناس، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه»[1].

وروى الطبراني عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إن الرجلَ ليلجمه العرق يوم القيامة، فيقول: رب أرحني ولو إلى النار»[2].

فاكس لله لتبعث مكسوّاً، واسقِ لله لتبعث مرويّاً، وأطعم لله لتبعث شبعانَ، وأمِّن لله لتبعث آمناً، واعرَقْ لله لتبعث في ظل العرش نجياً من العرق.

* * *

(١) معجم الطبراني (٢٤/ ٣٤).
(٢) المصدر السابق.

# كتاب: النهي عن الغفلة عن محاسبة النفس

٣٧٤/ ١ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نغفل عن محاسبة نفوسنا في جميع أحوالنا، لا سيما العلم، والمال، والعمر، والجسم، فمن حاسب نفسه هنا خفَّ حسابُه هناك، وكان يسيراً، ومن أهمل نفسه هنا طال حسابه هناك، وكان عسيراً.

وكان سيّدي أحمد الرفاعي رحمه الله يقول: من لم يحاسبْ نفسه على الخطرات واللحظات في كل نفس، لم يُكتب عندنا في ديوان الرجال.

وإيضاح ذلك: أن مراد الحق تعالى بحسابه عبده الاعترافُ بما جناه، ورؤيةُ الفضل لله تعالى في حلمه على العبد، أو تركُ مؤاخذته، فمن كان معترفاً له بذلك لا يحاسب، إلا فيما أغفله هنا، فإن قدّر أنه لم يغفلْ عنه شيئاً لم يحاسب أصلاً.

واعلم أن أكثر الناس اليوم قد عدموا مناقشة نفوسهم في العمل بعلمهم، ومناقشتها في المال الذي دخل في أيديهم، ومناقشتها في إنفاقه، أو إمساكه، هل يرضاه الله تعالى أم لا؟ وكذلك عدموا مناقشة نفوسهم في ذهاب عمرهم في اللهو، والغفلة، والمعاصي، فإنَّ كل وقت مضى يُختم عليه بما فيه، وكذلك عدموا المناقشة في جسمهم، هل بلي في طاعة الله عز وجل، أو معصيته؟ أو نوم، أو لغو، أو لعب؟ فيا طول وقوفنا والله في تلك المواطن! إلا أن يتغمَّدنا الله برحمته.

واعلم يا أخي! أنه كلما كثر علم العبد كثر حسابه، وكذلك القولُ في المال والعمر، فَيُسْأل العالم عن كل مسألة تعلَّمها هل عمل بها أم لا، وعن كل درهم اكتسبه هل فتِّش عليه من حيث الحل أم لا، وهكذا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قاربوا، وسدِّدوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله» قالوا: يا رسول الله! ولا أنت؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله برحمةٍ منه وفضل»(١).

وروى الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزولُ قدما عبد حتى يُسأل: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»(٢).

٣٧٥/ ٢ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نتهاون بتمادينا على شيء من العوج في أعمالنا وأحوالنا، ما دمنا في هذه الدار، فإن مشينا على الصراط على صورة مشيناها على الشريعة المحمدية، فمتى زغنا هنا زغنا هناك.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: سمعتُ سيدي علياً الخوّاص رحمه الله تعالى يقول: سرعة مرور الناس على الصراط وبطؤهم يكون بحسب مبادرتهم لفعل الطاعات وتخلّفهم عنها.

وقال أيضاً: المشي على الصراط حقيقة إنما هو هاهنا في هذه الدار، فمن تحفَّظ في مشيه هنا على الشرع حفظ في مشيه على الصراط المحسوس في الآخرة.

---

(١) معجم الطبراني (١٠/ ١٠٠).
(٢) مسلم (٤/ ٢١٧٠).

فالعاقل من استقام هنا في أفعاله، وأقواله، وعقائده، ولم يسامح نفسه بشيء يقع فيه من الذنوب، بل يتوبُ، ويندم على الفور، والله يحفظ من يشاء كيف يشاء.

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري من حديث رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «ثم يُضْرَب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلّم سلّم» قيل: يا رسول الله! وما الجسر؟ قال: «دَحْضٌ، مَزَلّةٌ، فيه خطاطيف، وكلاليب، وحسك، تكون بنجدة فيها شويكة، يقال لها السَّعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مُسَلَّم، ومخدوشٌ مرسل، ومكدوس في نار جهنم» الحديث[1].

الدحض المزلة: الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر. المخدوش المرسل: يخدش ثم يرسل فيخلص. المكدوس: المدفوع في نار جهنم.

* * *

(١) سنن الترمذي (٤/٣٦).

# كتاب: النهي عن الملال من كثرة تعلُّم العلم

٣٧٦/ ١ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نملَّ من كثرة تعلُّمنا العلم والعمل به، لكون شربنا من حوض نبينا ﷺ يكون بقدر تضلُّعنا من الشريعة، كما أن مشينا على الصراط يكون بحسب استقامتنا بالعمل بها، كما مرَّ في العهد قبله، فالحوضُ علوم الشريعة، والصراط أعمالها.

ويحتاج العملُ بهذا العهد إلى تحفظ زائد في العلم والعمل، ولا يكون ذلك إلا إن سلك العبد طريق السلف الصالح على يد مربٍّ ناصح؛ لكثرة احتفاف العلم والعمل بالآفات الخفية، فإن الرياءَ يدقُّ مع طالب العلم حتى يخفى جداً، فالرياء كالكدر في الماء كلَّما رُوِّق بشبٍّ ونحوه كلما صفا، وتميز من الطين.

فاجتهدْ يا أخي! في حفظ الشريعة، ولا تغفلْ، وعليك بكتب الحديث فطالِعْها؛ لتعرف منازع الأئمة، ولما استندوا إليه من الآيات، والأحاديث، والآثار، ولا تقنعْ بكتب الفقه دون معرفة أدلتها، والله يتولى هداك.

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورِق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً»(١).

* * *

(١) مسلم (١/ ١٦٩).

# كتاب: النهي عن فِعْل ما يُوصِل إلى النار

١/٣٧٧ ـ أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: ألا نبني لنا في دركات النار مسكناً، ولو قدر مفحص قطاة. وذلك لا يكون إلا بتركنا فعل جميع ما نهانا الله عنه ورسوله ﷺ في الكتاب والسنة من كبائر وصغائر.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى أستاذ ناصح، يطلعه على مراتب القيامة، ويعرف ما يمشي هناك من الأعمال، وما لا يمشي فيتركه هنا حتى لا يبقى له بناء إلا في الجنة، وأما والعياذ بالله المذنب من العصاة، فإنه لا يزال يبني في النار الدركات بأعماله حتى ينتهي عمره، فيقال له: ادخل دارك التي بنيتها. وقد أنشد محمد بن علي رحمه الله تعالى في ذلك:

النار منك وبالأعمال توقدها ... كما بصالحها في الحال تطغيها
فأنت بالطبع منها هاربٌ أبداً ... وأنت في كلِّ حالٍ منك تنشيها
أما لنفسك عقلٌ في تصرُّفها ... وقد أتيتَ إليها اليوم تبنيها

فلا تلم يا أخي إلا نفسك، فإن جميعَ ما أعد لك في جهنم من حميم، وزمهرير، وحيّاتٍ، وعقارب، ومقامع، وغير ذلك، إنما هو من فعلك بجوارحك، كما تعرفه إذ دخلت النار، والعياذ بالله على التعيين، وتعرف جميع الأعمال التي استحالت ناراً، أو عقرباً، أو حيةً، أو كلباً، ونحو ذلك على اليقين، وتعلم هناك يقيناً أنها كلها عملك، لم يشاركك فيها أحد، وغالب أمر إبليس أنه نفذ ما رأى نفسك مالت إليه لا غير؛ لأن النفس كلسان الميزان، وإبليس جالس بالمرصاد لك ينظر ما تميلُ إليه نفسك، فبمجرد ما يخرجُ لسان الميزان، وتميل إلى فعل معصية من المعاصي الظاهرة والباطنة، يجيء إبليس ينفذ ذلك، وما دام لسان الميزان لم يخرجْ من الفكّ، فليس لإبليس على العبد سبيل؛ لأنه إما معصوم، وإما محفوظ بالقرب من الله عز وجل. وأهل الذكر ليس له عليهم سبيل.

ويؤيده ما قلناه خطبته لعنه الله في النار حين يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ﴾ [إبراهيم: ٢٢/١٤] أي: وما كان لي عليكم من سلطان قبل أن تميلوا، وتخرجوا عن فكّ الميزان إلى جانب المعصية والشقاء، فلما ملْتم دعوتكم فاستجبتم لي، فلا تلوموني، فإني ما أملتكم، ولوموا أنفسكم حيث ملتم قبلي.

واعلم يا أخي أن المطيعين الصرف لا بناء لهم في النار قط لعصمتهم، أو حفظهم، والمخلطين يبثون تارة في الجنة وتارة في النار، والمرجع في أمرهم إلى الخاتمة، وإلى عفو الله عز وجل، فإن بدَّل الله تعالى سيئاتهم حسنات بالتوبة النصوح، فلا يبعد أن تُبدَّل مساكنهم في النار درجاتٍ في الجنة كذلك. وإن لم يبدل الله سيئاتهم لعدم التوبة الخالصة، فهم تحت المشيئة كعصاة الموحّدين؛ الذين ماتوا على غير توبة.

وأما أهل النار الذين هم أهلها، فلا يبنون دائماً إلا في النار، ولا بناء لهم في الجنة مطلقاً، قال تعالى: ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس: ٥٩/٣٦] وهم أربع طوائف.

الأولى: المشركون، وهم الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر.

والثانية: المتكبرون كفرعون، والنمروذ، وأضرابهما.

والثالثة: المعطِّلون، وهم الذين نفوا الإله جملة.

والرابعة: المنافقون؛ الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، ولا يخلو ما أبطنوه من ثلاثة أحوال؛ لأنه إما أن يكون شركاً، أو تكبّراً، أو تعطيلاً.

واعلم أنه يجب على كل عاقل أن يحميَ نفسه من دخول النار امتثالاً لقوله تعالى؛ الذي هو أشفق على العبد من والديه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ... ﴾ [التحريم: ٦/٦٦] أي: قوا أنفسكم بترك كل مذموم شرعته على ألسنة رسلي.

وهذا العهدُ جامع للعهود السابقة كلها، فإن كلّ منهي عنه داخلٌ فيه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

روى البخاري عن عدي بن حاتم: أنَّ النبي ﷺ ذكر النار، فأشاح بوجهه، فتعوَّذ منها، ثم ذكر النار، فأشاح بوجهه فتعوّذ منها، ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجدْ فبكلمة طيبة»[1].

فالذين يهيئون لهم نُزُلاً في النار ومسكناً؛ الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة، والذين لا يؤدون صدقات أموالهم، والذين يمنعون الماعون، والذين يفطرون في رمضان من غير رخصة ولا مرض، والكذابون والمغتابون والنمامون، والذين يمثلون بالحيوانات، والذين يتحمّلون أمانات الناس وهم عاجزون عن أدائها، والذين يقولون ما لا يفعلون، ولا يعطون الناس، والذين لا يحجون وهم مستطيعون، والذين يؤذون الناس، والذين يسرقون الأموال العامة والخاصة، والذين يحلفون بالله كذباً ولا يتعظون.

والذين يأكلون الربا، ويغصبون الأراضي، والذين لا يعدلون مع زوجاتهم، والذين يفسدون النساء على أزواجهم، والذين يتشبهون بالنساء، واللواتي يتشبهن بالرجال، والنامصات والمتنمصات، والواصلات والمستوصلات، والمغيرات خلق الله، والذين يرشون ويرتشون، والذين يرضون الناس بسخط الله، والذين يشربون الخمر ويرتكبون الزنى واللواطة، ويقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، والذين يرتكبون الكبائر ويصرون على الصغائر، والبخلاء، والهاجرون، والسابّون، والمروعون الناس وغيرهم.

والسلف الصالح خافوا كثيراً، حتى كأن النار ماخُلِقَتْ إلا لهم،

---

(١) مسلم (٤/١٧٩٣).

فالصدِّيق يقول: يا ليتني كنتُ تبنة. وعمر يقول: ليت أم عمر لم تلد عمر، وعثمان يقف على القبر فلا يزال يبكي حتى تخضلَّ لحيته، وعلي يخرجُ إلى المقابر، ويخاطب أهلها، ويحثُّ نفسه على التقوى، كل ذلك من عظم ما كان يخوِّفهم به رسول الله ﷺ. وما اطمأنّوا إلى البشارة بالجنة، وقعدوا عن العمل، وهم أسوتنا، وقدوتنا بعد رسول الله ﷺ، فقد قال ﷺ: «عليكم بسُنَّتي، وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليه بالنواجذ».

فشمروا عن ساعد الجد في العبادة، وأقاموا دين الله في أنفسهم وفي رعيتهم. فنسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم تحت لواء سيد المرسلين ﷺ أجمعين في جنات الخلد في الفردوس الأعلى، وألا يجعل لنا ولا لمسلم على وجه الأرض من يوم خلق الله الدنيا إلى يوم يأخذ الله الأرض ومن عليه متبوَّأً ولا منزلاً في النار إلا ما شاء الله؛ لأن مذهب أهل السنة والجماعة أنه لا بد من طائفة تدخل النار من الموحِّدين، ثم تخرج من النار بالشفاعة.

وكان الفراغ من كتابة هذ المختصر المسمى بفقه السنة النبوية من العهود المحمّدية في صبيحة يوم الثلاثاء، الخامس عشر من شهر ذي الحجة سنة ألف وأربعمئة وسبعة عشر من هجرة سيد البشر سيدنا محمد ﷺ، في المدينة المنوّرة، على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، سائلاً الله تعالى الوفاة فيها، والدفن في ثرى بقيع الغرقد فيها، أملاً في نيل شفاعة صاحبها، يوم يقول ﷺ: «أنا لها، أنا لها». آمين، آمين، آمين.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أسعد بن محمد سعيد الصاغرجي

عفا الله عنه، مصلياً مسلِّماً

# فهرس الموضوعات

# صدر للمؤلف

١- سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ١ - ٢ مجلد

الأسوة الحسنة

قياس ١٧ × ٢٥ - الطبعة الثانية ١٣١٩هـ

٢- شعب الإيمان ١/٤ مجلد

قياس ١٧ × ٢٥ الطبعة الأولى ١٣١٨هـ

٣- فقه السنة النبوية من العهود المحمدية ١ مجلد

قياس ١٧ × ٢٥ - الطبعة الثانية ١٣١٩هـ

٤- الفقه الحنفي وأدلته ١ مجلد

قياس ١٧ × ٢٥ الطبعة الأولى ١٣١٩هـ

٥- الصلاة

قياس ١٢ × ١٧ الطبعة الأولى ١٣١٩هـ

٦- الزكاة

٧- زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

٨- القضاء والقدر